التبيان
في تفسير القرآن

تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي

المجلد ٤

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

التبیان فی تفسیر القرآن

کاتب:

محمدبن حسن طوسی

نشرت فی الطباعهٔ:

موسسه النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

التبيان فی تفسیر القرآن المجلد ۴

اشارهٔ

شماره بازیابی:۵-۷-۱۴۶-۱

سرشناسه:طوسی محمد بن حسن ۳۸۵-۴۶۰ق

عنوان و نام پدیدآور:التبیان فی تفسیر القرآن[نسخه خطی]/محمد بن الحسن الطوسی

وضعیت استنساخ :، صفر ۵۹۵ق.

آغاز، انجام، انجامه:آغاز:بسمله. الحمدلله الواحد...سوره و الصافات. مکیه فی قول قتاده و مجاهد و... لیس فیها ناسخ و لا منسوخ...

انجام:... و لو کان مامورا...دون التلاوه لما وجب ان یاتی بلفظه قل فی هذه المواضع کلها. تم الکتاب و الحمدلله رب العالمین.

انجامه:فرغ الحسین بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن یحیی بن الوکیل المعروف بابن الطو...من کتابه هذا الجزء الخامس لنفسه...عشر صفر من سنه خمس و تسعین و خمس مایه و صلی الله علی سیدنا محمد النبی و اهل بیته الطاهرین و سلم تسلیما کثیرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابی یزید و ان محمد و علی سعید.

مشخصات ظاهری:گ ۴۰۰ - ۷۳۱، ۲۷ سطری

یادداشت مشخصات ظاهری:نوع و درجه خط:نسخ

نوع کاغذ:نخودی رنگ، آهار مهره

تزئینات متن: بعضی عناوین و علائم: قرمز

خصوصیات نسخه موجود:امتیاز:ابتدای کتابت این نسخه ربیع الاخر ۵۹۴ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ۵۹۵ق. است.

حواشی اوراق:اندکی تصحیح با نشان" صح "دارد.

یادداشت های مربوط به نسخه:یادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است ": فافهم ان هذا الکتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجیهه لمذهبه "در برگ ۴۰۰ دارد.

معرفی نسخه: اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت، اعراب، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرین و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن. این نسخه جلد ۵ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ۱۴۶، از نسخه های اهدایی" دایرهٔ المعارف بزرگ اسلامی "است که از" کتابخانه های یمن "تهیه شده است.

یاداشت تملک و سجع مهر:شکل و سجع مهر:مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ۴۰۴ دارد. مهر بیضی دیگری با سجع " جمال الدین الحسینی "(؟)در برگ ۴۰۰ دارد.

توضیحات نسخه:نسخه بررسی شده.اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه، رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ۱-۳۲۸ دارد.

یادداشت کلی:زبان:عربی

عنوانهای دیگر:تفسیر تبیان

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۵ق.

شناسه افزوده:حسین بن محمد، قرن ۶ق. کاتب

المجلد الرابع

[تتمة سورة المائدة] ..... ص : ۳

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۸۳] ..... ص : ۳

وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ (۸۳)

آية بلا خلاف.

هذا وصف للذين آمنوا من هؤلاء النصارى الذين ذكرهم اللَّه أنهم أقرب مودة للمؤمنين بأنهم إذا سمعوا ما أنزل اللَّه من القرآن يتلى «تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ» يعنى من آمن من هؤلاء النصارى. قال الزجاج و أبو على: تقديره و منهم إذا سمعوا و لم يذكر (منهم) لدلالة الكلام عليه و ما وصفهم به فيما بعده. و فيض العين من الدمع امتلؤها منه سيلًا و منه فيض النهر من الماء و فيض الإناء، و هو سيلانه عن شدة امتلاء، و منه قول الشاعر:

ففاضت دموعى فظل الشؤو ن إما و كيفاً و إما انحدارا «۱»

و خبر مستفيض أى شائع، و فاض صدر فلان بسره، و أفاض القوم من عرفات الى منى إذا دفعوا، و أفاض القوم فى الحديث إذا اندفعوا فيه، و الدمع الماء الجارى من العين و يشبه به الصافى، فيقال دمعة. و المدامع مجارى الدمع و شجة دامعة تسيل دماً.

و قوله «مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ» أى مما علموه من صدق النبى و صحة ما أتى به «يَقُولُونَ رَبَّنا» فى موضع الحال، و تقديره قائلين «ربنا آمنا» أى صدقنا بما أنزلت «فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- فاجعلنا مع الشاهدين فيكون بمنزلة ما قد كتب و دون.

الثانى- فاكتبنا معهم فى أم الكتاب و هو اللوح المحفوظ. و (الشاهدين) قال ابن عباس و ابن جريج: مع أمة محمد (ص) الذين يشهدون بالحق من

---

(۱) قائله الأعشى. ديوانه: ۳۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴

قوله تعالى «وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ» «۱» و قال الحسن: هم الذين يشهدون بالايمان. و قال أبو على الذين يشهدون بتصديق نبيك و كتابك.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۸۴] ..... ص : ۴

وَ ما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (۸۴)

آية بلا خلاف.

هذا إخبار عن هؤلاء الذين آمنوا من النصارى بأنهم قالوا: «و ما لنا» قال الزجاج: و هو جواب لمن قال لهم من قومهم معنفين لهم: لم آمنتم.

و قال غيره: قدروا فى أنفسهم كأن سائلًا يسألهم عنه، فأجابوا بذلك. و قوله «لا نؤمن» فى موضع نصب على الحال، و تقديره أى شىء لنا تاركين للايمان أى فى حال تركنا للايمان. و الايمان هو التصديق عن ثقة، لأن الصدق راجع الى طمأنينة القلب بما صدق به. و

الحق هو الشيء الذى من عمل عليه نجا، و من عمل على ضده من الباطل هلك. و معنى (من)- هاهنا- قيل فى معناه قولان:

أحدهما- تبيين الاضافة التى تقوم مقام الصفة، كأنه قيل: و الجائى لنا الذى هو حق.

و قال آخرون: إنها للتبعيض لأنهم آمنوا بالذى جاءهم على التفصيل.

و وصف القرآن بأنه (جاء) مجاز، كما قيل: نزل، و معناه نزل به الملك، فكذلك جاء به الملك. و يقال: جاء بمعنى حدث نحو «جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ» «۲» و جاء البرد و الحر.

و قوله «وَ نَطْمَعُ» فالطمع تعلق النفس بما يقوى أن يكون من معنى

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۴۳

(۲) سورة ۵۰ ق آية ۱۹

المحبوب، و نظيره الأمل و الرجاء فالطمع يكون معه الخوف أو لا يكون.

«أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ» معناه أن يدخلنا معهم الجنة. و الصالح هو الذى يعمل الصلاح فى نفسه و إذا عمله فى غيره فهو مصلح، فلذلك لم يوصف اللَّه تعالى بأنه صالح و وصف بأنه مصلح.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۸۵] ..... ص : ۵

فَأَثابَهُمُ اللَّهُ بِما قالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ (۸۵)

آية بلا خلاف.

معنى «فَأَثابَهُمُ اللَّهُ» جازاهم اللَّه بالنعيم على العمل كما أن العقاب الجزاء بالعذاب على العمل و أصل الثواب الرجوع. و منه قوله «هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ» «۱» أى هل رجع اليهم جزاء عملهم. و قوله «بِما قالُوا» يعنى قولهم «رَبَّنا آمَنَّا» و قوله «جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» إنما ذكرها بلفظ الجمع و إن كانت هى جنة الخلد، لأنها جنة فيها جنات أى بساتين، و تذكر بالجمع لتبين عن اختلاف صورها و أحوال أشجارها و أنهارها و وجوه الاستمتاع بها، و وجه آخر: هو أن يكون جمعها مضافاً اليهم كما يقال لهم جنة الخلد إلا أنها مرة تذكر على طريق الجنس، و مرة على غير طريق الجنس. و قوله «وَ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ» (ذلك) إشارة الى الثواب.

و الإحسان هو إيصال النفع الحسن الى الغير، و ضده الاساءة، و هى إيصال الضرر القبيح اليه، و ليس كل من كان من جهته إحسان فهو محسن مطلقاً، فالمحسن فاعل الإحسان الخالى مما يبطله، كما أن المؤمن هو فاعل الايمان الخالص مما يحبطه، و عندنا لا يحتاج الى شرط خلوه مما يبطله، لأن الإحباط عندنا باطل، لكن يحتاج أن يشرط فيه أن يكون خالياً من وجوه

---

(۱) سورة ۸۳ المطففين آية ۳۶.

القبح. و قوله «وَ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ» و إن كان مطلقاً فهو مقيد فى المعنى بالمحسنين الذين يجوز عليهم الوعد بالنفع، لأنه وعد به، ألا ترى أن اللَّه تعالى يفعل الإحسان و إن كان لا يصح عليه الثواب لأنه مضمن بمن يجوز عليه المنافع و المضار فجزاؤه هذه المنافع العظام دون المضار، لأنه خرج مخرج استدعاء العباد الى فعل الإحسان.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۸۶] ..... ص : ۶

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (۸۶)

آية بلا خلاف.

لما كان أهل الكتاب فريقين أحدهما آمنوا، و الثانى كفروا، و ذكر الوعد للمؤمنين منهم اقتضى أن يذكر الوعيد لمن كفر منهم و أطلق اللفظ ليكون لهم و لكل من جرى مجراهم، و إنما شرط فى الوعيد على الكفر بالتكذيب بالآيات و إن كان كل واحد، منهما يستحق به العقاب، لأن صفة الكفار من أهل الكتاب أنهم يكذبون بالآيات، فلم يصلح- هاهنا- لو كذبوا لأنهم قد جمعوا الأمرين، و لأن دعوة الرسول (ص) بوعيد الكفار ظاهرة مع مجىء القرآن به فى نحو قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ» «۱» فلم يقع فيه اشكال لهذا. و قوله «أُولئِكَ» يعنى هؤلاء الكفار.

و «أَصْحابُ الْجَحِيمِ» يعنى الملازمون لها، كقولك أصحاب الصحراء و ليس كمثل أصحاب الأموال، لأن معنى ذلك ملاك الأموال. و ليس من شرط المكذب أن يكون عالماً أن ما كذب به صحيح بل إذا اعتقد أن الخبر كذب سمى مكذباً، و إن لم يعلم أنه كذب، و إنما يستحق الذم، لأنه جعل

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۴۷، ۱۱۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۷

له طريق الى أن يعلم صحة ما كذب به. و «الجحيم» النار الشديدة الإيقاد و هو اسم من أسماء جهنم و يقال: جحم فلان النار إذا شدد إيقادها، و يقال أيضاً لعين الأسد: جحمة لشدة إيقادها، و يقال ذلك للحرب أيضاً قال الشاعر:

و الحرب لا تبقى لجا حمها التخيل و المراح

إلّا الفتى الصبار فى النج دات و الفرس الوقاح «۱»

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۸۷] ..... ص : ۷

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (۸۷)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للمؤمنين خاصة نهاهم اللّه أن يحرموا طيبات ما أحل اللّه لهم.

و التحريم هو العقد على ما لا يجوز فعله للعبد، و التحليل حل ذلك العقد، و ذلك كتحريم السبت بالعقد على أهله، فلا يجوز لهم العمل فيه، و تحليله تحليل ذلك العقد بأنه يجوز لهم الآن العمل فيه. و الطيبات اللذيذات التى تشتهيها النفوس و تميل اليها القلوب. و يقال: طيب بمعنى حلال. و تقول:

يطيب له كذا أى يحل له، و لا يليق ذلك بهذا الموضوع، لأنه لا يقال:

لا تحرموا حلال ما أحل اللّه لكم.

و الذى اقتضى ذكر النهى عن تحريم الطيبات- على ما قال ابن عباس و مجاهد و أبو مالك و قتادة و ابراهيم- حال الرهبان الذين حرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة و المشارب اللذيذة و حبسوا أنفسهم فى الصوامع و ساحوا فى الأرض، و حرموا النساء، فهمَّ قوم من الصحابة أن يفعلوا مثل ذلك، فنهاهم اللّه عن ذلك. و قال أبو على: نهوا أن يحرموا الحلال من الرزق بما يخلطه من الغصب. و اختار الرمانى الوجه الأول، لأن أكثر المفسرين عليه.

---

(۱) انظر ۲: ۴۳۸ من هذا الكتاب.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۴، ص: ۸

و قال السدی: نهاهم اللَّه عما همَّ به عثمان بن مظعون من جب نفسه.

و قال عکرمة: هو ما همَّت به الجماعة: من تحریم النساء و الطعام و اللباس و النوم.

و قال الحسن: لا تعتدوا الی ما حرم علیکم و هو أعم فائدة. و الاعتداء مجاوزة حد الحکمة الی ما نهی عنه الحکیم، و زجر عنه إما بالعقل أو السمع، و هو تجاوز المرء ماله الی ما لیس له. و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ» معناه یبغضهم و یرید الانتقام منهم و انما ذکره علی وجه النفی لدلالة هذا النفی علی معنی الإثبات إذ ذکر فی صفة المعتدین، و کأنه قیل یکفیهم فی الهلاک ألا یحبهم اللَّه.

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۸۸] ..... ص : ۸

وَ کُلُوا مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ حَلالاً طَیِّباً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۸۸)

آیة اجماعاً.

سبب نزول هذه الآیة و التی قبلها علی ما

قال عکرمة و أبو قلابة و أبو مالک و ابراهیم و قتادة و السدی و ابن عباس و الضحاک: إن جماعة من الصحابة منهم علی (ع) و عثمان بن مظعون و ابن مسعود و عبد اللَّه بن عمر، همّوا بصیام الدهر و قیام اللیل، و اعتزال الناس وجب أنفسهم و تحریم الطیبات علیهم. فروی أن عثمان بن مظعون قال أتیت النبی (ص) فقلت: یا رسول اللَّه ائذن لی فی الترهب فقال: (لا إنما رهبانیة أمتی الجلوس فی المسجد و انتظار الصلاة بعد الصلاة) فقلت: یا رسول اللَّه أ تأذن لی فی السیاحة قال: (سیاحة أمتی الجهاد فی سبیل اللَّه) فقلت: یا رسول اللَّه أ تأذن لی فی الاختصاء فقال:

(لیس منا من خصا و اختصا إنما اختصاء أمتی الصوم).

و قوله «و کلوا» لفظه لفظ الأمر و المراد به الاباحة أباح اللَّه تعالی التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۴، ص: ۹

للمؤمنین أن یأکلوا مما رزقهم حلالًا طیباً، فالرزق هو ما للحی الانتفاع به و لیس لغیره منعه منه. و قال الرمانی: الرزق هو العطاء الجاری فی الحکم و من ذلک قیل: رزق السلطان الجند إذا جعل لهم عطاء جاریاً فی حکمه فی کل شهر أو فی کل سنة. قال الرمانی: و کلما خلقه اللَّه فی الأرض مما یملک، فهو رزق العباد فی الجملة بدلالة قوله «هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» «۱» و لولا ذلک لجوزنا أن یکون منه ما لیس للانس إلا أنه و إن کان رزقاً لهم فی الجملة فتفصیل قسمته علی ما یصح و یجوز من الأملاک، و لا یجوز أن یکون الرزق حراماً، لأن اللَّه منع منه بالنهی، فاما البغاة فیرزقون حراماً إذا حکموا بأن المال للعبد، و هو مغصوب لا یحل، قال و ما افترسه السبع رزق له بشرط غلبته علیه کما أن غنیمة المشرکین رزق لنا بشرط غلبتنا علیها، لأن المشرک یملک ما فی یده، فإذا غلبنا علیه بطل ملکه، و صار رزقاً لنا فی هذه الحال، قال: و قد أمرنا بأن نمنعه من الإنسان مع الإمکان، و أذن لنا أن نمنعه من غیره من نحو المیتة و الوحش إن شئنا و یسقط جمیع ذلک فی حال التعذر علینا.

و عندی أنه لا یجب أن یطلق أن ما یغلب علیه السبع رزق له بل إنما نقول: إن رزقه ما لیس لنا منعه منه فأما مالنا منعه منه إما بأن یکون ملکاً لنا أو أذن لنا فیه، فلا یکون رزقاً له بالإطلاق، و قد یسلط اللَّه السبع علی بعض المشرکین فیکون رزقاً له و عقاباً للمشرک، و الأصل فیه قوله تعالی «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ إِلَّا عَلَی اللَّهِ رِزْقُها» «۲» فمفهوم هذا أنه رزقه بشرط الغلبة علیه.

فان قیل: إذا کان الرزق لا یکون إلا حلالًا فلم قال: (حلالًا)؟

قیل: ذکر ذلک علی وجه التأکید کما قال «وَ کَلَّمَ اللَّهُ مُوسی تَکْلِیماً» «۳»

---

(۱) سورة ۲ البقرة آیة ۲۹

(۲) سورة ۱۱ هود آية ۶

(۳) سورة ۴ النساء آية ۱۶۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۰

و قد أطلق فى موضع آخر على جهة المدح «وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ» «۱».

و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» استدعاء الى التقوى بألطف الاستدعاء، و تقديره أيها المؤمنون باللّه لا تضيعوا ايمانكم بالتقصير فى التقوى فيكون عليكم الحسرة العظمى و اتقوا تحريم ما أحله اللّه لكم فى جميع معاصيه من أنتم به تؤمنون و هو اللّه تعالى.

و أصل الصفة التعريف ثم يخرج الى غير ذلك من المدح و الذم و غير ذلك من المعانى التى تحسن فى مخرج الصفة، فلذلك قال الذى «أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» و فى هاتين الآيتين دلالة على كراهة التخلى و التفرد و التوحش و الخروج عما عليه الجمهور فى التأهل و طلب الولد و عمارة الأرض.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۸۹] ..... ص : ۱۰

لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِی أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمانَكُمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۸۹)

آية بلا خلاف.

قرأ «عاقدتم» بالألف ابن عامر، و «عقدتم» بلا ألف مع تخفيف القاف حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم. و الباقون بالتشديد. و منع من القراءة بالتشديد الطبرى، قال: لأنه لا يكون إلّا مع تكرير اليمين و المؤاخذة تلزم من غير تكرير بلا خلاف. و هذا ليس بصحيح لان تعقيد

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۳. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱

اليمين إن يعقدها بقلبه و لفظه و لو عقد عليها فى أحدهما دون الآخر لم يكن تعقيداً، و هو كالتعظيم الذى يكون تارة بالمضاعفة و تارة بعظم المنزلة. و قال أبو على الفارسى من شدد احتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون لتكثير الفعل لقوله «وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ» مخاطباً الكثرة، فهو مثل «وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ» «۱».

و الآخر أن يكون (عقد) مثل (ضعف) لا يراد به التكثير، كما أن (ضاعف) لا يراد به فعل من اثنين. و قال الحسين بن على المغربى: فى التشديد فائدة، و هو أنه إذا كرر اليمين على محلوف واحد فإذا حنث لم يلزمه إلا كفارة واحدة. و فى ذلك خلاف بين الفقهاء. و الذى ذكره قوى.

و من قرأ بالتخفيف جاز أن يريد به الكثير من الفعل و القليل إلا ان فعّل يختص بالكثير كما أن الركبة تختص بالحال التى يكون عليها الركوب، و قالوا: عقدت الحبل و العهد و اليمين عقداً ألا ترى أنها تتلقى بما يتلقى به القسم، قال الشاعر:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم «۲»

و يقال: أعقدت العسل فهو معقد و عقيد. و حكى أبو إسحاق عقدت العسل. و الأول أكثر.

فأما قراءة ابن عامر فيحتمل أمرين:

أحـدهما- ان يكون عاقـدتم يراد به عقـدتم كمـا أن (عافاه اللَّه) و (عاقبت اللص) و (طارقت النعل) بمنزلـة فعلت. و يحتمل أن يكون أراد فاعلت الـذى يقتضـى فاعلين فصاعداً، كأنه قال يؤاخذكم بما عاقدتم عليه اليمين، و لما كان عاقد فى المعنى قريباً من عاهد عدَّاه ب (على) كما يعدى عاهد بها. قال اللَّه تعالى «وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ» «۳» و التقدير يؤاخذكم بالذى عاقدتم

(۱) سورة ۱۲ يوسف آية ۲۳

(۲) اللسان (عقد)

(۳) سورة الفتح آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲

عليه، ثم قال: عاقدتموه الايمان فحذف الراجع. و يجوز أن يجعل (ما) مع الفعل بمنزلة المصدر فيمن قرأ عقدتم بالتخفيف و التشديد، فلا يقتضى راجعاً كما لا يقتضيه فى قوله «وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ» «۱».

و قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: إن القوم لما حرموا الطيبات من المآكل و المناكح و الملابس حلفوا على ذلك فنزلت الآية.

و

قال ابن زيد نزلت فى عبد اللَّه بن رواحة كان عنده ضيف فأخرت زوجته عشاه فحلف لا يأكل من الطعام، و حلفت المرأة لا تأكل إن لم يأكل، و حلف الضـيف لا يأكل ان لم يأكلا، فأكل عبـد اللَّه بن رواحـة و اكلا معه، و أخبر النبى (ص) بذلك فقال له: أحسـنت. و نزلت هذه الآية.

و اللغو فى اللغة هو ما لا يعتد به قال الشاعر:

أو مائة تجعل أولادها لغواً و عرض المائة الجلمد «۲»

أى الذى يعارضها فى قوة الجلمد يعنى بالمائة نوقاً أى لا يعتد به بأولادها.

و لغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصـد مثل قول القائل: لا و اللَّه و بلى و اللَّه على سـبق اللسان، هذا هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع)

و هو قول أبى على الجبائى. و قال الحسن و أبو مالك:

هو اليمين على مـا يرى صاحبها أنه على ما حلف و لا كفارة فى يمين اللغو عنـد أكثر المفسـرين و الفقهاء. و روى عن ابراهيم أن فيها الكفارة بخلاف عنه.

بين اللَّه تعالى بهذه الآية أنه لا يؤاخذ على لغو الأيمان و أنه يؤاخذ بما عقد عليه قلبه و نواه.

و قوله «فَكَفَّارَتُهُ» (الهاء) يحتمل رجوعها الى أحد ثلاثة أشياء.

أحدها- الى (ما) من قوله بما عقدتم الايمان. الثانى- على اللغو.

الثالث- على حنث اليمين لأنه مدلول عليه. و الأول هو الصحيح، و به قال

(۱) سورة البقرة آية ۱۰

(۲) اللسان (جلمد).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳

الحسن و الشـعبى و أبو مالك و عائشة. و قوله «إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ» إنما ذكر بلفظ المذكر تغليباً للتذكير فى كلامهم لأنه لا خلاف

أنه لو أطعم الإناث لأجزاه، و يحتاج أن يعطى قدر ما يكفيهم. و قد حده أصحابنا أن يعطى كل واحد مدّين أو مدّاً، و قدره رطلان و ربع منفرداً، أو يجمعهم على ما هذا قدره ليأكلوه. و لا يجوز أن يعطى خمسة ما يكفى عشرة، و هو قول أبى على، و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

و هل يجوز إعطاء القيمة؟ فيه خلاف، و الظاهر يقتضى أنه لا يجزى و الروايات تدل على إجزائه، و هو قول أبى على و أهل العراق. و انما ذكر الكفارة فى الآية و لم يذكر التوبة، لان المعنى فكفارته الشرعية كذا. و اما العقاب فلأنه يجوز أن تكون المعصية صغيرة أو كبيرة فلأجل ذلك لم يبين.

و عندنا أن حكم التوبة معلوم من الشرع، فلذلك لم يذكر.

و قوله «مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- الخبز و الأدم دون اللحم، لأن أفضله الخبز و اللحم و التمر، و أوسطه الخبز و الزيت أو السمن، و أدونه الخبز و الملح. و به قال ابن عمر و الأسود و عبيدة و شريح.

الثانى- قيل: أوسطه فى المقدار إن كنت تشبع أهلك أو لا تشبعهم، بحسب العسر و اليسر، فبقدر ذلك- هذا قول ابن عباس و الضحاك- و عندنا

يلزمه أن يطعم كل مسكين مدين، و به قال على (ع)

و عمر و ابراهيم و سعيد بن جبير و الشعبى و مجاهد. و قال قوم:

يكفيه مد- ذهب اليه زيد ابن ثابت و الشافعى و الطبرى و غيرهم- و روى ذلك فى أخبارنا.

و قوله «أَوْ كِسْوَتُهُمْ» فالذى رواه أصحابنا أنه ثوبان لكل واحد مئزر و قميص، و عند الضرورة قميص، و قال الحسن و مجاهد و عطاء و طاوس و ابراهيم: ثوب. و قوله «أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» فالرقبة التى تجزى فى الكفارة التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۴

كل رقبة كانت سليمة من العاهة صغيرة كانت أو كبيرة مؤمنة كانت أو كافرة و المؤمنة أفضل، لأن الآية مطلقة مبهمة. و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف.

و ما قلناه قول أكثر المفسرين: الحسن و غيره، و معنى فتحرير رقبة عتق رقبة.

و قيل: تحرير من الحرية أى جعلها حرة قال الفرزدق:

ابنى عدانة اننى حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال «۱»

أى أعتقتكم من ذل الهجاء و لزوم العار. و هذه الثلاثة أشياء مخير فيها بلا خلاف و عندنا أنها واجبة على التخيير. و قال قوم إن الواجب منها واحد لا بعينه. و الكفارة قبل الحنث لا تجزى و فيه خلاف.

و قوله «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ» يحتمل رفعه أن يكون بالابتداء و خبره فكفارته، و يجوز أن يكون رفعاً بالخبر، و يكون تقديره فكفارته صيام. و حد من ليس بواجد هو (من ليس عنده ما يفضل عن قوته و قوت عياله يومه و ليلته) و هو قول قتادة و الشافعى. و صوم الثلاثة أيام متتابعة، و به قال ابن كعب و ابن عباس و مجاهد و ابراهيم و قتادة و سفيان و أكثر الفقهاء. و يقويه أنه فى قراءة ابن مسعود و أبى «صيام ثلاثة أيام متتابعات».

و قال مالك و الحسن: التتابع أفضل و التفريق يجوز. فاما إذا قال القائل:

إن فعلت كذا فللّه على أن أتصدق بمائة دينار، فان هذا نذر عندنا، و عند أكثر الفقهاء،- يلزمه به مائة دينار. و قال أبو على عليه كفارة يمين- لقوله «ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ» و هو عام فى جميع الأيمان. و هذا ليس بيمين عندنا بل هو نذر يلزمه الوفاء به لقوله «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» «۲» و اليمين على ثلاثة أقسام:

أحدها- عقدها طاعة و حلها معصية، فهذه يتعلق بحنثها كفارة بلا خلاف كقوله: و اللّه لا شربت خمراً، و لا قتلت نفساً.

الثانی- عقدها معصیة و حلها طاعة کقوله: و اللَّه لا صلیت و لا صمت، فإذا جاء بالصلاة و الصوم، فلا کفارة علیه- عندنا- و خالف جمیع الفقهاء

(۱) دیوانه: ۷۲۶، و النقائض: ۲۷۵

(۲) سورة ۵ مائدة آیة ۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۵

فی ذلک و أوجبوا علیها علیه الکفارة.

الثالث- أن یکون عقدها مباحاً کقوله: و اللَّه لا لبست هذا الثوب فمتی حنث تعلق به الکفارة بلا خلاف. و قوله «ذلِکَ کَفَّارَةُ أَیْمانِکُمْ إِذا حَلَفْتُمْ» معناه حنثتم.

و قوله «وَ احْفَظُوا أَیْمانَکُمْ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- احفظوها أن تحلفوا بها، و معناه لا تحلفوا.

الثانی- احفظوها من الحنث، و هو الأقوی، لأن الحلف مباح إلا فی معصیة بلا خلاف- و انما الواجب ترک الحنث، و ذلک یدل علی أن الیمین فی المعصیة غیر منعقدة، لأنها لو انعقدت للزم حفظها، و إذا لم تنعقد لم تلزمه کفارة علی ما بیناه.

و قوله «کَذلِکَ یُبَیِّنُ اللَّهُ لَکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ» معناه إن اللَّه یبین لکم آیاته و فرائضه کما بین لکم أمر الکفارة لتشکروه علی تبیینه لکم أمورکم و نعمه علیکم و تسهیله علیکم المخرج من الإثم بالکفارة. فأما إقسام الأیمان و ما ینعقد منها و ما لا ینعقد و شرائطها، فقد بیناها فی کتب الفقه مشروحة لا نطول بذکرها الکتاب.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آیة ۹۰] ..... ص : ۱۵

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَیْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۹۰)

آیة بلا خلاف.

هذا خطاب للمؤمنین أخبرهم اللَّه تعالی أن الخمر و المیسر و الانصاب و الازلام رجس، فالخمر عصیر العنب المشتد، و هو العصیر الذی یسکر کثیره و قلیله. و الخمر حرام و تسمی خمراً لأنها بالسکر تغطی علی العقل، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۶

و الأصل فی الباب التغطیة من قول أهل اللغة خمرت الأناء إذا غطیته، و منه دخل فی خمار الناس إذا خفی فیما بینهم بسترهم له و الخمیر العجین الذی یغطی حتی یختمر، و خمار المرأة، لأنها تغطی رأسها به. و خامره الحزن إذا خالطه منتشراً فی قلبه و استخمرت فلاناً أی استعبدته. و الأصل فیه أمرته أن یتخذ الخمر، ثم کثر حتی جری فی کل شیء یأمر به. و علی هذا الاشتقاق یجب أن یسمی النبیذ و کل مسکر علی اختلاف أنواعه خمراً، لاشتراکها فی المعنی و ان یجری علیها أجمع جمیع أحکام الخمر.

و «المیسر» القمار کله مأخوذ من تیسیر أمر الجزور بالاجتماع علی القمار فیه و الذی یدخل فیه یسیر و الذی لا یدخل فیه برم.

قال أبو جعفر (ع) و یدخل فیه الشطرنج و النرد و غیر ذلک حتی اللعب بالجوز.

و الأصل فیه الیسر خلاف العسر و سمیت الید الیسری تفاؤلًا بتیسیر العمل بها. و قیل:

بل لأنها تعین الیمنی فیکون العمل أیسر، و ذهب یسرة خلاف یمنة.

«و الأنصاب» الأصنام واحدها نصب. و قیل لها أنصاب، لأنها کانت تنصب للعبادة و أصله الانتصاب: القیام، نصب ینصب نصباً. و منه النصب التعب عن العمل الذی ینتصب له، و نصاب السکین، لأنها تنصب فیه، و مناصبة العدو: الانتصاب لعداوته قال الأعشی:

و ذا النصب المنصوب لا تنسکنه و لا تعبد الشیطان و اللَّه فاعبدا «۱»

و «الأزلام» القداح، و هى سهام كانوا يجيلونها و يجعلون عليها علامات (افعل، و لا تفعل) و نحو ذلك على ما يخرج من ذلك فى سفر أو إقامة أو غير ذلك من الأمور المهمة، و كانوا يجيلونها للقمار، واحدها زلم، و زلم.

و قال الاصمعى: كان الجزور يقسمونه على ثمانية و عشرين جزءاً. و قال أبو عمرو: كان عددها على عشرة. و قال أبو عبيدة: لا علم لى بمقدار عدتها، و قد ذكرت أسماؤها مفصلًا، و هى عشرة: ذوات الحظوظ منها سبعة

---

(۱) ديوانه ۴۶ و روايته (الأوثان) بدل (الشيطان).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷

و أسماؤها: الفذ، و التوءم، و الرقيب، و الحلس، و النافس، و المسبل، و المعلى. و الاغفال التى لا حظوظ لها ثلاثة اسماؤها: السفيح، و المنيح، و الوغد. ذكر القتيبى ذلك.

و قوله «رِجْسٌ» أى نجس «وَ الرُّجْزَ» العذاب. و منه قوله «لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ» «۱» أى العذاب و قوله «وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «۲» يعنى الأوثان. و معناه الرجس فاهجر، و أصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقة رجزاء إذا كانت ترتعد قوائمها فى ناحية. و قال الزجاج: يقال: رجس يرجس إذا عمل عملا قبيحاً. و الرجس بفتح الراء شدة الصوت، و سحاب الرجاس، و رعد رجاس إذا كان شديد الصوت قال الشاعر:

و كل رجاس يسوق الرجسا «۳»

و قوله «مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ» إنما نسبها الى عمل الشيطان و هى أجسام لما يأمر به فيها من الفساد فيأمر بالسكر ليزيل العقل، و يأمر بالقمار لاستعمال الأخلاق الدنيئة و يأمر بعبادة الأوثان لما فيها من الكفر باللَّه العظيم، و يأمر بالأزلام لما فيها من ضعف الرأى و الاتكال على الاتفاق. و قوله «فَاجْتَنِبُوا» أمر بالاجتناب أى كونوا جانبا منه فى ناحية «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» و معناه لكى تفوزوا بالثواب.

و فى الآية دلالة على تحريم الخمر، و هذه الأشياء الأربعة من أربعة أوجه:

أحدها- أنه وصفها بأنها رجس و هى النجس و النجس محرم بلا خلاف.

الثانى- نسبها الى عمل الشيطان و ذلك لا يكون الا محرماً.

و الثالث- أنه أمرنا باجتنابه. و الامر يقتضى الإيجاب.

الرابع- أنه جعل الفوز و الفلاح باجتنابه.

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۳۳

(۲) سورة ۷۴ المدثر آية ۵

(۳) اللسان (رجس).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸

و الهاء فى قوله «فاجتنبوه» راجعة الى عمل الشيطان، و تقديره اجتنبوا عمل الشيطان. قال ابن عباس: الرجس- هاهنا- معناه السخط. و قال ابن زيد: هو الشر.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹۱] ..... ص : ۱۸

إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (۹۱)

آية بلا خلاف.

قيل فى سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- أنه لاحق سعد بن أبى وقاص رجلا من الأنصار، و قد كانا شربا الخمر فضربه بلحى جمل ففزر أنف سعد بن أبى وقاص، فنزلت هذه الآية.

الثانى- أنه لما نزل قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى» (۱) قال عمر: اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية.

و الشيطان انما يريد إيقاع العداوة و البغضاء بينهم بالإغراء المزين لهم ذلك حتى إذا سكروا زالت عقولهم و أقدموا من المكاره و القبائح على ما كانت تمنعه منه عقولهم. و قال قتادة: كان الرجل يقامر فى ماله و أهله فيقمر، و يبقى حزيناً سليباً فيكسبه ذلك العداوة و البغضاء.

و قوله «وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ» أى يمنعكم من الذكر للَّه بالتعظيم له و الشكر له على آلائه، لما فى ذلك من الدعاء الى الصلاح و استقامة الحال فى الدين و الدنيا بالرغبة فيما عنده، و التوسل اليه بالاجتهاد فى طاعته التى تجمع محاسن الافعال و مكارم الأخلاق.

و قوله «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»؟ صيغته صيغة الاستفهام و معناه النهى، و انما جاز ذلك، لأنه إذا ظهر قبح الفعل للمخاطب صار فى منزلة من نهى عنه،

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۴۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹

فإذا قيل له: أ تفعله؟ بعد ما قد ظهر من أمره و صار فى محل من عقد عليه بإقراره.

فان قيل: ما الفرق بين انتهوا عن شرب الخمر، و بين لا تشربوا الخمر، قلنا: لأنه إذا قال: انتهوا دل ذلك على أنه مريد لأمر ينافى شرب الخمر.

و صيغة النهى إنما تدل على كراهة الشرب، لأنه قد ينصرف عن الشرب الى أخذ أشياء مباحة، و ليس كذلك المأمور به، لأنه لا ينصرف عنه إلا فى محذور.

و المنهى عنه قد ينصرف عنه الى غير مفروض.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹۲] ..... ص : ۱۹

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (۹۲)

آية بلا خلاف.

لما أمر اللَّه تعالى باجتناب الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام أمر فى هذه الآية بطاعته فى ذلك و غيره من أوامر اللَّه تعالى. و الطاعة هى امتثال الأمر، و الانتهاء عن المنهى عنه، و لذلك يصح أن تكون الطاعة طاعة لاثنين بأن يوافق أمرهما و إرادتهما.

و قوله «وَ احْذَرُوا» أمر منه تعالى بالحذر، و هو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر. و الخوف هو توقع الضرر الذى لا يؤمن كونه.

و الجزع مفاجأة الضرر الذى يزعج النفس مثله. و الفزع و الرعب مثل الجزع.

و قوله «فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ» معناه الوعيد و التهديد كأنه قال: فاعلموا أنكم قد حق لكم العقاب لتوليكم عما أدى رسولنا من البلاغ المبين، يعنى الأداء الظاهر الواضح، فوضع كلام موضع كلام للإيجاز و لو كان على صيغته من غير هذا

التقدير لم يصح، لأن عليهم أن يعلموا ذلك تولوا أو لم يتولوا. و «ما» فى قوله: «أنما» كافة التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۰
ل «أن» عن عملها، و ذلك أنها لما كانت من عوامل الأسماء خاصة ثم احتيج الى إدخالها على غيرها زيد عليها (ما) ليعلم تغيرها عن حالها فصارت كافة لها.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹۳] ..... ص : ۲۰

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۹۳)

آية.

قال ابن عباس و ابن مالك و البراء بن عازب و مجاهد، و قتادة و الضحاك:

إنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة كيف بمن مات من إخواننا و هو يشربها، فأنزل اللَّه الآية و بين أنه ليس عليهم فى ذلك شيء إذا كانوا مؤمنين عاملين للصالحات، ثم يتقون المعاصى و جميع ما حرم اللَّه عليهم.

فان قيل لم كرر الاتقاء ثلاث مرات فى الآية؟

قيل: الأول المراد به اتقاء المعاصى. الثانى- الاستمرار على الاتقاء.

و الثالث- اتقاء مظالم العباد، و ضم الإحسان الى الاتقاء على وجه الندب و اعتبر أبو على فى الثالث الأمرين.

و قوله «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» أى يريد ثوابهم و إجلالهم و إكرامهم.

و الإحسان النفع الحسن الواصل الى الغير، و لا يقال لكل حسن إحسان، لأنه لا يقال فى العذاب بالنار أنه إحسان و ان كان حسناً. و الصلاح استقامة الحال و هو مما يفعله العبد، و قد يفعل اللَّه تعالى له الصلاح فى دينه باللطف فيه. و الايمان هو الاطمئنان الى الصواب بفعله مع الثقة به و هو من أفعال العباد. و على هذا يحمل قوله «وَ آمَنُوا» و الاول على الايمان باللَّه الذى هو التصديق. و

روى أن قدامة بن مظعون شرب الخمر فى أيام عمر، فأراد التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱
عمر أن يقيم عليه الحد فقال «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا» فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد حين لم يعلم تحريمها. فقال أمير المؤمنين (ع) أديروه على الصحابة، فان لم يسمع أحداً منهم قرأ عليه آية التحريم، فأدرؤا عنه، و ان كان قد سمع فاستتيبوه، و أقيموا عليه الحد، فان لم يتب وجب عليه القتل.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹۴] ..... ص : ۲۱

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِماحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ (۹۴)

آية واحدة بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين و قسم منه أنه يبلوهم بشيء من الصيد، لأن اللام فى قوله: «لَيَبْلُوَنَّكُمْ» لام القسم و الواو مفتوحة لالتقاء الساكنين فى قول بعضهم مثل (واو) اغزون. و أما واو «ليبلونكم» قال سيبويه هى مبنية على الفتح. و قال الزجاج: فتحت واو «ليبلونكم» لأنها حرف الاعراب الذى تتعاقب عليه الحركات و ضمت واو «لتبلون» لأنها واو الجمع، فصح لالتقاء الساكنين نحو قوله «فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنِ» «۱» و معنى «لَيَبْلُوَنَّكُمُ» ليختبرن طاعتكم من معصيتكم «بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ» و أصله اظهار باطن الحال و منه البلاء للنعمة لأنه يظهر به باطن حال المنعم عليه فى الشكر، و الكفر. و البلاء النقمة، لأنه يظهر به ما يوجبه كفر النعمة. و البلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه.

و قوله «بِشَیْءٍ مِنَ الصَّیْدِ» قیل فی معنی (من) ثلاثة أوجه:

أحدها- صید البر، دون البحر. و الآخر صید الإحرام دون الإحلال.

---

(۱) سورة ۵ المائدة آیة ۴۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۲

الثالث- للتجنیس نحو اجتنبوا الرجس من الأوثان- فی قول الزجاج- و قوله «تَنالُهُ أَیْدِیکُمْ وَ رِماحُکُمْ» یعنی به فراخ الطیور و صغار الوحش فی قول ابن عباس و مجاهد، و زاد مجاهد: و البیض. و الذی تناله الرماح الکبار من الصید. قال أبو علی: معنی «تَنالُهُ أَیْدِیکُمْ وَ رِماحُکُمْ» إن صید الحرم یقرب من الناس و لا ینفر منهم فیه کما ینفر فی الحل، و ذلک آیة من آیات اللَّه. و قال الحسن و مجاهد: حرم اللَّه بهذه الآیة صید البرِّ کله. و قال أبو علی:

صید الحرم هو المحرم بهذه الآیة. و قال الزجاج: بین النبی (ص) تحریم صید الحرم علی المحرم و غیره بهذه الآیة، و هذا صحیح. و صید غیر المحرم إنما یحرم علی المحرم دون المحل.

و قوله «لِیَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ یَخافُهُ بِالْغَیْبِ» معناه لعاملکم معاملة من یطلب أن یعلم، مظاهرة فی العدل. و وجه آخر- لیظهر المعلوم، و الأول أحسن.

و اختار البلخی الوجه الثانی، قال و اللَّه تعالی و ان کان عالماً بما یفعلونه فیما لم یزل، فانه لا یجوز أن یثیبهم و لا یعاقبهم علی ما یعلم منهم، و انما یستحقون ذلک إذا علمه واقعاً منهم علی وجه کلفهم، فإذاً لا بد من التکلیف و الابتلاء.

و قوله «مَنْ یَخافُهُ بِالْغَیْبِ» یعنی من یخشی عقابه إذا تواری بحیث لا یقع علیه الحس- فی قول الحسن- تقول: غاب یغیب غیاباً فهو غائب عن الحس، و منه الغیبة و هی الذکر بظهر الغیب بالقبیح. و قال قوم: معناه من یخاف صید الحرم فی السر کما یخافه فی العلانیة، فلا یعرضون له علی حال.

و قوله «فَمَنِ اعْتَدی بَعْدَ ذلِکَ» یعنی من تجاوز حد اللَّه بمخالفة أمره و ارتکاب نهیه بالصید فی الحرم، و فی حال الإحرام «فَلَهُ عَذابٌ أَلِیمٌ» أی مؤلم. قال البلخی: یجوز أن یکون ذلک فی النار، و یجوز أن یکون غیر ذلک من صنوف الآلام و العقوبات، قال سلیمان «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِیداً» «۱» یعنی الهدهد و لم یرد عذاب النار.

---

(۱) سورة ۲۷ النحل آیة ۲۱. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۳

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۹۵] ..... ص : ۲۳

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّیْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْکُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ یَحْکُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْکُمْ هَدْیاً بالِغَ الْکَعْبَةِ أَوْ کَفَّارَةٌ طَعامُ مَساکِینَ أَوْ عَدْلُ ذلِکَ صِیاماً لِیَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَ مَنْ عادَ فَیَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ اللَّهُ عَزِیزٌ ذُو انْتِقامٍ (۹۵)

آیة بلا خلاف.

قرأ أهل الکوفة و یعقوب «فجزاء» منونا «مثل» رفع. الباقون بالاضافة. و قرأ ابن عامر و أهل المدینة «أو کفارة» بغیر تنوین «طعام» بالخفض. الباقون بالتنوین و أجمعوا علی جمع مساکین. و قرأ بعضهم (أو عدل ذلک بالکسر) قال الأخفش: و هو الوجه، لأن العدل هو المثل. و العدل مصدر عدلت هذا بهذا عدلا حسناً. و العدل أیضا المثل «وَ لا یُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ» «۱» أی مثل. قال الفراء: العدل- بفتح

العين- ما عدل الشيء من غير جنسه- و بكسر العين- المثل، تقول: عندى غلام عدل غلامک- بالكسر- لأنه من جنسه و ان أردت قيمته دراهم، قلت: عندى عدل غلامک، لأنها من غير جنسه. قال أبو على الفارسى: حجة من رفع المثل أنه صفة للجزاء و المعنى فعليه جزاء من النعم مماثل المقتول. و التقدير فعليه جزاء أى فاللازم له أو فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد. و قوله «من النعم» على هذه القراءة صفة للنكرة التى هى (جزاء) و فيه ذكر، و يكون مثل صفة للجزاء لان المعنى عليه جزاء مماثل للمقتول من الصيد من النعم. و المماثلة فى القيمة أو الخلقة على اختلاف الفقهاء فى ذلك. و لا ينبغى

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۲۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۴

إضافة (جزاء) الى المثل ألا- ترى انه ليس عليه جزاء مثل ما قتل فى الحقيقة، و انما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، و لا جزاء عليه لمثل المقتول الذى لم يقتله. و إذا كان كذلك علمت ان الجزاء لا ينبغى أن يضاف الى (مثل) و لا يجوز أن يكون قوله «من النعم» على هذه القراءة متعلقا بالمصدر كما جاز أن يكون الجار متعلقا به فى قوله «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «۱» ب (مثلها) لأنک قد وصفت الموصول، و إذا وصفته لم يجز أن تعلق به بعد الوصف شيئا كما انک إذا عطفت عليه أو أكدته لم يجز أن تعلق به شيئا بعد العطف عليه و التأكيد له. فأما فى قراءة من أضاف الجزاء الى المثل، فان قوله «من النعم» يكون صفة للجزاء كما كان فى قول من نوَّن، و لم يضف صفة له.

و يجوز فيه وجه آخر لا يجوز فى قول من نون و وصف: و هو أن يقدره متعلقا بالمصدر. و لا يجوز على هذا القول أن يكون فيه ذكر كما تضمن الذكر لما كان صفة. و انما جاز تعلقه بالمصدر على قول من أضاف، لأنک لم تصف الموصول كما وصفته فى قول من نون، فيمتنع تعلقه به.

و أما من أضاف الجزاء الى (مثل) فانه و إن كان جزاء المقتول لا جزاء مثله فإنهم قد يقولون: أنا أكرم مثلک. يريدون أنا أكرمک، و كذلک إذا قال (فجزاء مثل) فالمراد جزاء ما قتل، فإذا كان كذلک كانت الاضافة فى المعنى كغير الاضافة لان المعنى فعليه جزاء ما قتل. و لو قدرت الجزاء تقدير المصدر و أضفته الى المثل كما تضيف المصدر الى المفعول به لكان فى قول من جر (مثلا) على الاتساع الذى وصفناه ألا ترى أن المعنى «فجزاء مثل» أى يجازى مثل ما قتل، و الواجب عليه فى الحقيقة جزاء المقتول لا جزاء مثل المقتول.

خاطب اللَّه بهذه الآية المؤمنين و نهاهم عن قتل الصيد و هم حرم و قوله «وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ» قيل فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- و أنتم محرمون لحج أو عمرة.

(۱) سورة ۴۲ الشورى آية ۴۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵

الثانى- و أنتم فى الحرم. يقال: أحرمنا أى دخلنا فى الحرم كما يقال أنجدنا و اتهمنا.

الثالث- و أنتم فى الشهر الحرام. يقال أحرم إذا دخل فى الشهر الحرام.

قال أبو على: الآية تدل على تحريم قتل الصيد فى حال الإحرام بالحج، و العمرة و حين الكون فى الحرم. و قال الرمانى: يدل على الإحرام بالحج أو العمرة فقط. و الذى قاله أبو على أعم فائدة، و أما القسم الثالث فلا خلاف أنه غير مراد.

و قاتل الصيد إذا كان محرما لزمه الجزاء عامداً كان فى القتل أو أخطأ أو ناسيا لإحرامه أو ذاكراً. و به قال مجاهد، و الحسن- بخلاف عنه- و ابن جريج، و ابراهيم، و ابن زيد، و أكثر الفقهاء، و اختاره البلخى و الجبائى.

و قال ابن عباس و عطاء و الزهرى و اختاره الرمانى: انه يلزمه إذا كان متعمداً لقتله ذاكراً لإحرامه، و هو أشبه بالظاهر. و الأول يشهد به روايات أصحابنا.

و اختلفوا فى مثل المقتول فقال الحسن و ابن عباس و السدى و مجاهد و عطاء و الضحاك: هو أشبه الأشياء به من النعم: إن قتل نعامة فعليه بدنة، حكم النبى (ص) بذلك فى البدنة. و ان قتل أروى «۱» فبقرة. و ان قتل غزالا أو أرنبا، فشاة. و هذا هو الذى تدل عليه روايات أصحابنا.

و قال قوم: يقوم الصيد بقيمة عادلة ثم يشترى بثمنه مثله من النعم ثم يهدى الى الكعبة، فان لم يبلغ ثمن هدى كفَّر أو صام، و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف و اختلف من قال بذلك فى المكان الذى يقوم فيه الصيد، فقال ابراهيم، و النخعى و حماد، و أبو حنيفة، و أبو يوسف، و محمد: يقوم بالمكان الذى أصاب فيه إن كان بخراسان أو غيره. و قال ابن عامر و الشعبى: يقوم بمكة أو منى.

---

(۱) «الاروى» إناث الوعل، و هو اسم جمعها و واحدها (أريَّة) بضم الهمزة و سكون الراء و كسر الواو و فتح الياء المشددة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۶

و قوله: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ» يعنى شاهدين عدلين فقيهين يحكمان بأنه جزاء مثل ما قتل من الصيد.

و قوله: «هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ» ف (هدياً) نصب على المصدر. و يحتمل ان يكون نصبا على الحال، و (بالغ الكعبة) صفة له و تقديره يهديه هديا يبلغ الكعبة و قوله «بالغ الكعبة» فهو و ان كان مضافا الى المعرفة فالنية فيه الانفصال، كما نقول هذا ضارب زيد، فيمن حذف النون و لم يكن قد فعل، فانه يكون نكرة، و الهدى يجب أن يكون صحيحا بالصفة التى تجزى فى الاضحية، و هو قول أبى على.

و قال الشافعى يجوز فى الهدى ما لا يجوز فى الاضحية. و ان قتل طائراً أو نحوه قال أبو على عليه دم شاة. و عندنا فيه دم. و قال قوم يجوز ان يهدى سخلة أو جديا. و النعم هى الإبل و البقر و الغنم. و قوله «أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ» فمن رفع (طعام مساكين) جعله عطفا على الكفارة عطف بيان لان الطعام هو الكفارة، و لم يضف الكفارة الى الطعام، لأنها ليست للطعام و انما هى لقتل الصيد، فلذلك لم يضف الكفارة الى الطعام. و من أضافها الى الطعام، فلانه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء: الهدى، و الطعام، و الصيام أجاز الاضافة لذلك، فكأنه قال: كفارة طعام لا كفارة هدى، و لا كفارة صيام، فاستقامت الاضافة لكون الكفارة من هذه الأشياء و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- يقوَّم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما فى قول عطا.

و هو مذهبنا.

و قال قتادة: يقوم نفس الصيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما.

و قوله: «أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً» نصب صياما على التمييز و فى معناه قولان:

أحدهما- لكل مد يقوم من الطعام يوم فى قول عطاء. و قال غيره: التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷

عن كل مدين يوم و هو مذهبنا. و قال سعيد بن جبير: يصوم ثلاثة أيام الى عشرة أيام.

و قوله «لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ» يعنى عقوبة ما فعله و نكاله. و قال المغربى:

الوبال من الطعام الوبيل الذى لا يستمرى، أو لا يوافق، و هو قول الازهرى قال كثير:

فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مشوم البلاد يشتكون وبالها

و قوله: «عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن: عفا اللَّه عما سلف من امر الجاهلية.

و قال آخرون: عما سلف من الدفعة الاولى فى الإسلام.

و قوله: «وَ مَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ» اختلفوا فى لزوم الجزاء بالمعاودة على قولين:

أحدهما- قال عطاء و ابراهيم و سعيد بن جبير و مجاهد: يلزمه الجزاء بالمعاودة و هو قول بعض أصحابنا.

الثانى- قال ابن عباس، و شريح، و الحسن، و ابراهيم، بخلاف عنه:

لا جزاء عليه و ينتقم اللَّه منه، و هو الظاهر من مذهب أصحابنا، و اختار الرمانى الاول. و به قال أكثر الفقهاء، قال: لأنه لا ينافى الانتقام منه. و اختلفوا فى (أو) فى الآية هل هى على جهة التخيير أم لا؟ على قولين:

أحدهما- قال ابن عباس، و الشعبى، و ابراهيم، و السدى و هو الظاهر

فى رواياتنا انه ليس على التخيير لكن على الترتيب.

و انما دخلت (أو) لأنه لا يخرج حكمه على أحد الثلاثة، على انه إن لم يجد الجزاء فالاطعام و ان لم يجد الإطعام فالصيام. و فى رواية أخرى عن ابن عباس، و عطاء و الحسن و ابراهيم- على خلاف عنه- و اختاره الجبائى، و هو قول بعض أصحابنا انه على التخيير.

و قوله «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ» معناه قادر لا يغالب «ذُو انْتِقامٍ» معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸

ينتقم ممن يتعدا أمره و يرتكب نهيه. و ليس فى الآية دليل على العمل بالقياس، لان الرجوع الى ذوى عدل فى تقويم الجزاء مثل الرجوع الى المقومين فى قيم المتلفات، و لا تعلق لذلك بالقياس.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹۶] ..... ص : ۲۸

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۹۶)

آية بلا خلاف.

قال ابن عباس، و زيد بن ثابت، و سعيد بن جبير، و سعيد بن المسيب، و قتادة، و السدى، و مجاهد: الذى أحل من هذه الآية من صيد البحر الطرى منه و أما العتيق فلا خلاف فى كونه حلالا، و إذا حل صيد البحر حل صيد الأنهار، لأن العرب تسمى النهر بحراً. و منه قوله «ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» «۱» و الأغلب على البحر هو الذى يكون ماؤه ملحا لكن إذا اطلق دخل فيه الأنهار بلا خلاف.

و قوله «وَ طَعامُهُ» يعنى طعام البحر و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال أبو بكر و عمر، و ابن عباس و ابن عمر، و قتادة هو ما قذف به ميتا.

الثانى- فى رواية أخرى عن ابن عباس و سعيد بن المسيب و سعيد بن جبير و قتادة و مجاهد و ابراهيم بخلاف عنه انه المملوح، و اختار الرمانى الاول.

و قال لأنه بمنزلة ما صيد منه و ما لم يصد منه فعلى هذا تصح الفائدة فى الكلام و الذى يقتضيه و يليق بمذهبنا القول الثانى، فيكون قوله «صَيْدُ الْبَحْرِ» المراد به ما أخذ طرياً.

---

(۱) سورة ۳۰ الروم آية ۴۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹

و قوله «و طعامه» ما كان منه مملوحا، لأن ما يقذف به البحر ميتاً لا يجوز عندنا أكله لغير المحرم و لا للمحرم. و قال قوم معنى «و طعامه» ما نبت بمائة من الزرع و الثمار حكاه الزجاج.

و قوله «مَتاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ» نصب متاعا على المصدر لان قوله «أُحِلَّ لَكُمْ» يدل على انه قد متعهم متاعا و قال ابن عباس و الحسن و قتادة معناه منفعة للمقيم و المسافر.

و

قوله «وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً» يقتضى ظاهره تحريم الصيد فى حال الإحرام و أكل ما صاده غيره، و به قال على (ع) و ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن جبير، و قال عمر و عثمان و الحسن، لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره، و منهم من فرق بين ما صيد و هو محرم و بين ما صيد قبل إحرامه. و عندنا لا فرق بينهما و الكل محرم، و الصيد يعبر به عن الاصطياد فيكون مصدراً و يعبر به عن المصيد، فيكون اسماً. و يجب أن تحمل الآية على تحريم الجميع. و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أمر منه تعالى بان يتقى جميع معاصيه و يجتنب جميع محارمه من الصيد فى الإحرام و غيره، لأن اليه الرجوع فى الوقت الذى لا يملك أحد فيه الضرر و النفع سواه، و هو يوم القيامة فيجازى كلًا بعمله: المحسن على إحسانه و المسىء على إساءته.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹۷] ..... ص : ۲۹

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ الْهَدْىَ وَ الْقَلائِدَ ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۹۷)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده «قيماً للناس» بلا الف. الباقون قياما بالألف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰

قال أبو على الفارسى: قوله «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ» تقديره جعل اللَّه حج الكعبة أو نصب الكعبة قياما لمعايش الناس أو مكاسب الناس، لأنه مصدر (قام) كأن المعنى قام بنصبه ذلك لهم، فاستتبت بذلك معايشهم، و استقامت أحوالهم به فالقيام كالعياذ و العيال. و على هذا لحقته تاء التأنيث فى هذه المصادر فجاءت (فعالة) كالزيادة و السياسة و الحياكة، فكما جاءت هذه المصادر على (فعال) أو (فعالة) كذلك حكم القيام أن يكون على (فعال).

و وجه قراءة ابن عامر أحد أمرين: إما أن يكون جعله مصدراً كالشبع أو حذف الالف و هو يريدها كما يقصر الممدود، و هذا الوجه انما يجوز فى الشعر دون الكلام. و انما أعلوا الواو فقلبوها ياءً لاعتلال الفعل، و لم يصححوها كما صحت فى الحول و العوض، ألا ترى أنهم قالوا ديمة و ديم، و حيلة و حيل فأعلوها فى المجموع لاعتلال آحادها، فاعلال المصدر لاعتلال الفعل أولى.

و القوام هو العماد تقول: هو قوام الامر و ملاكه، و هو ما يستقيم به أمره و قلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها فى مصدر (فعل، يفعل) و هو قام بالأمر قياما كقولك صام صياما. فأما صحة الواو فمن قاومه قواما مثل حاوره حواراً قال الراجز:

قوام دنياً و قوام دين «۱»

و تقدير الآية جعل اللَّه حج الكعبة أو نصب الكعبة قياما لمعاش الناس و مصالحهم.

و قوله «وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ» معطوف على المفعول الأول ل (جعل) كما تقول ظننت زيداً منطلقاً و عمراً أى فعل ذلك ليعلموا أن اللَّه يعلم مصالح ما فى السماوات و الأرض، و ما يجرى عليه شأنهم فى معاشهم و غير ذلك مما يصلحهم

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۱۷۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱

«وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» بما يقيمهم، و يصلحهم عليه.

و قيل فى قوله «قِياماً لِلنَّاسِ» ان معناه أمناً لهم. و قيل انه مما ينبغى أن يقيموا به. و الاول أقوى. و قال قوم لما كان فى المناسك زجراً عن القبيح و دعا الى الحق كان بمنزلة الرئيس الذى يقوم به أمر أتباعه. و قال سعيد بن جبير «قياماً للناس» صلاحاً لهم. و قيل: يقوم به أبدانهم. و قيل «قياماً» يقومون به فى متعبداتهم قال مجاهد و عكرمة: سميت الكعبة كعبة لتربيعها.

و قال أهل اللغة و انما قيل كعبة البيت و أضيف لأن كعبة تربع أعلاه و الكعوبة: النتوء، فقيل للتربيع كعبة لنتوء زوايا المربع. و منه كعب ثدى الجارية إذا نتأ و منه كعب الإنسان لنتوئه. و سميت الكعبة حراما لتحريم اللَّه إياها ان يصاد صيدها أو يخلى خلاءها أو يعضد شجرها. و قوله «وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ» قال الحسن: هى الأشهر الحرام الاربعة، فهذا على مخرج الواحد مذهب الجنس. و هى واحد فرد، و ثلاثة سرد، فالفرد رجب، و السرد ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم.

و (القلائد) قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- ان الرجل من العرب كان ينتهى به الحال من الضرر و الجوع الى ان يأكل العصب فيلقى الهدى مقلداً فلا يعرض له.

الثانى- أن من أراد الإحرام تقلد قلادة من شعر أو لحى الشجرة، فتمنعه من الناس حتى يأتى أهله.

الثالث- قال الحسن: القلائد ان يقلد الإبل و البقر النعال أو الخفاف، تقور تقويراً، على ذلك مضت السنة، فهذا على صلاح التعبد بها، و هذا هو المعتمد عليه عندنا.

فان قيل: ما معنى قوله «ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» بعد قوله «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ» و أى تعلق لها بذلك؟ و ما فى ذلك مما يدل على أنه بكل شيء عليم؟ قيل عن التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲ ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها- أنه تعالى لما اخبر بما فى هذه السورة من قصة موسى و عيسى و قومهما و بالتوراة و الإنجيل، و ما فيهما من الأحكام و اخبار الأمم و فصله، و ذلك كله مما لم يشاهده محمد (ص) و لا قومه و لا أحد فى عصره و لا وقفوا على شيء من ذلك، قال ذلك لتعلموا أن اللَّه تعالى لولا أنه بكل شيء عليم لما جاز أن يخبركم عنهم، فاخباره بذلك يدل على أنه بكل شيء عليم. و أيضا فان ما جعله اللَّه من البلد الحرام و الشهر الحرام من الآيات و الأعاجيب دالًا على أنه تعالى لا يخفى عليه شيء، لأنه جعل البيت الحرام و الحرم أمنا، يأمن فيه كل شيء و يسكن قلبه، فالظبى يأنس بالسبع و الذئب ما دام فى الحرم، فإذا خرج عن الحرم خاف و طلبه السبع و هرب منه الظبى حتى يرجع الى الحرم، فإذا رجع اليه كف عنه السبع، و هذا من عظيم آيات اللَّه و عجيب دلائله، و كذلك الطير و الحمامة تأنس بالإنسان، فإذا خرج من الحرم خافه و لم يدن من أحد حتى يعود الى الحرم، و الطير يستشفى بالبيت الحرام إذا مرض يسقط على سطح البيت استشفاء به، فإذا زال عنه المرض لم ير على سطح البيت و لا محاذيه فى الهواء إجلالًا له و تعظيماً، مع أمور كثيرة يطول ذكرها، فيكون ما دبره اللَّه من ذلك دالًا على أنه عالم بمصالح الخلق و بكل شيء. و أيضا فانه أخبرهم بأنه قد علم قبل أن يخلقهم ما هم صائرون اليه من القتال و الغارة و السبى و السلب فجعل من سنن ابراهيم و إسماعيل ان من دخل الحرم لم يقتل. و كذلك من عاذ بالبيت. و أن أشهر الحرم لا يجوز فيها قتال و أن من أهدى أو قلد أمن على نفسه، و كل ذلك يدل على أن من دبره عالم بالعواقب و لا يخفى عليه شيء من الأشياء على وجه من الوجوه.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹۸] ..... ص : ۳۲

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۹۸)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۳

أمر اللَّه تعالى أن يعلم المكلف أنه شديد العقاب، فالعلم ما اقتضى سكون النفس، و ان شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس الى ما اعتقده، و الأول أخص، و لا يجوز أن يحد العلم بأنه المعرفة، لأن المعرفة هى العلم، و لا يحد الشيء بنفسه. و العلم يتناول الشيء على ما هو به و كذلك الرؤية. و الفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه، و الرؤية لا تتعلق إلا على وجه واحد. و العلم محله القلب. و الرؤية ليست معنى على الحقيقة و انما تثبت للرائى بكونه رائيا صفة. و من قال هو معنى قال محلها العين. و فى الآية دلالة على أن المعرفة باللَّه و بصفاته ليست ضرورية، لأنها لو كانت ضرورية لما أمرنا بها. و ليس لاحد أن يقول انما أمر

على جهة التذكير، و التنبيه، لان ذلك ترك للظاهر.

و العقاب هو الضرر المستحق على جهة الاهانة و المقارن بالاستخفاف، و لو اقتصرت على ان تقول هو الضرر المستحق أو الضرر الذى يقارنه استخفاف و اهانة لكان كافيا لان ما ليس بعقاب ليس بمستحق و لا يقارنه استخفاف و إهانة و إنما سمى عقابا لأنه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه.

و قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» منصوب ب (اعلموا) و تقديره و اعلموا ان اللَّه غفور رحيم، و المغفرة هى ستر الخطيئة برفع عقابها. و أصلها الستر و منه المغفرة و ضم ذكر الرحمة الى المغفرة لبيان سبوغ نعم اللَّه تعالى، و انه إذا أزال العقوبة بالتوبة أوجب الرحمة التى هى المغفرة. و ذلك يدل على أن الغفران عند التوبة غير واجب و أنه تفضل و إلا لم يكن كذلك.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۹۹] ..... ص : ۳۳

ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ (۹۹)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۳۴

لما أنذر تعالى فى الآية الأولى شدة العقاب و بشَّر بالعفو و الغفران ذكر فى هذه أنه ليس على الرسول إلا البلاغ. و أما القبول و الامتثال فانه متعلق بالمكلفين المبعوث اليهم.

و أصل الرسول الإطلاق من قولهم أرسل الطير إرسالا إذا أطلقه و منه قولهم: ترسَّل فى القراءة ترسلًا إذا تثبت. و استرسل الشيء إذا تسلل و انطلق. و رسله مراسلة، و تراسلوا تراسلًا. و الرسل اللبن لاسترساله من الضرع. و فى الحديث (اعطى من رسلها) و قوله: «وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً» «۱» قيل: هى الخيل. و قيل هى الرياح. و الفرق بين الرسول و النبى أن النبى لا يكون الا صاحب المعجز الذى ينبئ عن اللَّه أى يخبر، و الرسول إذا كان رسول اللَّه فهو بهذه الصفة، و قد يكون الرسول رسولا لغير اللَّه، فلا يكون بهذه الصفة. و الانباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ. و الإرسال لا يكون الا بتحميل الرسالة. و البلاغ وصول المعنى الى غيره، و هو هاهنا وصول الانذار الى نفوس المكلفين. و أصل البلاغ البلوغ تقول: بلغ يبلغ بلوغاً و أبلغه ابلاغاً و تبلغ تبلغاً و بالغ مبالغة و بلغه تبليغاً، و منه البلاغة لأنها إيصال المعنى الى النفس فى حسن صورة من اللفظ. و تبالغ الرجل إذا تعاطى البلاغة و ليس ببليغ، و فى هذا بلاغ أى كفاية لأنه يبلغ مقدار الحاجة.

«وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ» معناه أنه لا يخفى عليه شيء من أحوالكم التى تظهرونها أو تخفونها و تكتمونها و فى ذلك غاية التهديد و الزجر.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۰۰] ..... ص : ۳۴

قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰۰)

آية.

معنى قوله «لا يستوى» لا يتساوى. و الاستواء على أربعة اقسام:

---

(۱) سورة ۷۷ المرسلات آية ۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۳۵

استواء فى المقدار. و استواء فى المكان. و استواء فى الذهاب. و استواء فى الإنفاق. و الاستواء بمعنى الاستيلاء راجع الى الاستواء فى المكان، لأنه تمكن و اقتدار و قوله «الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ» قيل فى معناهما قولان:

أحدهما- الحرام، و الحلال في قول الحسن و أبي علي.

الثاني- قال السدى الكافر، و المؤمن. و الخبيث الردى بالعاجلة و يسوى بالآجلة. و منه خبث الحديد، و هو رديئه بعد ما يخلص بالنار جيدة ففي الخبيث امتزاج جيد بردىء و لذلك قال «وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ» و الاعجاب سرور بما يتعجب منه. و العجب و الاعجاب و التعجب من أصل واحد. و عجب يعجب عجباً و العجب مذموم، لأنه كبر يدخل النفس بحال يتعجب منها.

و عجب الذنب أصله عجوب الرمل أو آخره لانفراده عن جملته كانفراد ما يتعجب منه.

و معنى الآية أنه لا يتساوى الحرام و الحلال و ان أعجبك يا محمد كثرة ما تراه من الحرام و المراد به أمته. و قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ» معناه اجتنبوا ما حرمه عليكم «يا أُولِي الْأَلْبابِ» يعني يا اولى العقول «لعلكم تفلحون» معناه لتفلحوا و تفوزوا بالثواب العظيم الدائم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): الآيات ۱۰۱ الى ۱۰۲] ..... ص : ۳۵

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْها وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۱۰۱) قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ (۱۰۲)

آيتان بلا خلاف.

قيل في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و أنس و ابو هريرة و الحسن و قتادة و طاوس التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۶

و السدى: أنه سأل رسول اللَّه (ص) رجل يقال له عبد اللَّه و كان يطعن في نسبه فقال: يا رسول اللَّه من أبي، فقال له حذافة. فنزلت الآية. و قال أبو هريرة و مجاهد: نزلت حين سألوا عن أمر الحج لما انزل «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» فقالوا: في كل عام؟ قال: لا و لو قلت نعم لوجب. و قال قوم وقع السؤال الاول و الثاني في مجلس واحد، فخاطب اللَّه تعالى بهذه الآية المؤمنين و نهاهم عن مسألة الأشياء التي إذا أبديت و أظهرت ساءت و احزنت من أظهرت له.

يقال بدا يبدو بدوّاً. و أبداه إبداء إذا أظهره و بدا له في الامر بدواً و بداً و بداء إذا تغير رأيه، لأنه ظهر له. و البادية خلاف الحاضرة. و البدو خلاف الحضر من الظهور. و قيل في وزن (أشياء) ثلاثة أقوال:

قال الكسائي: هو أفعال إلا انه لم يصرف، لأنهم شبهوه بحمراء فالزمه الزجاج ألا يصرف اسماء و لا انباء.

الثاني- قال الأخفش و الفراء هي (فعلاء) كقولك هين و أهوناء فالزمه المازني و قال: سله كيف يصغرها؟ فقال الأخفش (أشياء) فقال يجب ان يصغرها شيئات كما يصغر أصدقاء في المؤنث صديقات في المذكر صديقون. قال الزجاج إنما قيل في هين: أهوناء لأن هين أصله (هيين) على وزن فعيل فجمع على أفعلاء كنصب و أنصباء.

الثالث- قال الخليل و سيبويه: (افعاء) مقلوبة كما قلبوا (أنيق) عن انوق، و قسي عن قؤوس.

و قوله «تسؤكم» معناه تحزنكم. و قوله «عَفَا اللَّهُ عَنْها وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» قيل فيما يعود الضمير اليه في (عنها) قولان:

أحدهما- قال قوم على المسألة، لان قوله «لا تسألوا» دليل عليها فيكون العفو عن مسألتهم التي سلفت منهم.

الثاني- على الأشياء التي سألوا عنها من أمور الجاهلية، و ما جرى مجراها مما يسؤهم تشديد المحنة فيها. التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷

و قوله «قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ» قال ابن عباس: سأل قوم عيسى (ع) إنزال المائدة ثم كفروا بها. و قال غيره: هم قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها و كفروا بها. و قال السدى هذا حين سألوا أن يحول لهم الصفا ذهباً. و قال أبو علي: انما كانوا سألوا نبيهم عن مثل هذه الأشياء يعني من آيات و نحوها فلما أخبرهم النبي (ص) قالوا: ليس الامر كذلك، فكفروا به.

و قال الرماني: السؤال هو طلب الشيء اما بإيجاده و اما بإحضاره و اما بالبيان عنه، و الذي يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه من

أمر دين أو دنيـا. و مـا لا يجوز العمل عليه من أمر دين أو دنيا لا يجوز السؤال عنه و لا يجوز أن يسأل اللّه تعالى شـيئاً إلا بشـرط انتفاء وجود القبـح عن الاجابـة، فعلى هـذا لا يجوز أن يسأل الإنسان: من أبى لان المصـلحة اقتضت ان من ولـد على فراش انسان حكم بأنه ولده. و إن لم يكن مخلوقاً من مائه، فالمسألة بخلافه سفه لا يجوز.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۰۳] ..... ص : ۳۷

ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (۱۰۳)

آية بلا خلاف.

هذه الآية من الادلة الواضـحة على بطلان مذهب المجبرة من قولهم: من أن اللّه تعالى هو الخالق للكفر و المعاصـى و عبادة الأصنام و غيرها من القبائح، لأنه تعالى نفى أن يكون هو الذى جعل البحيرة أو السائبة أو الوصيلة أو الحام، و عندهم ان اللّه تعالى هو الجاعل له و الخـالق، تكـذيباً للّه تعالى و جرأة عليه. ثم بين تعالى أن هؤلاء بهـذا القول قـد كفروا باللّه و افتروا عليه بأن أضافوا اليه ما ليس بفعل له، و ذلك واضح لا إشكال فيه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸

و معنى «مـا جَعَـلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ» أى مـا حرمهـا على مـا حرمها أهل الجاهليـة، و لا أمر بها. و (البحيرة) هى الناقـة التى تشق أذنها يقال بحرت الناقة أبحرها بحراً، و الناقة مبحورة، و بحيرة: إذا شققتها شقاً واسعاً، و منه البحر لسعته.

و كانوا فى الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن و كان آخرها ذكراً بحروا أذنها أى شـقوها، و امتنعوا من ركوبها و ذبحها، و لم تطرد عن ماء، و لم تمنع من رعى. و إذا لقيها المعيى لم يركبها.

و (السائبة) المخلاة و هى المسيبة. و كانوا فى الجاهلية إذا نذر إنسان نذراً لقدوم من سفر أو برء من مرض أو ما أشبه ذلك قال: ناقتى سائبة، فكانت كالبحيرة فى التخلية، و كان إذا أعتق الإنسان عبداً، فقال: هو سائبة لم يكن بينهما عقل، و لا ولاء، و لا ميراث.

و (الوصـيلة) الأنثى من الغنم إذا ولـدت أنثى مع الذكر قالوا: أوصـلت أخاها فلم يذبحوه. و قال أهل اللغة: كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهى لهم، و إذا ولدت ذكراً ذبحوه لآلهتهم فى زعمهم، و إذا ولدت ذكراً و أنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه لآلهتهم.

و (الحام) الفحل من الإبل الذى قد حمى ظهره من أن يركب بتتابع أولاد تكون من صلبه. و كانت العرب إذا أنتجت من صلب الفحل عشـرة أبطن قـالوا: حمى ظهره فلا- يحمـل عليه شـىء و لا- يمنع من مـاء و لا مرعى. و قال محمـد ابن إسـحاق: البحيرة بنت السائبـة و (السائبـة) هى الناقـة إذا تابعت بين عشـر أناث ليس فيهن ذكر سـيبت فلم يركبوها و لم يجزوا و برها و لم يشـرب لبنها إلا ضـيف. فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم يخلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها و لم يجز و برها، و لم يشـرب لبنها إلا ضـيف كما فعل بأمها.

و (الوصـيلة) هى الشاة إذا أتأمت عشر أناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة، و قالوا قد وصلت و كان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹

و قوله «وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» إخبـار منه تعـالى بـأن هؤلاء الـذين كفروا يكـذبون على اللّه بادعائهم أن هـذه الأشـياء من فعل اللّه أو بأمره. و قوله «وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ» خص الأكثر بأنهم لا يعقلون لأنهم أتباع، فهم لا يعقلون أن ذلك كـذب و افتراء كمـا يفعله الرؤسـاء- فى قول قتادة و الشـعبى- و قال ابو على «أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ» ما أحل لهم و ما حرم عليهم، يعنى أن المعاند هو الأقل منهم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۰۴] ..... ص : ۳۹

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ

(۱۰۴)

آیة بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالی عن الکفار الذین أخبر عنهم أنهم لا یعقلون، و الذین جعلوا البحیرة، و السائبة، و الوصیلة، و الحام، و «الَّذِینَ کَفَرُوا یَفْتَرُونَ عَلَی اللَّهِ الْکَذِبَ» من کفار قریش و غیرهم من العرب بأنه «إِذا قِیلَ لَهُمْ تَعالَوْا» أی هلموا «إِلی ما أَنْزَلَ اللَّهُ» من القرآن و اتباع ما فیه، و الإقرار بصحته «و الی الرسول» و تصدیقه، و الاقتداء به و بأفعاله «قالوا» فی الجواب عن ذلک «حسبنا» أی کفانا «ما وَجَدْنا عَلَیْهِ آباءَنا» یعنی مذاهب آبائنا. ثم اخبر تعالی منکراً علیهم فقال «أَ وَ لَوْ کانَ آباؤُهُمْ لا یَعْلَمُونَ شَیْئاً وَ لا یَهْتَدُونَ» أی إنهم یتبعون آباءهم فی ما کانوا علیه من الشرک و عبادة الأوثان و إن کان آباؤهم لا یعلمون شیئاً من الدین و لا یهتدون الیه. و قیل فی معنی (لا یهتدون) قولان أحدهما- الذم بأنهم ضلال. و الثانی- أنهم لا یهتدون الی طریق العلم بمنزلة العمی عن الطریق.

و فی الآیة دلالة علی فساد التقلید، لأن اللَّه تعالی أنکر علیهم تقلید الآباء فدل التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۴۰

ذلک علی أنه لا یجوز لأحد أن یعمل علی شیء من أمر الدین إلا بحجة.

و فیها دلالة علی وجوب المعرفة و أنها لیست ضروریة، لأن اللَّه تعالی بین الحجاج علیهم فی هذه الآیة لیعرفوا صحة ما دعا الرسول الیه، و لو کانوا یعرفون الحق ضرورة لم یکونوا مقلدین لآبائهم و کان یجب أن یکون آباؤهم أیضاً عارفین ضرورة، و لو کانوا کذلک لما صح الاخبار عنهم بأنهم لا یعلمون شیئاً و لا یهتدون. و انما نفی عنهم الاهتداء و العلم معاً لان بینهما فرقاً، و ذلک أن الاهتداء لا یکون إلا عن بیان و حجة. و العلم مطلق و قد یکون الاهتداء ضرورة.

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۱۰۵] ..... ص : ۴۰

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا یَضُرُّکُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَیْتُمْ إِلَی اللَّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۰۵)

آیة واحدة بلا خلاف.

لما بین اللَّه تعالی حکم الکفار الذین قلدوا آباءهم و أسلافهم و رکنوا الیهم فی أدیانهم، ذکر فی هذه الآیة أن المکلف انما یلزمه حکم نفسه و أنه لا- یضره ضلال من ضل إذا کان هو مهتدیاً، حتی یعلم بذلک أنه لا یلزمهم من ضلال آبائهم شیء من الذم و العقاب.

و «أنفسکم» نصب علی الإغراء کأنه قال: احفظوا أنفسکم أن تزلوا کما زل غیرکم. و العرب تغری ب (علیک، و الیک، و دونک، و عندک) فینصبون الأسماء بها، و لم یغروا ب (منک) کما أغروا ب (الیک)، لأن (الیک) أحق بالتنبیه من (منک). و الإغراء تنبیه علی ما یجب أن یحذر، و لذلک لم یغروا ب (فیک) و نحوها من حروف الاضافة. و حکی المغربی: أنه سمع من یغری ب (وراءک) و (قدامک). التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۴۱

و لیس فی الآیة ما یدل علی سقوط انکار المنکر. و إنما یجوز الاقتصار علی الاهتداء بأتباع أمر اللَّه فی حال التقیة، هذا قول ابن مسعود، علی أن الإنسان إنما یکون مهتدیاً إذا اتبع أمر اللَّه فی نفسه و فی غیره بالإنکار علیه. و

روی عن النبی (ص) أنه قال (إذا رأوا الناس منکراً فلم یغیروه عمهم اللَّه بالعقاب)

و فی الآیة دلالة علی فساد مذهب المجبرة فی تعذیب الأطفال، لأنه لو کان الامر علی ما قالوه لم یأمن المؤمنون أن یؤخذوا بذنوب آبائهم، و قد بین اللَّه تعالی أن الامر بخلافه مؤکداً لما فی العقل.

و قوله «إِلَی اللَّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً» معناه الیه تعالی مآلکم فی الوقت الذی لا یملک أحد الضرر و النفع سواه بخلاف دار الدنیا التی مکن اللَّه تعالی الخلق من الضرر و النفع فیها. و قوله «فَیُنَبِّئُکُمْ» معناه یخبرکم بأعمالکم التی عملتموها فی الدنیا من الطاعات و المعاصی، و یجازیکم بحسبها، و فی ذلک غایة الزجر و التهدید.

و قوله «لا يَضُرُّكُمْ» يحتمل أن يكون جزماً لأنه جواب الامر، و حرك الراء لأنها ثقيلة و أولها ساكن، فلا يستقيم إسكان آخرها، فيلتقى ساكنان. قال الأخفش: و الأجود أن يكون رفعاً على الابتداء، لأنه ليس بعلة لقوله «عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ» و إنما أخبر أنه لا يضرهم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۰۶] ..... ص : ۴۱

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ لا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ (۱۰۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۲

آية بلا خلاف.

ذكر الواقدى و ابو جعفر (ع) أن سبب نزول هذه الآية ما قال أسامة بن زيد عن أبيه قال: كان تميم الدارى و أخوه عدى نصرانيين و كان متجرهما الى مكة، فلما هاجر رسول اللَّه (ع) الى المدينة قدم ابن أبى مارية مولى عمرو بن العاص المدينة و هو يريد الشام تاجراً فخرج هو و تميم الدارى و أخوه عدى حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبى مارية فكتب وصية بيده و دسها فى متاعه و أوصى اليهما و دفع المال اليهما و قال أبلغا هذا أهلى، فلما مات فتحا المتاع و أخذا ما أعجبهما منه ثم رجعا بالمال الى الورثة، فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم، و نظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاماً و كلموا تميماً و صاحبه، فقالا: لا علم لنا به و ما دفعه إلينا أبلغناه كما هو، فرفعوا أمرهم الى النبى (ص) فنزلة هذه الآية.

قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ» قيل فى معنى الشهادة- هاهنا- ثلاثة أقوال:

أحدها- الشهادة التى تقام بها الحقوق عند الحكام.

الثانى- شهادة الحضور لوصيين.

الثالث- شهادة أيمان باللَّه إذا ارتاب بالوصيين من قول القائل: أشهد باللَّه انى لمن الصادقين. و الأول أقوى و أليق بالقصة. و فى كيفية الشهادة قيل قولان:

أحدهما- أن يقول صحيحاً كان أو مريضاً: إذا حضرنى الموت فافعلوا كذا و كذا. ذكره الزجاج.

الثانى- إذا حضرت أسباب الموت من المرض. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۳

و قيل فى رفع «شهادة» ثلاثة أقوال:

أحدها- أن يكون رفعاً بالابتداء و تقديره شهادة بينكم: شهادة اثنين، و يرتفع (اثنان) بأنه خبر الابتداء ثم حذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه.

قال أبو على الفارسى: و اتسع فى (بين) و أضيف اليه المصدر، و ذلك يدل على قول من يقول: ان الظرف الذى يستعمل يجوز أن يستعمل اسماً فى غير الشعر، كما قال تعالى «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» «۱» فيمن رفع. و جاء فى الشعر:

فصادف بين عينيه الجبوبا «۲»

الثانى- على تقدير محذوف و هو عليكم شهادة بينكم أو مما فرض عليكم شهادة بينكم، و يرتفع اثنان بالمصدر ارتفاع الفاعل بفعله.

و الثالث- ان يكون الخبر «إِذا حَضَرَ» فعلى هذا لا يجوز أن يرتفع (اثنان) بالمصدر، لأنه خارج عن الصلة بكونه بعد الخبر، لكن على تقدير ليشهد اثنان، و لا يجوز أن يتعلق إذا حضر بالوصية لأمرين:

أحدهما- ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف، لأنه لو عمل فيما قبله للزم أن يقدر وقوعه فى موضعه فإذا قدِّر ذلك لزم تقديم المضاف عليه على المضاف، و من ثم لم يجز (القتال زيداً) حين يأتى.

و الآخر ان الوصية مصدر، فلا يتعلق به ما يتقدم عليه.

و قوله «إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» يعنى قرب أحدكم من الموت كما قال «حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّی تُبْتُ الْآنَ» «۳» و قال «حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا»»

و قال

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۹۴.

(۲) قائله أبو خراش الهذلى. اللسان (بين) و صدره:

فلاقته ببلقعة براح يصف عقابا. و الجبوب- بفتح الجيم- وجه الأرض. و البلقع المكان الخالى، و براح صفة له. و الشاهد ضم النون فى (بين).

(۳) سورة ۴ النساء آية ۱۷

(۴) سورة ۶ الانعام آية ۶۱

«حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» «۳» و كل ذلك يريد به المقاربة. و لولا ذلك لما أسند اليه القول بعد الموت.

و قوله «حِينَ الْوَصِيَّةِ» فلا يجوز أن يحمل على الشهادة، لأنها إذا عملت فى ظرف من الزمان لم تعمل فى ظرف آخر منه، و يمكن حمله على أحد ثلاثة أشياء:

أحدها- أن تعلقه بالموت كان الموت فى ذلك الحين بمعنى قرب منه.

الثانى- على حضر أى إذا حضر: هذا الحين.

الثالث- أن يحمله على البدل من (إذا) لأن ذلك الزمان فى المعنى هو ذلك الزمان، فيبدله منه، و يكون بدل الشيء من الشيء إذا كان إياه. و قوله «اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ» خبر المبتدإ الذى هو (شهادة) و تقديره شهادة بينكم شهادة اثنين على ما بيناه، لان الشهادة لا تكون إلا من اثنين و قوله «منكم» صفة لقوله «اثنان» كما ان (ذوا عدل) صفة لهما، و فى الظرف ضمير. و فى معنى (منكم) قولان:

أحدهما- قال سعيد بن المسيب و عبيدة و يحيى بن يعمر و مجاهد و قتادة و ابن عباس:

أى من المسلمين، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع).

الثانى- قال سعيد بن المسيب و عبيدة- فى رواية اخرى- و عكرمة:

إنهما من حى الموصى و الاول أظهر و أصح، و هو اختيار الرمانى، لأنه لا حذف فيه. و قوله «أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» تقديره أو شهادة آخرين من غيركم، و حذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه. و (من غيركم) صفة للآخرين.

و قيل فى معنى «من غيركم» قولان:

أحدهما قال ابن عباس و أبو موسى الاشعرى و سعيد بن المسيب و سعيد ابن جبير و شريح و ابراهيم و ابن سيرين و مجاهد و ابن زيد و اختاره أبو على الجبائى، و هو

قول أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع) أنهما من غير أهل ملتكم.

---

(۳) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۱۰۰.

الثانى- قال عكرمة و عبيدة- بخلاف عنه- و ابن شهاب و الحسن:

يعنى من غير عشيرتكم. قال الحسن لأن عشيرة الموصى أعلم بأحواله من غيرهم، و هو اختيار الزجاج. قال: لأنه لا يجوز قبول شهادة الكفار مع كفرهم و فسقهم و كذبهم على اللّه. و معنى (أو)- هاهنا- للتفصيل لا للتخيير، لأن المعنى أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم، و هو قول أبى عبيدة و شريح و يحيى بن يعمر و ابن عباس و ابراهيم و سعيد بن جبير و السدى، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد اللّه (ع).

و قال قوم: هو بمعنى التخيير فيمن ائتمنه الموصى من مؤمن أو كافر.

و قوله «إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» يعنى ان أنتم سافرتم كما قال «وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ» «۱».

و قوله «فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ» فيه محذوف، و تقديره و قد اسنتم الوصية اليهما فارتاب الورثة بهما تحبسونهما.

و قوله «تَحْبِسُونَهُما» خطاب للورثة و الهاء فى (به) تعود الى القسم باللّه.

و الصلاة المذكورة فى هذه الآية قيل فيها ثلاثة أقوال:

أولها- قال شريح و سعيد بن جبير و ابراهيم و قتادة، و هو

قول أبى جعفر (ع) أنها صلاة العصر.

الثانى- قال الحسن: هى الظهر أو العصر، و كل هذا لتعظيم حرمت وقت الصلاة على غيره من الأوقات. و قيل: لكثرة اجتماع الناس كان بعد صلاة العصر.

الثالث- قال: ابن عباس صلاة اهل دينهما يعنى فى الذميين لأنهم لا يعظمون أوقات صلاتنا.

و قوله «فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ» الفاء دخلت لعطف جملة (ان ارتبتم) فى قول الآخرين الذين ليسا من أهل ملتنا أو من غير قبيلة الميت فغلب فى ظنكم

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۱۰۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶

خيانتهم، و لا خلاف أن الشاهد لا يلزمه اليمين إلا أن يكونا شاهدين على وصية مستندة اليهما فيلزمهما اليمين لأنهما مدعيان. و قوله «لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً» لا نشترى جواب ما يقتضيه قوله «فيقسمان» لان (أقسم) و نحوه يتلقى بما تتلقى به الايمان. و معنى قوله «لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً» لا نشترى بتحريف شهادتنا ثمنا، فحذف المضاف و ذكر الشهادة، لأن الشهادة قول كما قال «وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى ...» ثم قال «فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ» «۱» لما كانت القسمة يراد بها المقسوم، ألا ترى ان القسمة التى هى افراد الأنصباء لا يرزق منه. و انما يرزق من التركة، و تقديره لا نشترى به ثمنا أى ذا ثمن، ألا ترى أن الثمن لا يشترى، و انما الذى يشترى المبيع دون ثمنه، و كذلك قوله «اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا» «۲» أى ذا ثمن. و المعنى انهم آثروا الشيء القليل على الحق، فاعرضوا عنه و تركوه، و لا يكون (اشتروا) فى الآية بمعنى (باعوا) لأن بيع الشيء إخراج و إنفاذ له من البائع، و ليس المعنى- هاهنا- على الإنفاذ و انما هو على التمسك به، و الإيثار له على الحق.

و قوله «وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى» تقديره و لو كان المشهود له ذا قربى، و خصَّ ذو القربى لميل الناس الى قراباتهم، و من يناسبونه.

و قوله «وَ لا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ» معناه انَّا ان كتمناها لمن الآثمين. و قال (شهادة اللّه) فأضاف الشهادة الى اللّه لأمره بها و بإقامتها و النهى عن كتمانها فى قوله «وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» «۳» و قوله «وَ أَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ» «۴».

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۰۷] ..... ص : ۴۶

فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما وَ مَا اعْتَدَيْنا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۱۰۷)

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۷

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۱۰ [.....]

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۲۸۳

(۴) سورة ۶۵ الطلاق آية ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷

آية بلا خلاف.

قرأ حفص و الأعشى الا النفار و الكسائى عن أبى بكر «استحق» بفتح التاء و الحاء. الباقون- بضم التاء و كسر الحاء- و الابتداء على الاول بكسر الهمزة. و قرأ حمزة و أبو بكر إلا الأعشى- فى غير رواية النفار- و يعقوب، و خلف (الاوَّلين) بتشديد الواو، و كسر اللام و فتح النون على الجمع. و الباقون بسكون الواو، و فتح اللام و كسر النون على التثنية.

و قد ذكرنا سبب نزول الآية عمن رويناه عنه

فذكروا أنها نزلت فى أمر رسول اللَّه (ص) ان يستحلفوهما (و اللَّه ما قبضنا له غير هذا و لا كتمناه) ثم ظهر على إناء من فضة منقوش مذهب معهما، فقالوا: هذا من متاعه، فقالا: اشتريناه منه، فارتفعوا الى رسول اللَّه فنزلت قوله تعالى: «فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ ..» فأمر رسول اللَّه رجلين من أهل البيت أن يحلفا على ما كتما و غيبا، فحلف عبد اللَّه ابن عمر «۱» و المطلب بن أبى وداعة «۲» فاستحقا. ثم ان تميما اسلم و تابع رسول اللَّه (ص) و كان يقول: صدق اللَّه، و بلغ رسول اللَّه، أنا أخذت الإناء.

و معنى (عثر) ظهر على، تقول: عثرت على خيانته و أعثرت غيرى على خيانته أى أطلعته. و منه قوله «وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ» «۳» أى أطلعنا عليهم و أصله الوقوع بالشيء من قولهم: عثر الرجل يعثر عثوراً إذا وقع إصبعه

---

(۱) و قد روى فقام عمر بن العاص و رجل آخر فحلفا ...

(۲) فى بعض النسخ (ابن أبى رفاعة) بدل (ابن أبى وداعة).

(۳) سورة ۱۸ الكهف آية ۲۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸

بشيء صدمته، و عثر الفرس عثاراً قال الشاعر:

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا «۴»

و أعثر الرجل يعثر عثراً إذا أطلع على أمر كان خافياً عنه، لأنه وقع عليه بعد خفائه، و العثير الغبار الساطع، لأنه يقع على الوجه و غيره، و العثير الأثر الخفى، لأنه يوقع عليه من خفاء.

و قوله: «عَلى أَنَّهُمَا» يعنى على أن الوصيين المذكورين أولا- فى قوله «اثنان» فى قول سعيد بن جبير. و قال ابن عباس: على أن الشاهدين استحقا اثما يعنى خانا و ظهر و علم منهما ذلك «فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما» يعنى من الورثة- فى قول سعيد بن جبير و غيره- و «من الذين استحق عليهم الاوليان» قيل فى قوله «الاوليان» ثلاثة أقوال:

أحدها- قال سعيد بن جبير و ابن زيد: الاوليان بالميت. الثانى قال ابن عباس و شريح: الاوليان بالشهادة و هى شهادة الايمان. الثالث قال الزجاج: الاوليان أن يحلفا غيرهما و هما النصرانيان. و يقال هو الاولى بفلان ثم يحذف فلان فيقال: هو الاولى، و هذان الاوليان كما يقال هو الأكبر بمعنى الكبير و هذان الاكبران. و فى رفع الاوليان ثلاثة أقوال:

أحدها- بانه اسم ما لم يسم فاعله و المعنى استحق عليهم اثم الأولين أى استحق منهم، فحذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه.

الثانى- بانه بدل من الضمير «فى يقومان» على معنى فليقم الاوليان من الذين استحق عليه الوصية و هو اختيار الزجاج.

الثالث- بدل من قوله «آخران». و زعم بعض الكوفيين انه لا يجوز إبداله من «آخرين» لتأخر العطف فى (فيقسمان)، لأنه يصير بمنزلة

---

(۴) قائله الأعشى ديوانه: ۸۳. (اللوث). القوة. و عفرناة- بفتح العين و الفاء- يصف بها الناس بأنها شبه المجنونة فى السير. و (التعس) العثور. و (لعا) كلمة تقال للعاثر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹

(مررت برجل قام زيد و قعد) قال الرمانى: يجوز على العطف بالفاء جملة على جملة. و قال أبو على الفارسى: و يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء و قد أخر. و تقديره فالاوليان بأمر الميت آخران من أهله أو من أهل دينه يقومان مقام الخائنين اللذين عثر عليهما كقولك: تميمى أنا. و يجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، و تقديره فآخران يقومان مقامهما هما الاوليان. و اختار أبو الحسن الأخفش أن يكون الاوليان صفة لقوله «فآخران» لأنه لما وصف اختص. فوصف لأجل الاختصاص بما توصف به المعارف. و اما الجمع فعلى اتباع «الذين» و موضعه الجر و تقديره من الأولين الذين استحق عليهم الإيصاء و الإثم. و انما قيل لهم الأولين من حيث كانوا أولين فى الذكر ألا ترى أنه تقدم «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ» و كذلك «اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ» ذكرا فى اللفظ، قيل قوله «أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» و حجتهم فى ذلك أن قالوا: أ رأيت ان كان الاوليان صغيرين أراد انهما إذا كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين فى الشهادة و لم يكونا لصغرهما اولى بالميت، و ان كانا لو كانا كبيرين كانا أولى به.

و انما قال «اسْتَحَقَّا إِثْماً» لان آخذه انما يأخذه آثم فسمى (اثماً) كما يسمى ما يؤخذ منك بغير حق مظلمة. قال سيبويه: المظلمة اسم ما أخذ منك قهراً، و كذلك سمى هذا المأخوذ باسم المصدر. و قيل: معناه استحقا عذاب إثم و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه كما قال «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَ إِثْمِكَ» «۱» أى بعقاب اثمى و عقاب اثمك. و قيل فى معنى (عليهم) ثلاثة أقوال:

أحدها- ان تكون (على) بمعنى (من) كأنه. قال من الذين استحق منهم الإثم كما قال «إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ» «۲» أى من الناس.

الثانى- ان يكون المعنى كما تقول: استحق على زيد مال بالشهادة أى

---

(۱) سورة ۵ المائدة آية ۳۲

(۲) سورة ۸۳ المطففين آية ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۰

لزمه و وجب عليه الخروج منه، لان الشاهدين لما عثر على خيانتهما استحق عليهما ما ولياه من أمر الشهادة و القيام بها و وجب عليهما الخروج منها و ترك الولاية لها فصار إخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه.

الثالث- أن تكون (على) بمنزلة (فى) كأنه استحق فيهم، و قام (على) مقام (فى) كما قام (فى) مقام (على) فى قوله «وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» «۳» و المعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الآخرين اللذين هما من غيرنا.

فان قيل: هل يجوز أن يسند (استحق فيه) الى الاوليان؟

قلنا لا يجوز ذلك لأن المستحق انما يكون الوصية أو شيء منها، و لا يجوز أن يستحق الاوليان و هما الاوليان بالميت، و الاوليان

بالميت لا يجوز أن يستحقا فيسند (استحق) اليهما.

و قوله «فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ» أى يحلفان بالله. و قوله «لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما» جواب القسم فى قوله «فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ» و قوله «وَ مَا اعْتَدَيْنا» يعنى فيما قلنا من أن شهادتنا أحق من شهادتهما «إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ» تقديره إنا ان اعتدينا لمن الظالمين لنفوسنا.

قال الزجاج: هذه الآية أصعب آية فى القرآن اعراباً.

فان قيل: كيف يجوز أن يقف أولياء الميت على كذب الشاهدين أو خيانتهما حتى حل لهما أن يحلفا؟

قيل: يجوز ذلك بوجوه: أحدها- أن يسمعا اقرارهما بالخيانة من حيث لا يعلمان أو يشهد عندهم شهود عدول بأنهم سمعوهما يقرَّ ان بأنهما كذبا أو خانا، أو تقوم البينة عندهما على أنه أوصى بغير ذلك أو على أن هذين لم يحضرا الوصية أو يعرفان بغير ذلك من الأسباب.

---

(۳) سورة ۲۰ طه آية ۷۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۰۸] ..... ص : ۵۱

ذلِكَ أَدْنى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهادَةِ عَلى وَجْهِها أَوْ يَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمانٌ بَعْدَ أَيْمانِهِمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (۱۰۸)

آية بلا خلاف.

قوله «ذلِكَ أَدْنى معناه ذلك الاحلاف و الأقسام او ذلك الحكم أقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها أى حقها و صدقها، لان اليمين يردع عن أمور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين.

و اختلفوا فى ان اليمين هل تجب على كل شاهدين أم لا؟

فقال ابن عباس: انما هى على الكافر خاصة و هو الصحيح.

و قال غيره: هى على كل شاهدين وصيين إذا ارتيب بهما.

و اختلفوا فى نسخ حكم الآيتين المتقدمتين مع هذه على قولين:

فقال ابن عباس و ابراهيم و أبو على الجبائى: هى منسوخة الحكم.

و قال الحسن و غيره: هى غير منسوخة. و هو الذى يقتضيه مذهبنا و اخبارنا. و قال البلخى: أكثر أهل العلم على أنه غير منسوخ، لأنه لم ينسخ من سورة المائدة شىء، لأنها آخر ما نزلت. و وجه قول من قال: هى منسوخة أن اليمين لا يجب اليوم على الشاهدين بالحقوق. و انما كان قبل الامر باشهاد العدول فى قوله «وَ أَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ» «۱» فنسخت هذه الآية و دلت على أن شهادة الذمى لا تقبل إلا على الذمى إذا ارتفعا الى حكام المسلمين لان الذمى ليس بعدل و لا ممن يرضى من الشهداء، و هو قول أبى على الجبائى. و من ذهب الى انها منسوخة جعلها بمعنى شهادة الايمان على الوصيين فإذا ظهروا على خيانة منهما مما وجد فى أيديهما صارا مدعيين و صار

---

(۱) سورة ۶۵ الطلاق آية ۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲

الورثة فى معنى المنكر فوجبت عليهما اليمين من حيث صارا مدعيين.

و قوله «أَوْ یَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَیْمانٌ بَعْدَ أَیْمانِهِمْ» یعنی أهل الذمة یخافوا أن ترد أیمان علی أولیاء المیت فیحلفوا علی خیانتهم فیفتضحوا و یغرموا و ینکشف بـذلک للنـاس بطلان شـهادتهم و یسترد منهم ما أخـذوه بغیر حق، حینئـذ یؤدوا الشـهادة علی وجهها و یحـذروا من الکذب.

و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا» یعنی اجتنبوا معاصیه و احـذروا ان تحلفوا ایمانـا کاذبـة أو تخونوا أمانـة و اسـمعوا مواعظ اللَّه «وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِینَ» یعنی لا یهـدی الفاسـقین- الـذین خرجوا من طاعـة اللَّه الی معصـیته- الی الجنـة. و قیل ان معنی «لا یَهْدِی» لا یحکم للفاسقین بأنهم مهتدین و لا یجری علیهم مثل هذه الصفة لأنها صفة مدح.

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۱۰۹] ..... ص : ۵۲

یَوْمَ یَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَیَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا إِنَّکَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُیُوبِ (۱۰۹)

آیة واحدة.

فی ما ینتصب به قوله «یوم»؟ قیل فیه ثلاثة أقوال:

أحدها- انه انتصب بمحذوف تقدیره احذروا «یَوْمَ یَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ» الثانی- اذکروا یوم یجمع اللَّه.

الثالث- قال الزجاج: ینتصب بقوله «اتَّقُوا اللَّهَ». و قال المغربی:

یتعلـق بقوله «لاـ یَهْـدِی الْقَوْمَ الْفاسِـقِینَ» الی الجنـة «یَوْمَ یَجْمَعُ اللَّهُ» و لاـ یجوز أن ینتصب علی الظرف بهـذا الفعـل، لأـنهم لم یؤمروا بالتقوی فی ذلک الیوم، لکن انتصب علی انه مفعول به. و الیوم لا یتقی و لا یحذر، و انما یتقی ما یکون فیه من العقاب و المحاسبة و المناقشة کأنه قال اتقوا عقاب یوم، و حذف المضاف و اقام المضاف الیه مقامه. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۳

و قوله «ما ذا أُجِبْتُمْ» تقریر للرسل فی صورة الاسـتفهام علی وجه التوبیخ للمنافقین عند اظهار فضـیحتهم و هتک أسـتارهم علی رؤوس الاشهاد.

و قول الرسل «لا عِلْمَ لَنا» قیل فیه ثلاثة أقوال:

أولها- قال الحسن و السـدی و مجاهد أنهم قالوا ذلک لذهولهم من هول ذلک المقام. فان قیل کیف یجوز ذهولهم مع انهم آمنون لا یخافون؟

کمـا قـال «لا یَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَکْبَرُ» «۱» و قـال «لاـ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاـ هُمْ یَحْزَنُونَ» «۲» قیـل ان الفزع الأـکبر دخـول جهنم. و قوله «وَ لا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ» هو کقولک للمریض لا خوف علیک، و لا بأس علیک، مما یدل علی النجاة من تلک الحال، و خالف أبو علی فی هذا و لم یجز الا ما نحکیه عنه.

الثانی- قال ابن عباس، و مجاهد- فی روایة أخری- ان معناه لا علم لنا إلا ما علمتنا فحذف لدلالة الکلام علیه.

الثـالث- قـال الحسن فی روایـة أخری و ابو علی الجبـائی: ان معنـاه لاـ علم لنـا ببـاطن مـا أجاب به أممنا لان ذلک هو الـذی یقع علیه الجزاء.

و قال بعضـهم معناه لا علم لنا مع علمک أی لیس عنـدنا شـیء مما نعلمه الا و انت عالم به و بکل ما غاب و حضر بدلالة قوله «إِنَّکَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُیُوبِ» و قیل فی معنی قوله «إِنَّکَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُیُوبِ» انه قال علام للبالغة ها هنا لا للتکثیر المعلوم.

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۱۱۰] ..... ص : ۵۳

إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَ عَلی والِدَتِکَ إِذْ أَیَّدْتُکَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ وَ کَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی وَ تُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ

بِإِذْنِی وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی بِإِذْنِی وَ إِذْ کَفَفْتُ بَنِی إِسْرائِیلَ عَنْکَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِینٌ (۱۱۰)

---

(۱) سورة ۲۱ الأنبیاء آیة ۱۰۳

(۲) سورة ۳ آل عمران آیة ۷۰

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۴

آیة بلا خلاف.

قرأ حمزة و الکسائی و خلف «ساحر» بألف هاهنا و فی أول سورة یونس، و فی هود، و فی الصف. وافقهم ابن عامر و عاصم فی یونس.

وجه اتصال هذه الآیة بما قبلها أنه من صفة یوم القیامة کما ان ما قبله من صفتها و من خطاب الرسل بالمسألة و التذکیر بالنعمة لتوبیخ من یستحق التوبیخ من أممهم و تبشیر من یستحق البشارة منهم.

العامل فی (إذ) یحتمل أحد أمرین: أحدهما- الابتداء عطفاً علی قوله «یَوْمَ یَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَیَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ» قال و ذلک «إذ قال» فیکون موضعه رفعاً کما یقول القائل کأنک بنا قد وردنا بلد کذا فصنعنا فیه و فعلنا إذ صاح بک صائح فأجبته و ترکتنی.

الثانی- اذکر إذ قال اللَّه. و قال بعضهم ان معناه ما ذا أجبتم علی عهد عیسی. قال الرمانی: هذا غلط، لأنه من صفة (یوم القیامة) و عندی لا یمتنع أن یکون المراد بذلک اخبار النبی (ص) إذ قال اللَّه لعیسی بن مریم اذکر، أی أخبر قومک ما أنعمت به علیک و علی أمک، و اشکر ذلک إذ أیدتک بروح القدس. و روح القدس هو جبرائیل و حسن قوله «إذ قال» و لم یقل (یقول) لأنه عطف علی ما قبله لأنه قدم ذکر الوقت. و تأیید اللَّه هو ما قواه به و أعانه علی أمور دینه، و علی رفع ظلم الیهود و الکافرین عنه. و وزن «أیدتک» فعلتک من الأید علی وزن قربتک. و قال الزجاج: یجوز أن یکون فاعلتک من الأید. و قرأ مجاهد: أیدتک علی وزن أفعلتک من الأید. و روح القدس التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۵

جبرائیل قال الحسن و القدس هو اللَّه.

و قوله «تُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ» أی انک تکلم الناس فی حال ما کنت صبیاً فی المهد- و المهد حجر أمه، فی قول الحسن- و فی حال ما کنت کهلا.

قال أبو علی فکان کلم الناس فی هذین الوقتین بتبلیغه إیاهم ما أرسله اللَّه به الی عباده، و ما یدعوهم الیه من طاعة اللَّه و تصدیق رسله، لأنه کان بین لهم عند کلامه فی المهد «إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ ما دُمْتُ حَیًّا وَ بَرًّا بِوالِدَتِی وَ لَمْ یَجْعَلْنِی جَبَّاراً شَقِیًّا» «۱» فبین لهم فی هذا و فی وقت ما صار کهلا ان اللَّه بعثه نبیا و لم یتکلم أحد من الأنبیاء فی المهد سواه و لم یبعث أحد عند ما ولد غیره، فذکره هذه النعمة التی خصه بها لیشکره علی ذلک.

و نصب قوله «کهلا» یحتمل أمرین:

أحدهما- علی ان یکون عطفا علی موضع تکلم أی أیدتک صغیراً و کهلا.

الثانی- أن یکون عطفاً علی موضع فی المهد، أی و تکلمهم کهلا بالرسالة.

و قوله «وَ إِذْ عَلَّمْتُکَ الْکِتابَ» یعنی و اذکر «إذ». و قیل فی معنی (الکتاب) قولان:

أحدهما- انه أراد الخط الکتابة.

الثانی- الکتب فیکون علی طریق الجنس ثم فصله بذکر التوراة و الإنجیل.

و قوله «و الحکمة» یعنی العلم بما فی تلک الکتب.

و قوله «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ» أی و اذکر ذلک أیضا کل ذلک تـذکیر له بنعمه علیه و الخلق هو الفعل المقدر علی مقدار یعرفه الفاعـل، فعلی هـذا جمیع أفعـاله تعـالی توصف بأنهـا مخلوقـة، لأـنه لیس فیهـا شـیء علی وجه السـهو و الغفلـة، و لاـ علی سبیل المجازفة. و معنی ذلک أنه خلق من الطین کهیئة الطیر أی تصور الطین بصورة الطیر الذی ترید. و سماه خلقاً لأنه

---

(۱) سورة ۱۹ مریم آیة ۳۰- ۳۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۶

کان یقدره.

و قوله «باذنی» أی تفعل ذلک باذنی و أمری.

و قوله «فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی» معناه انه نفـخ فیها الروح، لأن الروح جسم و یجوز أن ینفخها المسـیح بأمر اللَّه. و الطیر یؤنث و یـذکر فمن أنت أراد الجمع و من ذکر فعلی اللفـظ. و الطیر واحـده طـائر مثـل ضائن و ضأن و راکب و رکب. و قـد قالوا (أطیار) مثل صاحب و أصحاب و شاهد و أشهاد، و یمکن أن یکون (أطیار) جمع طیر مثل ثبت و اثبات و بیت و أبیات.

قال أبو علی و قد ینفخها فی الجسم علی ما أخبر اللَّه به جبرائیل، و علی ما

روی عن النبی (ص) أنه یبعث الیه ملکا عند تمام مائة و عشرین یوما فینفخ فیه الروح و یکتب أجله و رزقه و شقی هو أم سعید.

و بین بقوله «فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی» أنه إذا نفـخ المسـیح (ع) فیها الروح قلبها اللَّه لحماً و دماً، و خلق فیها الحیاة فصارت طائراً بإذن اللَّه و إرادته لا بفعل المسیح (ع) فلذلک قال «فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی».

و قوله «وَ تُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِی» معناه إنک تـدعونی حتی أبرئ الأکمه، و هو الـذی خلق أعمی. و قال الخلیل: یکون الـذی عمی بعد ان کان بصیراً و الأصل الاول. و الأبرص معروف و نسب ذلک الی المسیح لما کان بدعائه و سؤاله.

و قوله «وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی بِإِذْنِی» أی اذکر إذ تدعونی فأحیی الموتی عند دعائک و أخرجهم من القبور حتی یشادهم الناس أحیاء. و انما نسبه الی عیسی لما بینا من أنه کان بدعائه.

و قوله «وَ إِذْ کَفَفْتُ بَنِی إِسْرائِیلَ عَنْکَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَیِّناتِ» أی اذکر إذ کففت هؤلاء عن قتلک و إذ أیـدتک حین جئتهم بالبینات مع کفرهم و عتوهم مع قولهم ان مـا جئت به من الآیات سـحر مبین. و یجوز أن یکون کفهم بألطافه التی لا یقـدر علیها غیره، و یجوز أن یکون کفهم بالمنع و القهر کما منع من أراد التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۷

قتل نبینا (ص) و قیل لأنه ألقی شبهه علی غیره حتی قتلوه و نجا.

و من قرأ (ساحر) أراد أن عیسـی ساحر مبین أی ظاهر بین. و السـحر هو الباطل المموه بالحق. و قوله فی أول الآیة «اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَ عَلی والِدَتِکَ» أی اخبر بها قومک الـذین کـذبوا علیک لیکون حجة علیهم، لأنهم ادعوا علیه أنه إله و أنه لم یکن عبداً منعما علیه، ثم عـدد النعم نعمـة نعمـة علی ما بینا. و قال الطبری: انما عدد اللَّه تعالی هذه النعم علی عیسـی (ع) حین رفعه الیه فلذلک قال «إِذْ قالَ اللَّهُ».

قوله تعالی:[سورة المائدة (۵): آیة ۱۱۱] ..... ص : ۵۷

وَ إِذْ أَوْحَیْتُ إِلَی الْحَوارِیِّینَ أَنْ آمِنُوا بِی وَ بِرَسُولِی قالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ (۱۱۱)

آیة.

التقدیر و اذکر إذ أوحیت الی الحواریین. و فی معنی «أَوْحَیْتُ» قولان:

أحدهما- أن معناه ألهمتهم کما قال «وَ أَوْحی رَبُّکَ إِلَی النَّحْلِ» «۱» أی ألهمها.

و قيل أمرتهم.

الثانی- ألقيت اليهم بالآيات التی أريتهم إياها كما قال الشاعر:

الحمد للَّه الذی استقلت باذنه السماء و اطمأنت

أوحی لها القرار فاستقرت «۲»

أی القی اليها و يروی وحی لها. و الفرق بين أوحی و وحی من وجهين:

أحدهما- أن أوحی بمعنی جعلها علی صفة كقولك جعلها مستقرة، و وحی جعل فيها معنی الصفة، لأن أفعل أصله التعدية. و قال قوم: هما لغتان.

و قال البلخی معنی «أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ» أی أوحيت اليك أن تبلغهم أو الی رسول متقدم. و قوله (أوحيت اليهم) يعنی أوحيت الی الرسول الذی جاءهم. و فی معنی الآية قولان:

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آية ۶۸ [.....]

(۲) انظر ۲/ ۵۹

أحدهما- قال أبو علی اذكر نعمتی عليك إذ أوحيت الی الحواريين الذين هم أنصارك.

الثانی- اذكر نعمتی علی الحواريين لما فی ذلك من العلم بنعم اللَّه خاصة و عامة. و انما حسن الحذف فی التذكير بالنعمة للشهرة و عظم المنزلة باجلال النعمة و لذلك يحسن الحذف فی الافتخار كقول الأعشی:

إن محلا و ان مرتحلا و إن فی السفر إذ مضوا مهلا «۳»

أی لنا محلا. و (الحواريون) قال الحسن هم أنصار عيسی. و قيل:

هم وزراؤه علی أمره. و قيل: هم خاصة الرجل و خلصائه. و منه

قول النبی صلی اللَّه عليه و آله للزبير أنه حواری

، و معناه خالصتی من الناس، و الرفيق الحواری، لأنه أخلص اليه من كل ما يشوبه، و أصله الخلوص، و منه حار يحور أی رجع الی حال الخلوص، ثم كثر حتی قيل صار لكل راجع و قيل:

انهم كانوا قصارين.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۱۲] ..... ص : ۵۸

إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۱۲)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائی و الأعشی إلا النفار «هل تستطيع» بالتاء «ربك» بنصب الباء. الباقون بالياء و ضم الباء. و أدغم الكسائی اللام فی التاء.

قيل فی العامل فی (إذ) قولان: أحدهما- أوحيت. الثانی- اذكر إذ قال الحواريون. و كلاهما يحتمل.

و قيل فی معنی قوله «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ» ثلاثة أقوال:

---

(۳) ديوانه القصيدة: ۳۵ صفحة ۱۵۵.

أحدها- هل يقدر و كان هذا فى ابتداء أمرهم قبل أن تستحكم معرفتهم باللَّه تعالى، و ما يجوز عليه و ما لا يجوز من الصفات، و لذلک أنکر عليهم نبيهم، فقال «اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»، لأنه لم يستکمل ايمانهم فى ذلک الوقت.

الثانى- هل يفعل ذلک قاله الحسن، کما يقول القائل: هل تستطيع أن تنهض أى هل تفعل، لأن المانع من جهة الحکمة أو الشهوة قد يجعل بمنزلة المنافى للاستطاعة.

الثالث- هل يستجيب لک ربک. قال السدى هل يطيعک ربک ان سألته، فهذا على معنى استطاع و أطاع کقولهم استجاب بمعنى أجاب، و انما حکى سيبويه استطاع بمعنى أطاع على زيادة السين. و معنى قراءة الکسائى «هل تستطيع» ان تستدعى اجابة ربک. و أصله هل تستدعى طاعته فيما قبله من هذا- هذا قول الزجاج و فيه وجه آخر و هو هل تقدر أن تسأل ربک.

و الفرق بين الاستطاعة و القدرة أن الاستطاعة انطياع الجوارح للفعل و القدرة هى ما أوجبت کون القادر قادراً و لذلک يوصف تعالى بأنه قادر، و لا يوصف بانه مستطيع. و المائدة الخوان لأنها تميد بما عليها أى تحرکه.

قال أبو عبيدة: هى (مفعولة) فى المعنى و لفظها (فاعلة) کقوله «عِيشَةٍ راضِيَةٍ» «۱» أى مرضية و اصل المائدة الحرکة من قولهم ماد يميد ميداً إذا تحرک، عن الزجاج. و منه المائد المدار به فى البحر ماد يميد ميداً. و مادة إذا أعطاه و منه قول رؤبة:

نهدى رؤوس المترفين الأنداد الى أمير المؤمنين الممتاد «۲»

أى المستعطى و مادهم يميدهم ميداً إذا أطعمهم على المائدة ثم کثر حتى

---

(۱) سورة ۶۹ الحاقة آية ۲۱ و سورة ۱۰۱ القارعة آية ۷

(۲) ديوانه: ۴۰ و مجاز القرآن ۱: ۱۸۳، و اللسان (ميد).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۶۰

قيل لکم مطعم. و قوله «قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه اتقوا معاصيه و کثرة سؤال الآيات، لأنکم ان کنتم مؤمنين باللَّه و بصحة نبوة عيسى، فقد أغناکم ما عرفتموه عن الآيات و اتقوا سؤال نزول المائدة، فإنکم لا تعلمون ما يفعل اللَّه بکم عند هذا السؤال.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۱۳] ..... ص : ۶۰

قالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْکُلَ مِنْها وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا وَ نَکُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ (۱۱۳)

آية.

قيل فى معنى (الارادة) هاهنا قولان:

أحدهما- ان يکون بمعنى المحبة التى هى ميل الطباع.

الثانى- ان تکون الارادة التى هى من أفعال القلوب، و يکون التقدير فيه نريد بسؤالنا هذا، کأنهم قالوا: نريد السؤال من أجل هذا الذى ذکرنا، و هذه الارادة و ان تقدمت المراد بأوقات لا توصف بأنها عزم، لأنها متعلقة بفعل الغير و قوله «تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا» يجوز أن يکونوا قالوه و هم مستبصرون فى دينهم مؤمنون کما قال ابراهيم (ع) «أَرِنِي کَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لکِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» «۱» تحقيقه لنزداد طمأنانية الى ما نحن عليه من المعرفة، و ان کانت المعرفة لا تکون إلا مع الثقة التامة، فان الدلائل کلما کثرت مکنت فى النفس المعرفة.

و قوله «وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا وَ نَکُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ» يعنى الشاهدين للَّه بتوحيده بالدليل الذى نراه فى المائدة و الشهادة لک بالنبوة من جهة ذلک الدليل. و الصدق هو الاخبار بالشيء على ما هو به و الکذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به.

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۶۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۶۱

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۱۴] ..... ص : ۶۱

قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا وَ آيَةً مِنْكَ وَ ارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (۱۱۴)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى عن عيسى (ع) أنه سأل ربه أن ينزل عليه مائدة من السماء تكون عيداً لهم لأولهم و آخرهم على ما يقترحه قومه. و رفع (تكون) لأنه صفة للمائدة كما قال «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي» «۲» فى قراءة من رفعه لأنه جعله صفة. و فيه محذوف، لأن تقديره عيداً لنا و لأولنا و آخرنا لتصح الفائدة فى تكرير اللام فى أولنا و آخرنا، و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- نتخذ اليوم الذى تنزل فيه عيداً نعظمه نحن و من يأتى بعدنا- فى قول السدى و قتادة و ابن جريج- و هو قول أبى على.

الثانى- يكون ذلك عائدة فضل من اللَّه و نعمة منه تعالى. و الاول هو وجه الكلام. و قيل: إنها نزلت يوم الأحد. و قوله «و آية منك» فالآية هى الدلالة العظيمة الشأن فى إزعاج قلوب العباد الى الإقرار بمدلولها، و الاعتراف بالحق الذى يشهد به ظاهرها، فهى دلالة على توحيدك و صحة نبوة نبيك. و قيل فى طعام المائدة ثلاثة أقوال:

أولها- قال ابن عباس و أبو عبد الرحمن:

هو خبز و سمك، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد اللَّه (ع)

قال عطية كانوا يجدون فى السمك طيب كل طعام.

---

(۲) سورة ۱۹ مريم آية ۴- ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۶۲

الثانى- قال عمار بن ياسر: كان ثمراً من ثمار الجنة.

الثالث- قال زادان و ابو ميسرة: كان عليها من كل طعام إلا اللحم.

و قوله: «وَ ارْزُقْنا» قيل فى معناه- هاهنا- قولان:

أحدهما- و اجعل ذلك رزقاً لنا.

الثانى- و ارزقنا الشكر عليها- ذكرهما الجبائى- و انما يكون الشكر رزقاً منه لنا لأنه لطف فيه و وفق له و إعانة عليه كما يكون المال رزقا لنا إذا ملكنا إياه لا بخلقه له.

و فى الآية دلالة على أن العباد يرزق بعضهم بعضا بدلالة قوله «وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» لأنه لو لم يصح ذلك لم يجز (خير الرازقين) كما أنه لما لم يجز أن يكونوا آلهة لم يصح أن يقول أنت خير الآلهة، و صح «أرحم الراحمين» «۲» و «أحكم الحاكمين» «۳» و «أسرع الحاسبين» «۴».

و «أحسن الخالقين» «۵».

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۱۵] ..... ص : ۶۲

قالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ (۱۱۵)

آية بلا خلاف.

قرأ «منزلها» بالتشديد أهل المدينة و ابن عامر، و عاصم. الباقون بالتخفيف.

---

(۲) سورة ۷ الاعراف آية ۱۵۰ و سورة ۲۱ الأنبياء آية ۸۳ و سورة ۱۲ يوسف آية ۶۴ و ۹۲.

(۳) سورة ۱۱ هود آية ۴۵ و سورة ۹۵ التين آية ۸.

(۴) سورة ۶ الانعام آية ۶۲.

(۵) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۱۴ و سورة ۳۷ الصافات آية ۱۲۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۶۳

من خفف طابق بينه و بين قوله «أنزل علينا» و من ثقل، فلأن نزل و أنزل بمعنى قال تعالى «تَبارَكَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ» «۱». و قال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْکِتابَ» «۲» لما سئل اللَّه عيسى (ع) أن ينزل عليه المائدة تكون عيداً لأولهم و آخرهم، قال تعالى مجيبا له الى ما التمسه «إِنِّی مُنَزِّلُها عَلَیْکُمْ» يعنى المائدة «فَمَنْ یَکْفُرْ بَعْدُ مِنْکُمْ» يعنى بعد إنزالها عليكم «فَإِنِّی أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ» و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال قتادة:

مسخوا قردة و خنازير، و هو المروى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام

و لم يمسخ أحد خنازير سواهم.

الثانى- أنه أراد به من عالمى زمانهم.

الثالث- أنه أراد به جنسا من العذاب لا يعذب به أحداً غيرهم. و انما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة «۳» لأنهم كفروا بعد ما رأوا الآية التى هى من أزجر الآيات عن الكفر لم يرها غيرهم بعد سؤالهم لها و تعلق سببهم بها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بضرب من العذاب عظيم الموقع.

كما اختصت آيتهم بضرب من الزجر فى عظيم الموقع. و قال الحسن و مجاهد:

ان المائدة لم تنزل عليهم، لأنهم استعفوا من نزولها لما سمعوا الوعيد المقرون بها. و قال قوم: هذا غلط من قائله، لأنه تعالى وعد بانزالها و لا خلاف لقوله و أكثر أهل العلم على أنها أنزلت: منهم ابن عمر، و عمار بن ياسر و أبو عبد الرحمن السلمى، و قتادة و السدى، و هو ظاهر القرآن. و أيضا فلا يجوز أن يسأل نبى على رؤوس الملأ آية لإيجاب اليها، لان ذلك ينفر عنه. و قال

---

(۱) سورة ۲۵ الفرقان آية ۱

(۲) سورة ۱۸ الكهف آية ۱

(۳) يقصد بعد نزول المائدة على بنى إسرائيل (الطعام) لا نزول سورة المائدة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۶۴

الحسن: انما كان الوعد من اللَّه بانزال المائدة بشرط أن يكون بتقدير انى منزلها عليكم ان تقبلتم الوعيد فيها «فَمَنْ یَکْفُرْ بَعْدُ مِنْکُمْ ...» الآية، و هذا الشرط الذى ذكره لا دليل عليه. و المطلق لا يحمل على المقيد الا بقرينة و قال قوم: انها لو نزلت فكفروا لعذبوا و أنزل ذلك فى القرآن و لو لم يكفروا لكانت المائدة قائمة للمسلمين الى يوم القيامة. و هذا ليس بصحيح لأنه يجوز أن يكون عنى بالعذاب ما يفعله بالآخرة. و يجوز أن يكون عنى عذاب الدنيا و لم يذكره، لأنه ليس بواجب أن يكون كل من اختصه بضرب من العذاب لا بد أن يخبرنا عنه فى القرآن، لأنه يكون تجويز ذلك على منازل عظيمة فى الجملة أهول و أملأ للصدر من ذكره بالتصريح على تفصيل أمره.

و أما بقاؤها الى يوم القيامة فلا يلزم لأن وجه السؤال أن يكون يوم نزولها عيداً لهم و لمن بعدهم ممن كان على شريعتهم.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۱۶] ..... ص : ۶۴

وَ إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (۱۱۶)

آية بلا خلاف.

قوله «وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ» أى اذكر و يحتمل ثلاثة أوجه:

أولها- أن يكون معطوفاً على ما قبله، كأنه قال «يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ» ثم قال: و ذلك إذ يقول يا عيسى اذكر نعمتى و إذ يقول له أ أنت قلت للناس. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۶۵

الثانى- قال البلخى: يمكن أن يكون لما رفع اللَّه عيسى اليه قال له ذلك، فيكون المقال ماضيا.

و الثالث- ذكره أيضا البلخى أن (إذ) استعملت بمعنى (إذا) فيصح حينئذ أن يكون القول من اللَّه يوم القيامة، و مثله «وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ» «۱»

كأنه قال إذ يفزعون، و قال «وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ» «۲» كأنه قال إذا وقفوا لان هذا لم يقع بعد، و قال أبو النجم:

ثم جزاه اللَّه عنا إذ جزا جنات عدن فى العلالىِّ العلا «۳»

و المعنى إذا جزى، و قال الأسود (أعشى بنى نهشل)

فالآن إذ هازلتهن قائما يقلن ألا لم يذهب المرء مذهبا «۴»

و قال أوس:

الحافظ الناس فى تحوط إذا لم يرسلوا تحت مائذ ربعا

وهبت الشامل البليل و إذ بات كميع الفتاة ملتفعا «۵»

يقال (إذا) و (إذ) بمعنى واحد، و قال بعض أهل اليمن:

و ندمان يزيد الكأس طيبا سقيت إذا تغورت النجوم «۶»

فقال (إذا) و المعنى (إذ) لأنه انما يخبر عما مضى. و قال أبو عبيدة (إذ) صلة. و المعنى قال اللَّه: يا عيسى. و قد بينا فساد هذا القول فيما مضى فأما لفظ (قال) فى معنى يقول فمستعمل كثيراً و ان كان مجازاً، قال اللَّه تعالى

---

(۱) سورة ۳۴ سبأ آية ۵۱ [.....]

(۲) سورة ۳۴ سبأ آية ۳۱

(۳) اللسان (إذ)، (طها). و الاضداد لابن الانبارى: ۱۰۲ و تفسير القرطبى ۶: ۳۷۵ و تفسير الطبرى ۱۱: ۲۳۵.

(۴) ديوان الاعشيين/ ۲۹۳ و الاضداد لابن الانبارى ۱۰۱.

(۵) اللسان (إذ).

(۶) اللسان (ندم). قائله البرج بن مسهر اليمنى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۶۶

«وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» «۱» و المراد ينادى. و قد استعمل المستقبل بمعنى الماضى، قال زياد الأعجم فى المغيرة بن المهلب يرثيه بعد موته:

فإذا مررت بقبره فانحر به خوص الركاب و كل طرف سابح

و انضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم و ذبائح «۲»

فقال (يكون) و معناه (كان) لدلالة الكلام عليه، لأنه فى مرثية له بعد موته. و قوله «يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» يحتمل عيسى أن يكون منصوبا مثل ما تقول: يا زيد بن عبد اللَّه، و هو الأكثر فى كلام العرب. و انما يجوز ذلك إذا وقع الابن بين علمين، فأما إذا قلت يا زيد ابن الرجل لم يجز فى زيد إلا الضم. و يحتمل أن يكون عيسى فى موضع الضم و يكون نداء (ابن) كأنه قال يا عيسى يا ابن مريم.

و قوله «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» تقريع فى صورة الاستفهام و المراد بذلك تقريع و تهديد من ادعى ذلك، لأنه تعالى كان عالما بذلك هل كان أو لم يكن. و يحتمل وجهاً آخر- ذكره البلخى- ان اللَّه تعالى أراد أن يعلم عيسى أن قومه اعتقدوا فيه و فى أمه أنهما إلهان كما أن الواحد منا إذا أرسل رسولا الى قوم أن يفعلوا فعلا فأدى الرسالة و انصرف فخالفوا ذلك و علم المرسل و لم يعلم الرسول جاز أن يقول المرسل للرسول:

أ أنت أمرتهم بذلك؟ و غرضه أن يعلمه أنهم خالفوه. و انما قال (إلهين) تغليباً للذكر على الأنثى. و الغرض بالكلام أن النصارى يعتقدون فى المسيح أنه صادق لا يكذب و أنه الذى أمرهم بأن يتخذوه و أمه إلهين، فإذا كذبهم الصادق عندهم الذى ينسبون الامر به اليه كان ذلك آكد فى الحجة عليهم و أبلغ فى التوبيخ لهم و التوبيخ ضرب من العقوبة. و قيل فى قوله تعالى «الهين»

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۴۳

(۲) الاغانى ۱۵: ۳۰۸ و رواية البيت الاول:

فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان و كل طرف سابح

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۶۷

ثلاثة أوجه:

أحدها- أنهم لما عظموهما تعظيم الآلهة أطلق ذلك عليهما كما قال «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» «۱» و انما أراد تقريعهم على معصيتهم.

و الثانى- انهم جعلوه إلها و جعلوا مريم والدة له ميزوها من جميع البشر تمييزاً شابهت الالهية و أطلق ذلك، لأنه مستخرج من قصدهم. و ان لم يكن صريح ألفاظهم، على طريقة الإلزام لهم.

الثالث- انهم لما سمُّوه إلها و عظموها هى، و كانا مجتمعين سماهما إلهين على طريقة العرب كقولهم: القمران للشمس و القمر، و العمران لابى بكر و عمر قال الشاعر:

جزانى الزهدمان جزاء سوء و كنت المرء يجزى بالكرامة «۲»

يريد زهدماً و قيساً ابنى حزن القيسين، و هذا كثير، و ذكر لى بعض النصارى الذى قرأ كتب النصارى عن جاثليق لهم لم يكن فى زمانه مثله:

أنه سأله عن هذا فقال: كنت شاكا فى ذلك الى أن قرأت فى كتاب ذكره أن فيما مضى كان قوم يقال لهم المريمية كانوا يعتقدون فى مريم أنها آلهة، فعلى هذا القول أقرب. و ورد كما قلناه فى الحكاية عن اليهود أنهم قالوا: عزير ابن اللَّه. و قد ذكرناه فى سورة التوبة.

و قوله «سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» معناه أنزهك أن يكون معك آلهة و أن يكون للأشياء إليه غيرك، و اعترف بأنه لم يكن لى أن أقول هذا القول. و قوله «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ» أى لم أقله لانى لو كنت قلته لما خفى عليك إذ كنت علام الغيوب. و قوله «تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ» أى تعلم غيبى و لا أعلم غيبك، لان ما فى نفس عيسى و ما

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۳۳.

(۲) اللسان (زهدم) نسبة الى قيس بن زهير.

فى قلبه هو مـا يغيبه عن الخلق، و انما يعلمه اللَّه، و سـمى ما يختص اللَّه بعلمه بأنه فى نفسه على طريق الازدواج فى الكلام كما قال «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «۱» «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» «۲» «يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ»

«۳» «و جزاء سيئة سيئة مثلها» «۴» «وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا» «۵» و كل ذلك وجه ازدواج الكلام، و يقوى هـذا التأويل قوله «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» لأنه علل أنه انما يعلم ما فى نفس عيسى، لأنه علام الغيوب، و عيسى ليس كذلك، فلذلك لم يعلم ما يختص اللَّه بعلمه.

و النفس فى اللغـة على ضـروب: أحـدها- نفس الإنسـان التى بهـا حياته، يقولون خرجت نفسه أى روحه و فى نفسـى أن افعل أى فى روعى. و ثانيها أن نفس الشيء ذات الشيء يقولون: قتل فلان نفسه أى ذاته، و على هذا حمل قوله «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» «۶» أى ذاته و قيل عذابه. و النفس الهم بالشـيء كما يحكى أن سائلا سأل الحسن فقال: ان لى نفسين إحداهما تقول لى حج، و الآخر تزوج، فقال الحسن: النفس واحـدة و انمـا لـك همـان همٌّ- بكـذا و هم بكـذا و النفس الأنفـة كقولهم: ليس لفلاـن نفس أى لا أنفـة له، و النفس الارادة يقولون نفس فلان فى كذا أى ارادته قال الشاعر:

فنفساى نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غمى تهابها

و نفس تقول أجهد نجاءك و لا تكن كخاضبة لم يغن عنها خضابها «۷»

و النفس أيضاً العين التى تصيب الإنسان يقال أصابت فلانا نفس أى عين و منه

قوله (ص) فى رقيا (بسم اللَّه أرقيك و اللَّه يشفيك من كل عاهة فيك من كل عين عاين و نفس نافس و حسد حاسد)

و قال عبيد اللَّه بن قيس الرقيات:

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۵۴

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۱۵

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۱۵

(۴) سورة ۴۲ الشورى آية ۴۰

(۵) سورة ۱۶ النحل آية ۱۲۶ [.....]

(۶) سورة ۳ آل عمران آية ۲۸، ۳۰

(۷) اللسان (نفس).

تتقى نفسها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى و التميم

و قال ابن الاعرابى: النفوس التى تصيب الناس بالنفس، و النفس أيضاً من الدباغ مقدار الدبغة.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۱۷] ..... ص : ۶۹

مـا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّـ مـا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُـدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَـهِيداً مـا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۱۱۷)

آية بلا خلاف.

هذا اخبار عن عيسى (ع) أنه يقول للّه تعالى فى جواب ما قرره عليه انى لم أقل للناس الا ما أمرتنى به، من الإقرار لك بالعبودية و أنك ربى و ربهم و إلهى و إلههم، و أمرتهم بأن يعبدوك وحدك و لا يشركوا معك فى العبادة.

و قال: انى كنت شهيداً أى شاهداً عليهم ما دمت فيهم بما شاهدته منهم و علمته و بما بلغتهم من رسالتك التى حملتنيها و أمرتنى بأدائها اليهم ما دمت حياً بينهم «فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي» أى قبضتنى اليك و أمتنى «كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ» و الرقيب هو الذى يشاهد القوم و يرقب ما يعملون و يعرف ذلك، ثم اعترف بأنه تعالى «عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» لأنه عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه خافية و لا يغيب عنه شىء فهو يشهد على العباد بكل ما يعملونه. و فى اخباره تعالى عن المسيح أنه نفى القول الذى أدعوه عليه تأكيد لتبكيت النصارى و تكذيب لهم و توبيخ على ما أدعوه من ذلك عليه. قال الجبائى و فى الآية دلالة على انه تعالى أمات عيسى (ع) و توفاه عند ما رفعه، لأنه بيّن انه كان شهيداً عليهم. و توفيه إياه بعد ان كان بينهم انما كان عند رفعه إياه الى السماء عند ما أرادوا قتله. و عندى أن الذى ذكره لا يدل على أنه أماته، لان التوفى هو القبض اليه و لا يستفاد منه الموت الا بشاهد الحال. و لذلك قال تعالى «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۷۰

وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها»

«۱» فبين انه يتوفى التى لم تمت فنفس التوفى لا يفيد الموت بحال.

و قوله «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ» يجوز أن تكون (أن) بمعنى (أى) مفسرة فى قول سيبويه، كما قال «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا» «۲» أى امشوا، لأنها مفسرة لما قبلها. و المعنى ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا اللّه. و يجوز أن تكون (أن) فى موضع خفض على البدل من الهاء و تكون (أن) موصولة ب (اعْبُدُوا اللَّهَ). و معناه الا ما أمرتنى به بأن يعبدوا اللّه، و يجوز أن تكون موضعها نصبا على البدل من (ما) و المعنى ما قلت لهم شيئا الا أن اعبدوا اللّه، أى ما ذكرت لهم إلا عبادة اللّه. و قوله «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» شاهد بلفظ الإنجيل فانه ذكر فى الفصل الرابع من إنجيل لوقا، قال المسيح: مكتوب أن اسجد للّه ربك و إياه وحده فأعبد، و هذا لفظه و هو صريح التوحيد.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): آية ۱۱۸] ..... ص : ۷۰

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۱۱۸)

آية بلا خلاف.

ظاهر هذه الآية يدل على أن عيسى لم يكن أعلمه اللّه أن الشرك لا يغفر على كل حال، فلذلك قال «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ» الذين كفروا بك و جحدوا إلهيتك و كذبوا رسلك «وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

و قال البلخى: ان عيسى (ع) أخبر أنه لا علم له بما صنعوا بعده من الكفر به حتى قيل له: ما ذا أجبت؟ قال لا علم لى، ثم قال: ان كانوا كفروا فعذبتهم فهم عبادك و ان كانوا ثبتوا على ما دعوتهم اليه أو تابوا من كفرهم

---

(۱) سورة ۳۹ الزمر آية ۴۲.

(۲) سورة ۳۸ ص آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۷۱

فغفرت لهم فأنت العزيز الحكيم.

و من ذهب الى أن قول اللّه «يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ» إخبار عما مضى و أن اللّه قال ذلك عند ما رفعه اليه، قال: انما عنى

عيسى ان تعذبهم بمقامهم على معصيتك فإنهم عبادك و ان تغفر لهم بتوبة تكون منهم، لان القوم كانوا فى الدنيا لان عيسى لم يشك فى الآخرة أنهم مشركون. و قد انقطعت التوبة، و انما قال ذلك فى الدنيا و جعل قول اللَّه تعالى «هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» جوابا للرسل حين سألهم ما ذا أجبتم «قالوا لا علم لنا» فصدقهم اللَّه فى ذلك. و مثل ذلك قال عمرو ابن عبيد و الجبائى و الزجاج و كلهم شرط التوبة. و هذا الذى ذكروه ترك للظاهر و زيادة شرط فى ظاهرها ليس عليه دليل. و قوله «إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» «۱» انما هو اخبار لامة نبينا بأن لا يغفر الشرك و لا نعلم ان مثل ذلك أخبر به الأمم الماضية فلا متعلق بذلك. و يمكن أن يكون الوجه فى الآية مع تسليم ان كان عارفا بأن اللَّه لا يغفر أن يشرك به و انه أراد بذلك تفويض الامر الى مالكه و تسليمه الى مدبره و التبرى من أن يكون له شىء من أمر قومه، كما يقول الواحد منا إذا تبرء من تدبير أمر من الأمور و يريد تفويضه الى غيره: هذا الامر لا مدخل لى فيه فان شئت أن تفعله و ان شئت ان تتركه مع علمه ان أحدهما لا يكون منه.

و قوله «فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» معناه انك القادر الذى لا يغالب و أنت حكيم فى جميع أفعالك فيما تفعله بعبادك.

و قيل معناه «فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ» القدير الذى لا يفوتك مذنب و لا يمتنع من سطوتك مجرم «الحكيم» فلا تضع العقاب و العفو الا موضعهما. و لو قال: الغفور الرحيم كان فيه معنى الدعاء لهم و التذكير برحمته، على أن العذاب و العفو قد يكونان غير صواب و لا حكمة فالإطلاق لا يدل على الحكمة و الحسن. و الوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على العذاب و الرحمة إذا كانا

---

(۱) سورة النساء آية ۴۷، ۱۵۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۷۲

صوابين. و قال الحسين بن على المغربى رأيت على باب بمصرفى موضع يقال له (بيطار بلال) معروف لوحا قديماً من ساج عليه هذا العشر و فيه (فإنك أنت الغفور الرحيم) و تأريخ الدار سنة سبعين من الهجرة أو نحوها و لعلها باقية الى اليوم.

فان قيل قول عيسى ان تعذبهم فأنهم عبادك يدل على ان اللَّه تعالى له أن يعاقب عبيده من غير جرم كان منهم لأنه علل حسن ذلك بكونهم عبيدا لا بكونهم عصاة، و ذلك خلاف ما تذهبون اليه؟ قلنا: لا يجوز ان يريد عيسى (ع) بكلامه ما يدل على أن الفعل على كونه غير جائز عليه تعالى. و لا يحسن منه تعالى أيضا أن يترك انكار ذلك فلما علمنا أن اللَّه تعالى لا يجوز ان يعاقب خلقه من غير معصية سبقت منهم من حيث كان ذلك ظلماً محضاً، علمنا ان عيسى أراد بقوله ذلك «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ» الجاحدون لك المتخذون معك إلهاً غيرك لان ما تقدم من الكلام دل عليه فلم يحتج ان يذكره فى اللفظ فبطل ما توهموه.

قوله تعالى:[سورة المائدة (۵): الآيات ۱۱۹ الى ۱۲۰] ..... ص : ۷۲

قالَ اللَّهُ هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۱۱۹) لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۲۰)

آيتان بلا خلاف.

قرأ «يوم ينفع» بفتح الميم نافع. الباقون بضمها.

من رفع (يوما) جعله خبر المبتدأ الذى هو (هذا) و أضاف (يوما) الى (ينفع). و الجملة التى هى من المبتدأ و الخبر فى موضع نصب بأنه مفعول القول، كما تقول: قال زيد عمر أخوك. و من نصب احتمل أمرين: التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۷۳

أحدهما- ان يكون مفعول قال و تقديره قال اللَّه هذا القصص، و هذا الكلام «يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ» فيوم ظرف للقول (و هذا) اشارة الى ما تقدم ذكره من قوله: «إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» و جاء على لفظ الماضى و ان كان المراد به المستقبل، كما قال «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» «۱» و نحو ذلك على ما بيناه. و ليس ما بعد (قال) حكاية فى هذا الوجه كما كان إياها فى الوجه الآخر.

و يجوز ان يكون المعنى على الحكايـة و تقـديره قال اللّه تعالى «هذا يَوْمُ يَنْفَعُ» أى هذا الذى اقتصصـنا به يقع أو يحدث يوم ينفع، ف «يوم» خبر المبتـدأ الـذى هو (هذا) الامر إشارة الى حدث. و ظروف الزمان تكون اخبارا عن الأحداث. و الجملة فى موضع نصب بأنها فى موضع مفعول، قال الفراء: (يوم) منصوب لأنه مضاف الى الفعل و هو فى موضع رفع بمنزلـة (يومئذ) مبنى على الفتح فى كل حال، قال الشاعر:

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما تصح و الشيب وازع «۲»

قال الزجاج هـذا خطأ عند البصـريين، لأنهم لا يجيزون هذا يوم آتيتك، يريدون هذا يوم إتيانك، لان (آتيتك) فعل مضارع فالاضافة اليه لا يزيل الاعراب عن جهته، و لكنهم يجيزون (ذلك يوم يقع زيد أصدقه) لان الفعل الماضى غير مضارع للمتمكن فهى اضافة الى غير متمكن و الى غير ما ضارع المتمكن و يجوز (هذا يوم) منونا (يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ) على إضمار هذا يوم ينفع

---

(۱) سورة الاعراف آية ۴۳.

(۲) قائله النابغة. ديوانه: ۳۸ و معانى القرآن ۱: ۳۲۷، و سيبويه ۱: ۳۶۹ فيه الصادقين صـدقهم كقوله: «وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً» و المعنى لا تجزى فيه، و قال الشاعر:

و ما الدهر الا تارتان فمنهما أموت و أخرى ابتغى العيش اكدح «۱»

و المعنى فمنهما تارة أموت فيها.

و قوله «قالَ اللَّهُ هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ» يعنى يوم القيامة، و دل على أن قول اللّه للمسيح «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يكون يوم القيامـة، ثم بين ان الصادقين ينفعهم صـدقهم و هو ما صـدقوا فيه فى دار التكليف، لان يوم القيامـة لا تكليف فيه على أحد، و لا يخبر أحد فيه الا بالصدق، و لا ينفع الكفار صدقهم الذى يقولونه يوم القيامة إذا أقروا على أنفسـهم بسوء أعمالهم، ثم بين ان «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ»، و أنهم «خالـدون فيها أبدا» فى نعيم مقيم لا يزول، و ان اللّه قد «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا» هم عن اللّه و بين ان ذلـك «الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» و هو مـا يحصـلون فيه من الثواب و النجـاة من النـار، ثم قـال تعـالى: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما فِيهِنَّ» يعنى ان ملـك السـماوات و الأرض و ما بينهما له بالقـدرة على التصـرف فيهما و فيما بينهما على وجه ليس لاحد منعه منه و لا معارضته فيه خاصة، ثم بين انه تعالى: «عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» مما كان و يكون مما يصح ان يكون مقدورا له.

---

(۱) قائله ابن مقبل. اللسان «كدح».

۶-سورة الانعام ..... ص : ۷۵

اشارة

قال ابن عباس و مجاهـد و قتادة و غيرهم: ان سورة الانعام مكيـة. و قال يزيـد بن رومان بعضـها مكى و بعضـها مـدنى. و قال شـهر بن خوشب: هى مكيـة إلاـ آيتين منهـا قوله تعالى: «قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ» و التى بعـدها. و روى عن ابن عباس انه قال نزلت سورة الانعام جملة بمكـة معها سبعون الف ملك محـدقون حولها بالتسبيح و التهليل و التحميد و هى مائة و خمس و سـتون آية كوفى و ست فى البصـرى و سبع فى المـدنيين. و روى عن ابن عباس أيضا انه قال هى مكية غير ست آيات منها فإنها مدنيات. «قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ» و آيتان

بعدها و قوله «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» الى آخرها و الآية التى بعدها «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ ...» الى آخرها.

و روى عن أنس بن مالك انه قال: قال رسول اللَّه (ص): ما نزل على سورة من القرآن جملة غير سورة الأنعام و ما جمعت الشياطين لسورة من القرآن جمعها لها و لقد بعث بها الى مع جبرائيل مع خمسين ملكا، أو قال خمسين الف ملك- شك الواقدى- نزل بها و تحفها حتى أقرّها فى صدرى كما يقر الماء فى الحوض و قد اعزنى اللَّه و إياكم بها عزاً لا يذلنا بعده ابداً فيها دحض حجج المشركين و وعد من اللَّه لا يخلفه.

و روى عن كعب الأحبار انه قال: افتتحت التوراة بالحمد للَّه الذى خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. و ختمت بالحمد للَّه الذى لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك فى الملك الى آخر الآية.

[سورة الأنعام (۶): آية ۱] ..... ص : ۷۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۷۶

آية فى الكوفى و البصرى، و آيتان فى المدنيين، قوله «و النور» آخر آية أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أن المستحق للحمد من خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور أى خلقهما لما اشتملا عليه من عجائب الخلق و متقن الصنع. ثم عجب ممن جعل له شركاء مع ما ترى فى السماوات و الأرض من الدلالة على أنه الواحد الذى لا شريك له، و قد بينا فيما تقدم وجه دلالة ذلك على أنه واحد ليس باثنين. و قوله «بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» أى يجعلون له مثلا يستحق العبادة مأخوذ من قولك: لا أعدل بفلان أحدا، أى لا نظير له عندى و لا أحد يستحق ما يستحقه. قال الكسائى: يقال عدلت الشيء بالشيء أعدله عدولا إذا ساويته، و عدل فى الحكم يعدل عدلا.

و قال الحسن و مجاهد:

معنى يعدلون يشركون.

و انما ابتدأ تعالى هذه السورة بالحمد احتجاجا على مشركى العرب، و على من كذب بالبعث و النشور فابتدأ، فقال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» فذكر أعظم الأشياء المخلوقة، لان السماء بغير عمد ترونها، و الأرض غير مائدة بنا. ثم ذكر الظلمات و النور، و ذكر الليل و النهار، و هما مما به قوام الخلق. فأعلم اللَّه تعالى أن هذه خلق له، و أن خالقها لا شيء مثله.

و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه قال: ان الانعام نزلت جملة، و شيعها سبعون الف ملك حين أنزلت على رسول اللَّه (ص) فعظموها، و بجلوها، فان اسم اللَّه تعالى فيها فى سبعين موضعا. و لو يعلم الناس ما فى قراءتها من الفضل ما تركوها.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۲] ..... ص : ۷۶

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (۲)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۷۷

آية بلا خلاف.

معنى قوله «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ» أى انشأكم، و اخترعكم «مِنْ طِينٍ» و معناه خلق أباكم- الذى هو آدم و أنتم من ذريته، و هو بمنزلة الأصل لنا- من طين، فلما كان أصلنا من الطين جاز ان يقول «خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ».

و قوله «ثُمَّ قَضى معناه حكم بذلك. و القضاء يكون حكما، و يكون أمرا و يكون الإتمام و الإكمال.

و قوله «أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» قيل فى معنام قولان:

أحدهما- قال ابو على: كتب للمرء أجلا فى الدنيا، و حكم بأنه أجل لنا، و هو الأجل الذى يحيى فيه أهل الدنيا الى أن يموتوا، و هو أوقات حياتهم، لان أجل الحياة، هو وقت الحياة، و أجل الموت هو وقت الموت «وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» يعنى آجالكم فى الآخرة، و ذلك أجل دائم ممدود لا آخر له، و انما قال له «مسمى عنده»، لأنه مكتوب فى اللوح المحفوظ، فى السماء و هو الموضع الذى لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه.

و قال الزجاج: أحد الأجلين أجل الحياة، و هو الوقت الذى تحدث فيه الحياة، و يحيون فيه «وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» يعنى أمر الساعة و البعث. و به قال الحسن، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و عكرمة، و الضحاك. و قال بعضهم:

«قَضى أَجَلًا» يعنى أجل من مضى من الخلق «وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» أجل الباقين و الذى نقوله: ان الأجل هو الوقت الذى تحدث فيه الحياة أو الموت و لا يجوز ان يكون المقدر أجلا، كما لا يجوز أن يكون ملكا، فان سمى- ما يعلم اللَّه تعالى أنه لو لم يقتل فيه لعاش اليه- أجلا، كان ذلك مجازا، لان الحى لا يعيش اليه. و لا يمتنع أن يعلم اللَّه من حال المقتول أنه لو لم يقتله القاتل لعاش الى وقت آخر. و كذلك ما

روى: أن الصدقة و صلة الرحم تزيد فى الأجل

، و ما روى فى قصة قوم يونس و أن اللَّه صرف عنهم العذاب، و زاد التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۷۸

فى آجالهم، لا يمنع منه مانع، و انما منع من التسمية لما قلناه.

و قوله: «ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ» خطاب للكفار الذين يشكُّون فى البعث و النشور. احتج اللَّه بهذه الآية على الذين عدلوا به غيره، فأعلمهم انه خلقهم من طين، و نقلهم من حال الى حال، و قضى عليهم الموت، فهم يشاهدون ذلك، و يقرون بأنه لا محيص منه. ثم عجبهم من امترائهم أى من شكهم فى انه الواحد القهار على ما يشاء، و فى أنه لم يعبث بخلقهم و ابقائهم و اماتتهم بعد ذلك، و أنه لا بد من جزاء المسيء و المحسن، و مثله قوله: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ» «۱» ان الذى قدر على ذلك قادر على أن يبعثكم بعد أن تكونوا ترابا.

و قوله «وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» رفع على الابتداء و تم الكلام عند قوله:

«ثُمَّ قَضى أَجَلًا».

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳] ..... ص : ۷۸

وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ وَ يَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ (۳)

آية إجماعاً.

قوله «وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ» يحتمل معنيين:

أحدهما- قال الزجاج و البلخى، و غيرهما: انه المعبود فى السماوات و الأرض، و المتفرد بالتدبير فى السماوات و فى الأرض، لان حلوله فيهما أو شيء منهما لا يجوز عليه. و لا يجوز أن تقول هو زيد فى البيت، و الدار، و أنت تريد أنه يدبرهما الا ان يكون فى الكلام ما يدل على ان المراد به التدبير كقول القائل: فلان الخليفة فى الشرق و الغرب، لان المعنى فى ذلك أنه المدبر فيهما.

---

(۱) سورة ۲۲ الحج آية ۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۷۹

و يجوز ان يكون خبرا بعد خبر، كأنه قال: انه هو اللَّه و هو فى السماوات و فى الأرض. و مثل ذلك قوله «وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ

فِي الْأَرْضِ إِلهٌ» «۱» و الوجه الثانى- قال أبو على: ان قوله «وَ هُوَ اللَّهُ» قد تم الكلام، و قوله «فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ» يكون متعلقا بقوله «يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» فى السماوات و فى الأرض لأن الخلق إما أن يكونوا ملائكة فهم فى السماء أو البشر و الجن، فهم فى الأرض، فهو تعالى عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه خافية، و يقوّيه قوله «وَ يَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ» أى يعلم جميع ما تعملون من الخير و الشر فيجازيكم على حسب أعمالكم، و لا يخفى عليه شىء منها، و فى ذلك غاية الزجر و التهديد.

و فى الآية دلالة على فساد قول من قال: إنه تعالى فى مكان دون مكان تعالى اللَّه عن ذلك.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۴] ..... ص : ۷۹

وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (۴)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية اخبار من اللَّه تعالى أنه لا يأتى هؤلاء الكفار- المذكورين فى أول الآية- من آيات من ربهم، و هى المعجزات التى يظهرها على رسوله و آيات القرآن التى كان ينزلها على نبيه (ص) «إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ» لا يقبلونها، و لا يستدلون بها على ما دلهم اللَّه عليه من توحيده و صدق رسوله محمد (ص).

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۵] ..... ص : ۷۹

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۵)

---

(۱) سوره ۱۰ يونس آيه ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۰

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية اخبار منه تعالى أن الكفار قد كذّبوا بالحق الذى أتاهم به محمد (ص) لما جاءهم بالقرآن، و سائر أمور الدين، و انه سوف يأتيهم خبر العذاب الذى ينزله بهم عقوبة على كفرهم، و هذا العذاب هو الذى كانوا به يستهزؤن: بأخبار رسول اللَّه إياهم به و بنزوله بهم.

فبين أن ذلك سيحل بهم و سيقفون على صحته. و دل ذلك على أنهم كانوا يستهزؤن، و ان كان لم يذكره هاهنا و ذكره فى موضع آخر. و مثل ذلك قول القائل للجانى عليه: سيعلم عملك. و انما يريد ستجازى على عملك.

و قال الزجاج: معنى «أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» أى تأويله. و المعنى سيعلمون ما يؤل اليه استهزاؤهم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۶] ..... ص : ۸۰

أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَ جَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (۶)

آية بلا خلاف.

قوله «أَ لَمْ يَرَوْا» خطاب للغائب و تقديره ألم ير هؤلاء الكفار: ألم يعلموا كم أهلكنا من قبلهم من قرن. ثم قال «مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ» فخاطب خطاب المواجه، فكأنه اخبر النبى (ص) ثم خاطبه معهم، كما قال:

«حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ» «۱» فذكر لفظ الغائب بعد

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۱

خطاب المواجه. و معنى «مِنْ قَرْنٍ» من أمة. قال الحسن: القرن عشرون سنة. و قال ابراهيم: أربعون سنة. و قال ابو ميسرة: هو عشر سنين. و حكى الزجاج و الفراء: أنه ثمانون سنة و قال قوم: هو سبعون سنة. و قال الزجاج:

عندى القرن هو أهل كل مدة كان فيها نبى أو كان فيها طبقة من أهل العلم، قلت السنون او كثرت، فيسمى ذلك قرنا، بدلالة قوله (ع): (خيركم قرنى) يعنى أصحابى (ثم الذين يلونهم) يعنى التابعين (ثم الذين يلونهم) يعنى تابعى التابعين.

قال: و جائز أن يكون القرن جملة الامة، و هؤلاء قرن فيها.

و اشتقاق القرن من الاقتران. و كل طبقة مقترنين فى وقت قرن، و الذين يأتوا بعدهم ذووا اقتران: قرن آخر.

و قوله «مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ» معناه جعلناهم ملوكا و أغنياء تقول مكنتك، و مكنت لك واحد.

و قوله «وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً» معناه أرسلنا عليهم مطرا كثيرا من السماء يقول القائل أصابتنا هذه السماء، و ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، يعنون المطر. و قوله «مدراراً» يعنى غزيرا دائماً كثيرا. و هو قول ابن عباس و أبى روق. و (مفعال) من ألفاظ المبالغة، يقال ديمة مدراراً إذا كان مطرها غزيراً حادا، كقولهم امرأة مذكار: إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، و مئناث فى الإناث. و مفعال لا يؤنث، يقال: امرأة معطار و مئناث و مذكار، بغير هاء.

بين اللَّه تعالى أن هؤلاء الذين آتاهم اللَّه هذه المنافع و أجرى من تحتهم الأنهار، و وسع عليهم، و مكنهم فى الأرض، لما كفروا بنعم اللَّه و ارتكبوا معاصيه أهلكهم اللَّه بذنوبهم، و انه انشأ قوما آخرين بعدهم. يقال: انشأ فلان يفعل كذا أى ابتدأ فيه.

و موضع (كم) نصب ب (أهلكنا)، لان لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، فلذلك لا يجوز أن يكون منصوبا ب (يروا).

فان قيل: كيف قال: «أَ لَمْ يَرَوْا» و القوم كانوا غير مقرين بما أخبروا التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۲

به من شأن الأمم قبلهم؟ قيل: كان الكثير منهم مقرا بذلك فأنه دعى بهذه الآية الى النظر و التدبر ليعرف بذلك ما عرفه غيره.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۷] ..... ص : ۸۲

وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (۷)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه لو نزل على نبيه كتابا يعنى صحيفة مكتوبة فى قرطاس حتى يلمسوه بأيديهم و يدركوه بحواسهم، لأنهم سألوا النبى (ص) ان يأتيهم بكتاب يقرءونه من اللَّه الى فلان بن فلان أن آمن بمحمد، و انه لو أجابهم الى ذلك لما آمنوا، و نسبوه الى السحر لعظم عنادهم و قساوة قلوبهم و عزمهم على أن لا يؤمنون على كل حال. و عرفه أن التماسهم هذه الآيات ضرب من العنت و متى فعلوا ذلك اصطلمهم و استأصلهم، و ليس تقتضى المصلحة ذلك، لما علم فى بقائهم من مصلحة للمؤمنين، و علمه بمن يخرج من أصلابهم من المؤمنين و أن فيهم من يؤمن فيما بعد، فلا يجوز احترام من هذه صفته- عند أبى على و البلخى.

و قوله «إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» معناه ليس هذا الا سحر مبين. و احتج ابو على بهذه الآية على أنه متى كان فى معلوم اللَّه تعالى انه لو آتاهم الآيات التى طلبوها لآمنوا عندها وجب ان يفعلها بهم، قال: و لولا ذلك كذلك لم يحتج على العباد فى منعه إياهم الآيات التى طلبوها أى انما منعتهم إياها لأنهم كانوا لا يؤمنون، و لو آتاهم إياها لكانوا يقولون انها سحر مبين. و بهذا تبين بطلان قول من قال اللطف ليس بواجب، و انه يجوز ان يمنعهم اللَّه ما طلبوا و ان كانوا يؤمنون لو آتاهم ذلك و يكفرون لو منعهم إياه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۸ الى ۹] ..... ص : ۸۲

وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ (٨) وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ (٩)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۳

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآيهٔ عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا (لولا) و معناه:

هلا «أُنْزِلَ عَلَيْهِ» يعنون على محمد «ملك» يشاهدونه فيصدقه. ثم أخبر عن عظم عنادهم انه لو أنزل عليهم الملك على ما اقترحوه لما آمنوا به، و اقتضت الحكمهٔ استئصالهم و ألا ينظرهم و لا يمهلهم. و ذلك بخلاف ما علم اللَّه تعالى من المصلحهٔ على ما بيناه.

و معنى «لَقُضِيَ الْأَمْرُ» أى أتم إهلاكهم و قضى على ضروب كلها ترجع الى معنى تمام الشيء و انقطاعه فى قول الزجاج. فمنه «قَضى أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» «١» معناه ثم ختم بذلك و أتمه، و منه الامر كقوله «وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» «٢» الا أنه أمر قاطع و منه الاعلام نحو قوله «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ» «٣» أى أعلمناهم إعلاماً قاطعا. و منه الفصل فى الحكم نحو قوله «وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» «۴» أى لفصل الحكم بينهم. و منه قولهم قضى القاضى. و من ذلك قضى فلان دينه، أى قطع ما لغريمه عليه و أداه اليه و قطع ما بينه و بينه و كلما أحكم فقد قضى، تقول قضيت هذا الثوب و هذه الدار، أى عملتها و أحكمت عملها، قال أبو ذؤيب

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «۵»

و قال مجاهد معنى «وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» يريدون فى صورته.

قال اللَّه تعالى «وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً» فى صورته «لَقُضِيَ الْأَمْرُ» أى لقامت الساعهٔ أو

---

(١) سورهٔ ۶ الانعام آيهٔ ٢

(٢) سورهٔ ١٧ الإسراء آيهٔ ٢٣

(٣) سورهٔ ١٧ الإسراء آيهٔ ۴ [.....]

(۴) سورهٔ ۴٢ الشورى آيهٔ ١۴

(۵) مر تخريجه فى ١/ ۴٢٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۴

وجب استئصالهم ثم قال «وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ» فى صورة رجل، لان أبصار البشر لا تقدر على النظر الى صورة ملك على هيئته للطف الملك و قلهٔ شعاع أبصارنا و كذلك كان جبرائيل (ع) يأتى النبى (ص) فى صورة دحيهٔ الكلبى، و كذلك الملائكهٔ الذين دخلوا على ابراهيم فى صورة الأضياف حتى قدم اليهم عجلا- جسدا، لأنه لم يعلم أنهم ملائكهٔ، و كذلك لما تسور المحراب على داود الملكان كانا فى صورة رجلين يختصمان اليه. و قال بعضهم: المعنى لو جعلنا مع النبى ملكا يشهد بتصديقه (لَجَعَلْناهُ رَجُلًا) و الاول أصح.

و قوله «وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» يقال: لبست الامر على القوم ألبسه إذا شبهته عليه، و لبست الثوب البسه، و كان رؤساء الكفار يلبسون على ضعفائهم أمر النبى (ع)، فيقولون: هو بشر مثلكم، فقال اللَّه تعالى «وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً» فرأوا الملك رجلا و لم يعلمهم أنه ملك لكان يلحقهم من اللبس ما يلحق ضعفائهم منهم. و اللبوس ما يلبس من الثياب و اللباس الذى قد لبس و استعمل.

فان قيل: قوله: انه لو جعل الملك رجلا للبس عليهم يدل على أن له أن يلبس بالإضلال و التلبيس؟

قلنا: ليس ذلك فى ظاهره، لأنه لم يخبر أنه لبس عليهم و انما قال لو جعلته ملكا للبست و لم يجعله ملكا فإذاً ما لبس، كما قال تعالى

«لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ» «۱» و ليس يجوز عليه اتخاذ الولد و لا الاصطفاء له بحال، فسقط ما قالوه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰] ..... ص : ۸۴

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۱۰)

آية بلا خلاف.

---

(۱) سورة ۳۹ الزمر آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۵

لما أخبر اللَّه تعالى أنه لو أنزل الآيات التى اقترحوها و امتنعوا عند ذلك من الإقرار باللَّه و تصديق نبيه اقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت المصلحة استئصال من تقدم من الأمم الماضية عند نزول الآيات المقترحة، كما فعل بقوم صالح و غيرهم من أمم الأنبياء، قال ذلك تسلية لنبيه (ع) من استمرارهم على الكفر. و معنى (الحيق) ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله كما قال: «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «۱» أى لا ترجع عاقبة مكروه الا عليهم. و المعنى فحاق بالساخرين منهم: «ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» من وعيد أنبيائهم بعاجل العقاب فى الدنيا نحو ما نزل بقوم عاد و ثمود و غيرهم من الأمم.

و قال ابو على: حاق و حق بمعنى واحد. و المعنى انه لما نزل بهم العذاب حق بذلك الخبر عندهم: الخبر الذى كان أخبرهم به النبى (ص).

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱] ..... ص : ۸۵

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (۱۱)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى فى هذه الآية نبيه (ع) ان يأمر هؤلاء الكفار ان يسيروا فى الأرض لينظروا الى آثار تلك الأمم فإنها مشهورة و متواتر خبرها معلوم مساكنها و أراد بذلك زجر هؤلاء الكفار عن تكذيب محمد (ع) و التحذير لهم من ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالمكذبين للرسل من قبلهم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۲ الى ۱۳] ..... ص : ۸۵

قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۱۲) وَ لَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۱۳)

---

(۱) سورة ۳۵ فاطر آية ۴۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۶

آيتان بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ع) ان يقول لهؤلاء الكفار مقرعا لهم و موبخاً على كفرهم «لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» ثم أمره (ع) ان يقول لهم ان ذلك «لِلَّهِ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ» و اللام لام القسم و تقديره و اللَّه ليجمعنكم و لذلك نصب (لام) ليجمعنكم، لان معنى كتب اليمين. و قال الزجاج يجوز أن يكون (ليجمعنكم) بدلا من الرحمة مفسرا لها، لأنه لما قال كتب على نفسه الرحمة،

فسر رحمته بأنه يمهلهم الى يوم القيامة. و قال الفراء: يجوز ان يكون قوله «كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» غاية ثم استأنف قوله «لَيَجْمَعَنَّكُمْ ... لا رَيْبَ فِيهِ» تمام، و معنى «كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» أى كتب على نفسه ألا يستأصلكم و لا يعجل عقوبتكم بل يعذر و ينذر و يجمع آخركم الى أولكم قرناً بعد قرن الى يوم القيامة، و هو الذى لا ريب فيه.

و فى قوله «لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» احتجاج على من أنكر البعث و النشور فقال ليجمعنكم الى اليوم الذى أنكرتموه كما تقول: جمعت هؤلاء الى هؤلاء، أى ضممت بينهم فى الجمع. و قوله «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» قال الأخفش (الذين) بدل من الكاف و الميم. و المعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم الى هذا اليوم الذى يجحدونه و يكفرون به. و قال الزجاج: هو فى موضع رفع على الابتداء و خبره «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» لان (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) مشتمل على سائر الخلق على الذين خسروا أنفسهم و غيرهم.

و قوله «وَ لَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» أى ما اشتمل عليه الليل و النهار فجعل الليل و النهار كالمسكن لما اشتملا عليه، لأنه ليس يخرج منهما شيء فجمع التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۷

كل الأشياء بهذا اللفظ القليل الحروف، و هذا من أفصح ما يكون من الكلام.

و قال النابغة:

فإنك كالليل الذى هو مدركى و ان خلت ان المنتأى عنك واسع «۱»

فجعل الليل مدركا إذ كان مشتملا عليه.

و فى هذه الآية و فى التى قبلها إحتجاج على الكفار الذين عبدوا من دون اللَّه تعالى، فقال تعالى: «قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ»؟ و كانوا لا يشركون باللَّه فى خلق السماوات و الأرض و ما بينهما احداً و انما كانوا يشركون فى العبادة، و يقولون: آلهتهم تقربهم الى اللَّه زلفى، لا أنها تخلق شيئاً، ثم قال: «قل للَّه» فإنهم لا ينكرون ذلك، و هو كقوله «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «۲» فذكرهم ما هم به مقرون ليتنبهوا و يشهدوا بالحق و يتركوا ما هم عليه، و معنى «خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أهلكوها باستحقاق المصير الى العذاب الأليم الدائم، الذى لا ينتفعون معه بنفوسهم إذ كانوا لا يؤمنون.

و من أهلك نفسه فقد خسرها. و انما قال «وَ لَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» لان فى الحيوان ما يسكن فى الليل، و فيه ما يسكن بالنهار و خص السكون بالذكر، لان الساكن أكثر من المتحرك، و لان الآية العجيبة فى قيام الساكن بلا عمد أعظم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴] ..... ص : ۸۷

قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۱۴)

آية بلا خلاف.

أجمع القراء على ضم الياء و فتح العين من قوله «و لا يطعم» و قرئ فى الشواذ

---

(۱) سمط اللآلى: ۵۷۰

(۲) سورة ۴۳ الزخرف آية ۸۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۸۸

بفتح الياء و العين معا. فمن ضم الياء أراد أن غيره لا يطعمه فى مقابلة قوله:

«وَ هُوَ يُطْعِمُ». و من فتح الياء أراد أنه نفسه لا يطعم. و المعنى هو يرزق الخلق و لا يرزقه أحد. و الطعمة و الطعم و الإطعام الرزق، قال امرؤ القيس:

مطعم للصید لیس له غیرها کسب علی کبره «۱»

و قال علقمة بن عدی:

و مطعم الغنم یوم الغنم مطعمة أنی توجه و المحروم محروم «۲»

ألا تری أنه وضع الحرمان فی مقابلة الإطعام، کما یوضع أبداً مقابلا للرزق. و قیل: إنه ذکر الإطعام، لان حاجة العباد الیه أشد، و لان نفیه عن اللَّه أدل علی نفی شبهه بالمخلوقین، لان الإطعام لا یجوز الا علی الأجسام.

و الاختیار فی «فاطر» الخفض لأنه من صفة (اللَّه). و الرفع، و النصب جائزان علی المدح. فمن رفع فعلی إضمار (هو)، و تقدیره: هو فاطر السماوات و الأرض، و هو یطعم و لا یطعم. و من نصب فعلی معنی: اذکروا عنی.

و معنی: «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» خالقهما، کما قال: «وَ ما لِیَ لا أَعْبُدُ الَّذِی فَطَرَنِی وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» «۳» أی خلقنی. قال ابن عباس: ما کنت أدری ما معنی (فاطر) حتی اختصم الی أعرابیان فی بئر، فقال أحدهما:

أنا فطرتها أی ابتدأتها. و أصل الفطر الشق، و منه قوله تعالی: «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ» «۴» أی انشقت.

و معنی «فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» خلقهما خلقا قاطعا. و الإنفطار، و الفطور تقطع و تشقق و فی الآیة دلالة و حجة علی الکفار، لان من خلق السماوات و الأرض و أنشأ ما فیهما، و أحکم تدبیرهما، و اطعم من فیهما هو الذی لیس کمثله شیء

---

(۱) دیوانه: ۱۰۴، و اللسان (طعم).

(۲) اللسان: الالف اللینة تفسیر (أنی).

(۳) سورة ۳۶ یس آیة ۲۲

(۴) سورة ۸۲ الانفطار آیة ۱

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۸۹

و ان الخلق فقراء الیه و هو الغنی القادر القاهر، فلا یجوز لمن عرف ذلک أو جعل له السبیل الی معرفته ان یعبد غیره.

و قوله «أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» معناه أن أکون أول من خضع، و آمن و عرف الحق من قومی، و أن اترک ما هم علیه من الشرک. و مثله قوله «قُلْ إِنْ کانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِینَ» «۳» بأنه لم یکن للرحمن ولد، یعنی من هذه الامة، لأنه قد عبد اللَّه النبیون و المؤمنون قبله، و مثله قوله «سُبْحانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ» «۴» ممن سألک أن تریه نفسک- بأنک لا تری. و قول السحرة «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطایانا أَنْ کُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِینَ» «۵» بأن هذا لیس بسحر، و أنه الحق، أی أول المؤمنین من السحرة، و معنی الولی- ها هنا- الإله الذی أعبده لیتولانی، و یحفظنی.

و قوله: «أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِینَ» أی أمرت بالأمرین معاً: أن أکون أول من أسلم من هذه الامة، و ألا أکون من المشرکین. و المعنی أمرت بذلک و نهیت عن الشرک، لان الامر لا یتناول ألا یکون الشیء، لأنه لا یکون أمرا إلا بارادة المأمور، و الارادة لا تتعلق بألا یکون الشیء. و انما المراد ما قلناه: أنه کره منی الشرک.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۵] ..... ص : ۸۹

قُلْ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (۱۵)

آیة بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالی نبیه (ص) بهذه الآیة أن یقول لهؤلاء الکفار: إنه یخاف

---

(۳) سورة ۴۳ الزخرف آیة ۸۱

(۴) سورة ۷ الاعراف آیة ۱۴۲

(۵) سورة ۲۶ الشعراء آیة ۵۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۹۰

- ان عصاه- عذابه و عقوبته فی یوم عظیم و هو یوم القیامة. و معنی العظیم- ها هنا- أنه شدید علی العباد، و عظیم فی قلوبهم.

و فی الآیة دلالة علی ان من زعم أن من علم اللَّه أنه لا یعصی فلا یجوز أن یتوعده بالعذاب. و علی من زعم أنه لا یجوز أن یقال فیما قد علم اللَّه أنه لا یکون أنه لو کان لوجب فیه کیت و کیت، لأنه کان المعلوم للَّه تعالی أن النبی (ص) لا یعصی معصیة یستحق بها العقاب یوم القیامة، و مع هذا فقد توعده به.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۶] ..... ص : ۹۰

مَنْ یُصْرَفْ عَنْهُ یَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذلِکَ الْفَوْزُ الْمُبِینُ (۱۶)

آیة بلا خلاف.

قرأ اهل الکوفة الا حفصاً، و یعقوب «من یصرف» بفتح الیاء و کسر الراء. الباقون بضم الیاء و فتح الراء.

و فاعل (یصرف) هو الضمیر العائد الی «ربی» من قوله: «إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی». و یکون حذف الضمیر العائد الی العذاب، و المعنی من یصرف اللَّه عنه، و کذلک هو فی قراءة أبی. قال أبو علی: و لیس حذف الضمیر بالسهل لأنه لیس بمنزلة الضمیر الذی یحذف من الصلة إذا عاد الی الموصول، نحو «أ هذَا الَّذِی بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «۱» و «سَلامٌ عَلی عِبادِهِ الَّذِینَ اصْطَفی آللَّهُ» «۲» أی بعثهم اللَّه و اصطفاهم، و لا یعود الضمیر المحذوف- ها هنا- الی موصول و لا الی (من) التی الجزاء، و انما یرجع الی العذاب من قوله «إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ»، و لیس هذا بمنزلة قوله «وَ الْحافِظِینَ فُرُوجَهُمْ» «۳» لان هذا فعل واحد قد تکرر وعدی الاول فیهما

---

(۱) سورة ۲۵ الفرقان آیة ۴۱ [.....]

(۲) سورة ۲۷ النمل آیة ۵۹

(۳) سورة ۳۳ الأحزاب آیة ۳۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۹۱

الی المفعول، فعلم بتقدیر الاول أن الثانی بمنزلته.

و الذی یحسن قراءة من قرأ «یصرف» بفتح الیاء أن ما بعده من قوله «فقد رحمه» فعل مسند الی ضمیر اسم اللَّه. فقد اتفق الفعلان فی الاسناد الی هذا الضمیر، فیمن قرأ «یصرف» بفتح الیاء. و یقویه أیضا أن الهاء المحذوفة من (یصرفه) لما کان فی حیز الجزاء، و کان ما فی حیزه فی أنه لا یتسلط علی الموصول، حسن حذف الهاء منه کما حسن حذفها من الصلة.

و من ضم الیاء فالمسند الیه الفعل المبنی للمفعول ضمیر العذاب المتقدم ذکره، و یقوی ذلک قوله «أَلا یَوْمَ یَأْتِیهِمْ لَیْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ» «۴» ألا تری أن الفعل بنی للمفعول، و فیه ضمیر العذاب. و قال الزجاج: التقدیر من یصرف اللَّه عنه العذاب فیمن فتح الیاء. و من ضم الیاء، فتقدیره من یصرف عنه العذاب.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): الآیات ۱۷ الی ۱۸] ..... ص : ۹۱

وَ إِنْ یَمْسَسْکَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا کاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ یَمْسَسْکَ بِخَیْرٍ فَهُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱۷) وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ هُوَ الْحَکِیمُ

الْخَبِيرُ (١٨)

آيتان بلا خلاف.

معنى الآية الاولى أنه لا يملك النفع و الضرر الا اللَّه تعالى أو من يملكه اللَّه ذلك. فبين تعالى أنه مالك السوء من جهته «فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ» و لا يملك كشفه سواه مما يعبده المشركون و لا أحد سوى اللَّه، و أنه إن ناله بخير فهو على ذلك قادر. و قوله يمسسك بضر أو بخير، معناه يمسك ضره أو خيره. فجعل المس للَّه على وجه المجاز، و هو فى الحقيقة الخير و الضر، و هو مجاز فى الخير و الضر أيضاً، لأنهما عرضان لا تصح عليهما المماسة. و أراد

---

(۴) سورة ۱۱ هود آية ۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۹۲

تعالى بذلك الترغيب فى عبادته وحده، و ترك عبادة سواه، لأنه المالك للضر و النفع دون غيره، و أنه القادر عليهما. و القاهر هو القادر على أن يقهر غيره.

فعلى هذا يصح وصفه فيما لم يزل بأنه قاهر. و فى الناس من قال: لا يسمى قاهرا الا بعد أن يقهر غيره، فعلى هذا لا يوصف تعالى فيما لم يزل بذلك.

و مثل قوله «فَوْقَ عِبادِهِ» قوله «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» «۱» و المراد أنه أقوى منهم، و أنه مقتدر عليهم، لان الارتفاع فى المكان لا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفات الأجسام. فإذاً المراد بذلك أنه مستعل عليهم، مقتدر عليهم. و كل شىء قهر شيئاً فهو مستعل عليه، و لما كان العباد تحت تسخيره و تذليله و أمره و نهيه، وصف بأنه فوقهم. و قوله «وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» معناه أنه مع قدرته عليهم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة، و لا يفعل ما فيه مفسدة، أو وجه قبح لكونه عالماً بقبح الأشياء و بأنه غنى عنها.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۹] ..... ص : ۹۲

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)

آية بلا خلاف.

اختلفوا فى الهمزتين إذا كانت الاولى مفتوحة، و الثانية مكسورة من كلمة واحدة نحو (أ إنك) و (أ إذا) و (أ انا) و (أ إفكا) فقرأ ابن عامر و أهل الكوفة و روح بتحقيق الهمزتين حيث وقع إلا فى قوله «أ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ»

---

(۱) سورة ۴۸ الفتح آية ۱۰.

بيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۹۳

ها هنا. و فى الاعراف «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ» «۱» و «قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً» «۲» و (أ اما) حيث وقع. و «أ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ» «۳» و «أ إِذا ما مِتُّ» «۴» و فى العنكبوت «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ» «۵» و «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» «۶» فى الواقعة.

و الاستفهامين فى الرعد. و بنى إسرائيل. و المؤمن. و النحل. و سجدة لقمان.

و الصافات. و الواقعة. و النازعات. و سنذكر الخلاف فيها فى مواضعها.

الباقون بتحقيق: الاولى و تليين الثانية. و فصل بينهما بألف أهل المدينة.

الا ورشاً، و ابو عمرو، و الحلوانى عن هشام، وافقهم الداجونى عن هشام على الفصل فى قوله «أ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا». و «أ إِذا مِتْنا» فى

(ق). و أما قوله «أ إنكم». ها هنا فقرأه ابن عامر و أهل الكوفة الا الكسائى عن أبى بكر و روح بتحقيق الهمزتين إلا أن الحلوانى عن هشام يفصل بينهما بألف الباقون بتحقيق الاولى و تليين الثانية. و فصل بينهما بألف أهل المدينة الا ورشاً و أبو عمرو و الكسائى عن أبى بكر. و قد روى عن الكسائى عن أبى بكر أنه لا يفصل.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار «أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً» لأنهم كانوا مقرين بأنه لا شيء أكبر شهادة من اللَّه، و إذا أقروا بأنه اللَّه حينئذ أمره أن يقول لهم هو الشهيد بينى و بينكم على ما بلغتكم و نصحتكم و قررت عندكم من أن إلهكم إله واحد، و على براءتى من شرككم.

و الوقوف على قوله «قُلِ اللَّهُ» وقف تام.

و فى الآية دلالة على من قال: لا يوصف تعالى بأنه شيء. لأنه لو كان كما قال لما كان للآية معنى كما أنه لا يجوز أن يقول القائل: أى الناس أصدق؟

فيجاب ب (جبرائيل) لما لم يكن من جملة الناس بل كان من الملائكة.

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۸۰

(۲) سورة ۷ الاعراف آية ۱۱۲

(۳) سورة ۱۲ يوسف آية ۹۰

(۴) سورة ۱۹ مريم آية ۶۶

(۵) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۲۸

(۶) سورة ۵۶ الواقعة آية ۶۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۹۴

فان قيل قوله «أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً» تمام، و قوله «قُلِ اللَّهُ» ابتداء، و ليس بجواب، و لو كان جوابا كان ما بعده من قوله «شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ» لا ابتداء له و لا معنى له؟! قيل: لسنا ننكر ذلك- الا أن هذا و ان كان هكذا لولا أنه متقرراً عند السائل و المسئول- ان اللَّه شهيد- ما كان للكلام معنى، و لكان قوله: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً» لغوا و حشوا، و ذلك منزه عن كلامه تعالى.

و قوله: «لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ» وقف تام. أى من بلغه القرآن الذى أنذرتكم به، فقد أنذرته كما أنذرتكم، و هو قول الحسن رواه عن النبى (ص): انه قال: (من بلغه أنى أدعو الى لا إله الا اللَّه، فقد بلغه).

يعنى بلغته الحجة، و قامت عليه. و قال مجاهد «لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ» يعنى اهل مكة. «وَ مَنْ بَلَغَ» من أسلم من العجم و غيرهم.

و قوله «آلِهَةً أُخْرى و لم يقل اخر، لان الآلهة جمع و الجمع يقع على التأنيث، كما قال: «وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى «۱» و «قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى «۲» و لم يقل الاول. و الشاهد: هو المبين لدعوى المدعى. قال الحسن: قال المشركون لرسول اللَّه (ص): من يشهد لك؟ فنزلت هذه الآية. و هى قوله: «وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ» أى انى أخوفكم به، لان الانذار هو الاعلام على وجه التخويف. «وَ مَنْ بَلَغَ» يعنى القرآن و (من) فى موضع نصب بالإنذار. ثم قال موبخا «أ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى ثم قال لنبيه: قل أنت يا محمد: لا أشهد بمثل ذلك بل اشهد انه إله واحد «وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» بعبادته مع اللَّه و اتخاذه إلهاً.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۲۰] ..... ص : ۹۴

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۲۰)

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۷۹

(۲) سورة ۲۰ طه آية ۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۹۵

آية بلا خلاف.

«الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» رفع بالابتداء. و قوله «يعرفونه» خبر.

و قوله «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أيضا رفع، و يحتمل رفعه وجهين:

أحدهما- ان يكون نعتاً ل (الذين) الاولى. و يحتمل ان يكون رفعا على الابتداء و خبره «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ». فان حملته على النعت كان المعنى به أهل الكتاب و ان حملته على الابتداء يتناول جميع الكفار.

و قال بعض المفسرين: ما من كافر الا و له منزلة فى الجنة و أزواج فان أسلم و سعد صار الى منزله و أزواجه، و ان كفر صار منزله و أزواجه الى من أسلم، فذلك قوله «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ» «۱» و قوله:

«الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» و هذه الآية لا بد أن تكون مخصوصة بجماعة من أهل الكتاب، و هم الذين عرفوا التوراة و الإنجيل فعرفوا صحة نبوة محمد (ص) بما كانوا عرفوه من صفاته المذكورة، و دلائله الموجودة فى هذين الكتابين كما عرفوا أبناءهم فى أنها صحيحة لا مرية فيها و لم يرد أنهم عرفوا بنبوته اضطراراً، كما عرفوا أبناءهم ضرورة على أن أحدا لا يعرف أن من ولد على فراشه ابنه على الحقيقة، لأنه يجوز ان يكون من غيره، و ان حكم بأنه ولده لكونه مولوداً على فراشه، فصار معرفتهم بالنبى (ص) آكد من معرفتهم بابنائهم لهذا المعنى. و لم يكن جميع أهل الكتاب كذلك، فلذلك خصصنا الآية.

فان قيل: كيف يصح- على مذهبكم فى الموافاة- ان يكونوا عارفين باللّه، و بنبيه ثم يموتون على الكفر؟! قلنا عنه جوابان:

أحدهما- ان لا يكونوا عارفين بذلك بل يكونوا معتقدين اعتقاد تقليد،

---

(۱) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۱۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۹۶

و يعتقدون مع ذلك انهم عالمون به، فقال اللّه تعالى «يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ» فى اعتقادهم، لا انهم يعرفونه على الحقيقة كما قال «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» «۱» يعنى عند نفسك، و قومك.

الثانى- ان يكونوا عرفوا ذلك على وجه لا يستحق به الثواب، لأنهم يكونون نظروا فى الادلة لا لوجه وجوب ذلك عليهم، فولد ذلك المعرفة لكن لا يستحق بها الثواب. و قد بينا مثل ذلك فى عدة مواضع فيما مضى «۲» فسقط السؤال.

و قوله «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» يعنى بكفرهم بمحمد (ص) على وجه المعاندة «فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» و خسرانهم أنفسهم إهلاكهم لها بهذا الكفر، و تصييرهم لها الى ان لا ينتفعون بها. و من جعل نفسه بحيث لا ينتفع بها فقد خسر نفسه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۲۱] ..... ص : ۹۶

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (۲۱)

آية.

أخبر اللّه تعالى ان من أفترى على اللّه الكذب فوصفه بخلاف صفاته، و اخبر عنه بخلاف ما أخبر به عن نفسه، و عن أفعاله أنه لا أحد أظلم لنفسه منه إذ كان بهذا الفعل قد أهلك نفسه و أوقعها فى العذاب الدائم فى النار. ثم أخبر أن الظالم لا يفلح أى لا يفوز برحمة اللّه و ثوابه و رضوانه، و لا بالنجاة من النار، لان الظلم- ها هنا- هو الكفر بنبوة محمد (ص) و ذلك لا يغفر بلا خلاف.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۲۲] ..... ص : ۹۶

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۲۲)

---

(۱) سورة ۴۴ الدخان آية ۴۹ [.....]

(۲) فى ۱/ ۱۹۲ و ۲/ ۲۱ و ۴۹۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۹۷

آية.

قرأ يعقوب «و يوم يحشرهم جميعا ثم يقول» بالياء فيهما. الباقون بالنون فيهما من قرأ بالياء رده الى اللَّه تعالى فى قوله «عَلَى اللَّهِ كَذِباً» و تقديره:

يوم يحشرهم اللَّه فيقول. و من قرأ بالنون ابتدأ، و تقدير الآية اذكر يوم نحشرهم جميعا، يعنى يوم القيامة، لأنهم يحشرون فيه جميعا من قبورهم الى موضع الحساب، و أنه يقول- للذين أشركوا باللَّه، و عبدوا معه إلهاً غيره- فى هذا اليوم: أين الذين كنتم تزعمون أنهم شركائى؟! و أين شركائى فى زعمكم؟! و إنما يقول هذا توبيخا لهم و تبكيتا على ما كانوا يدعون أنهم يعبدونه من الأصنام و الأوثان، و يعتقدون أنها شركاء للَّه، و أنها تشفع لهم، يوم القيامة، فإذا لم يجدوا لما كانوا يدعونه صحة، و لم ينتفعوا بهذه الأوثان و لا بعبادتهم، فيعلمون أنهم كانوا كاذبين فى أقوالهم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۲۳ الى ۲۴] ..... ص : ۹۷

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ (۲۳) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۲۴)

آيتان بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و العليمى، و يعقوب «ثم لم يكن» بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ ابن كثير، و ابن عامر، و حفص الا ابن شاهين «فتنتهم» بالرفع.

الباقون بالنصب. و قرأ حمزة و الكسائى و خلف «و اللَّه ربنا» بنصب الباء.

الباقون بكسرها.

من قرأ بالتاء و رفع الفتنة أثبت علامة التأنيث. و تكون (أن) فى موضع نصب. و تقديره ثم لم تكن فتنتهم الا قولهم. و قد روى شبل عن ابن كثير «تكن» بالتاء «فتنتهم» نصباً مثل قراءة نافع و أبى عمرو عن عاصم. و وجهه التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۹۸

انه أنَّث «ان قالوا» لما كان الفتنة فى المعنى، كما قال «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «۱» فأنَّث لما كانت الأمثال فى المعنى الحسنات. و مثله كثير فى الشعر، قال ابو على و الاول أجود من حيث كان الكلام محمولا على اللفظ. و يقوى قراءة من قرأ: (فتنتهم) بالنصب أن قوله (ان قالوا) أن يكون الاسم دون الخبر أولى لان (أن) إذا وصلت لم توصف، فأشبهت بامتناع وصفها المضمر، فكما أن المضمر إذا كان مع المظهر كان (أن يكون) الا سم أحسن، كذلك إذا كانت (أن) مع اسم غيرها كانت (أن يكون) الاسم أولى.

و من قرأ (و اللَّه ربنا)- بكسر الباء- فعلى جعل الاسم المضاف وصفاً للمفرد، لان قوله (و اللَّه) جر بواو القسم. و لو أسقطت لقال: (اللَّه) بالنصب و مثله قولهم: رأيت زيداً صاحبنا و بكرا جارك، و يكون قوله «ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» جواب القسم.

و من نصب الباء يحتمل أمرين:

أحدهما- أن ينصبه بفعل مقدر، و تقديره: اعنى ربنا.

و الثانی- علی النداء. و یکون قد فصل بالاسم المنادی بین القسم و المقسم علیه بالنداء، و ذلک غیر ممتنع، لان النداء کثیر فی الکلام. و قد حال الفصل بین الفعل و مفعوله فی قوله: «إِنَّکَ آتَیْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِینَةً وَ أَمْوالًا فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا رَبَّنا لِیُضِلُّوا عَنْ سَبِیلِکَ» «۲». و المعنی آتیتهم أموالا لیضلوا و لا یؤمنوا و قد جاء الفصل بین الصلة و الموصول، و هو أشدها قال الشاعر:

ذاک الذی و أبیک یعرف مالک و الحق یدفع ترهات الباطل «۳»

و قال ابو عبیدة: من قرأ بالتاء المعجمة من فوقها و نصب «فتنتهم» أضمر فی (یکن) اسما مؤنثاً ثم یجیئ بالتاء لذلک الاسم، و انما جعله مؤنثا لتأنیث (فتنة) قال لبید:

---

(۱) سورة ۶ الانعام آیة ۱۶۰

(۲) سورة ۱۰ یونس آیة ۸۸

(۳) اللسان (تره).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۹۹

فمضی و قدمها و کانت عادة منه إذا هی عودت أقدامها «۱»

فأنث الاقدام لتأنیث (عادة). و قوله: «ثُمَّ لَمْ تَکُنْ فِتْنَتُهُمْ» أی لم تکن بلیتهم التی ألزمتهم الحجة و زادتهم لائمة الا قولهم.

و معنی الآیة: أنه تعالی لما ذکر قصص هؤلاء المشرکین الذین کانوا مفتنین بشرکهم، أعلم النبی (ص) أن افتتانهم بشرکهم، و إقامتهم علیه لم یکن الا أن تبرءوا منه، و قالوا انهم ما کانوا مشرکین، کما یقول القائل إذا رأی إنسان إنساناً یحب غاویاً فإذا وقع فی هلکة تبرأ منه فیقول له ما کانت محبتک لفلان الا أن انتفیت منه.

فان قیل: کیف قالوا و حلفوا أنهم ما کانوا مشرکین- و قد کانوا مشرکین- و هل هذا إلا کذب، و الکذب قبیح و لا یجوز من أهل الآخرة أن یفعلوا قبیحا، لأنهم ملجؤون الی ترک القبیح، لأنهم لو صح لم یکونوا ملجئین و کانوا مختارین، وجب أن یکونوا مزجورین عن فعل القبیح، و إلا أدی الی اغرائهم بالقبیح و ذلک لا یجوز، و لو زجروا بالوعید عن القبائح لکانوا مکلفین و لوجب أن یتناولهم الوعد و الوعید، و ذلک خلاف الإجماع، و قد وصفهم اللّه تعالی أیضا بأنهم کذبوا علی أنفسهم، فلا یمکن جحد أن یکونوا کاذبین، فکیف یمکن أن یرفع ذلک؟ و ما الوجه فیه؟

و الجواب عن ذلک من وجوه:

أحدها- ما قاله البلخی: إن القوم کذبوا علی الحقیقة، لأنهم کانوا یعتقدون أنهم علی الحق، و لا یرون أنهم مشرکون، کالنصاری و من أشبههم، فقالوا فی الموقف ذلک. و قیل: ان یقع بهم العذاب فیعلموا بوقوعه أنهم کانوا علی باطل فیقولوا «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما کُنَّا مُشْرِکِینَ» و هم صادقون عند أنفسهم و کذبهم اللّه فی ذلک، لان الکذب هو الاخبار بالشیء لا علی ما هو به، علم المخبر بذلک أو لم یعلم، فلما کان قولهم «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما کُنَّا مُشْرِکِینَ» کذباً فی

---

(۱) اللسان (قدم) و روایته (عردت) بدل (عودت).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۰۰

الحقیقة جاز أن یقال لهم «انْظُرْ کَیْفَ کَذَبُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ». قال البلخی:

و یدل علی ذلک قوله «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ» أی ذهب عنهم و أغفلوه، لأنهم لم یکونوا نظروا نظراً صحیحا و لم یجاروا فی نظرهم الالف و العادة، فیعلموا فی هذا الوقت أن قولهم شرک، و لو صاروا الی العذاب لعلموا أنهم کانوا مشرکین، و استغنوا بذلک، لکن هذا القول یکون عند الحشر. و قیل:

الجزاء بدلالة أول الآية. و قال مجاهد: قوله «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» تكذيب من اللَّه إياهم.

و قال الجبائى: قولهم «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» اخبار منهم أنهم لم يكونوا مشركين عند أنفسهم فى دار الدنيا، لأنهم كانوا يظنون انهم على الحق، فقال اللَّه تعالى مكذبا لهم «أنظر» يا محمد «كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» فى دار الدنيا، لا أنهم كذبوا فى الآخرة، لأنهم كانوا مشركين على الحقيقة، و ان اعتقدوا أنهم على الحق. و قوله: «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» أى ضلت عنهم أوثانهم التى كانوا يعبدونها و يفترون الكذب بقولهم: إنها شفعاؤنا عند اللَّه غدا، فذهبت عنهم فى الآخرة فلم يجدوها، و لم ينتفعوا بها.

و قال قوم: انه يجوز أن يكذبوا يوم القيامة للذهول و الدهش، لأنهم يصيرون كالصبيان الذين لا تمييز لهم و لا تحصيل معهم- اختاره أحمد ابن على بن الأخشاد. و أجاز النجار أن يكفروا فى النار فضلا عن وقوعه قبل دخولهم فيها، و هذا بعيد. و الوجهان الأولان أقرب.

و قيل فيه وجه آخر، و هو أنهم أملوا أملا فخاب أملهم و لم يقع الامر على ما أرادوا، لان من عادة الناس أنهم إذا عوقبوا بعقوبة فتكلموا و استعانوا و صاحوا فان العذاب يسهل عليهم بعض السهولة، و ظنوا أن عذاب الآخرة كذلك، فقالوا: «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» و قالوا «رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا» «۱» و قالوا «رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا» «۲» و

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۲۲

(۲) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۱۰۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۱۰۱

«رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا» «۳» فأملوا أن يخف عنهم العذاب بمثل هذا الكلام على عادة الدنيا، فلم يخف و لم يكن لهم فيه راحة، فقال اللَّه «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» أى خابوا فيما أملوا من سهولة العذاب و ذلك مشهور فى كلام العرب، قال الشاعر:

كذبتم و بيت اللَّه لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم «۴»

و قال آخر:

كذبتم و بيت اللَّه لا تنكحونها بنى شاب قرناها تصر و تحلب «۵»

أى كذبكم أملكم. و قال ابو داود الازدى:

قلت لما نصلا من فتنة كذب العير و ان كان برح «۶»

و المعنى أمل أنه يتخلص بشيء فكذبه أمله، لأنه ظن أنه إذا مرَّ بارحا و هو أن يأخذ فى ناحية الشمال الى ناحية اليمين لم يتهيأ لى طعنه، فلما قلب رمحه و طعنه قال: كذب العير أى كذب أمله.

و (الفتنة) فى الآية معناها المعذرة- فى قول قتادة- لأنها اعتذار عن الفتنة، فسميت باسم الفتنة. و قال قوم: هى المحنة. و قال قوم: تقديره عاقبة فتنتهم. و فتنتهم يجوز أن تكون بمعنى اغترارهم أى اغتروا بهذا الكذب و ظنوا أنه سينجيهم، و كذبوا على أنفسهم لما رجعت مضرته اليهم صار عليهم و ان قصدوا أن يكون لهم.

و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية، لان اللَّه تعالى أخبر عنهم أنهم قالوا «وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» فلا يخلو أن يكونوا صادقين أو كاذبين، فان كانوا صادقين لأنهم كانوا عارفين فى دار الدنيا فقد كذبهم اللَّه فى ذلك بقوله «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا» و ان كانوا كاذبين لأنهم كانوا عارفين، فقد وقع منهم القبيح فى الآخرة، و ذلك لا يجوز. و معنى الآية على ما بيناه

---

(۳) سورة ۴۱ حم السجدة آية ۲۹

(۴) مجمع البیان ۲: ۲۹۰

(۵) قائله الأسدی. اللسان (قرن).

(۶) اللسان (کذب).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۰۲

من أنهم أخبروا أنهم لم یکونوا مشرکین عند أنفسهم فی دار الدنیا و ان اللّه کذبهم و أنهم کانوا کاذبین علی الحقیقة و ان اعتقدوا خلافه فی الدنیا. فأما معارفهم فی الآخرة فضروریة عند البصریین، و عند البلخی و من وافقه، حاصلة علی وجه هم ملجؤون الیها، فعلی الوجهین معا لا یجوز أن یقع منهم القبیح لا محالة.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۲۵] ..... ص : ۱۰۲

وَ مِنْهُمْ مَنْ یَسْتَمِعُ إِلَیْکَ وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَةٍ لا یُؤْمِنُوا بِها حَتَّی إِذا جاؤُکَ یُجادِلُونَکَ یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ (۲۵)

آیة بلا خلاف.

قال مجاهد قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ یَسْتَمِعُ إِلَیْکَ» یعنی قریشا. و قال البلخی:

أی من أهل الکتاب و المشرکین من یجالسک و یرید الاستماع منک و الإصغاء الیک «وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً» لأنهم لا یفقهوه، لألفهم الکفر و شدة عداوتهم «حَتَّی إِذا جاؤُکَ یُجادِلُونَکَ» أی حتی إذا صار الامر الی الجدال أظهروا الکذب و عاندوا، فقالوا «إِنْ هذا إِلَّا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ» أی لیس هذا إلا أساطیر الأولین. و قال قوم: نزلت فی النظر بن الحارث بن کلدة. و قال الضحاک: معنی أساطیر الأولین أحادیث الأولین و کل شیء فی القرآن أساطیر، فهو أحادیث.

و (الاکنة) جمع کنان- بکسر الکاف- و هو کالغطاء و الاغطیة «وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً» أی ثقلا، و الوقر- بکسر الواو- الحمل، یقال و قرت الاذن توقر قال الشاعر:

و کلام سیئ قد وقرت أذنی منه و ما بی من صمم

و نخلة موقرة و موقر، و نخیل مواقیر. قال یونس سألت رؤبة، فقال التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۰۳

وقرت أذنه- بضم الواو و کسر القاف- یوقر- بفتح الیاء و القاف- إذا کان فیها الوقر. و قال أبو زید: سمعت العرب تقول: أذن موقرة- بضم المیم و فتح القاف- و من الحمل یقال: أوقرت الدابة فهی موقرة. و من السمع وقرت سمعه- بتشدید القاف- فهو موقر، قال الشاعر:

ولی هامة قد وقر الضرب سمعها «۱»

و أساطیر واحدها أسطورة، و إسطارة، مأخوذ من سطر الکتاب، قال الراجز:

انی و أسطار سطرن سطرا لقائل یا نصر نصرا نصرا «۲»

و أسطار جمع سطر. و من قال فی واحده: سطر، قال فی الجمع أسطر، و جمع الجمع أساطیر، و معناها الترهات البسابس یعنی لیس له نظام. و قال الأخفش: أساطیر جمع لا واحد له، نحو (مذاکیر و أبابیل) و قال بعضهم:

واحد الأبابیل إبیل- بتشدید الباء و کسر الالف-.

و معنی قوله: «وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً أَنْ یَفْقَهُوهُ» قد مضی نظائره.

فی قوله: «وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِیَةً» «۳» أی منعناهم الالطاف التی تبسط المؤمنین و تبعثهم علی الازدیاد من الطاعة، لان اللّه تعالی لما أزاح علتهم علله بالدعاء و البیان و الانذار و الترغیب و الترهیب فأبوا الا کفراً و عنادا و تمردا علی اللّه و إعراضا عنه و عما دعاهم الیه،

فمنعهم الطافه عقوبة لهم حيث علم أنهم لا ينتفعون بذلک و لا ينتهون الى الحق، و ألفوا الكفر و أحبوه حتى صاروا كالصم عن الحق و صارت قلوبهم كأنها فى أكنة فجاز أن يقال فى اللغة جعل على قلوبهم أكنة و فى آذانهم وقرا، كما يقول القائل لغيره أفسدت سيفک إذا ترک استعماله حتى يصدى، و جعلت أظافيرک سلاحاً إذا لم يقلمها. و يقال للرجل إذا آيس من عبده أو ولده بعد الاجتهاد فى تأديبه فخلاه و أقصاه قد جعلته بحيث لا يفلح

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۱: ۳۰۶.

(۲) قائله رؤبة ملحقات ديوانه ۱۷۴ و اللسان و الصحاح (نصر).

(۳) سورة ۵ المائدة آية ۱۴. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۰۴

أبدا و تركته أعمى أصما، و جعلته ثوراً و حماراً، و ان كان لم يفعل به شيئاً من ذلک و لم يرده بل هو مهموم به محب لخلافه، و لا يجوز أن يكون المراد بذلک أنه كلفهم ما لا يطيقونه، و ذلک لا يليق بحكمته تعالى، و لكانوا غير ملومين فى ترک الايمان حيث لم يمكنوا منه، و كانوا ممنوعين منه، و كانت الحجة لهم على اللَّه تعالى دون أن تكون الحجة له، و ذلک باطل، بل للَّه الحجة البالغة.

قوله «وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها» أى كل علامة و معجزة تدلهم على نبوة النبى (ص) لا يؤمنون بها لعنادهم. قال الزجاج (أن يفقهوه) فى موضع نصب لأنه مفعول له، و المعنى جعلنا على قلوبهم أكنة لكراهة أن يفقهوه فلما حذفت اللام نصب الكراهة، و لما حذفت الكراهة أنتقل نصبها الى (أن).

قال أبو على: كانوا إذا سمعوا القرآن من النبى آذوه و رجموه و شغلوه عن صلاته، فحال اللَّه بينهم و بين استماع ذلک فى تلک الحال التى كانوا عازمين فيها على ما ذكرناه بأن ألقى عليهم النوم إذا قعدوا يرصدونه فكانوا ينامون فلا يسمعون قراءته و لا يفقهون أنه قرآن، و لا يعرفون مكانه ليسلم النبى (ص) من شرهم و أذاهم فجعل منعه إياهم عن استماع القرآن، و عن التعرف لمكان النبى (ص) لئلا يرجموه و لا يؤذوه «أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ» أنه قرآن و أن محمدا هو الذى يقرأه. و بين أن كل آية يرددها عليهم النبى (ص) من قبل اللَّه لا يؤمنون بها، فلهذا منعهم اللَّه من استماع القرآن، لأنهم لم يكونوا يسمعونه ليستدلوا به على توحيد اللَّه و صحة نبوة محمد (ص) و انما كانوا يريدون بذلک تعرف مكانه ليؤذوه و يرجموه، فلهذا منعهم اللَّه من استماع القرآن و فهمه و لو كانوا ممن يؤمن و يقبل ما يردَّد عليه من الآيات من قبل اللَّه و يستدلوا بها على نبوة محمد (ص) ما كان اللَّه يمنعهم من سماع ذلک و فهمه.

و قوله «حَتَّى إِذا جاؤُکَ يُجادِلُونَکَ» يعنى أنهم إذا دخلوا اليه بالنهار انما يجيئون مجيئ مخاصمين مجادلين رادين مكذبين، و لم يكونوا يجيئون مجيئ من يريد الرشاد و النظر فى الدلالة الدالة على توحيد اللَّه و نبوة نبيه (ص) التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۰۵

و كانوا يريدون ذلک بأن يقولوا هذا أساطير الأولين، يعنون إنه من كلام الأولين و حوادثهم. و فى معنى هذه الآية قوله تعالى فى بنى إسرائيل: «وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَکَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً. وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً» «۱» فمعنى الآيتين واحد و سبب نزولهما واحد، و انما أنزلت هذه الآيات لئلا يمتنع النبى من قراءة القرآن خوفا من أذى الكفار فيفوت المؤمنين سماعه فيغتمون لذلک و تفوتهم مصلحته بل حثه اللَّه على قراءته و ضمن له المنع من أذاهم.

و قوله: «وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها» كالتعليل لجعله قلوبهم فى أكنة، و الوقر فى آذانهم، فقال: إنما فعلت هذا لعلمى بأنهم لا يؤمنون و أنه ليس فى سماعهم ذلک الا تطرُّق الأذى به عليک منهم، و قولهم «إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

و تحتمل الآية وجهاً آخر و هو: أنه يعاقب الكفار الذين لا يؤمنون بعقوبات يجعلها فى قلوبهم من نحو الضيق الذى ذكر أنه يخلقه فيها، و يجعل هذه العقوبات دلالة لمن شاهد قلوبهم و استماعهم من الملائكة، و شاهد منها هذه العقوبات، على أنهم لا يؤمنون من

غير أن يكون ذلـك حائلاـ بينهم و بين الايمان. ثم أخبر أنها بمنزلـة الاكنـة على قلوبهم عن فقه القرآن و بمنزلـة الوقر فى الآذان على وجه التمثيل له بـذلك تجوزاً و استعارة. و وجه الشـبه بينهما أن من كانت فى نفسه هذه العقوبات معلوم أنه لا يؤمن كما أن من على قلبه أكنة لا يؤمن، و كما سمى الكفر عماً، سماه باسم العمى على وجه التشبيه.

و يحتمل أيضا أن يكون الكفر الذى فى قلوبهم من جحد توحيد اللَّه و جحد نبوة نبيه، سماه كنا تشبيهاً و مجازاً، و إعراضهم عن تفهم القرآن و الإصـغاء اليه على وجه الاسـتعارة وقراً توسعا، لان مع الكفر و الاعراض لا يحصل الايمان و الفهم كما أن مع الكنَّ و الوقر لا يحصلان، و نسب هذا

---

(۱) سورة ۱۷ الاسراء آية ۴۵- ۴۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۰۶

الجعل الى نفسه، لأنه الـذى شـبه أحـدهما بالآخر و ذلك سائغ فى اللغـة كما يقول القائل لغيره- إذا أثنى على إنسان و ذكر فضائله و منـاقبه- جعلته فاضـلا خيراً عـدلا، و ان كان لم يفعل به ذلك. و بالعكس من ذلك إذا ذكر مقابحه و مخازيه و فسـقه يحسن أن يقال له: جعلته فاسقاً شريراً، و ان لم يفعل فى الحالين شيئاً من ذلك و كل ذلك مجاز. و منه قولهم: جعل القاضى فلانا عدلا و جعله ثقة و جعله ساقطا فاسقا، كل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك و الابانة عن حاله كما قال الشاعر:

جعلتنى باخلا كلاب و رب منى انى لأسمح كفا منك فى اللزب «۱»

أى سـمتنى باخلاـ و قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْـتَمِعُ إِلَيْـكَ ...» فكنى عنهـا بلفـظ الواحـد حملا له على اللفظ، فلما قال «وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» رده الى المعنى فعامله معاملة الجمع، لان لفظة (من) تقع على الواحد و على الجمع حقيقة.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۲۶] ..... ص : ۱۰۶

وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنْأَوْنَ عَنْهُ وَ إِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (۲۶)

آية بلا خلاف.

و قوله «و هم» كناية عن الكفار الذين تقدم ذكرهم عند أكثر المفسرين:

الجبائى و البلخى و غيرهم. و قال قوم: نزلت فى أبى لهب، لأنه كان يتبعه فى المواسم فينهى الناس عن أذاه و ينأى عن اتباعه. و الاول أشبه بسياق الآية.

و قيل: نزلت فى أبى طالب، و هـذا باطل عندنا، لأنه دل الدليل على إيمانه بما ثبت عنه من شـعره المعروف و أقاويله المشـهورة الدالة على اعترافه بالنبى (ص).

و قال مجاهد: نزلت فى قريش.

---

(۱) مجمع البيان ۲: ۲۸۶. و (كلاب) اسم قبيلة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۰۷

بين اللَّه تعـالى أن هؤلاـء الكفـار الـذين ذكرهم كانوا ينهون عن اتباع القرآن، و قبوله و التصـديق بنبوة نبيه، و يبعـدون عنه، لان معنى (ينأون) يبعدون الى حيث لا يسمعونه خوفاً من أن يسبق الى قلوبهم الايمان به و العلم بصحته.

و قوله «وَ إِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَـهُمْ» معناه ليس يهلكون إلا أنفسـهم «وَ ما يَشْـعُرُونَ» انهم ما يهلكون بنهيهم عن قبوله، و بعـدهم عنه «الا أنفسـهم» لأـنهم لا يعلمون إهلاكهم إياها بـذلك و إهلاكهم إياها هو ما يسـتحقون به الصـيرورة الى العـذاب الابـدى فى النار. و هل

هناک هلاک أعظم من ذلک؟!. و النأی:

البعد «ينأون» أی يتباعدون عنه، تقول نأيت عن الشیء أنأی نأيا، إذا بعدت عنه. و النؤی حاجز يجعل حول البيت من الخوف لان لا يدخله الماء من خارج يحفر حفرة حول البيت فيجعل ترابها على شفير الحفيرة، فيمنع التراب الماء أن يدخل من خارج، و هو مأخوذ من النأی، أی تباعد الماء عن البيت.

و فی الآية دلالة على بطلان قول من قال معرفة اللَّه ضرورة، و أن من لا يعرف اللَّه و لا يعرف نبيه لا حجة عليه، لان اللَّه بين أن هؤلاء الكفار قد أهلكوا أنفسهم بنهيهم عن قبول القرآن و تباعدهم عنه و انهم لا يشعرون و لا يعلمون بإهلاكهم أنفسهم بذلک، فلو كان من لا يعرف اللَّه و لا نبيه و لا دينه لا حجة عليه، لكانوا هؤلاء معذورين و لم يكونوا هالكين و ذلک خلاف ما نطق به القرآن.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۲۷] ..... ص : ۱۰۷

وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۲۷)

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و يعقوب و حفص «و لا نكذب ... و تكون» بالنصب فيهما، التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۰۸

وافقهم ابن عامر فی «و نكون» الباقون بالرفع فيهما، فمن قرأ بالرفع احتملت قراءته أمرين:

أحدهما- ان يكون معطوفا على نرد، فيكون قوله: «نرد و لا نكذب ... و نكون» داخلا فی التمنی و يكون قد تمنى الرد و ألا يكذب و أن يكون من المؤمنين، و هو اختيار البلخی و الجبائی و الزجاج.

و الثانی- أن يكون مقطوعا عن الاول، و يكون تقديره يا ليتنا نرد و لا نكذب كما يقول القائل: دعنی و لا أعود، أی فأنی ممن لا يعود، فإنما يسألک الترک، و قد أوجب على نفسه ألا يعود ترک أو لم يترک. و لم يقصد أن يسأل أن يجمع له الترک و أن لا يعود.

و هذا الوجه الذی اختاره أبو عمرو فی قراءة جميع ذلک بالرفع، فالأول الذی هو الرد داخل فی التمنی و ما بعده على نحو دعنی، و لا أعود، فيكونون قد أخبروا على النيات أن لا يكذبوا و يكونوا من المؤمنين.

و استدل أبو عمرو على خروجه من المتمنى بقوله «وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» فقال ذلک يدل على أنهم أخبروا بذلک عن أنفسهم، و لم يتمنوا، لان التمنی لا يقع فيه الكذب و انما يقع فی الخبر دون التمنی.

و من نصب «نكذب ... و نكون» أدخلهما فی التمنی، لان التمنی غير موجب، فهو كالاستفهام و الامر و النهی و العرض، فی انتصاب ما بعد ذلک كله من الافعال إذا دخلت عليها الفاء أو الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الاول، كأنه قال: يا ليتنا يكون لنا رد، و انتفاء للتكذيب و كون من المؤمنين.

و من نصب «و نكون» فحسب، و رفع «نُرَدُّ وَ لا نُكَذِّبَ» يحتمل أيضاً وجهين:

أحدهما- أن يكون داخلا فی التمنی، فيكون فی المعنى كالنصب.

و الثانی- انه يخبر على النيات أن لا يكذب ردَّ أو لم يرد. التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۰۹

و من نصب «وَ لا نُكَذِّبَ و نَكُونَ» جعلهما جميعا داخلين فی التمنی كما أن من رفع و عطفه على التمنی كان كذلک. فان قيل: كيف يجوز أن يتمنوا الرد الى الدنيا و قد علموا عند ذلک انهم لا يردون؟

قيل عن ذلک أجوبة:

أحدها- قال البلخی: إنا لا نعلم أن أهل الآخرة يعرفون جميع أحكام الآخرة، و انما نقول: انهم يعرفون اللَّه بصفاته معرفة لا يتخالجهم فيها الشک لما يشاهدونه من الآيات و العلامات الملجئة لهم الى المعارف. و أما التوجع و التأوه و التمنی للخلاص و الدعاء بالفرج يجوز أن يقع منهم و أن تدعوهم أنفسهم اليه. و قال ابو على الجبائی و الزجاج: يجوز أن يقع منهم التمنی للرد، و لان يكونوا من

المؤمنين، و لا مانع منه. و قال آخرون: التمنى قد يجوز لما يعلم انه لا يكون ألا ترى أن المتمنى يتمنى أن لا يكون فعل ما قد فعله و مضى وقته، و هذا لا حيلة فيه، فعلى هذا قوله فى الآية الثانية «وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» يكون حكاية حال منهم فى دار الدنيا، كما قال: «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ» «۱» و كما قال «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» «۲» و انما هو حكاية للحالة الآتية.

و قوله «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ» أمال فى الموضعين ابو عمرو و غيره و هى حسنة فى أمثال ذلك، لان الراء بعده الالف مكسورة و هو حرف كأنه مكرر فى اللسان فصارت الكسرة فيه كالكسرتين، فحسن لذلك الامالة. و قوله «إذ وقفوا» يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- أن يكون عاينوها و وردوها قبل أن يدخلوها. و يجوز أن يكونوا أقيموا عليها نفسها.

و الثانى- أن يكونوا عليها و هى تحتهم.

و ثالثها- أن يكون معناه دخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما يقول القائل:

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۱۸

(۲) سورة ۱۶ النحل آية ۱۲۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۰

قد وقفت على ما عند فلان، أى فهمته و تبينته. قال الكسائى: يقال: وقفت الدابة و غيرها إذا حبستها- بغير ألف- و هى لغة القرآن، و هو الأفصح، و كذلك وقفت الأرض إذا جعلتها صدقة. و قال ابو عمرو ما سمعت احداً من العرب يقول: أوقفت الشيء بالألف الا أنى لو رأيت رجلا بمكان، فقيل له ما أوقفك هاهنا لرأيته حسناً.

و أستدل أبو على بهذه الآية على ان القدرة قبل الفعل خلافاً للمجبرة بأن قال تمنوا الرد الى دار الدنيا الى مثل الحالة التى كانوا عليها، و لا يجوز من عاقل أن يتمنى أن يرد الى الدنيا و يخلق فيه القدرة الموجبة للكفر، لان ذلك لا يخلصه من العذاب بل يؤديه الى حالته التى كان عليها. و هذا ضعيف، لان لقائل أن يقول: إنهم تمنوا الرد و رفع التكذيب و حصول الايمان بأن تحصل لهم قدرة الايمان، و لا تحصل لهم قدرة التكذيب، و ليس فى الآية أنهم سألوا الرد الى الحالة التى كانوا عليها، فلا متعلق فى ذلك. و استدل ايضاً على أنه إذا كان المعلوم من حال الكافر أنه يؤمن وجب تبقيته بأن قال: أخبر اللّه أنه انما لم يردهم لأنهم «لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» و ظاهر ذلك يقتضى أنه لو علم أنه لو ردهم لآمنوا، لوجب أن يردهم، و إذا وجب أن يردهم إذا علم أنهم يؤمنون بأن يجب تبقيتهم إذا علم أنهم يؤمنون أولى. و هذا أيضاً ضعيف، لان الظاهر أفاد أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، و ليس فيه أنهم لو ردوا لآمنوا أو ما حكمهم بل هو موقوف على الدلالة، لأنه دليل الخطاب على أن غاية ما فيه أنه يفيد أنه لو علم من حالهم أنه متى ردهم آمنوا يردهم، فمن أين أن ذلك واجب عليه؟! و هل هذا الا كقوله «وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» فى أنه لا خلاف بين أهل العدل أنه كان يجوز له أن يعذب و ان لم يبعث رسولا بأن لا تقتضى المصلحة بعثته و يقتصر بهم على التكليف العقلى، فإنهم متى عصوا كان له أن يعذبهم فلا شبهة فى الآية.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۲۸] ..... ص : ۱۱۰

بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۲۸)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۱

آية.

قوله «بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ» معناه من عقاب اللّه فعرفوه معرفة من كانوا يسترونه عنه. و قال قوم: بداً لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه عن جهالهم و ضعفائهم مما فى كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم.

و قيل: معناه بل بدأ من أعمالهم ما كانوا يخفونه، فأظهره اللّه و شهدت به جوارحهم. و قال الزجاج: ظهر للذين أتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه من أمر البعث و النشور، لان المتصل بهذا قوله «وَ قالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ» لنجزى على المعاصى.

و قوله: «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» قال بعضهم: لو ردوا و لم يعاينوا العذاب لعادوا كأنه ذهب الى أنهم لم يشاهدوا ما يضطرهم الى الارتداع، و هذا ضعيف، لان هذا القول يكون منهم بعد أن يبعثوا و يعلموا أمر القيامة و يعاينوا النار بدلالة قوله: «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ» و هذه الآيات كلها فى المعاندين، لأنه قال فى أولها «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ» ثم قال بعد ذلك «وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها» و قال ابو على الجبائى: الآية مخصوصة بالمنافقين و ظهر لهم ما كانوا يخفونه من كفرهم الذى كانوا يضمرونه. قال و الآية الاولى و ان كان ظاهرها يقتضى جميع الكفار و المنافقون داخلون فيهم فيجوز أن يخبر عنهم بهذا الحكم. قال:

و يحتمل أن يكون أراد بها الكافرين الذين كان النبى يخوفهم بالعذاب على كفرهم فلم يؤمنوا بذلك لكن دخلهم الشك و الخوف و أخفوه عن ضعفائهم و عوامهم، فإذا كان يوم القيامة ظهر ذلك و ان أخفوه فى الدنيا فيتمنون حينئذ الرد الى حال الدنيا. و قيل: «بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ» معنى «يخفون» يجدونه خافيا. و معنى «بل بدا» ليس تمنيهم الرجعة و اظهار الانابة حقاً للايمان الصحيح، بل لما شاهدوه من العذاب الأليم. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۲

و قوله «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» معناه إنهم لو ردوا الى حال التكليف و الى مثل ما كانوا عليه فى الدنيا من المهلة و التمكين من الايمان و التوبة و القدرة على ذلك، لعادوا لمثل ما كانوا عليه من الكفر الذى نهوا عنه.

و قوله تعالى «وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» قد بينا ان المراد به الحكاية عن حالهم فى الدنيا و أنهم كانوا فيها كاذبين فى كفرهم و تكذيبهم رسول اللّه و القرآن. و قال البلخى هذا الكذب وقع منهم فى الحال و ان لم يعلموه كذباً، لأنهم أخبروا عن عزمهم أنهم لو ردوا لكانوا مؤمنين. و قد علم اللّه أنهم لو عادوا الى الدنيا لعادوا الى كفرهم، و كان إخبارهم بذلك كذبا، و ان لم يعلموه كذلك، لان مخبره على خلاف ما أخبروه و هذا الذى ذكروه ضعيف، لأنهم إذا أخبروا عن عزمهم على الايمان ان ردوا أو كانوا عازمين عليه لا يكونون كاذبين، لان مخبر خبرهم العزم، و هو على ما أخبروا فكيف يكذبون فيه، و الاول أقوى.

فأما الكذب مع العلم بأنه ليس كذلك، فلا خلاف بين أبى على و أبى القاسم أنه لا يجوز أن يقع منهم فى الآخرة، لان أهل الآخرة ملجؤون الى ترك القبيح، لأنهم لو لم يكونوا ملجئين لوجب أن يكونوا مزجورين من القبيح بالأمر و النهى و الثواب و العقاب، و ذلك يوجب أن يكون ذاك التكليف، و لا خلاف أنه ليس هناك تكليف. و إن لم يزجروا و لم يلجئوا الى تركه كانوا مغريين بالقبيح و ذلك فاسد. فإذاً لا يجوز أن يقع منهم القبيح بحال.

و

قال بعض المفسرين سئل النبى (ص) فقيل له: ما بال أهل النار عملوا فى عمر قصير بعمل أهل النار فخلدوا فى النار؟ و أهل الجنة عملوا فى عمر قصير بعمل أهل الجنة فخلدوا فى الجنة؟! فقال: (ان الفريقين كان كل واحد منهما عازماً على أنه لو عاش أبدا عمل بذلك).

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۲۹ الى ۳۰] ..... ص : ۱۱۲

وَ قالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (۲۹) وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ قالَ أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ قالُوا بَلى وَ رَبِّنا قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۳۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۳

آيتان بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى فى هـذه الآيـة عن الكفار الـذين ذكرهم فى الآيـة الاولى، و بين أنهم قالوا لما دعاهم النبى (ص) الى الايمان و الإقرار بالبعث و النشور و خوفهم من العقاب فى خلافه، و حـذرهم عذاب الآخرة و الحشـر و الحساب على سبيل الإنكار لقوله و التكذيب له «ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا» و عنوا أنه لا- حياة لنا فى الآ-خرة على ما ذكرت، و انما هى هـذه حياتنا التى حيينا بها فى الـدنيا و انا لسنا بمبعوثين الى الآ-خرة بعد الموت. ثم خاطب نبيه (ص) فقال «وَ لَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ» يعنى على ما وعدهم ربهم من العذاب الذى يفعله بالكفار فى الآخرة و الثواب الذى يفعله بالمؤمنين، و عرفوا صحة ما كان أخبرهم به من الحشر و الحساب. و قال لهم ربهم عند مشاهدتهم و وقوفهم عليه «أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ؟ قالُوا بَلى وَ رَبِّنا» مقرين بذلك مذعنين له و ان كانوا قبل ذلك فى الدنيا ينكرونه، قال حينئذ «فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» بذلك.

و يحتمل أن يكون معنى «إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ» أنهم حبسوا ينتظر بهم ما يأمر كقول القائل: احبسه على أمره به. و قد ظن قوم من المشبهة أن قوله «إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ» أنهم يشاهدونه، و هذا فاسد، لا-ن المشاهدة لا تجوز الا على الأجسام أو على ما هو حال فى الأجسام، و قد ثبت حدوث ذلك أجمع، فلا يجوز أن يكون تعالى بصفة ما هو محدث. و قد بينا أن المراد بذلك:

وقوفهم على عذاب ربهم و ثوابه، و علمهم بصدق ما أخبرهم به فى دار الدنيا دون أن يكون المراد به رؤيته تعالى و مشاهدته، فبطل ما ظنوه. و ايضا فلا- خلاف أن الكفار لا يرون اللَّه، و الآية مختصة بالكافرين فكيف يجوز أن يكون التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۴

المراد بها الرؤية! فلا بد للجمع من التأويل الذى بيناه. و يجوز ان يكون المراد بذلك إذا عرفوا ربهم، لأنه سيعرفهم نفسه ضرورة فى الآخرة، و تسمى المعرفة بالشيء وقوفا عليه يقول القائل: وقفت على معنى كلامك، و المعنى علمته، و إذا كان الكفار لا يعرفون اللَّه فى الدنيا و ينكرونه، عرفهم اللَّه نفسه ضرورة، فذلك يكون وقوفهم عليه، فإذا عرفوه قال لهم «أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ» يعنى ما وعدهم به، فيقولون «بلى» لأنهم شاهدوا العقاب و الثواب و لم يشكوا فيهما.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳۱] ..... ص : ۱۱۴

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ (۳۱)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى أنه خسر هؤلاء الكفار «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ» يعنى الذين كذبوا بما وعد اللَّه به من الثواب و العقاب و جعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازا، كما يقول المسلمون لمن مات منهم: قد لقى اللَّه و صار اليه. و انما يعنون: لقى ما يستحقه من اللَّه و صار الى الموضع الذى لا- يملك الامر فيه سواه، كما قال «وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» «۱» و الموت لا- يشاهد، و انما أراد انكم كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوا أسبابه، فقد رأيتم أسبابه و أنتم تنظرون، فجعل لقاء أسبابه لقاءه.

و قوله «حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً» كل شيء أتى فجأة، فقد بغت يقال: قد بغتة الامر يبغته بغتا و بغتة إذا أتاه فجأة قال الشاعر:

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۴۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۵

و لكنهم ماتوا و لم أخش بغتة و أفظع شيء حين يفجؤك البغت «۲»

و قوله «قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها» قد علم أن الحسرة لا تدعى و انما دعاؤها تنبيه للمخاطبين. و (الحسرة) شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذى تقوم به دابته فى السفر البعيد. قال الزجاج: العرب إذا اجتهدت فى المبالغة فى الاخبار عن أمر عظيم يقع فيه جعلته نداء، فلفظه لفظ ما ينبه، و المنبه به غيره، كقوله «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ» «۳» و قوله «يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ» «۴» و «يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ» «۵» و «يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا» «۶»، فهذا أبلغ من ان يقول: أنا اتحسر على العباد و ابلغ من ان يقول: الحسرة علينا فى تفريطنا. قال سيبويه: إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر و تعال يا عجب، فانه من أزمانك. و تأويل «يا حَسْرَتَنا» انتبهوا على أنا قد خسرنا. و قوله «عَلى ما فَرَّطْنا فِيها» يعنى قدمنا العجز. و قيل معناه ما ضيعنا فيها يعنى فى الساعة. و انما يحسروا على تفريطهم فى الايمان و التأهب لكونها بالأعمال الصالحة.

و قوله «وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ» يعنى ثقل ذنوبهم، و هذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يتحمل، لان الثقل قد يستعمل فى الوزن و قد يستعمل فى الحال تقول فى الحال: قد ثقل على خطاب فلان، و معناه كرهت خطابه كراهة اشتدت على. و يحتمل أن يكون المراد بالأوزار العقوبات التى استحقوها بالذنوب و العقوبات قد تسمى اوزاراً، فبين أنه لثقلها عليهم يحملونها على ظهورهم. و ذلك يدل على عظمها. و (الوزر) الثقل فى اللغة و اشتقاقه من الوزر، و هو الجبل الذى يعتصم به. و منه قيل: وزير،

---

(۲) قائله: يزيد بن ضبة الثقفى. اللسان (بغت) و مجاز القرآن ۱: ۱۹۳

(۳) سورة ۳۶ يس آية ۳۰

(۴) سورة ۳۹ الزمر آية ۵۶

(۵) سورة ۱۱ هود آية ۷۲

(۶) سورة ۳۶ يس آية ۵۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۶

كأنه يعتصم الملك به، و منه قوله «وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي» «۳» و قال «وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً» «۴». و قوله «أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ» يعنى بئس الشيء شيئا يزرونه أى يحملونه، و قد بينا عمل (بئس، و نعم) فيما مضى. و مثله «ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ» «۵» و معناه ساء مثلا مثل القوم. و قال بعضهم: معنى «يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ» وصف افتضاحهم فى الموقف بما يشاهدونه من حالهم و عجزهم عن عبور الصراط كما يعبره المخفون من المؤمنين. و معنى قوله «أَلا ساءَ» ما ينالهم جزاء لذنوبهم و أعمالهم الردية إذ كان ذلك عذابا و نكالا.

و قوله «يزرون» من وزر يزر وزراً إذا أثم. و قيل أيضا: وزر، فهو موزور إذا فعل به ذلك. و منه الحديث فى النساء يتبعن جنازة قتيل لهن (أرجعن موزورات غير مأجورات) و العامة تقول مأزورات.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳۲] ..... ص : ۱۱۶

وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۳۲)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «و لدار الآخرة» بلام واحدة مع تخفيف الدال. و خفض (الآخرة) على الاضافة. الباقون بلامين و تشديد الدال و ضم الآخرة. و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و حفص و يعقوب «تعقلون» بالتاء هاهنا و فى (الاعراف و يوسف) وافقهم يحيى و العليمى فى (يوسف). و من قرأ بلامين و شدد الدال جعل (الآخرة) صفة ل (و للدار)، و أجراها فى الاعراب مجراها. و استدل على كونها صفة (للدار) بقوله: «وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى» «۶» فاقامتها مقامها يدل على أنها هى و ليس غيرها. فيجوز أن يضيف اليها، و قووا ذلك

(۳) سورة ۲۰ طه آية ۲۹- ۳۰

(۴) سورة ۲۵ الفرقان آية ۳۵

(۵) سورة ۷ الاعراف آية ۱۷۶

(۶) سورة ۹۳ الضحى آية ۴ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۷

بقوله «وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ» «۲» و قوله «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ» «۳» و من قرأ بلام واحدة و خفف الدال فانه لم يجعل «الآخرة» صفة (للدار) لان الشيء لا يضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة، و كأنه قال:

و لدار الساعة الآخرة، و جاز وصف الساعة ب (الآخرة) كما وصف اليوم بالآخر فى قوله: «و ارجوا اليوم الآخر» «۴» و حسن اضافة (الدار) الى الآخرة و لم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف، لان الآخرة صارت كالابطح و الأبرق، ألا ترى أنه قد جاء «وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى» «۵» و استعملت استعمال الأسماء و لم تكن مثل الصفات التى لم تستعمل استعمال الآخرة. و مثل (الآخرة) فى انها استعملت استعمال الأسماء قولهم: الدنيا، لما استعملت استعمال الأسماء حسن أن لا تلحق لام التعريف فى نحو قول الشاعر:

فى سعى دنيا طال ما قد مدَّت و قال الفراء: جعلت (الدار) ها هنا اسما و (الآخرة) صفتها، و أضيفت فى غير هذا الموضع. و مثله مما يضاف الى مثله قوله: «حق اليقين» «۶» و الحق هو اليقين، و مثله قولهم بارحة الاولى، و يوم الخميس، فيضاف الشيء الى نفسه إذا اختلف اللفظ، و إذا اتفق لم يجز ذلك، لا يقولون حق الحق و لا يقين اليقين، لأنهم يتوهمون إذا اختلفا فى اللفظ أنهما مختلفان فى المعنى.

بين اللَّه تعالى فى هذه الآية أن ما يتمتع به فى الدنيا بمنزلة اللعب و اللهو، اللذين لا عاقبة لهما فى المنفعة و يقتضى زوالهما عن أهلها فى أدنى مدة و أسرع زمان، لأنه لاثبات لهما و لا بقاء، فأما الاعمال الصالحات، فهى من أعمال الآخرة و ليست بلهو و لا لعب. و بين ان الدار الآخرة و ما فيها من أنواع النعيم و الجنان خير للذين يتقون معاصى اللَّه، لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها

(۲) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۶۴، ۳۶

(۳) سورة ۲۸ القصص آية ۸۳

(۴) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۶۴، ۳۶

(۵) سورة ۹۳ الضحى آية ۴

(۶) سورة ۵۶ الواقعة آية ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۸

و لا يذهب عنهم سرورها.

و قوله «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» أن ذلك كما وصفت لهم فيزهدوا فى شهوات الدنيا و يرغبوا فى نعيم الآخرة بفعل ما يؤديهم اليه من الاعمال الصالحة.

و من قرأ (يعقلون) بالياء، فلأنه قد تقدم ذكر الغيبة فى قوله «لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» و التقدير أفلا يعقل الذين يتقون ان الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار فيعملوا بما ينالون به من النعيم الدائم. و من قرأ بالتاء قصد خطاب جميع الخلق المواجهين به.

و العقل هو الإمساك عن القبيح و قصر النفس و حبسها على الحسن و الحجا أيضا احتباس و تمكث، قال الشاعر:

فهن يعكفن به إذا حجا «۱»

و انشد الاصمعى

حيث يحجا مطرق بالفالق «۲»

حجا أقام بالمكاره، و الحجا مصدر كالشبع، و منه الحجيا اللغز للتمكث الذى يلقى عليه حتى يستخرجها. قال ابو زيد: جمع حجى حجيات، فجاءت الحجيا مصغرة كالثريا و الجديا، و النهى يحتمل أن يكون جمعا بدلالة قوله «لِأُولِي النُّهى «۳» لأنه اضافه الى الجمع. و يجوز ان يكون مفردا فى موضع الجمع، و هو فى معنى ثبات، و حسن. و منه النهى، و النهى و التنهية للمكان الذى ينتهى اليه الماء فينتقع فيه لتسفله و يمنعه ارتفاع ما حوله من أن يسيح فيذهب على وجه الأرض.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳۳] ..... ص : ۱۱۸

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (۳۳)

---

(۱) قائله العجاج. اللسان (حجا) و عجزه (عكف النبيط يلعبون الفنزجا)

(۲) قائله عمار بن أيمن الريانى. اللسان (حجا).

(۳) سورة ۲۰ طه آية ۵۴، ۱۲۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۱۹

آية بلا خلاف.

قرأ نافع و الكسائى و الأعشى الا النفار «لا يكذبوك» بسكون الكاف و تخفيف الدال، و هو المروى عن على (ع) و عن أبى عبد اللَّه (ع).

الباقون بفتح الكاف و تشديد الذال من التكذيب. و قرأ نافع «انه ليحزنك» بضم الياء و كسر الزاى. الباقون بفتحها و ضم الزاى. قال ابو على الفارسى (فعل، و فعلته) جاء فى حروف، و الاستعمال فى (حزنته) أكثر من (أحزنته) فالى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء. و قال تعالى «إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ» «۱» و يقال حزن يحزن حزنا و حزنا، قال تعالى «وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» «۲» ثم قال: «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» «۳» قال سيبويه: قالوا (حزن الرجل، و حزنته) قال و زعم الخليل: أنك حيث قلت (حزنته) لم ترد ان تقول جعلته حزينا كما أنك حيث قلت أدخلته أردت جعلته داخلا، و لكنك أردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما قلت كحلته أى جعلت فيه كحلا و دهنته جعلت فيه دهنا، و لم يرد ب (فعلته) هذا تعدية قوله حزن، و لو أردت ذلك لقلت احزنته و مثل ذلك ستر الرجل و سترت عليه، فإذا أردت تغيير ستر الرجل قلت أسترت كما تقول فزع و أفزعته.

و حجة نافع أنه أراد تغيير (حزن) فنقله بالهمزة. و قال الخليل: إذا أردت تغيير (حزن) قلت (أحزنته) فدل ذلك على أن (أحزن) مستعمل و ان كان (حزّنته) اكثر. و حكى أبو زيد: أحزننى الامر إحزانا، و هو يحزننى، ضموا الياء. و قال سيبويه: قال بعض العرب: أفتنت الرجل و أحزنته و ارجعته و اعورت عينه، أى جعلته حزينا و فانيا، فغيروا ذلك كما فعلوا بالباب الاول.

---

(۱) سورة ۱۲ يوسف آية ۱۳

(۲) سورة ۱۵ الحجر آية ۸۸ و النحل ۱۶ آية ۱۲۷ و النمل ۲۷ آية ۷۰

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۳۸، ۶۲، ۱۱۲، ۲۶۲، ۲۷۴، و ۵ المائدة آية ۷۲ و ۶ الانعام آية ۴۸ و ۷ الاعراف آية ۳۴ و ۱۰ يونس آية ۶۲ و غيرها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲۰

و قوله «قد نعلم انه» انما كسرت الهمزة، لان فى خبرها لا ما للتأكيد.

لما علم اللَّه تعالى أن النبى (ص) يحزنه تكذيب الكفار له و جحدهم نبوته سلاه عن ذلك بأن قال «فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» و من قرأ بالتخفيف قال: معناه لا يلفونك كاذبا، كما يقولون: سألته فما أبخلته، و قاتلته فما أجبنته أى ما وجدته بخيلا و لا جبانا. و

قال أبو عبد اللَّه (ع) معنى «لا يُكَذِّبُونَكَ» لا يأتون بحق يبطلون به حقك.

و قال الفراء: معنى التخفيف لا يجعلونك كذابا، و انما يريدون أن ما جئت به باطل، لأنهم لم يفتروا عليك كذبا، فيكذبوا لأنهم لم يعرفوه (ص) و انما قالوا: ان ما جئت به باطل لا نعرفه من النبوة، فأما التكذيب بأن يقال له كذبت، و قال بعض اهل اللغة: هذا المعنى لا يجوز، لأنه لا يجوز أن يصدقوه و يكذبوا ما جاء به، و هو ان اللَّه ارسلنى إليكم و أنزل علىَّ هذا الكتاب و هو كلام ربى. و من قرأ بالتشديد احتمل وجوها:

أحدها- انهم لا يكذبونك بحجة يأتون بها أو برهان يدل على كذبك، لان النبى (ص) إذا كان صادقا فمحال أن يقوم على كذبه حجة، و لم يرد أنهم لا يكذبونه سفها و جهلا به.

و الثانى- أنه أراد فإنهم لا يكذبونك بل يكذبونى لان من كذب النبى (ص) فقد كذب اللَّه، لان اللَّه هو المصدق له كما يقول القائل لصاحبه:

فلان ليس يكذبك، و انما يكذبنى دونك، يريد ان تكذيبه إياك راجع الى تكذيبى، لانى أنا المخبر لك و انت حاك عنى.

و ثالثها- ان يكون أراد انهم لا ينسبونك الى الكذب لأنك كنت معروفا عندهم بالامانة و الصدق فانه (ص) كان يدعى فيهم الأمين قبل الوحى، و كان معروفا بينهم بذلك لكنهم لما أتيتهم بالآيات جحدوها بقصدهم التكذيب بآيات اللَّه و جحدها لا لتكذيبك، قال أبو طالب:

ان ابن آمنة الأمين محمدا التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲۱

و رابعها- ان تكون الآية مخصوصة بقوم معاندين كانوا عارفين بصدقه و لكنهم يجحدونه عنادا و تمردا. و قال الحسن: معناه «نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ» انك ساحر و انك مجنون فإنهم لا يكذبونك، لان معرفة اللَّه فى قلوبهم بانه واحد «وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ».

و خامسها- قال الزجاج: لا يكذبونك، لا يقدرون أن يقولوا لك فيما انبأت به بما فى كتبهم كذبت. قال أبو على: يجوز ان يكون المعنى- فيمن ثقل- قلت له كذبت، مثل زنَّيته و فسَّقته إذا نسبته الى الزنا و الفسق. و (فعلت) جاء على وجوه نحو خطأته أى نسبته الى الخطأ، و سقيته و رعيته، أى قلت له سقاك اللَّه و رعاك، و قد جاء فى هذا المعنى أفعلته، قالوا: أسقيته، أى قلت له سقاك اللَّه، قال الشاعر:

و أسقيته حتى كاد مما أبثه تكلمنى أحجاره و ملاعبه «۱»

فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحدا، و ان اختلف اللفظان، كما تقول: قللت و كثرت و أقللت و أكثرت بمعنى واحد حكاه سيبويه، و قال الكميت:

فطائفة قد اكفرونى بحبكم و طائفة قالوا مسيئ و مذنب «۲»

و حكى الكسائى عن العرب أكذبت الرجل إذا أخبرت انه جاء بكذب، و كذبته إذا أخبرت انه كذاب بقوله كذبته إذا أخبرت انه جاء بكذب، كقولهم:

اكفرته إذا نسبوه الى الكفر، و كذبته أخبرته أنه كذاب مثل فسقته إذا أخبرته انه فاسق.

و قوله «وَ لكِنَّ الظّالِمِينَ» يعنى هؤلاء الكفار «بِآياتِ اللَّهِ» يعنى القرآن و المعجزات يجحدون ذلك بغير حجة، سفها و جهلا و عنادا.

---

(۱) مقاييس اللغة ۱: ۱۷۲.

(۲) قد مر هذا البيت فى ۱: ۱۱۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲۲

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳۴] ..... ص : ۱۲۲

وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا وَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ وَ لَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (۳۴)

آية بلا خلاف.

صلى اللَّه تعالى بهذه الآية نبيه (ص) بان اخبر ان الكفار قد كذبوا رسلا من قبلك، و صبر الرسل على تكذيبهم و على ما نالهم من أذاهم، و تكذيب الكفار لهم، حتى إذا جاء نصر اللَّه إياهم على المكذبين، فمنهم من نصرهم عليهم بالحرب و مكنهم من الظفر بهم حتى قتلوهم، و منهم من نصرهم عليهم بان أهلكهم و استأصلهم كما أهلك عادا و ثمودا و قوم نوح و لوط، و غيرهم.

فأمر اللَّه نبيه (ص) بالصبر على كفار قومه و أذاهم الى ان يأتيه نصره كما صبرت الأنبياء. و قوله «لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ» معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر اللَّه على الحقيقة، و لا على إخلاف وعده فان ما أخبر اللَّه به ان يفعل بالكفار، فلا بد من كونه لا محالة، و ما وعدك به من نصره فلا بد من حصوله، لأنه لا يجوز الكذب فى اخباره، و لا الخلف فى وعده. و قيل:

معناه انه لا مبطل لحججه و براهينه و لا مفسد لادلته.

و قوله «وَ لَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ» معناه انه لا تبديل لخبر اللَّه و لا خلف لذلك و لا تكذيب، و ان ما أخبر اللَّه به ان ينزله بالكفار فانه سيفعل بهم كما فعل بأمم من تقدم من الأنبياء الذين أنزل اللَّه عليهم العذاب و استأصلهم بتكذيبهم أنبياءهم و عرفك أخبارهم على صحتها.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳۵] ..... ص : ۱۲۲

وَ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ (۳۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲۳

آية بلا خلاف خاطب اللَّه تعالى بهذه الآية نبيه (ص) فقال له «إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ» و عظم عندك «اعراضهم» أى اعراض هؤلاء الكفار عما أتيتهم به من القرآن و المعجزات و امتناعهم من اتباعك و التصديق لك و كنت حزينا لذلك «فَإِنِ اسْتَطَعْتَ» و قدرت أو تهيأ لك ان تبتغى نفقا ان تتخذ فى جوف الأرض مسكنا و هو النفق «فى الأرض» إذا كان له منفذ «أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ» أو ان تصعد الى السماء بسلم «فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ» يعنى بآية تلجئهم الى الايمان و تجمعهم عليه و على ترك الكفر فافعل ذلك. و حذف فافعل لدلالة الكلام عليه، كما تقول: ان رأيت ان تقوم و معناه فقم، و ان أراد غير ذلك لم يجز ان يسكت الا بعد ان يأتى بالجواب، لأنه ان أراد ان أردت ان تقوم تصب خيرا فلا بد من الجواب، و لم يرد بذلك آية يؤمنون عندها مختارين، لأنه تعالى فعل بهم الآيات التى تزاح علتهم بها و يتمكنون معها من فعل الايمان لأنه لو علم تعالى أنه إذا فعل بهم آية من الآيات يؤمنون عندها مختارين وجب ان يفعلها بهم. و بيّن انه فعل بهم جميع ما لا ينافى التكليف و هم لا يؤمنون كما قال «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ» «۱» الآية، و كما قال «وَ لَئِنْ

أَتَیْتَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ بِکُلِّ آیَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَکَ» «۲» و انما لم یفعل ما یلجئهم الی الایمان، لان ذلک ینافی التکلیف و یسقط استحقاق الثواب الذی هو الغرض بالتکلیف، و انما أراد اللَّه تعالی ان یبین لنبیه (ص) انه لا یستطیع هذا و لا یقدر علیه، فلا ینبغی ان یلزم نفسه الغم و الجزع لکفرهم و اعراضهم عن الایمان و التصدیق به، و جعل ذلک عزاء لنبیه (ص) و تسلیة له ثم اخبر انه لو شاء ان یجمعهم علی الایمان علی وجه الإلجاء لکان علی ذلک قادرا لکنه ینافی ذلک الغرض بالتکلیف، و جری ذلک مجری قوله

(۱) سورة ۶ الانعام آیة ۱۱۱ [.....]

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۱۴۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۲۴

«إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ آیَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِینَ» «۳» فانه أراد بذلک الاخبار عن قدرته و انه لو شاء ألجأهم الی الایمان لکان علیه قادرا. و لا یدل ذلک علی أنه لم یشأ منهم الایمان علی وجه الاختیار منهم أو لم یشأ ان یفعل ما یؤمنون عنده مختارین، لان اللَّه تعالی قد شاء منهم الایمان علی هذا الوجه و انما أفاد نفی المشیئة لما یلجئهم الی الایمان، لأنه متی ألجأهم الیه لم یکن ذلک ایمانا یستحق علیه الثواب، و الغرض بالآیة ان یبین تعالی ان الکفار لم یغلبوا اللَّه بکفرهم و لا قهروه بخلافه و انه لو أراد أن یحول بینهم و بینه لفعل، لکنه یرید ان یکون ایمانهم علی وجه یستحقون به الثواب، و لا ینافی التکلیف.

و قوله «فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِینَ» انما هو نهی محض عن الجهل و لا یدل ذلک علی ان الجهل کان جائزا منه (ص) بل یفید کونه قادرا علیه، لأنه تعالی لا یأمر و لا ینهی الا بما یقدر المکلف علیه، و مثله قوله «لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ» «۴» و ان کان الشرک لا یجوز علیه لکن لما کان قادرا علیه جاز أن ینهاه عنه. و المراد ها هنا فلا تجزع و لا تحزن لکفرهم و اعراضهم عن الایمان، و انهم لم یجمعوا علی التصدیق بک فتکون فی ذلک بمنزلة الجاهلین الذین لا یصبرون علی المصائب، و یأثمون لشدة الجزع.

و النفق: الطریق النافذ فی الأرض و النافقاء ممدودا و جر حجر الیربوع یحفره من باطن الأرض الی جلدة الأرض فإذا بلغ الجلدة أرقها فإذا رابه ریب وقع برأسه هذا المکان و خرج منه، و منه سمی المنافق منافقا لأنه أبطن غیر ما أظهر، و السلُّم مشتق من السلامة لأنه یسلمک الی مصعدک.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۳۶] ..... ص : ۱۲۴

إِنَّما یَسْتَجِیبُ الَّذِینَ یَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتی یَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَیْهِ یُرْجَعُونَ (۳۶)

آیة بلا خلاف.

(۳) سورة الشعراء آیة ۴

(۴) سورة ۳۹ الزمر آیة ۶۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۲۵

الوقف عند قوله «الَّذِینَ یَسْمَعُونَ» و معنی الآیة انما یستجیب الی الایمان باللَّه و ما أنزل الیک من یسمع کلامک و یصغی الیک، و الی ما تقرأ علیه من القرآن و ما تبین له من الحجج و الآیات و یفکر فی ذلک لأنه لا یتبین الحق من الباطل الا لمن تفکر فیه و استدل علیه بما یستمع أو یعرف من الآیات و الادلة علی صحته، و جعل من لم یتفکر و لم ینتفع بالآیات بمنزلة من لم یستمع کما قال الشاعر:

لقد أسمعت لو نادیت حیا و لکن لا حیاة لمن تنادی «۱»

و کما جعله الشاعر بمنزلة الأصم فی قوله:

أصم عما ساءه سميع «۲»

و قوله «وَ الْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ» معناه ان الذين لا- يصغون اليك من هؤلاء الكفار و لا يسمعون كلامك ان كلمتهم، و لا يسمعون ما تقرأه عليهم و تبينه لهم من حجج اللَّه و آياته، و ينفرون عنه إذا كلمتهم بمنزلة الموتى، فكما ان الموتى لا يستجيبون لمن يدعوهم الى الحق و الايمان، فكذلك هؤلاء الكفار لا يستجيبون لك إذا دعوتهم الى الايمان، فكما آيست ان يسمع الموتى كلامك الى ان يبعثهم اللَّه و الى ان يرجعوا اليه، فكذلك فآيس من هؤلاء أن يسمعوا كلامك و أن يستجيبوا لك. و بين أن الموتى إذا بعثهم اللَّه بمعنى أحياهم انهم يرجعون بعد الحشر و البعث الى الموضع الذى لا يملك الحكم فيه عليهم غير اللَّه تعالى، و لا يملك محاسبتهم و ضرهم و نفعهم غيره، فجعل رجوعهم الى ذلك الموضع رجوعا الى اللَّه و ذلك مستعمل فى اللغة.

و قال مجاهد: «إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ» يعنى المؤمنين يسمعون الذكر «وَ الْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ» يعنى المشركين الصم يبعثهم اللَّه فيحييهم من شركهم حتى يؤمنوا «ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» يوم القيامة.

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱: ۶۴ و هو مشهور.

(۲) انظر ۲: ۸۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲۶

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳۷] ..... ص : ۱۲۶

وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۳۷)

قرأ ابن كثير «ينزل» بالتخفيف. الباقون بالتشديد.

و معنى «و قالوا» اخبار عما قاله الكفار من انهم قالوا «لولا» و معناه:

هلا- «أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ» يعنى الآية التى سألوها و اقترحوا أن يأتيهم بها من جنس ما شاءوا لما قالوا «فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ» «۱» يعنون فلق البحر و احياء الموتى. و انما قالوا ذلك حين أيقنوا بالعجز عن معارضته فيما أتى به من القرآن، فاستراحوا الى أن يلتمسوا مثل آيات الأولين، فقال اللَّه تعالى «أ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ» «۲» و قال ها هنا قل يا محمد «إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا- يَعْلَمُونَ» ما فى إنزالها من وجوب الاستئصال لهم إذا لم يؤمنوا عند نزولها. و ما فى الاقتصار بهم على ما أوتوا من المصلحة لهم. و بين فى آية أخرى انه لو أنزل عليهم ما أنزل لم يؤمنوا، و هو قوله «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ» الى قوله: «ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» «۳» ان يكرههم. و قال «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» «۴» يعنى الآيات التى اقترحوها انما لم نأتهم بها، لأنا لو أتيناهم بها و لم يؤمنوا وجب استئصالهم، كما وجب استئصال من تقدمهم ممن كذب بآيات اللَّه. و قال فى سورة العنكبوت «وَ قالُوا لَوْ لا- أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ» «۵» الآية. فبين ان الآيات لا يقدر عليها الا اللَّه، و قد أتاهم بما فيه

---

(۱) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۵

(۲) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۵۱

(۳) سورة ۶ الانعام آية ۱۱۱

(۴) سورة ۱۷ الإسراء آية ۵۹

(۵) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۵۰- ۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲۷

كفاية و إزاحة لعلتهم و هو القرآن، و غيره مما شاهدوه من المعجزات و الآيات، و لا يلزم اظهار المعجزات بحسب اقتراح المقترحين، لأنه لو لزم ذلك لوجب إظهارها فى كل حال و لكل مكلف و ذلك فاسد.

و قد طعن قوم من الملحدين، فقالوا: لو كان محمد قد أتى بآية لما قالوا له «لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ» و لما قال «إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً».

قيل: قد بينا أنهم التمسوا آية مخصوصة و تلك لم يؤتوها و ان كان اللَّه تعالى قادرا عليها، و انما لم يؤتوها لان المصلحة منعت من انزالها، و انما اتى بالآيات الاخر التى دلت على نبوته من القرآن و غيره على ما اقتضته المصلحة، و لذلك قال فيما تلوناه «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ» فبين ان فى انزال الكتاب كفاية و دلالة على صدقه و انه لا يحتاج معه الى أمر آخر فسقط ما قالوه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳۸] ..... ص : ۱۲۷

وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (۳۸)

آية بلا خلاف.

الوقف عند قوله «أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ» وقف تام.

ابتدأ اللَّه تعالى بهذه الآية فأخبر بشأن سائر الخلق. و بازاحة علة عباده المكلفين فى البيان ليعجب عباده فى الآية التى بينها من الكفار و ذهابهم عن اللَّه تعالى فقال: «وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ» فجمع جميع الخلق بهذين اللفظين، لان جميع الحيوان لا يخلو من أن يكون مما يطير بجناحيه أو يدب «إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ» أى هم أجناس و اصناف كل صنف يشتمل على العدد الكثير و الأنواع المختلفة و ان اللَّه خالقها و رازقها، و انه يعدل عليها فيما يفعله، كما خلقكم و رزقكم و عدل عليكم، و ان جميعها دالة و شاهدة على مدبرها و خالقها و أنتم بعد ذلك تموتون و الى ربكم تحشرون. فبين بهذه العبارة أنه لا ينبغى التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲۸

لهم ان يتعدوا فى ظلم شىء منها، فان اللَّه خالقها و هو الناهى عن ظلمها و المنتصف لها.

و فى قوله: «يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ» أقوال: أحدها- ان قوله بجناحيه تأكيد كما يقولون: رأيت بعينى، و سمعت باذنى، و ربما قالوا: رأت عينى و سمعت اذنى، كل ذلك تأكيد. و قال الفراء: معنى ذلك انه أراد ما يطير بجناحيه دون ما يطير بغير جناحين، لأنهم يقولون قد مر الفرس يطير طيرا و سارت السفينة تطير طيرا، فلو لم يقل (بجناحيه) لم يعلم انه قصد الى جنس ما يطير بجناحيه دون سائر ما يطير بغير جناحين. و قال قوم: انما قال «بجناحيه» لان السمك عند اهل الطبع طائر فى الماء، و لا أجنحة لها، و انما خرج السمك عن الطائر، لأنه من دواب البحر، و انما أراد ما فى الأرض و ما فى الجو، و لا حيوان موجود غيرهما. و قال قوم: انما قال ذلك ليدل على الفرق بين طيران الطيور بأجنحتها و بين الطيران بالاسراع تقول: طرت فى جناحين، إذا أسرعت، قال الشاعر:

فلو أنها تجرى على الأرض أدركت و لكنها تهفو بتمثال طائر

و انشد سيبويه:

فطرت بمنصلى فى يعملات دوام الأيد يحبطن السريحا «۱»

و قال المغربى: أراد ان يفرق بين الطائر الذى هو الفائز الفالج فى القسم، و قال مزاحم العقيلى:

و طير بمخراق أشم كأنه سليل جياد لم تنله الزعانف «۲»

أى فوزى و اغنمى. و قوله: «ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ» قيل «ما فَرَّطْنا» معناه ما تركنا. و قيل: ما قصرنا. و فى الكتاب قولان:

أحدهما- انه أراد الكتاب المحفوظ عنده من أجال الحيوان و أرزاقه و آثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى بالإحصاء و الاستقصاء،

ذكره الحسن.

الثاني- ما فرطنا في القرآن من شيء يحتاج اليه في أمور الدين و الدنيا

(۱، ۲) اللسان (طير).

التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۲۹

الا- و قد بيناه اما مجملا- أو مفصلا، فما هو صريح يفيد لفظا، و ما هو مجمل بيّنه على لسان نبيه و أمر باتباعه في قوله «وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» «۱» و دل بالقرآن على صدق نبوته و وجوب أتباعه، فإذاً لا يبقى أمر من امور الدين و الدنيا الا و هو في القرآن- و هذا الوجه اختاره الجبائي- و قال البلخي: «ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ» أي لم ندع الاحتجاج بما يوضح الحق و يدعو الى الطاعة و المعرفة و يزجر عن الجهل و المعصية، و تصريف الأمثال و ذكر أحوال الملائكة و بني آدم و سائر الخلق من أصناف الحيوان. و كل جنس من الحيوان أمة، لان الامة الجماعة و يقال للصبيان: أمة و ان لم يجب عليهم التكليف.

و قوله تعالى: «ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» معناه يحشرون الى اللَّه بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد، فيعوض اللَّه تعالى ما يستحق العوض و ينتصف لبعضها من بعض، فإذا عوضهما، قال قوم: انها تصير ترابا فحينئذ يتمنى الكافر فيقولا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً» «۲» و قال قوم: يديم اللَّه أعواضها و يخلقها على أحسن ما يكون من الصور فيسر بها المثابون و يكون ذلك من جملة ما ينعمون به، ذكره البلخي. و قال قوم: «يُحْشَرُونَ» معناه يموتون و يفنون و هذا بعيد، لان الحشر في اللغة هو بعث من مكان الى غيره، و هاهنا لا معنى للحشر الذي هو الفناء و انما معناه انهم يصيرون الى ربهم و يبعثون اليه.

و استدل قوم من التناسخية بهذه الآية على ان البهائم و الطيور مكلفة، لأنه قال «أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ» و هذا باطل، لأنا قد بينا من أي وجه قال: انها «أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ» و لو وجب حملها على العموم لوجب ان تكون أمثالنا في كونها ناسا و في مثل صورنا و أخلاقنا، فمتى قالوا لم يقل أمثالنا في كل شيء، قلنا: و كذلك الامتحان و التكليف، على انهم مقرون بان الأطفال غير مكلفين و لا ممتحنين، فما يحملون به امتحان الصبيان بعينه نحمل بمثله امتحان البهائم، و كيف يصح

---

(۱) سورة ۵۹ الحشر آية ۷

(۲) سورة ۷۸ النبأ آية ۴۰

التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۰

تكليف البهائم و الطيور و هي غير عاقلة. و التكليف لا- يصح الا- لعاقل، على ان الصبيان أعقل من البهائم و مع هذا فليسوا مكلفين، فكيف يصح تكليف البهائم؟! و اما قوله: «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ» «۱» فانه مخصوص بالمكلفين العقلاء من البشر و الجن، و الملائكة بدلالة أن الأطفال أمم و ليس فيها نذيره و استدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على ان العوض دائم بان قال:

بيّن اللَّه تعالى انه يحشر الحيوان كلها و يعوضها، فلو كان العوض منقطعا لكان إذا أماتها استحقت اعواضا أخر على الموت و ذلك يتسلسل، فدل على انه دائم و هذا ليس بشيء، لأنه يجوز ان يميت اللَّه الحيوان على وجه لا يدخل عليهم الألم، فلا يستحقون عوضا ثانيا، فالاولى ان يقول: ان دام دام تفضلا منه تعالى.

و قوله «وَ لا- طائِرٍ» فانه جرَّ، عطف على دابة و تقديره و لا- من طائر، و كان يجوز ان يقرأ بالرفع حملا على المعنى، كما تقول: ما جاءني من رجل و لا امرأة، و تقديره ما جاءني رجل و لا امرأة و مثله قوله «وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ» «۲» في موضع بالنصب و في موضع آخر بالرفع على ما قلناه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۳۹] ..... ص : ۱۳۰

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۳۹)

آية بلا خلاف.

الوقف التام عند قوله «فِي الظُّلُماتِ». و قوله «صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يراد ان هؤلاء الكفار الذين كذبوا بآيات اللَّه صم و بكم فى الظلمات فى الآخرة على الحقيقة عقوبة لهم على كفرهم، لأنه ذكرهم عند ذكر الحشر.

---

(۱) سورة ۳۵ فاطر آية ۲۴ [.....]

(۲) سورة ۱۰ يونس آية ۶۱ و سورة ۳۴ سبأ آية ۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۱

و الثانى- ان يكون عنى انهم صم و بكم فى الظلمات فى الدنيا. فمتى أريد الاول كان ذلك حقيقة، لأنه تعالى لا يمتنع ان يجعلهم صما بكما فى الظلمات، يضلهم بذلك عن الجنة و عن الصراط الذى يسلكه المؤمنون اليها و يصيرهم الى النار. و ان أريد به الوجه الثانى، فانه يكون مجازا و توسعا.

و انما شبههم بالصم و البكم الذين فى الظلمات، لان المكذبين بآيات اللَّه لا يهتدون الى شيء مما ناله المؤمنون من منافع الدين و لا يصلون الى ذلك، كما أن الصم البكم الذين فى الظلمات لا يهتدون الى شيء من منافع الدنيا و لا يصلون اليها، فتشبيههم من هذا الوجه بالصم البكم.

و قال البلخى «صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِي الظُّلُماتِ» معناه فى الجهل و الشرك و الكفر و قوله «مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» لا يجوز ان يكون على عمومه، لأنا قد علمنا ان اللَّه تعالى لا يشاء ان يضل الأنبياء و المؤمنين و لا يهدى الكافرين، لكن قد بين تعالى فى موضع آخر من الذى يشاء ان يضله، فقال «وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ» «۱» و قال «وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ» «۲» و قال «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» «۳» و قال:

«يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ» «۴» و قال «وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا» «۵».

و قوله «مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ» ها هنا يحتمل أمرين:

أحدهما- «مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ» أى من يشأ يخذله بأن يمنعه ألطافه و فوائده، و ذلك إذا واتر عليه الادلة و أوضح له البراهين فأعرض عنها و لم يمعن النظر فيها، فصار كالأصم الأعمى، فحينئذ يشاء أن يضله بان يخذله.

و الثانى- من يشأ اللَّه إضلاله عن طريق الجنة، و نيل ثوابها يضلله على

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۶

(۲) سورة ۱۴ ابراهيم آية ۲۷

(۳) سورة ۴۷ محمد آية ۱۷

(۴) سورة ۵ المائدة آية ۱۸

(۵) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۶۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۲

وجه العقوبة «وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» و معناه من يشأ ان يرحمه و يهديه الى الجنة و نيل الثواب يجعله على الصراط الذى

يسلكه المؤمنون الى الجنة، و يعدل الكافرين عنه الى النار و لا يلحق الإضلال الا الكفار و الفساق المستحقين للعقاب و كذلك لا يفعل الثواب و الخلود فی الجنة الا بالمؤمنين، لأنه ثواب لا يستحقه سواهم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۴۰ الى ۴۱] ..... ص : ۱۳۲

قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۰) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ (۴۱)

آيتان بلا- خلاف قرأ الكسائی وحده «أريتكم» و ما جاء منه إذا كان استفهاما بحذف الهمزة التی بعد الراء. و الباقون بإثباتها، و تخفيفها الا- أهل المدينة، فإنهم جعلوها بين بين، فان كان غير استفهام اتفقوا على اثبات الهمزة و تخفيفها الا ما رواه و رش فی تحقيقها فی ستة مواضع ذكرت فی باب الهمزة فی القراءات.

من حقق الهمزة، فلانه (فعلت) من الرؤية، فالهمزة عين الفعل، و من خفف فانه جعلها بين بين، و هذا التخفيف على قياس التحقيق، و من حذف الهمزة فعلى غير مذهب التخفيف، لان التخفيف القياس فيها أن تجعل بين بين، كما فعل نافع، و هذا حذف، كما قالوا، و يلمه، و كما أنشد احمد بن يحيى:

ان لم أقاتل فالبسونی برقعا

و قال ابو الأسود:

يا با المغيرة رب أمر معضل

و ذكر أن عيسى كذلك كان يقرأها و يقوى ذلك قول الراجز:

أريت ان جاءت به أملودا مرجَّلا و يلبس البرودا

و قال الفراء: العرب لها فی (أ رأيت) لغتان: التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۳

أحدهما- ان يسأل الرجل الرجل أ رأيت زيدا بعينك؟ فهذه مهموزة، فإذا أوقعتها على الرجل منه قلت: أ رأيتك على غير هذه الحال تريد هل رأيت نفسك على غير هذه الحال ثم يثنی و يجمع، فتقول للرجلين أ رأيتما كما، و للقوم أ رأيتموكم، و للنسوة أ رأيتنكن، و للمرأة أ رأيتك بخفض التاء و لا يجوز إلا ذلك.

و الآخر- ان تقول أ رأيتك. و انت تريد اخبرنی، فتهمزها و تنصب التاء منها و تترك الهمز ان شئت، و هو اكثر كلام العرب، و تترك التاء مفتوحة للواحد، و الجمع مؤنثه و مذكره، تقول للمرأة: أ رأيتك زيدا، و للنساء أ رأيتكن زيدا ما فعل. و انما تركت العرب التاء واحدة لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل منها واقعا على نفسها، فاكتفوا بذكرها فی الكاف و وجهوا التاء الى المذكر و التوحيد، إذا لم يكن الفعل واقعا على نفسها.

و اختلفوا فی هذه الكاف، فقال الفراء: موضعها نصب و تأويلها رفع، مثل قولك: دونك زيدا، فموضع الكاف خفض، و معناه الرفع، لان المعنى خذ زيدا. قال الزجاج: هذا خطأ و لم يقله أحد قبله، قال: لان قولك أ رأيتك زيدا ما شأنه يصير أ رأيت قد تعدت الى الكاف و الى زيد، فنصب أ رأيت اسمين فيصير المعنى: أ رأيت نفسك زيدا ما حاله. و هذا محال. قال و الصحيح الذی عليه النحويون ان الكاف لا موضع لها و المعنى أ رأيت زيدا ما حاله، و الكاف زيادة فی بيان الخطاب، و هو المعتمد عليه فی الخطاب و لذلك تكون التاء مفتوحة فی خطاب المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع. فتقول للرجل أ رأيتك زيدا ما حاله بفتح التاء و الكاف و للمرأة أ رأيتك بفتح التاء و كسر الكاف، لأنها صارت آخر ما فی الكلمة، و للاثنين أ رأيتكما، و للجمع أ رأيتكم، فتوحد التاء، فكما وجب ان توحدها فی التثنية و الجمع، كذلك وجب ان تذكرها مع المؤنث، فان عديت الفاعل الى المفعول فی هذا الباب صارت الكاف مفعوله تقول: رأيتنی عالما بفلان، فإذا سألت على هذا الشرط قلت للرجل: أريتك عالما؟ و للاثنين أرأيتما كما التبيان فی

تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۴

و للجمع أ رأيتموكم، لان هـذا فى تأويل أرأيتم أنفسـكم، و للمرأة أ رأيتك، و للثنتين أ رأيتما كما، و للجماعـة أ رأيتكن، فعلى هـذا قياس هذين البابين.

قـال ابو على الفارسـى: لاـ يخلو ان يكون الكـاف للخطـاب مجردا، و معنى الاـسم مخلوعا منه أو يكون دالا على الاسم مع دلالته على الخطاب، و الدليل على انه للخطاب مجردا من علامة الاسم أنه لو كان اسـما وجب ان يكون الاسم الذى بعده فى نحو قوله «أ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذِی كَرَّمْتَ عَلَيَّ» «۱» و قولهم: أريتك زيدا ما صنع هو الكاف فى المعنى، ألا ترى ان (رأيت) يتعدى الى مفعولين يكون الاول منهما هو الثانى فى المعنى و إذا لم يكن المفعول الـذى بعده هو الكاف فى المعنى، و إنما هو غيره وجب ان يدل ذلك على أنه ليس بـاسم، و إذ لم يكن اسـما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسـمية، كما أن الكاف فى (ذلك و هنا لك) للخطاب و مثله التاء فى (أنت) لأـنه للخطـاب معرى من معنى الاـسم فـإذا ثبت انه للخطـاب معرى من معنى الأسـماء ثبت ان التـاء لاـ يجـوز أن تكـون بمعنى الخطاب ألا ترى أنه لا ينبغى ان يلحق الكلمـة علامتان للخطاب، كما لا يلحقها علامتان للتأنيث، و لا علامتان للاسـتفهام، فلما لم يجز ذلك أفردت التاء فى جميع الأحوال لما كان الفعل لا بـد له من فاعل و جعل فى جميع الأحوال على لفظ واحـد، لان ما يلحق الكاف من معنى الخطـاب يبين الفـاعلين، لتخصـيص التـأنيث من التـذكير و التثنيـة من الجمع، فلو لحق علامـة التـأنيث و الجمع التـاء لاـجتمع علامتان للخطاب بما كان يلحق التاء و ما يلحق الكاف و ذلك يؤدى الى ما لا نظير له فرفض لذلك.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) بهـذه الآيـة ان يقول لهؤلاء الكفار الـذين يعبدون الأصـنام «أ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ» كما اتى الكافرين من قبلكم كعاد و ثمود، و غيرهم «أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ» و هى القيامة. قال الزجاج: الساعة اسم للوقت الذى يصـعق فيه العباد و اسم للوقت الذى تبعث فيه، و المعنى أ رأيتكم

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۶۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۵

الساعـة التى وعـدتم فيهـا بالبعث و الفناء، لان قبل البعث يموت الخلق كلهم، أ تـدعون فيها- لكشف ذلك عنكم- هـذه الأوثان التى تعلمون أنها لا تقـدر أن تنفع أنفسـها و لا غيرها؟! أو تدعون لكشف ذلك عنكم اللَّه تعالى الذى هو خالقكم و مالككم و من يملك ضركم و نفعكم؟ و دلهم بـذلك على انه لا ينبغى لهم ان يعبـدوا ما لا يملك لهم نفعا و لا يقـدر أن يدفع عنهم ضـرا و ان يعبدوا اللَّه وحده الذى هو خالقهم و مالكهم و القادر على نفعهم و ضرهم.

و قوله «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» يعنى فى ان هذه الأوثان آلهة لكم، فبين اللَّه لهم بذلك انها ليست آلهة و انهم فى هذا القول غير صادقين.

و قوله «بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ» معنى (بل) استدراك و إيجاب بعد نفى تقول ما جاءنى زيد بل عمرو. و أعلمهم اللَّه تعالى انهم لا يدعون فى حال الشدائد الا إياه، لأنه إذا لحقهم الشدائد و الأهوال فى البحار و البرارى القفار، التجئوا فيه اليه و تضـرعوا لديه، كما قال «وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ» «۱» و فى ذلك أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام.

و قوله «فَيَكْشِفُ ما تَـدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ» معناه يكشف الضـر الـذى من اجله دعوتم، و هو مجاز كقوله «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» و معناه و اسأل اهل القرية.

و قوله «وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ» معنى تنسون يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون بمعنى ما تشركون باللَّه.

الثانى- أنكم فى ترككم دعاءهم بمنزلـة من نسيهم، و هـذا الذى أحتج اللَّه به على الكفار دلالة على صـحة الاحتجاج فى الدين على كـل من خالف الحق، لأنه لو كان الاحتجاج لا يجوز و لا يفضـى الى الحق لما احتـج به على عباده فى كتابه. و انما قال: «ان شاء» لأنه

ليس كلما يدعون لكشفه يكشفه عنهم بل يكشف ما شاء من ذلك مما تقتضيه المصلحة و صواب التدبر، و توجبه الحكمة.

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۲۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۶

و الاستثناء راجع الى العذاب دون الساعة، لأنها لا تكشف و لا محيص عنها.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۴۲ الى ۴۳] ..... ص : ۱۳۶

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (۴۲) فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَ لكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۴۳)

آيتان اعلم اللَّه تعالى نبيه (ص) بهذه الآية انه قد أرسل الرسل قبله الى أقوام بلغوا من القسوة الى ان أخذوا بالشدة فى أنفسهم و أموالهم ليخضعوا و يذلوا لأمر اللَّه لان القلوب تخشع و النفوس تضرع عند ما يكون من أمر اللَّه البأساء و الضراء. و قال قوم: البأساء الجوع، و الضراء النقص فى الأموال و الأنفس.

و البأساء: من البأس و الخوف و الضراء من الضر، و قد يكون البأساء من البؤس، فأعلمه اللَّه انه أرسل الى أمم و أخذها بالبأساء و الضراء، فلم تخشع و لم تضرع. و قال: «لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» و معناه لكى يتضرعوا. و قيل: معناها الترجى للعباد، كما قال: «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» «۱». قال سيبويه: المعنى اذهبا أنتما على رجائكما، و اللَّه عالم بما يكون من وراء ذلك.

و قوله «فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا» معناه هلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا «وَ لكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ» أى أقاموا على كفرهم. قال الفراء كلما رأيت فى الكلام (لولا) و لم تر بعدها أسماء، فهى بمعنى (هلا)، كقوله: «لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ» «۲» و «فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» «۳» و إذا كان بعدها اسم، فهى بمعنى (لو) التى تكون فى جوابها اللام، و (لوما) فيها ما فى (لولا) من الاستفهام و الخبر.

و قد اخبر اللَّه فى هذه الآية ان الشيطان هو الذى يزين الكفر للكافر بخلاف

---

(۱) سورة ۲۰ طه آية ۴۴.

(۲) سورة ۶۳ المنافقون آية ۱۰

(۳) سورة ۵۶ الواقعة آية ۸۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۷

ما يقول المجبرة من ان اللَّه هو المزين لهم ذلك، و فيها حجة على من قال: ان اللَّه لم يرد من الكافر الايمان، و انه أرسل الرسل بينة عليهم، و على من زعم ان أخذه الكافرين بالبأساء و الضراء فى الدين ليس لما أراد من صلاحهم، لأنه بين اللَّه انما فعل بهم ذلك ليتضرعوا، و هذه لام الغرض، لان الشك لا يجوز عليه تعالى «يَتَضَرَّعُونَ» معناه يتذللون يقال ضرع فلان لفلان إذا بخع له و سأله أن يعطيه، و فلان ضارع أى نحيف.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۴۴ الى ۴۵] ..... ص : ۱۳۷

فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ (۴۴) فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۴۵)

آيتان قرأ ابن عامر و ابو جعفر، و ورش «فتحنا» و فى الاعراف «لفتحنا» و فى الأنبياء «فتحت» و فى القمر «ففتحنا أبواب السماء»

بالتشديد فيهن، وافقهم روح فى الأنبياء و القمر. و الباقون بالتخفيف فيهن.

و من ثقل أراد التكثير، و من خفف أراد الفعل مرة واحدة.

بين اللَّه تعالى بهذه الآية ان هؤلاء الكفار لما لم ينتفعوا بالبأساء و الضراء على ما اقتضت مصلحتهم، و نسوها أى تركوها فصارت فى حكم المنسى ابتليناهم بالتوسعة فى الرزق ليرغبوا بذلك فى نعيم الآخرة، و ينبهوا عليه، فيطيعوا و يرجعوا عما هم عليه، فلما لم ينجع ذلك فيهم و لم يرتدعوا عن الفرح بما أوتوا، و لم يتّعظوا و لم ينفعهم الزجر بالضراء و السراء، و لا الترغيب بالتوسعة و الرخاء أحللنا بهم العقوبة بغتة أى مفاجأة من حيث لا يشعرون «فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ».

قال الزجاج: (المبلس) الشديد الحسرة و (البائس) الحزين. و قال البلخى:

معنى مبلسون يعنى: أذلة خاضعين. و قال الجبائى: معنى (مبلسون) آيسون، و قال الفراء المبلس: المنقطع الحجة، قال رؤبة: التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۳۸

و حضرت يوم خميس الأخماس و فى الوجوه صفرة و إبلاس «۱»

و قال مجاهد: الإبلاس السكوت مع اكتئاب.

و قوله «كل شىء» المراد به التكثير دون العموم، و هو مثل قوله «وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» «۲» و كقول القائل: أكلنا عنده كل شىء و رأينا منه كل خير، و كما يقال هذا قول اهل العراق، و اهل الحجاز، و يراد به قول أكثرهم.

و قال تعالى: «وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها» «۳» و كل ذلك يراد به الخصوص، و موضوعه التكثير، و التفخيم. و إذا علمنا فى الجملة بالعقل ان هذه الآيات مخصوصة، فلا ينبغى ان يعتقد فيها تخصيص شىء بعينه، و ليس علينا اكثر من ان نعتقد أنهم أوتوا خيرا كثيرا، و فتح عليهم أبواب أشياء كثيرة كانت متعلقة عليهم، و ليس يلزمنا اكثر من ذلك.

فان قيل الذى يسبق الى القلوب غير ما تأولتم عليه و هو ان اللَّه انما فتح عليهم أبواب كل شىء ليفرحوا و يمرحوا ليستحقوا العقاب.

قلنا: الظاهر و ان كان كذلك انصرفنا عنه بدليل، كما انصرفنا عن قوله:

«الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» «۴» و عن قوله «وَ جاءَ رَبُّكَ» «۵» و عن قوله:

«أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ» «۶» فكما يجب ان تترك ظاهر هذه الآيات و ان كان ظاهرها التشبيه فكذلك ترك ما ظاهره يوجب اضافة القبيح اليه و ينافى عدله و يعدل الى ما يليق بحكمته و عدله.

و قوله «فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا» معناه أخذهم الذى يدبرهم و يدبرهم، لغتان- بضم الباء و كسرها- و هو الذى يكون فى أعقابهم.

و

روى عن أبى عبد اللَّه (ع) انه قال: من الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبريا- بضم الدال- يعنى فى آخر الوقت

، هذا قول اصحاب الحديث. و قال

---

(۱) مجمع البيان ۲: ۳۰۰ و اللسان (بلس).

(۲) سورة ۲۷ النمل آية ۲۳.

(۳) سورة ۲۰ طه آية ۵۶ [.....]

(۴) سورة ۲۰ طه آية ۵

(۵) سورة ۸۹ الفجر آية ۲۲

(۶) سورة ۶۷ الملك آية ۱۶، ۱۷

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۳۹

أبو زيـد الا دبريا بفتح الدال و الباء. ثم حمد اللّه تعالى نفسه بأن اسـتأصل ساقتهم و قطع دابرهم بقوله «وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» لأنه تعالى أرسل اليهم و انظرهم بعـد كفرهم و أخـذهم بالبأساء و الضَّراء، و النعمـة و الرخاء، فبالغ فى الانـذار و الامهال، فهو محمود على كل حال.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۴۶] ..... ص : ۱۳۹

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (۴۶)

آية بلا خلاف.

روى عن ورش: «به انظر» بضم الهاء الباقون بكسرها.

قال ابو علي: من كسـر الهاء حذف الياء التى تلحق الهاء فى نحو به انظر، لالتقاء الساكنين و الالف من (انظر). و من قرأ بضم الهاء فهو على قول من قال: «فخسفنا بهو و بدار هو» «۱»، فحذف الواو لالتقاء الساكنين، كما حذف الياء فى (بهى) لذلك، فصار «به انظر» و مما يحسن هذا الوجه ان الضمة فيه مثل الضمة فى (ان اقتلوا) أو (انقص) و نحو ذلك.

و قوله: «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ» ثم قال: «يَأْتِيكُمْ بِهِ» قال ابو الحسن هو كناية عن السـمع او على ما أخذ منكم و قال الفراء: الهاء كناية عن الهدى.

أمر اللّه تعـالى نبيه (ع) ان يقول لهؤلاء الكفار «أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ» أى أصـمكم، «وَ أَبْصارَكُمْ» أى أعماكم، تقول العرب: أخذ اللّه سمع فلان و بصره، أى أصّمه و أعماه «وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ» بأن سلب ما فيها من العقول التى بها يتهيأ لكم ان تؤمنوا بربكم و تتوبوا من ذنوبكم و وسمها

---

(۱) سورة ۲۸ القصص آية ۸۱.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۴۰

بسـمة من يكون خاتمـة أمره المصـير الى عـذاب النار، فلو فعل بكم، هل من اله غيره يأتيكم بهذا الذى سـلبكم اللّه إياه؟! و هل يقدر على ذلك اله غير اللّه؟! فبين بهذا انه كما لا يقدر على ذلك غير اللّه فكذلك يجب ان لا يعبدوا سواه:

القادر على جميع ذلك.

و قوله «انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ» تنبيه للعبـاد على هـذه الآيـة و على أمثالها من الآيات التى بين فيها انه لا يسـتحق العبادة سواه تعالى.

ثم بين انهم مع ظهور هذه الآيات يصدفون أى يعرضون عن تأملها، و التفكر فيها. يقال: صدف عنه، إذا أعرض.

و فى الآية دليل على ان اللّه قد مكنهم من الإقبال على ما ورد عليهم من البيان و انه لم يخلق فيهم الاعراض عنه و لا حملهم عليه، و لا اراده منهم و لا زينه لهم، لأنه لو كان فعل شيئا من ذلك لم يكن لتعجيبه من ذلك معنى.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۴۷] ..... ص : ۱۴۰

قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (۴۷)

آية.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ع) ان يخاطب كفار قومه، و يقول لهم أرأيتهم «إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً» و البغتة المفاجأة و هو ان يأتيهم العذاب، و هم غافلون غير متوقعين لذلك «او جهرة» أي و هم شاهدون له، و معاينون نزوله. و قال الحسن: (البغتة) ان يأتيهم ليلا و (جهرة) نهارا. ثم قال:

«هَلْ يُهْلَكُ» بهذا العذاب «إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ» الكافرون الذين يكفرون باللَّه و يفسدون فى الأرض. و هل ينجو منه الا المؤمنون العابدون لربهم.

و متى هلك فيهم أطفال او قوم مؤمنون فإنما يهلكون امتحانا و يعوضهم اللَّه على ذلك أعواضا كثيرة، يصغر ذلك فى جنبها، فجعل ذلك تحذيرا من المقام على الكفر و ترغيبا فى الايمان و النجاة من العذاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۴۱

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۴۸ الى ۴۹] ..... ص : ۱۴۱

وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۴۸) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ الْعَذابُ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۴۹)

آيتان بلا خلاف.

بين اللَّه تعالى فى هاتين الآيتين انه لا يبعث الرسل أربابا يقدرون على كل شيء يسألون عنه من الآيات او يخترعونه بل انما يرسلهم لما فى ذلك من المصلحة لهم و منبهين على ما فى عقولهم من توحيد اللَّه، و عدله و حكمته مبشرين بثواب اللَّه لمن آمن به و عرفه، و مخوفين لمن أنكره و جحده. ثم اخبر ان المرسل اليهم مختارون غير مجبرين و لا مضطرين و دل على انه غير محدث لشيء من أفعالهم فيهم، و ان الافعال لهم، هم يكتسبونها بما خلق اللَّه فيهم من القدرة، و انه قد هداهم، و بين لهم و بشرهم و أنذرهم فمن آمن أثابه و من عصاه عاقبه. و لو كانوا مجبورين على المعاصى مخلوقا فيهم الكفر و لم يجعل فيهم القدرة على الايمان لما كان للآية معنى.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۵۰] ..... ص : ۱۴۱

قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ (۵۰)

آية بلا خلاف.

امر اللَّه تعالى نبيه محمدا (ص) ان يقول لعباده: «لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ» اغنيكم منها «وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ» الذى يختص بعلم اللَّه تعالى فاعرفكم مصالح دنياكم، و انما اعلم قدر ما يعلمنى اللَّه من امر البعث و الجنة التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۴۲

و النار، و غير ذلك، و لا ادعى انى ملك، لانى انسان تعرفون نسبى، لا اقدر على ما يقدر عليه الملك، و ما أتبع الا ما يوحى اللَّه به إلى.

و بين لهم ان الملك من عند اللَّه، و الوحى هو البيان الذى ليس بإيضاح نحو الاشارة و الدلالة، لان كلام الملك كان له على هذا الوجه. و انما أمره بأن يقول ذلك لئلا يدعوا فيه ما ادعت النصارى فى المسيح، و لئلا ينزلوه منزلة خلاف ما يستحقه. ثم أمره بأن يقول لهم: «هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ» أى هل يستوى العارف باللَّه تعالى و بدينه العالم به مع الجاهل به و بدينه، فجعل الأعمى مثلا للجاهل و البصير مثلا للعارف باللَّه و نبيه، هذا قول الحسن و الجبائى.

و قال البلخى: معناه هل يستوى من صدق على نفسه و اعترف بحاله التى هو عليها من الحاجة و العبودية لخالقه، و من ذهب عن البيان

و عمی عن الحق «أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ» فتنصفوا من أنفسکم و تعملوا بالواجب علیکم من الإقرار بوحدانیته تعالی و نفی الشرکاء و التشبیه عنه، و هذا و ان کان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به الاخبار أی انهما لا یستویان.

و قال مجاهد: الأعمی الضال و البصیر المهتدی. ثم قال: «أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ» تنبیها لهم علی الفکر فی ما یدعوهم الی معرفته و یدلهم علیه من آیاته و أمثاله التی بینها فی کتابه، للفرق بین الحق و الباطل، و الکافر و المؤمن.

و قال الحسن: «لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ» یعنی خزائن الغیب الذی فیه العذاب لقولهم: ائتنا بعذاب اللّه، و لا اعلم الغیب متی یأتیکم العذاب «وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ» من ملائکة اللّه. و انما أنا بشر تعرفون نسبی. و لکنی رسول اللّه یوحی الی، و لا أتبع الا ما یوحی الی و لا أؤدی الا ما یأمرنی بأدائه و استدل الجبائی و البلخی و غیرهما بهذه الآیة علی ان الملائکة أفضل من الأنبیاء لأنه قال «وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ» فلولا ان الملائکة أفضل و أعلی منزلة ما جاز ذلک. و هذا لیس بشیء لان الفضل الذی هو کثرة الثواب لا معنی له ها هنا، و انما المراد «وَ لا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ» فأشاهد من امر اللّه و غیبته عن التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۴۳

العباد ما یشاهده الملائکة المقربون المختصون بملکوت السماوات و ان لم یکن فی ذلک استحقاق ثواب زائد.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۵۱] ..... ص : ۱۴۳

وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۵۱)

آیة بلا خلاف.

امر اللّه تعالی نبیه (ع) ان ینذر بهذه الآیات أی یخوف بها من هو مقر بالبعث و النشور من المؤمنین، و من یقر بذلک من الکفار و یعتقد انه لا معونة عند الشرکاء یومئذ، لان الامر هناک له تعالی وحده. و قد کان خلق من مشرکی العرب یعتقدون ذلک، فأمر اللّه ان یخص هؤلاء بالإنذار، لان الحجة لهم ألزم و ان کانت لازمة للجمیع.

و قوله: «يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ» أی یعلمون ذلک، فهم خائفون منه أی عاملون بما یؤدیهم الی السلام عنده.

و قال الفراء: یخافون الحشر الی ربهم علما بأنه سیکون فلذلک فسّره المفسرون یخافون بمعنی یعلمون.

و قال الجبائی: امر اللّه ان یخوف بالعقاب من هو خائف، لأنه لما أعلمهم ان اللّه یعذبهم بکفرهم إذا حشروا، کانوا یخافون الحشر لکونهم شاکین فیما أخبرهم به النبی (ص) من الحشر و العذاب. و کانوا یخافون ذلک لشکهم فیه، و ان کانوا غیر مؤمنین. و الاول قول البلخی و الزجاج.

و قوله: «لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ» أو من یدفع عنهم ما یرید اللّه إنزاله بهم من عذابه، و عقوباته، و لا شفیع یشفع یدفع بشفاعته عنهم ما یرید اللّه انزاله بهم من ذلک علی ما قالت النصاری انهم أبناء اللّه و احباؤه.

و قوله: «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أی لکی یتقوا معاصیه. و الهاء فی قوله «به» قال الزجاج: راجعة الی القرآن. و قال الجبائی: راجعة الی العذاب. و قال التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۴۴

البلخی: راجعة الی الانذار.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۵۲] ..... ص : ۱۴۴

وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (۵۲)

آیة بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «بالغدوة» هنا و فی الکهف- بضم الغین و اسکان الدال و اثبات واو بعدها. الباقون بفتح الغین و الدال و اثبات الف بعد

الدال.

سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن مسعود و غيره: ان ملأ من قريش- و قال الفراء: من الكفار، منهم عيينة بن حصين الفزارى- دخلوا على النبى (ص) و عنده بلال و سلمان و صهيب و عمار، و غيرهم، فقال عيينة بن حصين يا رسول اللّه لو نحيت هؤلاء عنك، لاتاك أشراف قومك، و أسلموا، و كان ذلك خديعة منهم له و كان اللّه تعالى عالما ببواطنهم.

فأمر اللّه نبيه ان «لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ» يعنى انه نهاه عن طردهم لأنهم يريدون بإسلامهم و دعائهم وجه اللّه. قال الضحاك:

«يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ» يعنى بذلك الصلاة المفروضة فى هذين الوقتين و قال ابراهيم هم اهل الذكر. و قال قوم: الدعاء ها هنا هو التحميد و التسبيح و قوله: «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» شهادة للمعنيين بالآية بالإخلاص و انهم يريدون بعبادتهم اللّه خالصا.

و قال البلخى: قراءة ابن عامر غلط، لان العرب إذا ادخلت الالف و اللام قالوا: الغداة يقولون: رأيتك بالغداة، و لا يقولون بالغدوة، فإذا نزعوا الالف و اللام قالوا رأيتك غدوة. و انما كتبت واو فى المصحف، كما كتبوا الصلاة و الزكاة و الحياة كذلك. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۴۵

قال ابو على الفارسى: الوجه الغداة، لأنها تستعمل نكرة و تتعرف باللام فأما غدوة فمعرفة أبدا، و هو علم صيغ له. قال سيبويه: غدوة و بكرة جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا أم حنين اسما لدابة معروفة، كذلك هذا و وجه قراءة ابن عامر أن سيبويه قال زعم الخليل أنه يجوز ان تقول أتيتك اليوم غدوة و بكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة.

و قوله «فتطردهم» نصب الدال، لأنه جواب النفى فى قوله: «ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ» و نصب فيكون لأنه جواب لقوله: «وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ ...

ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ... فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ» قال قوم يعنى من حساب رزقهم فى الدنيا ليس رزقهم فى يدك و لا رزقك فى أيديهم، بل اللّه رازق الجميع.

و قال الجبائى و هو الأظهر: ما عليك من أعمالهم، و لا عليهم من أعمالك، بل كل واحد يؤاخذ بعمله، و يجازى على فعله، لا على فعل غيره. و قوله «فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ» اخبار منه تعالى انه لو طرد كل هؤلاء تقربا الى الكبراء منهم كان بذلك ظالما. و النبى (ص) و ان لم يقدم على القبيح جاز ان ينهى عنه، لأنه قادر عليه و ان كان النهى و الزجر يمتنع منه، كما قال تعالى «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» و ان كان الشرك مأمونا منه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۵۳] ..... ص : ۱۴۵

وَ كَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (۵۳)

آية بلا خلاف.

معنى الآية انه تعالى اخبر انه يمتحن «۱» الفقراء بالأغنياء و الأغنياء بالفقراء فيختبر صبر الفقراء على ما يرون من حال الأغنياء، و اعراضهم عنهم الى طاعة الرسل و يختبر شكر الأغنياء و إقرارهم لمن يسبقهم من الفقراء، و الموالى و العبيد

---

(۱) فى المخطوطة «ابتلى» بدل «يمتحن».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۴۶

الى الايمان بالرئاسة فى الدين و التقدم فيه.

و قوله: «لِيَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» فليس المراد باللام لام الغوص لان اللّه لو قصد ذلك لكان قد قصد بما فعل ان يقولوا

هذا القول فيكفروا به و يعصوا و يتعالى اللَّه عن ذلك فكيف يقصده؟! و قد عابه من قولهم و هو يعاقبهم عليه و عابهم به، و لكن اللام لام العاقبة.

و المعنى انى فعلت ذلك بهم ليصبروا و يشكروا، فكان عاقبة أمرهم ان قالوا «أ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» و مثله قوله: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۱» و قال الشاعر:

و ام سماك فلا تجزعى فللشكل ما تلد الوالداه «۲»

و الذى قال «أ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» هو عيينة بن حصين و أصحابه و قال الزجاج: أى ليقول الكبراء «أ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» أى ليكون ذلك آية بينة انهم اتبعوا الرسول و صبروا على الشدة فى حال شديدة.

و قال الجبائى: معنى قوله «فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ» أى شددنا التكليف على أشراف العرب و كبرائهم بأن امرناهم بالايمان برسول اللَّه و بتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم إياهم فى الايمان، و كونهم أفضل عند اللَّه. و هذا أمر كان شاقاً عليهم، فلذلك سماه اللَّه فتنة.

و قوله «لِيَقُولُوا أ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» أى فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام منه لا على وجه الإنكار «أ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا» يعنى بالايمان إذ رأوا النبى (ص) يقدم هؤلاء عليهم و يفضلهم و ليرضوا بذلك من فعل رسول اللَّه، و لم يجعل هذه الفتنة و الشدة فى التكاليف ليقولوا ذلك على وجه الإنكار، لان إنكارهم ذلك كفر باللَّه و معصية له و اللَّه تعالى لا يريد ذلك و لا يرضاه، لأنه لو أراد ذلك منهم، و فعلوه كانوا مطيعين

---

(۱) سورة ۲۸ القصص آية ۸

(۲) مر هذا البيت فى ۳: ۶۰ و سيأتى فى ۵: ۴۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۴۷

له لا عاصين و قد ثبت خلافه.

و قوله: «أ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ» معناه ان اللَّه تعالى أعلم بالشاكرين له و لنعمه من خلقه فيجازيهم على ذلك بما يستحقونه من الثواب و التعظيم و الإجلال.

و الشاكرون المعنيون بالآية هم هؤلاء الضعفاء و يدخل معهم فى ذلك سائر المؤمنين.

فان قيل فعلى هذا الوجه الذى ذكرتموه قد وجد من الكفار القول على ما أراده فيجب ان يكونوا مطيعين.

قلنا: ليس فى الآية ذلك و أنهم على أى وجه قالوه على وجه الإنكار أو على وجه الاستفهام؟ و انما بين انه فعل بهم ليقولوا ذلك على وجه الاستفهام لا على وجه الإنكار، فان كانوا قالوه على ما أراده اللَّه فهم مطيعون و ان قالوه منكرين فهم عصاة، فلما علمنا أن اللَّه تعالى ذمهم بهذا القول علمنا أنهم لم يقولوه على وجه المراد منهم انما قالوه على خلاف ما أريد منهم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۵۴] ..... ص : ۱۴۷

وَ إِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵۴)

آية.

قرأ ابن عامر و عاصم و يعقوب: «انه من عمل ... فانه غفور رحيم» بفتح الهمزة فيهما وافقهم اهل المدينة فى الاولى منهما. الباقون بالكسر فيهما.

قال ابو على الفارسى من كسر (أنه) الاولى جعلها تفسير للرحمة كما أن قوله «لهم مغفرة و اجر كريم» تفسير للوعد. و اما كسر (إن) فى قوله «فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، و من ثم حمل قوله «وَ مَنْ عادَ التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۴۸
فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ»

«۱» على إرادة المبتدأ بعد الفاء و حذفه.

و من فتح (أن) فى قوله «انه» فانه جعل (ان) الاولى بدلا من الرحمة كأنه قال كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم. و اما فتحها بعد الفاء فانه غفور رحيم، فعلى انه أضمر له خبرا تقديره، فله انه غفور رحيم أى فله غفرانه. أو أضمر مبتدأ تكون (أن) خبره، كأنه قال فأمره انه غفور رحيم و اما قراءة نافع: بفتح الاولى و كسر الثانية فالقول فيهما انه أبدل من الرحمة و استأنف ما بعد الفاء. قال سيبويه: بلغنا ان الأعرج قرأ «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ ... فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». و نظيره قول ابن مقبل:

و انى إذا ملت ركابى مناخها فانى على حظى من الامر جامح

يريد ان قوله: (و انى إذا ملت ركابى) محمول على ما قبله كما ان قوله «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ» محمول على ما قبله. و قوله: فانى على حظى مستأنف مثل قوله «فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» مستأنف به منقطع عما قبله.

قال الفراء: و اختاره الزجاج و يجوز ان يحمل (فانه) على التكرار، قال: لان الكتاب يحتاج الى (ان) مرة واحدة و لكن الخبر هو موضعها فلما دخلت فى ابتداء الكلام أعيدت الى موضعها، كما قال: «أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» «۲» فلما كان موضع (ان) أ يعدكم انكم مخرجون إذا متم دخلت فى أول الكلام و آخره. و مثله «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ» «۳» و مثله «أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ» «۴» قال و لك ان تكسر (ان) بعد الفاء فى هذه الأحرف. قال ابو على هذا غير صحيح، لان (من) لا يخلو من ان تكون للجزاء الجازم الذى بنى اللفظ عليه او تكون موصولة، و لا يجوز ان يقدر التكرير مع الموصولة فلو كانت موصولة

---

(۱) سورة ۵ المائدة آية ۹۸

. (۲) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۳۵

(۳) سورة ۲۲ الحج آية ۴

(۴) سورة ۹ التوبة آية ۶۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۴۹

لبقى المبتدأ بلا خبر، و لا يجوز ذلك فى الجزء الجازم، لان الشرط يبقى بلا جزاء على اثبات الفاء فى قوله: (فان له) و يمتنع من ان يكون بدلا لأنه لا يكون بين المبدل و المبدل منه الفاء العاطفة و لا التى للجزاء، فان قيل: هى زائدة بقى الشرط بلا جزاء، فإذا بطل الامر ان ثبت ما قدمناه.

و اما من كسرهما فعلى مذهب الحكاية كأنه لما قال «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» قال: «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» بالكسر، و دخلت الفاء جوابا للجزاء.

هذه الآية متصلة بالأولى: نهى اللَّه تعالى نبيه (ع) فى الاولى عن ان يطردهم. ثم أمره فى هذه الآية ان يقول لمن ورد عليه منهم- اعنى المؤمنين المصدقين بآيات اللَّه و حججه و براهينه عربيا كان او أعجميا ضعيفا كان أو قويا- «سَلامٌ عَلَيْكُمْ» فيبدأهم بالتحية، و يبشرهم بالرحمة و يقوى قلوبهم و يعرفهم أن من أذنب منهم ثم تاب، فتوبته مقبولة كل ذلك خلافا على الكافرين فيما أرادوه عليه من طردهم و الغلظة عليهم.

و قال محمد بن يزيد: السلام فى اللغة أربعة أشياء: أحدها- سلمت سلاما مصدر. و ثانيها- السلام جمع سلامة. و ثالثها- السلام من

أسماء اللَّه. و رابعها- السلام شجر.

و معنى السلام الذى هو مصدر سلمت دعاء للإنسان ان يسلم فى دينه و نفسه، و معناه التخلص. و السلام الذى هو اسم اللَّه معناه ذو السلام أى الذى يملك السلام الذى هو تخليص من المكروه. و السلام الذى هو الشحر، فهو شجر عظيم سمى بذلك لسلامته من الآفات. و السلام حجار صلبة لسلامتها من الرخاوة و يسمى الصلح: السلام و السلم و السلم، لان معناه السلامة من الشر. و السلام دلولها مروة واحدة نحو دلو السقائين. و السلم السبب الى لشيء. و السلم الذى يرتقى عليه لأنه يسلمك الى حيث تريد و قوله «مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ» ليس المراد أنهم يجهلون أنه سوء، لأنه لو أتى التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۵۰

المسلم ما يجهل أنه سوء لكان كمن لم يتعمد سوءا. و تحتمل الآية أمرين:

أحدهما- انه عمله و هو جاهل بالمكروه فيه أى لم يعرف أن فيه مكروه.

و الآخر- انه أقدم مع علمه ان عاقبته مكروهة فآثر العاجل، فجعل جاهلا لأنه آثر القليل على الراحة الكثيرة و العاقبة الدائمة.

و يحتمل عندى أن يكون أراد «مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ» بمعنى أنه لا يعرفها سوءا، لكن لما كان له طريق الى معرفته وجب عليه التوبة منه، فإذا تاب قبل اللَّه توبته.

فان قيل: قوله «و أصلح» هل فعل الصلاح شرط فى قبول التوبة أو لا؟

فان لم يكن شرطا فلم علق الغفران بمجموعهما.

قيل: لا خلاف أن التوبة متى حصلت على شرائطها التى قدمنا ذكرها فى غير موضع، فانه يقبل التوبة و يسقط العقاب، و ان لم يعمل بعدها عملا صالحا غير أنه إذا تاب و بقى بعد التوبة، فان لم يعمل الصالح عاد الى الإصرار، لأنه لا يخلو فى كل حال من واجب عليه أو ندب من تجديد معرفة اللَّه و معرفة نبيه، و غير ذلك من المعارف و كثير من أفعال الجوارح، فاما ان قدرنا اخترامه عقيب التوبة من غير فعل صلاح، فان الرحمة بإسقاط العقاب تلحقه بلا خلاف.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۵۵] ..... ص : ۱۵۰

وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (۵۵)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة الا حفصا و «ليستبين» بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ اهل المدينة «سبيل» بالنصب. الباقون بالرفع.

من قرأ بالتاء و رفع السبيل، فلأن السبيل يذكر و يؤنث، فالتذكير لغة تميم، و التأنيث لغة أهل الحجاز فأنَّث- ها هنا- كما قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۵۱

«قُلْ هذِهِ سَبِيلِي» «۱».

و من قرأ بالياء فانه ذكَّر السبيل، لأنه الطريق. و هو يذكر، كما قال «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» «۲».

و من قرأ بالتاء، و نصب (السبيل) أراد أن يكون خطابا للنبى (ص) كأنه قال: و لتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين. و النبى (ص) و ان كان مستبينا لطريق المجرمين عالما به فيجوز أن يكون ذلك على وجه التأكيد، و لان يستديم ذلك. و يحتمل أن يكون المراد به الامة، فكأنه قال ليزداد استبانة، و لم يحتج ان يقول: و لتستبين سبيل المؤمنين، لان سبيل المجرمين إذا بانت، فقد بان معها سبيل المؤمنين، لأنها خلافها. و يجوز ان يكون المراد، و لتستبين سبيل المجرمين و لتستبين سبيل المؤمنين، و حذف إحدى الجملتين لدلالة الكلام عليه، كما قال «سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ» «۳» و لم يقل تقيكم البرد، لان الساتر يستر من الحر و البرد، لكن جرى ذكر الحر، لأنهم كانوا فى مكانهم أكثر معاناة له من البرد، و كذلك سبيل المجرمين، خص بالذكر، لان الكلام فى وصفهم، و ترك ذكر المؤمنين لدلالة الكلام عليه. و هذه الآية معطوفة على الآيات التى احتج اللَّه بها على مشركى العرب، و غيرهم فلذلك قال «و كذلك» أى كما

قدمنا «نُفَصِّلُ الْآياتِ» أی نمیزها و نبینها و نشرحها لتلزمهم الحجة و «لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ» من عاند بعد البیان أو ذهب عن فهم ذلک بالاعراض عنه لمن أراد التفهم منهم، و من المؤمنین لیجانبوها و یسلکوا غیرها.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۵۶] ..... ص : ۱۵۱

قُلْ إِنِّی نُهِیتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْواءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِینَ (۵۶)

---

(۱) سورة ۱۲ یوسف آیة ۱۰۸

(۲) سورة ۷ الاعراف آیة ۱۴۵

(۳) سورة ۱۶ النحل آیة ۸۱. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۵۲

روی عن یحیی بن وثاب أنه قرأ «ضللت» بکسر اللام. و القراء کلهم علی فتحها، و هما لغتان. فمن کسر اللام فتح الضاد من «یضل». و من فتح اللام کسر الضاد. فقال «یضل» و قال أبو عبیدة اللغة الغالبة بالفتح.

و

روی ابو العالیة أن النبی (ص) قرأ هذه الآیة عند الکعبة و أظهر لهم المفارقة.

و هذه الآیة فیها خطاب للنبی (ص) و أمر له بأن یقول للکافرین:

ان اللَّه قد نهانی أن اعبد هذه الأوثان التی تعبدونها من دون اللَّه و تدعونها آلهة و أنها تقربکم الی اللَّه زلفی، و أن یقول لهم انی لا أتبع أهواءکم فی عبادة الأوثان، و انی لو فعلت ذلک لکنت قد ضللت عن الصواب، و بعدت عن الرشد و لم أکن من المهتدین الی الخیر و الصلاح. و معناه معنی الشرط و تقدیره قد ضللت ان عبدتها. و قال الزجاج: «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِینَ» أی و ما أنا من النبیین الذین سلکوا طریق الهدی.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۵۷] ..... ص : ۱۵۲

قُلْ إِنِّی عَلی بَیِّنَةٍ مِنْ رَبِّی وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ ما عِنْدِی ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ یَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَیْرُ الْفاصِلِینَ (۵۷)

آیة بلا خلاف.

قرأ اهل الحجاز و عاصم «یَقُصُّ الْحَقَّ» من القصص و هو المروی عن ابن عباس و مجاهد. الباقون- بالضاد- المعجمة من فوقها من القضاء. و کان ابو عمرو یقوی القراءة بالضاد بقوله «وَ هُوَ خَیْرُ الْفاصِلِینَ». و یقول الفصل فی القضاء لا فی القصص و یقوی ذلک بقوله «وَ اللَّهُ یَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ یَهْدِی السَّبِیلَ».

و حجة من قرأ بالصاد قوله: «نَقُصُّ عَلَیْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» «۱» و قوله:

«إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ» «۲». و أما الفصل الذی قوی به أبو عمرو قراءته فقد

---

(۱) سورة ۱۲ یوسف آیة ۳

(۲) سورة ۳ آل عمران آیة ۶۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۵۳

جاء الفصل فی القول کما جاء فی الحکم و القضاء فی نحو قوله «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ» «۳» و قال: «أُحْكِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ» «۴» و قال

«نُفَصِّلُ الْآياتِ» «۵» و قال «لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ» «۶» فذكر فى القصص انه تفصيل. و الحق فى قوله «يَقُصُّ الْحَقَّ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون صفهٔ لمصدر محذوف و تقديره يقضى القضاء الحق أو يقص القصص الحق.

و الثانى- أن يكون مفعولا به يعجل الحق كقول الهذلى:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع «۷»

أى صنعهما داود.

و فى هذه الآيهٔ أمر من اللّه لنبيه ان يقول للكفار انه على بينهٔ من ربه، أى على أمر بين من معرفهٔ اللّه و صحهٔ نبوته، لا متبع للهوى.

و قوله «وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ» الهاء راجعهٔ الى البيان، لان البنيهٔ و البيان واحد، و تقديره و كذبتم بالبيان لذى هو القرآن. و قال قوم: بينهٔ من ربى من نبوتى «وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ» يعنى باللّه. و على الاول يكون تقديره كذبتم بما أتيتكم، لأنه هو البيان.

و قوله: «ما عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ» (ما) بمعنى ليس. و الذى استعجلوا به يحتمل أمرين:

أحدهما- العذاب، كما قال «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ» «۸».

و الثانى- أن يكونوا استعجلوا الآيات التى اقترحوها عليه فأعلمهم اللّه أن ذلك عند اللّه و أن الحكم له تعالى «يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ» و كتبت

---

(۳) سورهٔ ۸۶ الطارق آيهٔ ۱۳

(۴) سورهٔ ۱۱ هود آيهٔ ۱

(۵) سورهٔ ۱۰ يونس آيهٔ ۲۴

(۶) سورهٔ ۱۲ يوسف آيهٔ ۱۱۱

(۷) مر تخريجه فى ۱/ ۴۲۹ و فى ۴/ ۸۸.

(۸) سورهٔ ۲۲ الحج آيهٔ ۴۷ و سورهٔ ۲۹ العنكبوت آيهٔ ۵۳- ۵۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۵۴

يقضى بغير ياء، لأنها أسقطت فى اللفظ لالتقاء الساكنين، كما كتبوا «سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ» «۳» بغير واو.

و من قرأ: بالصاد من القصص حمله على أن جميع ما أنبأ به و أمر به، فهو من أقاصيص الحق.

و قال الحسن: (البنيهٔ) النبوهٔ و (كذبتم به) بالنبوهٔ التى جاءت من عند اللّه و «ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ» من العذاب جواب لقولهم: «أتنا بعذاب اللّه» «۴» و فى قراءهٔ ابن مسعود «يَقُصُّ الْحَقَّ» و لم يقرأ به احد.

و قوله «يَقْضِي بِالْحَقِّ» يدل على بطلان قول من يقول: ان الظلم و الجور بقضاء اللّه، لان ذلك كله ليس بحق.

قوله تعالى:[سورهٔ الأنعام (۶): آيهٔ ۵۸] ..... ص : ۱۵۴

قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (۵۸)

آيهٔ.

امر اللّه تعالى نبيه ان يقول للكفار ما كان عندى ما تستعجلون به من كون العذاب و إنزاله بكم برأيى و ارادتى لفعلت ذلك بكم و لأنزلته عليكم و «لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ» بذلك و لا- نفصل و لا- نقطع، و لكن ليس ذلك إلى و انما هو الى اللّه «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ» و بمن ينبغى إمهاله منهم و من يجب معالجته بالعقوبهٔ فهو يدبر ذلك بحسب ما يعلم من وجه الحكمهٔ و الصواب

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۵۹] ..... ص : ۱۵۴

وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۵۹)

آيهٔ بلا خلاف و هى تمام السبع المثانى.

---

(۳) سورة ۹۶ العلق آية ۱۸

. (۴) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۲۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۵۵

«مَفاتِحُ الْغَيْبِ» معناه الأمور التى بها يستدل على الغائب فتعلم حقيقته، يقال: فتحت على الرجل، أى عرفته أولا، و يستدل به على آخر، و جملهٔ يعرف بها التفصيل. و منه قولهم أفتح علىَّ أى عرفنى. قال الزجاج: معناه و عنده الوصلهٔ الى علم الغيب و كل ما لا يعلم إذا استعلم.

و

روى عن ابن عمر أن رسول اللَّه (ص) قال: مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا اللَّه: ان اللَّه عنده علم الساعهٔ، و ينزل الغيث، و يعلم ما فى الأرحام، و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا و ما تدرى نفس بأى أرض تموت.

و معنى الآيهٔ أن اللَّه تعالى عالم بكل شىء من مبتدءات الأمور و عواقبها فهو يعجل ما تعجيله أصلح و أصوب، و يأخر ما تأخيره أصلح و أصوب، و أنه الذى يفتح باب العلم لمن يريد إعلامه شيئا من ذلك من أنبيائه و عباده، لأنه لا يعلم الغيب سواه، فلا يتهيأ لاحد ان يعلِّم العباد ذلك، و لا أن يفتح لهم باب العلم به الا اللَّه، و بين أنه يعلم ما فى البر و البحر من الحيوان و الجماد. و بين أنه ما تسقط من ورقهٔ من شجرهٔ الا يعلمها و لا حبهٔ فى جوف الأرض و فى ظلماتها الا و يعلمها و لا رطب و لا يابس جميع أصناف الأجسام، لأنها أجمع لا تخلو من احدى هاتين الصفتين.

و قوله: «وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها» المعنى أنه يعلمها ساقطهٔ و ثابتهٔ كما تقول: ما يجيئك من أحد الا و أنا أعرفه، معناه الا و انا أعرفه فى حال مجيئه. و قوله: «وَ لا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ» خبر على تقدير (من). و يجوز الرفع فيها على معنى و لا تسقط ورقهٔ و لا حبهٔ. و يجوز ان يرفعه على الابتداء و يقطعه عن الاول و يكون خبره «إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ».

و قوله: «فِي كِتابٍ مُبِينٍ» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون معناه فى علم اللَّه مبين.

و ثانيهما- ان يكون «فِي كِتابٍ مُبِينٍ» ان يكون اللَّه تعالى أثبت ذلك فى التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۵۶

كتاب قبل أن يخلقه، كما قال «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ، وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها» «۱» و يكون الغرض بذلك اعلام الملائكهٔ أنه علام الغيوب ليدل على أنه عالم بالأشياء قبل كونها. و يجوز ان يكون المراد بذلك أنه كتب جميع ما يكون ثم امتحن الملائكهٔ بكتبه و تعبدهم باحصائه، كما تعبد سائر خلقه بما يشاء مما فيه صلاحهم. و قال البلخى: «فِي كِتابٍ مُبِينٍ» أى هو محفوظ غير منسى و لا مغفول كما يقول القائل لصاحبه: ما تصنعه عندى مسطر مكتوب. و انما يريد بذلك أنه حافظ له يريد مكافأته عليه، قال الشاعر:

ان لسلمى عندنا ديوانا

و يجوز أن يكون المراد بذكر الورقهٔ و الحبهٔ و الرطب و الياس التوكيد فى الزجر عن المعاصى و الحث على البر و التخويف لخلقه

بأنه إذا كانت هذه الأشياء التى لا- ثواب فيها و لا عقاب عليها محصاة عنده محفوظة مكتوبة، فأعمالكم التى فيها الثواب و العقاب أولى، و هو قول الحسن. و قال مجاهد: البر القفار و البحار كل قرية فيها ماء. و عن أبى عبد اللَّه: الورقة السقط و الحبة الولد. و ظلمات الأرض الأرحام و الرطب ما يبقى و يحيا و اليابس ما تغيض.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۶۰] ..... ص : ۱۵۶

وَ هُوَ الَّذِی یَتَوَفَّاکُمْ بِاللَّیْلِ وَ یَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ثُمَّ یَبْعَثُکُمْ فِیهِ لِیُقْضی أَجَلٌ مُسَمًّی ثُمَّ إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ ثُمَّ یُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۶۰)

آیة بلا خلاف.

قوله: «و هو» کنایة عن اللَّه تعالى. و «الذى» صفة له «یَتَوَفَّاکُمْ بِاللَّیْلِ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- قال الجبائی: یقبضکم، و قال الزجاج: ینیمکم باللیل فیقبضکم

---

(۱) سورة ۵۷ الحدید آیة ۲۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۵۷

اللَّه الیه، کما قال: «اللَّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها» «۱».

و قال البلخی: و اختاره الحسین بن علی المغربی «یَتَوَفَّاکُمْ» بمعنی یحصیکم عند منامکم و استقرارکم، قال الشاعر:

ان بنی الادرم لیسوا من أحد لیسوا من قیس و لیسوا من أسد

و لا توفاهم قریش فی العدد «۲»

معناه لا تحصیهم فی العدد.

و قوله: «وَ یَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ» أی کسبتم، تقول فلان جارحة أهله أی کاسبهم، و منه قوله: «وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُکَلِّبِینَ» «۳» أی من الکواسب التی تکسب علی أهلها، و هو قول مجاهد.

و قوله: «ثُمَّ یَبْعَثُکُمْ فِیهِ» أی فی النهار، فجعل انتباههم من النوم بعثا «لِیُقْضی أَجَلٌ مُسَمًّی» لیستوفی الأجل المسمی للحیاة الی حین الموت. ثم «إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ» یعنی یوم القیامة فیحشرهم اللَّه الی حیث لا یملک فیه الامر سواه. «ثُمَّ یُنَبِّئُکُمْ» یعنی یخبرکم و یعلمکم «بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فی الدنیا فیجازیکم علی أعمالکم، و فیها دلالة علی خزیهم و حاجتهم، و احتجاج علیهم أنه لا یستحق العبادة سواه إذ هو الفاعل لجمیع ما یستحق به العبادة مما عدده و القادر علیه دون من یعبدونه من الأوثان و الأصنام.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآیات ۶۱ الی ۶۲] ..... ص : ۱۵۷

وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَةً حَتَّی إِذا جاءَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا یُفَرِّطُونَ (۶۱) ثُمَّ رُدُّوا إِلَی اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُکْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِینَ (۶۲)

آیتان

---

(۱) سورة ۳۹ الزمر آیة ۴۲.

(۲) مقاییس اللغة ۳: ۲۷۰ و اللسان (و فی) و روایته «الادرد» مع حذف البیت الثانی و جعل الثالث بعد الاول و کذلک فی الطبری ۱۱: ۴۰۵.

(۳) سورة ۵ المائدة آية ۵. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۵۸

كلهم قرأ «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» بالتاء الا حمزة فانه قرأ «توفاه». و حجة من قرأ بالتاء قوله «كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» «۱» و قوله «إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» «۲» و «جاءتهم رسلهم بالبينات» «۳» و «قالَتْ رُسُلُهُمْ» «۴» و حجة حمزة انه فعل متقدم مسند الى مؤنث غير حقيقى. و انما التأنيث للجمع، فهو مثل قوله «وَ قالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ» «۵» و ما أشبه ذلك مما يأتيه تأنيث الجمع، قال و ليس ذلك خلافا للمصحف، لان الالف الممالة تكتب ياء.

و قوله «وَ هُوَ الْقاهِرُ» معناه و اللَّه المتقدر المستعلى على عباده الذين هو فوقهم لا على أنه فى مكان مرتفع فوقهم و فوق مكانهم، لان ذلك لا يجوز عليه، لأنه صفة للأجسام. و مثله فى اللغة أمر فلان فوق أمر فلان، يراد به أنه أعلى امرا، و انفذ قولا. و مثله قوله تعالى «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» «۶» و المراد أنه أقوى و اقدر منهم و انه القاهر لهم.

و قوله: «وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» يعنى يرسل عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم و يحصونها عليكم و يكتبونها ليعلموا بذلك أن عليهم رقيبا من عند اللَّه و محصيا عليهم فينزجروا عن المعاصى. و بين ان هؤلاء الحفظة هم شهداء عليكم بهذه الاعمال يوم القيامة.

و قوله «حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» يعنى وقت الموت «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» يعنى قبضت الملائكة روح المتوفى، و هم رسل اللَّه الذين عنا هم اللَّه بهذه الآية.

و قال الحسن: «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» قال هو ملك الموت و أعوانه و أنهم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قبل اللَّه بقبض أرواح العباد. و قوله:

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۳۴

(۲) سورة ۴۱ حم السجدة آية ۱۴

(۳) سورة ۷ الاعراف آية ۱۰۰ و يونس ۱۰ آية ۱۳ و ابراهيم ۱۴ آية ۹ الروم ۳۰ آية ۹ و سورة ۳۵ فاطر آية ۲۵ و المؤمن ۴۰ آية ۸۳.

(۴) سورة ۱۴ ابراهيم آية ۱۰

(۵) سورة ۱۲ يوسف آية ۳۰

(۶) سورة ۴۸ الفتح آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۵۹

«تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» أى تقبضه، و التوفى هو القبض على ما بيناه. ثم إن هؤلاء الرسل «لا يُفَرِّطُونَ» أى لا يقصرون- فى قول الزجاج- و لا يغفلون، و لا يتوانون. و قال الجبائى: لا يأخذون روحه قبل أجله و يبادرون الى ما أمروا به عن غير تقصير، و لا تفريط. و المعنى فى التوفى ان يعلم العباد أنهم يحصون إذا ماتوا فلا يرون أنهم يهملون إذا ماتوا و أن احداً منهم لا يثبت ذكره ليجزى بعمله.

ثم بين ان هؤلاء الذين تتوفاهم رسلنا يردون بعد الوفاة الى اللَّه فيردهم الى الموضع الذى لا يملك الحكم عليهم فيه الا اللَّه و لا يملك نفعهم و لا ضرهم سواه فجعل ردهم الى ذلك الموضع ردا الى اللَّه، و بين أنه هو «مَوْلاهُمُ الْحَقِّ» لأنه خالقهم و مالكهم، و القاهر عليهم القادر على نفعهم و ضرهم، و لا يجوز ان يوصف بهذه الصفة سواه، فلذلك كان مولاهم الحق. و قال البلخى: (الحق) اسم من اسماء اللَّه و هو خفض، لأنه نعت للَّه، و يجوز الرفع على معنى اللَّه مولاهم الحق، و يجوز ان ينصب على معنى يعنى مولاهم، و القراءة بالخفض.

و قوله: «أَلا لَهُ الْحُكْمُ» معناه ألا يعلمون أو ألا يقرون ان الحكم يوم القيامة هو له وحده؟، و لا يملك الحكم فى ذلك اليوم سواه، كما قد يملك الحكم فى الدنيا غيره بتمليك اللَّه إياه.

و قوله: «وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ»

روى أنه تعالى يحاسب عباده على مقدار حلب شاة

، و ذلك يدل على أنه لا يحتاج ان يكلفهم مشقة و آلة على ما يقوله المشبهة، لأنه لو كان كذلك لاحتاج ان يتطاول زمان محاسبته أو أنه يشغله محاسبته عن محاسبة غيره. و

روى عن أمير المؤمنين (ع) أنه قيل له: كيف يحاسب اللَّه الخلق و هم لا يرونه؟ قال: كما يرزقهم و لا يرونه.

و المعنى فى الآية أنه تعالى أحصى الحاسبين لما أحصى الملائكة و توفوا من الأنفس لا يخفى عليه من ذلك خافية و لا يحتاج فى عده الى فكر و نظر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۶۰

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۶۳ الى ۶۴] ..... ص : ۱۶۰

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۶۳) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (۶۴)

آيتان بلا خلاف.

قرأ يعقوب «قل من ينجيكم» مخففا. الباقون بالتشديد. و قرأ ابو بكر «و خفية» بكسر الخاء- ها هنا-، و فى الاعراف. و قرأ اهل الكوفة الا ابن شاهى «أنجانا» على لفظ الاخبار عن الواحد الغائب، و أماله حمزة و الكسائى و خلف. الباقون «أنجيتنا» على وجه الخطاب.

و قرأ اهل الكوفة الا العبسى و هشام و أبو جعفر «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ» بالتشديد. الباقون بالتخفيف. يقال: نجا زيد ينجو، قال الشاعر:

نجا سالم و النفس منه لشدقه «۱»

فإذا نقلت الفعل حسن أن تنقله بالهمزة فتقول أنجيته، و يجوز أن ننقله بتضعيف العين، فتقول نجيته، و مثله فرحته و أفرحته و عرضّته و أعرضته، قال اللَّه تعالى «فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ» «۲» «فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ» «۳» و قال «وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ» «۴» فلما استوت اللغتان و جاء التنزيل بهما تساوت القراءتان.

و وجه قراءة من قرأ «لئن أنجانا» أنه حمله على الغيبة كقوله «تَدْعُونَهُ ... لَئِنْ أَنْجانا»، و كذلك ما بعده «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ» «قُلْ هُوَ الْقادِرُ»، فهذا كله أسماء غيبة ف (أنجانا) أولى من (أنجيتنا) لكونه على ما قبله، و ما

---

(۱) اللسان «نجا» نسبه الى الهذلى و روايته:

نجا عامر و النفس منه بشدقه و لم ينج الا جفن سيف و مئزرا

(۲) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۴

(۳) سورة ۷ الاعراف آية ۶۳، ۷۱

(۴) سورة ۴۱ حم السجدة آية ۱۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۶۱

بعده من لفظ الغيبة، و موضع (يدعونه) نصب على الحال، و تقديره قل من ينجيكم داعين و قائلين «لئن أنجيتنا». و من قرأ من الكوفيين «لئن أنجانا» طلب المشاكلة. و من قرأ بالتاء واجه بالخطاب و لم يراع المشاكلة. و يقوى ذلك قوله فى أخرى «لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. قل اللَّه ينجيكم» فجاء أنجيتنا على الخطاب و بعده اسم غيبة.

و أما إمالة حمزة و الكسائى فحسنة، لان هذا النحو من الفعل إذا كان على أربعة أحرف استمرت فيه الامالة، لانقلاب الالف ياء فى

المضارع.

و من قرأ «خفية» بكسر الخاء، فلأن أبا عبيدة قال «خفية» تخفون فى أنفسكم و خفى غيره خفية، و خفية لغتان، و حكى خفوة و خفوة بالواو، كما قالوا حل حبوته و حبيته، و لا يقرأ بذلك. فأما قوله «تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً» ففعلة من الخوف. و انقلبت الواو، للكسرة. و المعنى أدعوا خائفين خافيين، قال الشاعر:

فلا تقعدن على زخة و تضمر فى القلب وجدا و خيفا «۱»

يريد جمع خيفة.

أمر اللَّه تعالى نبيه ان يخاطب الخلق و يقول لهم على وجه التقريع لمن يعبد الأصنام منهم- «مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و معناه شدائد البر و البحر، تقول العرب لليوم الذى يلقى فيه الشدة: يوم مظلم حتى أنهم يقولون:

يوم ذو كواكب أى قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل، قال الشاعر:

ابنى أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

و قال آخر:

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى إذا كان يوم ذو كواكب أشهب «۲»

فمعنا ظلمات البر و البحر شدائدهما. و قوله: «تَدْعُونَهُ ... وَ خُفْيَةً» أى مظهرين الضراعة، و هى شدة الفقر الى الشيء و الحاجة و «تَدْعُونَهُ ...

---

(۱) قائله صخر الغى. اللسان «زخخ». الزخ و الزخة «بتشديد الخاء»:

الحقد و الغيظ.

(۲) اللسان «شهب» أنشده سيبويه. فى المطبوعة «اشنع» بدل (اشهب)

خُفْيَةً» أى تدعونه فى أنفسكم بما تضمرون من حاجاتكم اليه كما تظهرون.

و قوله «لئن أنجيتنا من هذه» أى فى شدة وقعوا فيها، يقولون «لئن أنجيتنا من هذه» لنشكرنك، فأمر اللَّه ان يسألهم على وجه التوبيخ لهم و التقرير بأنه ينجيهم و أنه القادر على نفعهم و ضرهم. ثم أعلمهم ان اللَّه الذى أقروا بأنه ينجيهم هو ينجيهم ثم هم يشركون معه الأصنام التى قد علموا أنها من صنعهم و أنها لا تضر و لا تنفع و أنه تعالى على تعذيبهم قادر.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۶۵] ..... ص : ۱۶۲

قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (۶۵)

آية بلا خلاف.

هذا أمر من اللَّه تعالى لنبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار: ان اللَّه قادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم نحو الحجارة التى أمطرها على قوم لوط، و الطوفان الذى غرق به قوم نوح «أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» نحو الخسف الذى نال قارون و من خسف به «أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً» معنى يلبسكم يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق يقال: لبست عليه الامر ألبسه إذا لم تبينه، و خلطت بعضه ببعض، و منه قوله «وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» «۱» و يقال لبست الثوب ألبسه. و معنى «شيعا» أى يجعلكم فرقا لا تكونون شيعة واحدة فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا و هو معنى قوله «وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ» و انما يلبسهم اللَّه شيعا بأن يكلهم الى أنفسهم و لا يلطف

لهم اللطف الذى يؤمنون عنده و يخليهم من ألطافه بذنوبهم السالفة، فيلبس عند ذلك عليهم أمرهم، فيختلفوا حتى يذوق بعضهم بأس بعض. ثم أكد الاحتجاج عليهم، فقال: «انْظُرْ کَیْفَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ» لتفقهوا.

---

(۱) سورة ۶ الانعام آیة ۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۶۳

و قال الحسن: الآية متناولة، لأهل الكتابين فى التهديد بالخسف، و انزال العذاب «أَوْ یَلْبِسَکُمْ شِیَعاً» يتناول أهل الصلاة. و قال: قال رسول اللَّه (ص): (سألت ربى أن لا يظهر على أمتى أهل دين غيرهم فأعطانى، و سألته ألا يهلكم جوعا فأعطانى، و سألته أن لا يجمعهم على ضلالة، فأعطانى، و سألته أن لا يلبسهم شيعا، فمنعنى ذلك).

و فى الآية دلالة على أنه تعالى أراد من الكفار الايمان، لأنه قال: فعلت هذا بهم «لَعَلَّهُمْ یَفْقَهُونَ» و معناه لكى يفقهوا، لان معنى الشك لا يجوز عليه تعالى. و إذا ثبت أنها دخلت للغرض ثبت أنه أراد ان يؤمنوا به و يوحدوه، و يفقهوا أدلته و يعرفوها.

و

روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه قال معنى «عَذاباً مِنْ فَوْقِکُمْ» السلطان الجائر «و من تحت أرجلكم» السفلة، و من لا خير فيه «أَوْ یَلْبِسَکُمْ شِیَعاً» قال: العصبية «وَ یُذِیقَ بَعْضَکُمْ بَأْسَ بَعْضٍ» قال سوء الجوار

، و يكون معنى البعث على هذا الوجه التمكين و رفع الحيلولة دون أن يفعل ذلك أو يأمر به، يتعالى اللَّه عن ذلك.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۶۶ الى ۶۷] ..... ص : ۱۶۳

وَ کَذَّبَ بِهِ قَوْمُکَ وَ هُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَیْکُمْ بِوَکِیلٍ (۶۶) لِکُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۶۷)

آية فى المدنيين و البصرى و آيتان فى الكوفى، آخر الاولى «بوكيل».

قوله تعالى «وَ کَذَّبَ بِهِ قَوْمُکَ» أى بما صرف من الآيات التى ذكرها فى الآية الاولى- فى قول البلخى و الجبائى- و قال الازهرى: الهاء راجعة الى القرآن. ثم أخبر تعالى، فقال «وَ هُوَ الْحَقُّ» و أمره أن يقول لقومه «لَسْتُ عَلَیْکُمْ بِوَکِیلٍ» أى لم أؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات اللَّه و ان أحفظكم من ذلك و ان أحول بينكم و بينه، لان الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه، و الذى يدفع الضرر عنه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۶۴

و قال البلخى: هذه نزلت بمكة قبل أن يؤمر بالقتال، ثم امر فيما بعد ذلك. و أمره ان يخبرهم ان «لكل نباء» يخبرهم به «مستقر» و هو وقته الذى يعلمون فيه صحة ما وعدهم به و حقيقته، و ذلك عند كون مخبره، اما فى الدنيا، و اما فى الآخرة «وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيه تهديد لهم بكون ما أخبرهم به من العذاب النازل بهم فى الدنيا و الآخرة، و وقت كون هذا العذاب هو مستقر الخبر. و قال بعضهم: أنبأه اللَّه بالوقت الذى يظفره فيه بهم. و قال الزجاج يجوز أن يكون أراد وقت الاذن فى محاربتهم حتى يدخلوا فى الإسلام أو يقبلوا الجزية ان كانوا أهل كتاب.

و قوله: «وَ کَذَّبَ بِهِ قَوْمُکَ» المراد به الخصوص، لان فى قومه جماعة صدقوا به، و هو كما يقول القائل: هؤلاء عشيرتى، يشير الى جماعة و ان لم يكونوا جميع عشيرته.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۶۸] ..... ص : ۱۶۴

وَ إِذا رَأَیْتَ الَّذِینَ یَخُوضُونَ فِی آیاتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ وَ إِمَّا یُنْسِیَنَّکَ الشَّیْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّکْری مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (۶۸)

آية بلا خلاف قرأ ابن عامر «و اما ينسينك» بتشديد السين. الباقون بالتخفيف.

خاطب اللَّه تعالى نبيه (ص) بهذه الآية، فقال له «إذا رأيت» هؤلاء الكفار «الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا». قال الحسن، و سعيد بن جبير: معنى «يخوضون» يكذبون «بآياتنا» و ديننا و الخوض التخليط فى المفاوضة على سبيل العبث و اللعب، و ترك التفهم و اليقين. و مثله قول القائل: تركت القوم يخوضون، أى ليسوا على سداد، فهم يذهبون و يجيئون من غير تحقيق و لا قصد للواجب- أمره حينئذ ان يعرض عنهم «حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» لان من حاج من هذه حاله و أراد التبيين له فقد وضع الشىء فى غير موضعه التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۶۵

و حط من قدر الدعاء، و البيان و الحجاج. ثم قال له (ص) ان أنساك الشيطان ذلك «فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى - و الذكرى و الذكر واحد- «مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» يعنى هؤلاء الذين يخوضون فى ذكر اللَّه و آياته. ثم رخص للمؤمنين بقوله: «وَ ما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ» «۱» بأن يجالسوهم إذا كانوا مظهرين للتكبر عليهم غير خائفين منهم، و لكن ذكرى يذكرونهم أى ينبهونهم ان ذلك يسوءهم «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» ثم نسخ ذلك بقوله «وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها» الى قوله: «إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ» «۲» و بهذا قال سعيد بن جبير و السدى و جعفر بن مبشر، و اختاره البلخى و

قال: فى أول الإسلام كان ذلك يخص النبى (ص) و رخص المؤمنين فيه، ثم لما عزَّ الإسلام، و كثر المؤمنون نهوا عن مجالستهم و نسخت الآية.

و استدل الجبائى بهذه الآية على انه لا يجوز على الائمة المعصومين على مذهبنا التقية. (و قال: لأنهم إذا كانوا الحجة كانوا مثل النبى، و كما لا يجوز عليه التقية فكذا الامام- على مذهبكم-)! و هذا ليس بصحيح، لأنا لا نجوز على الامام التقية فيما لا يعرف الا من جهته، كالنبى و انما تجوز التقية عليه فيما يكون عليه دلالة قاطعة موصلة الى العلم، لان المكلف علته مزاحة فى تكليفه، و كذلك يجوز فى النبى (ص) أن لا يبين فى الحال، لامته ما يقوم منه بيان منه أو من اللَّه أو عليه دلالة عقلية، و لذلك

قال النبى (ص) لعمر حين سأله عن الكلالة فقال (يكفيك آية الصيف) و أحال آخر فى تعرف الوضوء على الآية

، فأما ما لا يعرف الا من جهته، فهو و الامام فيه سواء لا يجوز فيهما التقية فى شىء من الأحكام.

و استدل الجبائى أيضا بالآية على ان الأنبياء يجوز عليهم السهو و النسيان قال بخلاف ما يقوله الرافضة بزعمهم من أنه لا يجوز عليهم شىء من ذلك. و هذا ليس بصحيح أيضا لأنا نقول انما لا يجوز عليهم السهو و النسيان فيما يؤدونه عن اللَّه، فأما غير ذلك فانه يجوز أن ينسوه أو يسهو عنه مما لم يؤد ذلك الى

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۶۹ [.....]

(۲) سورة ۴ النساء آية ۱۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۶۶

الإخلال بكمال العقل، و كيف لا يجوز عليهم ذلك و هم ينامون و يمرضون و يغشى عليهم، و النوم سهو و ينسون كثيرا من متصرفاتهم أيضا و ما جرى لهم فيما مضى من الزمان، و الذى ظنه فاسد.

و قال أيضا فى الآية دلالة على وجوب انكار المنكر لأنه تعالى أمره بالاعراض عنهم على وجه الإنكار و الازدراء لفعلهم و كل أحد يجب عليه ذلك اقتداء بالنبى.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۶۹] ..... ص : ۱۶۶

وَ ما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ لكِنْ ذِكْرى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۶۹)

آية بلا خلاف.

لهذه الآية تأويلان:

أحدهما- قال الجبائى و الزجاج و اكثر المفسرين ان المراد ليس على المتقين من حساب الكافرين و ما يخوض فيه المشركون، و لا من مكروه عاقبته شيء «وَ لكِنْ ذِكْرى أى نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى و أمروا ان يذكروهم و ينبهوهم على خطأهم لكى يتقى المشركون إذا رأوا أعراض هؤلاء المؤمنين عنهم، و تركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك.

و الثانى- قال البلخى: ليس على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه و لا تبعة و لكنه أعلمهم بأنهم محاسبون و حكم بذلك عليهم لكى يعلموا أن اللَّه يحاسبهم، فيتقوا فعلى الاول الهاء و الميم كناية عن الكفار و على الثانى عن المؤمنين.

و (ذكرى) يحتمل ان يكون فى موضع رفع و نصب، فالنصب على تقدير ذكرهم ذكرى و الرفع على وجهين: أحدهما- و لكن عليكم ان تذكروهم، كما قال: «إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ» «۱» و الثانى- على تقدير و لكن الذى يأمرونهم

---

(۱) سورة ۴۲ الشورى آية ۴۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۶۷

به ذكرى ليتقوا عذاب اللَّه.

و

قال أبو جعفر (ع): لما نزلت «فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال المسلمون كيف نصنع ان كان كلما استهزء المشركون بالقرآن قمنا و تركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام و لا نطوف بالبيت الحرام، فأنزل اللَّه تعالى «وَ ما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» و أمرهم بتذكيرهم و تبصيرهم ما استطاعوا.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۷۰] ..... ص : ۱۶۷

وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْها أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِما كَسَبُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ (۷۰)

آية عند الجميع معنى قوله «ذر» دع يقال: و ذر يذر مثل ودع يدع، فإذا أمرت منه قلت: ذر كما قال «ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا».

و قوله «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً» يعنى هؤلاء الكفار الذين وصفهم انهم اتخذوا دين اللَّه لعبا و لهوا، لأنه لا معنى لمحاجة من كانت هذه سبيله، لأنه لاعب عابث، لا يصغى لما يقال له، فالمكلم له و المحتج عليه غير منتفع و لا نافع. و قد قطع اللَّه عذر هؤلاء الذين يذهبون مذهب اللعب بما أدركوه بعقولهم، و ما شاهدوه من آياته «وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا». ثم امر نبيه (ص) ان يذكر به، يعنى القرآن. و قيل الحساب، لكى لا تبسل نفس بما كسبت أى تدفع الى الهلكة على وجه الغفلة و تسلم لعملها غير قادرة على التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۶۸

التخلص، قال الشاعر فى الغريب المضيَّف:

و ابسالى بنى بغير جرم بعوناه و لا بدم مراق «۱»

أى اسلامى إياهم. بعوناه اجترمناه، و البعو الجناية. و قيل: معنى تبسل ترهن و يسلم لعمله. قال الأخفش: معنى «تبسل» تجازى من ابسل ابسالا، و منه قوله «أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا» «۲» قال الكسائى: «تبسل» تجزى يعنى فى الكلام. و قال الفراء: معناه يسلم و يقال أعط الراقى بسلته أى أجرته على رقيته. و يقال أسد باسل، معناه ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه، و يقال هذا بسل أى حرام، و هو بسل أى حلال. و هذا من الاضداد.

«شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ» قال الضحاك الحميم هو الماء الذى احمى حتى انتهى غليانه.

و قوله: «وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ» قال بعضهم ان يفد كل فدية يريد ان يجعلها عدلا لها من قوله «لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ» «۳» و قال غيره معناه و ان تقسط كل قسط لا يقبل منها فى ذلك اليوم، لان التوبة انما هى فى الحياة الدنيا. ثم أخبر تعالى انه ليس لهؤلاء الكفار «وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ» أى لا ناصر لهم، و لا من يسأل فيهم و اخبر أيضا أن هؤلاء فى قوله «أُولئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا» هم الذين يجازون بما كسبوا و ان لهم شرابا من حميم و عقابا أليما بما كانوا يكفرون، نعوذ باللّه منها. و قيل: ما من أمة الا و لهم عيد يلعبون فيه و يلهون، الا أمة محمد فان أعيادهم صلاة و تكبير و دعاء و عبادة.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۷۱] ..... ص : ۱۶۸

قُلْ أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَ لا يَضُرُّنا وَ نُرَدُّ عَلى أَعْقابِنا بَعْدَ إِذْ هَدانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرانَ لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ (۷۱)

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۱/ ۴۴۵ و مجاز القرآن ۱/ ۱۴۹ و اللسان «بسل»

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۷۰

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۱۲۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۱۶۹

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة «استهواه الشياطين» بألف ممالة، الباقون بالتاء المعجمة من فوق قال ابو عبيدة «كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ» أى استمالت به، ذهبت به، و منه «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها» «۱» و كذلك هوى و أهوى غيره، قال تعالى:

«وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوى «۲» يقال أهويته و استهويته، كما قال «فأزلهما الشيطان» و «إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ» «۳»، فكما أن أزله بمعنى استزله كذلك استهواه بمنزلة أهواه، و كما أن معنى استجابه أجابه فى قول الشاعر:

فلم يستجبه عند ذاك مجيب «۴» و قرأ حمزة ها هنا مثل قراءته «توفاه» و كلا المذهبين حسن.

و قوله: «استهواه» انما هو من قولهم: هوى من حالق إذا تردى منه.

و يشبه به الذى زل عن الطريق المستقيم، كما أن زل انما هو من العباد، و المكان أمر اللّه نبيه (ص) و المؤمنين أن يقولوا لهؤلاء الذين يدعونهم الى عبادة الأوثان و الأصنام «أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا» ان عبدناه، و لا يضرنا ان تركنا عبادته «وَ نُرَدُّ عَلى أَعْقابِنا» بعد الهدى و الرشاد و بعد معرفتنا باللّه و تصديق رسله الى الضلال، و ذلك مثل يقال فيمن رجع عن خير الى شر: رجع على عقبيه، و كذلك إذا خاب من مطلبه، يقال رد على عقبيه، و يصير فى الحيرة «كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرانَ» لا يهتدى الى طريق، و لا معرفة «لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ» الى الطريق الواضح و هو الهدى و يقولون له «ائتنا» و لا يقبل منهم، و لا يصير اليهم غير انه لذهاب عقله من فعل اللّه، فيستولى الشيطان حينئذ عليه، و لا يقبل من أحد لحيرته. شبه اللّه به الكافر الذى يرجع

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۳۶

(۲) سورة ۵۳ النجم آية ۵۳

(۳) سورة ۳ آل عمران آية ۱۵۵

(۴) انظر ۲/ ۱۳۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۰

عن إيمانه و هداه الى الضلال. قال و لا يقدر أحد من الشياطين على اذهاب عقل أحد، لأنهم لو قدروا على ذلك لسلبوا عقول العلماء من حيث انهم أعداؤهم، فلما لم يقدروا على ذلك دلَّ على أنه لا يقدر على ذلك الا اللَّه.

ثم أمره اللَّه أن يقول لهؤلاء الكفار «إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى أى دلالة اللَّه لنا على توحيده و أمر دينه هو الهدى الذى يؤدى المستدل به الى الفلاح و الرشاد فى دينه و هو الذى يجب أن يعمل عليه و يستدل به دون ما يدل عليه غيره من سوى أمور الدين. و قوله «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» معناه أمرنا أن نسلم أمورنا للَّه رب العالمين و ان نفوضها اليه و نتوكل عليه لا على غيره مما يعبده المشركون.

و «حيران» نصب الحال، و تقديره كالذى استهوته الشياطين فى حال حيرته. و قوله «لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى» قيل: نزلت فى عبد الرحمن ابن أبى بكر، كان أبواه يدعو انه الى الايمان و يقولان له «ائتنا»، أى تابعنا فى أيماننا «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» تقول العرب: أمرتك ان تفعل و أمرتك لتفعل و أمرتك بأن تفعل، فمن قال: أمرتك بأن تفعل، فالباء للإلصاق. و المعنى وقع الامر بهذا الفعل. و من قال أمرتك أن تفعل حذف الباء، و من قال أمرتك لتفعل المعنى أمرنا للإسلام. قال الزجاج: يكون اللام لام التعليل و التقدير أمرنا كى نسلم قال الشاعر:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل «۱»

أى كى أنسى. و قال الطبرى: معناه و أمرنا لنخضع له بالذلة و الطاعة و نخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد و الآلهة.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۷۲] ..... ص : ۱۷۰

وَ أَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۷۲)

آية بلا خلاف.

---

(۱) مر هذا البيت فى ۳/ ۱۷۴ و هو فى مجمع البيان ۲/ ۳۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۱

تحتمل هذه الآية وجهين:

أحدهما- أن يكون التقدير أمرنا لان نسلم، و لان نقيم الصلاة.

و الثاني- ان يكون محمولا على المعنى، لان معناه أمرنا بالإسلام، و اقامة الصلاة، و موضع (أن) نصب، لان الباء لما أسقطت أفضى الفعل، فنصب. و يحتمل أن يكون محمولا على قوله «يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنا» و ان «أَقِيمُوا الصَّلاةَ» أى و يدعونه أن أقيموا الصلاة. و هذه الآية موصولة بالتى قبلها أى «أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» و قيل لنا «أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ اتَّقُوهُ» اى اتقوا رب العالمين بأن تجتنبوا معاصيه و تتقوا عقابه. ثم بين أنه «هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أى تجمعون اليه يوم القيامة فيجازى كل عامل منكم بعمله، و توفى كل نفس بما كسبت.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۷۳] ..... ص : ۱۷۱

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (۷۳)

آيتان فى البصرى و المدنيين و آية فى الكوفى.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار الـذين يعبدون الأصـنام، و يدعون المؤمنين الى عبادتها «وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» الذى خلق السماوات و الأرض بالحق، و فى معنى بالحق قولان:

أحـدهما- قال الحسن و البلخى و الجبائى و الزجاج و الطبرى: ان معناه خلقهما للحق لا للباطل. و معناه خلقهما حقا و صوابا لا باطلا و خطأ، كما قال تعالى: «وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا» «۱» و ادخلت الباء

---

(۱) سورة ۳۸ ص آية ۲۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۲

و الالـف و اللام كما أدخلت فى نظائرها يقولون: فلان يقول بالحق، بمعنى أنه يقول الحق، لا أن الحق معنى غير القول بل التقـدير ان خلق اللَّه السـماوات و الأرض حكمة و صواب من حكم اللَّه، و هو موصوف بالحكمة فى خلقهما و خلق ما سواهما من جميع خلقه لا أن هناك حقا سوى خلقهما خلقهما به، و ذلك يـدل على بطلان ما يقوله المجبرة: ان هذا كله باطل و سـفه، و ما يخالف الحكمة هو من فعل اللَّه، تعالى اللَّه عن ذلك.

و الثـانى- قـال قوم: معنى ذلـك أنه خلق السـماوات و الأرض بكلامه، و هو قوله «ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» «۲» قـالوا: فالحق هو كلامه و استشـهدوا على ذلـك بقـوله «وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ» «۳» أن الحق هو قوله و كلامه. قـالوا و اللَّه خـالق الأشـياء بكلامه، و ذلك يوجب أن يكون كلامه قديما غير مخلوق، و قد بينا فساد هذا الوجه فيما تقدم، و المعتمد الاول.

و قوله «وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ» نصب (يوم) على وجوه:

أحدها- على معنى و اتقوا «يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ» نسقا على الهاء كما قال: «وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً» «۴».

و الثـانى- أن يكـون على معنى و اذكر يوم يقول كن فيكون لان بعـده «وَ إِذْ قـالَ إِبْراهِيمُ» و المعنى و اذكر «يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ» و اذكر «إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ» و هو الذى أختاره الزجاج.

و الثـالث- أن يكون معطوفا على «السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ» و خلق «يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ». فان قيل: ان يوم القيامـة لم يخلق بعـد؟ قيل:

ما أخبر اللَّه بكونه فحقيقـة واقع لا محالـة و قال قول: التمام عند قوله «كن» و قوله «فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ» ابتداء أى ما وعدوا به من الثواب و حذروا به من العقاب كائن حق قوله بذلك.

---

(۲) سورة ۴۱ حم السجدة آية ۱۱

(۳) سورة ۶ الانعام آية ۷۳

(۴) سورة ۲ البقرة آية ۴۸ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۳

و قوله «كُنْ فَيَكُونُ» قال قوم هو خطاب للصور. و المعنى و يوم يقول للصور كن فيكون. و قد بينا فيما مضى أن ذلك عبارة عن سرعة الفعل و تيسيره و انه لا يتعذر عليه شيء بمنزلة أن يقول كن فيكون، لا أن هناك أمر على الحقيقة و كيف يكون هناك أمر و الامر لا يتوجه الا الى الحى القادر؟! و المعـدومات و الجمادات لا يحسن أمرها و لا خطابها. و الغرض بالآيـة الدلالـة على سـرعة أمر البعث و الساعـة كأنه قال و يوم يقول للخلق: موتوا فيموتون و انتشروا فينتشـرون اى لا يتعذر عليه و لا يتأخر عن وقت ارادته. و قيل «يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ» أى يـأمر فيقع أمره. و الحق من صـفة قوله. كمـا يقول القائـل قـد قلت، فكـان قولك. و المعنى ليس انك قلت فكان الكلام.

و انما المعنى انه كان ما دل عليه القول. و على القول الاول يرفع (قوله) بالابتداء و (الحق) خبر الابتداء. و حكى عن قوم من السلف «فيكون» بالنصب بإضمار (ان). و تقديره كن فأن يكون، و هذا ضعيف.

و قوله «وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» يحتمل نصب «يَوْمَ يُنْفَخُ» ثلاثة أوجه:

أحدها- ان يكون متعلقا ب (له الملك) و التقدير له الملك يوم ينفخ فى الصور و انما خص ذلك اليوم بأن الملك له كما خصه فى قوله «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ». و قرأ بعضهم «ينفخ» بفتح الياء. و «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» فاعل (ينفخ) و هو شاذ، روى عن ابن عباس ذلك، و الوجه أنه لا يبقى ملك من ملكه اللَّه فى الدنيا او يغلب عليه بل ينفرد هو تعالى بالملك.

و الثاني- أن يكون يوم ينفخ بيانا على قوله «يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ» الثالث- ان يكون منصوبا ب (قَوْلُهُ الْحَقُّ). و المعنى و قوله الحق يوم ينفخ، الصور. و الوجه فى اختصاص ذلك اليوم بالذكر ما بيناه في الوجه الاول، لان قوله حق فى جميع الأوقات. و في معنى الصور قولان:

أحدهما- ما عليه اكثر المفسرين من انه اسم لقرن ينفخ فيه الملك التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۴

فيكون منه الصوت الذى يصعق له اهل السماوات و اهل الأرض، ثم ينفخ فيه نفخة أخرى للنشور، و هو الذى اختاره البلخى و الجبائى و الزجاج و الطبرى و اكثر المفسرين.

و الثاني- أنه جمع صورة مثل قولهم سورة و سور اختاره ابو عبيدة.

و قرأ بعضهم فى الشواذ فى الصور بفتح الواو و ذلك يقوى ما قاله ابو عبيدة، و يكون تقديره يوم ينفخ فى الأموات. و يقوى الاول قوله تعالى «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ» ثم قال «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى «۱» و لم يقل فيها أخرى او فيهن و ذلك يدل على انه واحد. و

روى ابو سعيد الخدرى قال قال رسول اللَّه (ص): كيف أنعم و قد التقم صاحب القرن و حنا جنبيه و أصغا سمعه ينتظر ان يؤمر، فينفخ؟! قالوا: فكيف نقول يا رسول اللَّه؟ قال قولوا: حسبنا اللَّه و نعم الوكيل.

و العرب تقول نفخ الصور و نفخ فى الصور، قال الشاعر:

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندركم و لا خراسان حتى ينفخ الصور

و روى عن ابن عباس ان الصور يعنى به النفخة الاولى. ثم بين انه عالم الغيب و الشهادة اى ما يشاهده الخلق و ما لا يشاهدونه و ما يعلمونه و ما لا يعلمونه، و لا يخفى عليه شيء من ذلك. و بين انه الحكيم فى أفعاله الخبير العالم بعباده و بأفعالهم، و رفع عالم الغيب لأنه نعت للذى فى قوله «وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» و يحتمل ان يكون اسم ما لم يسم فاعله كما يقولون أكل طعامك عبد اللَّه، فيظهر اسم فاعل الاكل بعد ان قد جرى الخبر بما لم يسم فاعله، و الاول أجود، فأما من فتح الياء فى ينفخ فانه جعل عالم الغيب فاعله مرتفعا به.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۷۴] ..... ص : ۱۷۴

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّي أَراكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۷۴)

---

(۱) سورة ۳۹ الزمر آية ۶۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۵

آية بلا خلاف.

قرأ اكثر القراء (آزر) بنصب الراء. و قرأ ابو بريد المدنى و الحسن البصرى و يعقوب بالضم. فمن قرأ بالنصب جعل (آزر) فى موضع

خفض بدلا من أبيه. و من قرأ بالضم جعله منادى مفردا و تقديره يا آزر.

و قال الزجاج: لا خلاف بين اهل النسب ان اسم أبى ابراهيم تارخ و الذى فى القرآن يدل على ان اسمه (آزر) و قيل (آزر) ذم فى لغتهم كأنه قال:

و إذ قال ابراهيم لأبيه يا مخطئ أ تتخذ أصناما فعلى هذا قال الزجاج الاختيار الرفع. قال: و يجوز أن يكون وصفا له كأنه قال و إذ قال ابراهيم لأبيه المخطئ. قال الزجاج: و قيل (آزر) اسم صنم، فموضعه نصب على إضمار الفعل، كأنه قال: و إذ قال ابراهيم لأبيه أ تتخذ آزر، و جعل (أصناما) بدلا من آزر و أشباهه. فقال بعد أن قال أ تتخذ آزر إلها أ تتخذ أصناما آلهة.

و الذى قاله الزجاج يقوى ما قاله أصحابنا، ان آزر كان جده لامه أو كان عمه، لان أباه كان مؤمنا من حيث ثبت عندهم أن آباء النبى (ص) الى آدم كلهم كانوا موحدين لم يكن فيهم كافر، و حجتهم فى ذلك اجماع الفرقة المحقة، و قد ثبت أن إجماعها حجة لدخول المعصوم فيها، و لا خلاف بينهم فى هذه المسألة. و أيضا

روى عن النبى (ص) أنه قال: نقلنى اللّه من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات لم يدنسنى بدنس الجاهلية

، و هذا خبر لا خلاف فى صحته، فبين النبى (ص) أن اللّه نقله من أصلاب الطاهرين فلو كان فيهم كافر لما جاز وصفهم بأنهم طاهرون، لان اللّه وصف المشركين بأنهم أنجاس، فقال «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» «۱» و لهم فى ذلك أدلة لا نطول بذكرها الكتاب لئلا يخرج عن الغرض.

و اختلفوا فى معنى (آزر) هل هو اسم أو صفة، فقال السدى و محمد

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۲۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۶

ابن إسحاق و سعيد بن عبد العزيز و الجبائى و البلخى: انه اسم أبى ابراهيم، و هو تارخ كما قيل ليعقوب: إسرائيل، قالوا: و يجوز ان يكون لقباً غلب عليه. و قال مجاهد: ليس آزر أبا ابراهيم و انما هو اسم صنم. و قال قوم هو سب و عبث بكلامهم، و معناه معوج. و (إذ) فى الآية متعلقة بقوله و اذكر «إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً» و الالف الف انكار لا استفهام و ان كان قد خرج مخرج الاستفهام.

و قوله «إِنِّي أَراكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» يعنى فى ضلال عن الصواب و قوله «مبين» يدل على انه قال ذلك منكرا، و المبين هو البين الظاهر، و الغرض بالآية حث النبى (ص) على محاجة قومه الذين يدعونه الى عبادة الأصنام و الازدراء على فعلهم و الاقتداء فى ذلك بأبيه ابراهيم (ص) و صبره على محاجة قومه العابدين للأصنام ليتسلى بذلك و يقوى دواعيه الى ذلك.

و الأصنام جمع صنم و هو مثال من حجر او خشب او من غير ذلك فى صورة انسان و هو الوثن. و قد يقال للصورة المصورة على صورة الإنسان فى الحائط و غيره صنم و وثن.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۷۵] ..... ص : ۱۷۶

وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (۷۵)

آية بلا خلاف.

معنى قوله «وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ» أى مثل ما وصفنا من قصة ابراهيم من قوله لأبيه ما قال نريه «مَلَكُوتَ السَّماواتِ» أى انا كما أريناه أن قومه فى عبادة الأصنام ضالون كذلك نريه ملكوت السماوات و الأرض و قيل فى معنى الملكوت أقوال: قال الزجاج، و الفراء و البلخى و الجبائى و الطبرى و هو قول عكرمة: ان الملكوت بمنزلة الملك غير أن هذه اللفظة ابلغ من الملك، لان الواو و التاء

يزادان للمبالغة. و مثل الملكوت الرغبوت التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۷
و الرهبوت و وزنه (فعلوت) و فى المثل (رهبوت خير من رغبوت) و من روى (رهبوتى خير من رحموتى) معناه أن يكون له هيبة يرهب بها خير من أن يرحم.
و قال مجاهد (مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) ملكهما بالنبطية.
و قال الضحاك: يعنى خلقهما، و به قال ابن عباس، و قتادة. و روى عن مجاهد أيضا أن معناه آيات السماوات و الأرض. و روى عن مجاهد و ابن عباس أيضا أنه أراد بذلك ما أخبر اللَّه عنه أنه أراه من النجوم و الشمس و القمر، حين خرج من المغارة، و به قال قتادة.
و قال الجبائى: المعنى انا كنا نرى ابراهيم ملكوت السماوات و الأرض و الحوادث الدالة على أن اللَّه مالك لها، و لكل شيء بنفسه، لا يملكه سواه، فأجرى الملكوت على المملوك الذى هو فى السماوات و الأرض مجازا.
و قوله «وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» أى أريناه ملكوت السماوات ليستدل به على اللَّه و ليكون من الموقنين أن اللَّه هو خالق ذلك و المالك له. و الموقن هو العالم الذى يتيقن الشيء بعد أن لم يكن مثبتا، و لهذا لا يوصف تعالى بأنه متيقن كما يوصف بأنه عالم، لأنه تعالى عالم بها فيما لم يزل. و
قال أبو جعفر (ع): كشط اللَّه له السموات و الأرض حتى رآهن و ما عليهن من الملائكة و حملة العرش، و ذلك قوله: «وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ».
فان قيل كيف يجوز أن يرى ما تحت الأرضين و الأرض حجاب لما تحتها و كذلك السماء فوقها؟
قلنا: لا يمتنع أن يجعل اللَّه تعالى منها خروقا و منافذ و يقوى شعاعه حتى ينفذ فيها فيرى ما فوقها و ما تحتها و لا يمنع من ذلك مانع، و مثل هذا روى عن مجاهد و السدى و سعيد بن جبير و سلمان.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۷۶ الى ۷۹] ..... ص : ۱۷۷

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (۷۶) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (۷۷) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (۷۸) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۷۹)
التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۸
أربع آيات بلا خلاف.
قرأ ابن ذكوان، و حمزة و الكسائى و خلف، و يحيى و الكسائى عن أبى بكر (رأى) بكسر الراء و امالة الهمزة منه و من قوله «رَأى أَيْدِيَهُمْ» «۱» فى هود، و «رأى قمصه» و «رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ» فى يوسف «۲» و «رَأى ناراً» فى طه «۳» و «لَقَدْ رَأى فى النجم «۴» سبعة مواضع. و هو ما لم يقله ساكن و لم يتصل بمكنى، وافقهم العليمى فى «رَأى كَوْكَباً» حسب.
و قرأ ابو عمرو- بفتح الراء- و إمالة الهمزة فيهن. الباقون بفتح الراء و الهمزة. فان لقى (رأى) ساكنا، و هو ستة مواضع هاهنا: «رَأَى الْقَمَرَ» و «رَأَى الشَّمْسَ» و فى النحل «وَ إِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا» «۵» و فى الكهف «وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ» «۶» و فى الأحزاب «وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ» «۷» بكسر الراء و كسر الهمزة فيهن حمزة و خلف و بصير و ابو بكر الا الأعشى. البرجمى.
الباقون بفتح الراء و الهمزة فان اتصل رأى بمكنى نحو (رآه و رآك و رآها) فكسر

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۷۰
(۲) آية ۲۴ و آية ۲۸.

(۳) آية ۱۰

(۴) آية ۱۸.

(۵) آية ۸۵، ۸۶

(۶) آية ۵۴.

(۷) آية ۲۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۷۹

الراء و امال الهمزة حيث وقع حمزة و الكسائى و خلف و يحيى و الكسائى عن أبى بكر.

و قرأ ابو عمرو و الداحونى عن ابن ذكوان- بفتح الراء و امالة الهمزة- الباقون بفتحهما. قال ابو على الفارسى: وجه قراءة من لم يملها انه ترك الامالة كما تركوا الامالة فى قولهم: دعا، و رمى. فلما لم يمل الالف لم يمل الالف التى قبلها، كما أمالها من يرى الامالة ليميل الالف نحو الياء.

و من قرأ بين الفتح و الكسر كما قرأ نافع، فلا يخلو أن يريد الفتحتين اللتين على الراء و الهمزة، او الفتحة التى على الهمزة وحدها، فان كان يريد فتحة الهمزة فإنما أمالها نحو الكسرة ليميل الالف التى فى «رأى» نحو الياء كما أمال الفتحة التى على الدال من (هدى) و الميم من (رمى). و ان كان يريد أنه أمال الفتحتين جميعا التى على الراء و التى على الهمزة، فإمالة فتحة الهمزة على ما تقدم ذكره، و اما امالة الفتحة التى على الراء فإنما أمالها لاتباعه إياها امالة فتحة الهمزة، كأنه امال الفتحة كما أمال الالف فى قولك: رأيت عمادا، إذ الفتحة الممالة بمنزلة الكسرة فكما أميلت الفتحة فى قولك: من عامر، لكسرة الراء كذلك أميلت فتحة الراء من (رأى) لامالة الفتحة التى على الهمزة. و التقديم و التأخير فى ذلك سواء.

و من كسر الراء و الهمزة فالوجه فيه أنه كسر الراء من (رأى) لان المضارع منه على (يفعل) و إذا كان المضارع منه على (يفعل) كان الماضى على (فعل) ألا ترى ان المضارع فى الامر العام إذا كان على (يفعل) كان الماضى على فعل.

و على هذا قالوا: ايت بيتنا، فكسروا حرف المضارعة. كما كسروا فى نحو يحيى، و يعلم، و يفهم. و كسروا الياء أيضا فى هذه الحروف، فقالوا: ايتنا، و لم يكسروها فى (يعلم و يفهم) إذا كان الماضى على فعل فيما يترك كسر الراء التى هى فاء، لان العين همزة. و حروف الحلق إذا جاءت فى كلمة على زنة (فعل) كسرت فيها الفاء لكسر العين فى الاسم و الفعل، نحو قولهم: غير قعر، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۰

و رجل حبر، و فحل، و فى الفعل نحو (شهد و لعب و نعم) فكسرة الياء على هذا كسرة مخلصة محضة، و ليست بفتحة ممالة، و اما كسرة الهمزة فأنه يراد به امالة فتحتها الى الكسرة، لتميل الالف نحو الياء.

و من ترك الامالة إذا لقيها ساكن، فإنهم كانوا يميلون الفتحة لميل الالف نحو الياء، فلما سقطت الالف بطلت إمالتها بسقوطها، و بطلت بذلك امالة الفتحة نحو الكسرة لسقوط الالف التى كانت الفتحة الممالة لميلها نحو الياء فى مثل (رَأَى الشَّمْسَ) و (رَأَى الْقَمَرَ) و نحوهما فى جميع القرآن. و من وافق فى بعض ذلك دون بعض أحب الأخذ باللبس.

و وجه قراءة أبى بكر و حمزة فى (رَأَى الشَّمْسَ) و (رَأَى الْقَمَرَ) بكسر الراء و فتح الهمزة فى جميع القرآن، أن كسر الراء انما هو للتنزيل الذى ذكرناه، و هو معنى منفصل من إمالة فتحة الهمزة، ألا ترى انه يجوز ان يعمل هذا المعنى من لا يرى الامالة كما يجوز ان يعمله من يراها. و إذا كان كذلك كان انفصال أحدهما من الآخر سائغا غير ممتنع. فأما رواية يحيى عن أبى بكر- بكسر الراء و الهمزة معا- فإنما يريد بكسرة الهمزة إمالة فتحتها، فوجه كسر الراء قد ذكروا امالة فتحها مع زوال ما كان يوجب امالتها من حذف الالف، فلأن الالف محذوفة لالتقاء الساكنين. و ما يحذف لالتقاء الساكنين ينزل تنزيل المثبت. ألا ترى انهم أنشدوا:

و لا ذاكر اللَّه الا قليلا «۱» فنصب الاسم بعد (ذاكر) و ان كانت النون محذوفة لما كان الحذف لالتقاء الساكنين. و الحذف لذلك فى

تقدير الإثبات، من حيث كان التقاؤهما غير لازم و لذلك لم تزد الالف فى نحو (رمت المرأة) و يشهد لذلك أنهم قالوا: شهد، فكسروا الفاء لكسر العين، ثم أسكنوا فقالوا- شهد، فأبقوا الكسرة فى الفاء مع زوال ما كان أصلها و انشد قول الأخطل:

---

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۷۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۱

إذا غاب عنا غاب عنا فرأتنا و ان شهد أجدى فضله و جداوله «۲»

و قالوا: صعق، ثم نسبوا اليه فقالوا: صعقى، فأقرُّوا كسرة الفاء مع زوال كسرة العين التى لها كسرت الفاء. و زعم ابو الحسن ان ذلك لغة مع ما فيه من وجوه التلبيس و أنها قراءة.

يقال: جنَّ عليه الليل، و جنه الليل، و أجنه، و أجنَّ عليه، و مع حذف «على» فأجنه بالألف أفصح من جنه الليل. و كل ذلك مسموع، فلغة أسد جنه الليل، و لغة تميم أجنه، و المصدر من جن عليه جنا و جنونا و جنانا و أجن إجنانا. و يقال: أتانا فلان فى جن الليل. و الجن مشتق من ذلك، لأنهم استجنوا عن أعين الناس، فلا يرون، و كلما توارى عن أبصار الناس، فان العرب تقول:

قد جن. و منه قول الهذلى:

و ماء وردت قبيل الكرى و قد جنه السدف الأدهم «۳»

و قال عبيد:

و خرق تصيح الهام فيه مع الصدى مخوف إذا ما جنه الليل مرهوب «۴»

و تقول: اجننت الميت إذا واريته فى اللحد و جننته و هو مثل جنون الليل فى معنى غطيته و سمى الترس مجنا لأنه يجن اى يغطى، و قال الشاعر:

فلما أجن الليل بتنا كأننا على كثرة الاعداء محترسان

قوله «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» أى أظلم. و قوله «فَلَمَّا أَفَلَ» معناه غاب يقال: أفل يأفل أفولا، و تقول اين أفلت عنا، و اين غبت عنا، قال ذو الرمة:

مصابيح ليست باللواتى تقودها نجوم و لا بالآفات الدوالك «۵»

---

(۲) ديوانه ۶۴

(۳) هكذا فى المطبوعة و المخطوطتين و تفسير الطبرى ۱۱/ ۴۷۹ و روى «و ماء وردت على خيفة» و «على جفنه» و «قبل الصباح». ديوان الهذليين ۳: ۵۶ و اللسان «سدف» «جنن».

(۴) ديوانه ۳۸ و الطبرى ۱۱/ ۴۷۹.

(۵) ديوانه: ۲۴۵ و مجاز القرآن ۱/ ۱۹۹ و اللسان و التاج «دلك»- [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۲

و قوله «رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً» أى طالعا، يقال: بزغت الشمس بزوغا إذا طلعت، و كذلك القمر، و قوله للشمس «هذا رَبِّي» و هى مؤنثة معناه هذا الشيء الطالع ربى او على أنه حين ظهرت الشمس و قد كانوا يذكرون الرَّب فى كلامهم، فقال لهم هذا ربى؟! و قيل فى معنى هذه الآية وجوه أربعة:

الوجه الاول- ما قاله الجبائى: ان ما حكى اللَّه عن ابراهيم فى هذه الآية كان قبل بلوغه، و قبل كمال عقله و لزوم التكليف له، غير انه لمقاربته كمال العقل خطرت له الخواطر و حركته الشبهات و الدواعى على الفكر فيما يشاهده من هذه الحوادث، فلما رأى الكوكب-

و قيل: انه الزهرة- و بان نوره مع تنبيهه بالخواطر على الفكر فيه و فى غيره ظن انه ربه، و أنه هو المحدث لما شاهده من الأجسام و غيرها «فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ» لأنه صار منتقلا من حال الى حال و ذلك مناف لصفات القديم «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً» عند طلوعه رأى كبره و اشراق ما انبسط من نوره فى الدنيا «قالَ هذا رَبِّي» فلما راعاه وجده يزول و يأفل، فصار عنده بحكم الكوكب الذى لا يجوز ان يكون بصفة الاله، لتغيره و انتقاله من حال الى حال، «فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً» أى طالعة قد ملأت الدنيا نورا و رأى عظمها و كبرها «قالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ» و زالت و غابت، فكانت شبيهة بالكوكب و القمر قال حينئذ لقومه «إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» فلما أكمل اللَّه عقله ضبط بفكره النظر فى حدوث الأجسام بأن وجودها غير منفكة من المعانى المحدثة، و أنه لا بدَّ لها من محدث، قال حينئذ لقومه «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ ...» الى آخرها.

و الوجه الثانى- ما قاله البلخى و غيره: من أن هذا القول كان من ابراهيم فى زمان مهلة النظر، لان مهلة النظر مدة، اللَّه العالم بمقدارها، و هى اكثر من

و الطبرى ۱۱: ۴۸۵ و الازمنة ۲: ۴۹ و كتاب القرطين ۱: ۲۶. يصف الإبل بأنها مصابيح اى تصبح فى مبركها فلا تقف فى الطريق.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۳

ساعة. و قال البلخى: و أقل من شهر، و لا يدرى ما بينهما الا اللَّه، فلما أكمل اللَّه عقله و خطر بباله ما يوجب عليه النظر و حركته الدواعى على الفكر و التأمل له. قال ما حكاه اللَّه، لان ابراهيم (ع) لم يخلق عارفا باللَّه، و انما اكتسب المعرفة لما أكمل اللَّه عقله، و خوفه من ترك النظر بالخواطر، فلما رأى الكوكب- و قيل هو الزهرة- رأى عظمها و إشراقها و ما هى عليه من عجيب الخلق، و كان قومه يعبدون الكواكب، و يزعمون أنها آلهة- قال هذا ربى؟! على سبيل الفكر و التأمل لذلك، فلما غابت و أفلت، و علم ان الأفول لا يجوز على اللَّه علم انها محدثة متغيرة لتنقلها، و كذلك كانت حاله فى رؤية القمر و الشمس، و أنه لما رأى افولهما قطع على حدوثهما و استحالة إلهيتهما، و قال فى آخر كلامه «إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» و كان هذا القول منه عقيب معرفته باللَّه و علمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه.

فان قيل: كيف يجوز ان يقول: هذا ربى مخبرا، و هو يجوز أن يكون مخبره لا على ما اخبر، لأنه غير عالم بذلك، و ذلك قبيح فى العقول، و مع كمال عقله لا بد أن يلزمه التحرز من الكذب؟! قلنا عن ذلك جوابان:

أحدهما- انه قال ذلك فارضا مقدرا، لا مخبرا بل على سبيل الفكر و التأمل، كما يقول الواحد منا لغيره إذا كان ناظرا فى شيء و محتملا بين كونه على إحدى صفتين: انا نفرضه على إحداهما لننظر فيما يؤدى ذلك الفرض اليه من صحة او فساد، و لا يكون بذلك مخبرا، و لهذا يصح من أحدنا إذا نظر فى حدوث الأجسام و قدمها ان يفرض كونها قديمة ليتبين ما يؤدى اليه ذلك الفرض من الفساد.

و الثانى- انه اخبر عن ظنه و قد يجوز ان يكون المفكر المتأمل ظانا فى حال نظره و فكره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة و العلم و لا يكون ذلك التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۴

منه قبيحا.

فان قيل: ظاهر الآيات يدل على ان ابراهيم ما كان رأى هذه الكواكب قبل ذلك، لان تعجبه منها تعجب من لم يكن رآها، فكيف يجوز ان يكون الى مدة كمال عقله لم يشاهد السماء و ما فيها من النجوم؟! قلنا: لا يمتنع ان يكون ما رأى السماء الا فى ذلك الوقت، لأنه

روى أن أمه ولدته فى مغارة لا يرى السماء، فلما قارب البلوغ و بلغ حد التكليف خرج من المغارة و رأى السماء و فكر فيها.

و قد يجوز أيضا ان يكون رآها غير انه لم يفكر فيها و لا نظر فى دلائلها، لان الفكر لم يكن واجبا عليه، فلما كمل عقله و حركته

الخواطر فكر فى الشيء الذى كان يراه قبل ذلك و لم يكن مفكرا فيه.

و الوجه الثالث- ان ابراهيم لم يقل ما تضمنته الآيات على وجه الشك و لا فى زمان المهلة النظر بل كان فى تلك الحال عالما باللّه و بما يجوز عليه، فانه لا يجوز ان يكون بصفة الكوكب، و انما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه و التنبيه لهم على ان ما يغيب و ينتقل من حال الى حال لا يجوز ان يكون إلها معبودا، لثبوت دلالة الحدث فيه. و يكون قوله «هذا رَبِّی» محمولا على أحد وجهين.

أحدهما- أي هو كذلك عندكم و على مذهبكم كما يقول أحدنا للمشبه على وجه الإنكار عليه: هذا ربى جسم يتحرك و يسكن و ان كان عالماً بفساد ذلك.

و الثاني- أن يكون قال ذلك مستفهما و أسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه، كما قال الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا «۱»

و قال آخر:

---

(۱) ديوانه ۴۱، و قد مر فى ۱: ۴۰۳، ۴۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۵

لعمرك ما أدرى و ان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمانيا «۱»

و قال ابن أبى ربيعة:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد النجم و الحصى و التراب «۲»

و قال أوس بن حجر:

لعمرك ما أدرى و ان كنت داريا شعيب بن سهم أم شعيب بن منقر «۳»

و انما أراد أشعيب بن سهم أم شعيب بن منقر.

فان قيل: حذف حرف الاستفهام انما يجوز إذا كان فى الكلام عوضا منه نحو (أم) للدلالة عليه، و لا يستعمل مع فقد العوض، و فى الأبيات عوض عن حرف الاستفهام، و ليس ذلك فى الآية.

قلنا: قد يحذف حرف الاستفهام مع ثبوت العوض تارة و أخرى مع فقده إذا زال اللبس، و بيت ابن أبى ربيعة ليس فيه عوض و لا فيه حرف الاستفهام، و انشد الطبرى:

رفونى و قالوا يا خويلد لا ترع فقلت و أنكرت الوجوه هم هم «۴»

أي أهم هم؟، و روى عن ابن عباس فى قوله «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» أنه قال معناه أفلا اقتحم العقبة، و حذف حرف الاستفهام. و إذا جاز ان يحذفوا حرف الاستفهام لدلالة الخطاب جاز أن يحذفوه لدلالة العقل، لان دلالة العقل أقوى من غيرها.

و الوجه الرابع- أن ابراهيم قال ذلك على وجه المحاجة لقومه بالنظر كما يقول القائل: إذا قلنا: ان للّه ولد الزمنا أن نقول له زوجة، و ان يطأ النساء

---

(۱) تفسير القرطبى ۷/ ۲۷.

(۲) ديوانه: ۱۱۷ «طبعة بيروت سنة ۱۳۱۱ ه».

(۳) شواهد المغنى: ۱۵ و الكامل للمبرد ۱/ ۳۸۴، ۲/ ۱۱۵ و البيان و التبيين ۴/ ۴۰ و سيبويه ۱/ ۸۴۵ و تفسير الطبرى ۱۱/ ۴۸۴ و غيرها.

(۴) قائله ابو خراش الهذلي، ديوان الهذليين ۲: ۱۴۴ و اللسان (رفأ) (رفو) و القرطبى ۷/ ۲۶ و (رفونى) اى اسكنونى من الرعب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۶

و أشباه ذلك، و ليس هذا على وجه الإقرار و الاخبار و الاعتقاد بذلك، بل على وجه المحاجة فيجعلها مذهبا ليرى خصمه المعتقد لها فسادها.

و كل هذه الآيات فيها تنبيه لمشركى العرب و زجر لهم عن عبادة الأصنام و حث على الأخذ بدين ابراهيم أبيهم و سلوك سبيله فى النظر و الفكر و التدين، لأنهم كانوا قوما يعظمون أسلافهم و آباءهم فأعلمهم اللّه تعالى ان اتباع الحق من دين أبيهم الذى يقرون بفضله أوجب عليهم ان كان بهم تعظيم الآباء و الكراهة لمخالفتهم.

و فى الآية دلالة على ان معرفة اللّه ليست ضرورية، لأنها لو كانت ضرورية لما احتاج ابراهيم الى الاستدلال على ذلك، و لكان يقول لقومه: كيف تعبدون الكواكب و أنتم تعلمون حدوثها و حدوث الأجسام ضرورة، و تعلمون ان لها محدثا على صفات مخصوصة ضرورة، و ما كان يحتاج الى تكلف الاستدلال و التنبيه على هذا.

و قوله «لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي» معناه لئن لم يلطف بى و يسددنى و يوفقنى لاصابة الحق فى توحيده «لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ» الذين ضلوا عن الحق و أخطأوا طريقه، فلم يصيبوا الهدى. و ليس الهداية- هاهنا- الادلة، لان الادلة كانت سبقت حال زمان النظر، فان التكليف لا يحسن من دونها و لا يصح مع فقدها.

و قوله فى الشمس «هذا أَكْبَرُ» يعنى من الكواكب و حذف لدلالة الكلام عليه. و قوله «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ» معناه أخلصت عبادتى و قصدت بها الى اللّه الذى خلق السماوات و الأرض. و فيه اخبار عن ابراهيم و اقرار منه و اعتراف بأنه (ع) خالف قومه أهل الشرك، و لم يأخذه فى اللّه لومة لائم، و لم يستوحش من قول الحق لقلة تابعيه. و قال لهم «إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» مع اللّه- الذى خلقنى و خلقكم- فى عبادته من آلهتكم بل «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ» فى عبادتى الى الذى خلق السماوات و الأرض الذى يبقى و لا يفنى، الحى التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۷

الذى لا يموت. و اخبر انه يوجه عبادته و يخلصها له تعالى. و الاستقامة فى ذلك لربه على ما يجب من التوحيد لا على الوجه الذى توجه له من حيث ليس بحنيف. و معنى الحنيف هو المائل الى الاستقامة على وجه الرجوع فيه. و قوله «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» انى لست منكم، و لا ممن يدين بدينكم، و يتبع ملتكم أيها المشركون.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۸۰] ..... ص : ۱۸۷

وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَ تُحاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَ قَدْ هَدانِ وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ (۸۰)

آية عند الجميع قرأ اهل المدينة و ابن ذكوان «أ تحاجونى» بتخفيف النون. الباقون بتشديدها.

و قرأ الكسائى و العبسى «و قد هدانى» بالامالة. الباقون بالتفخيم.

قال ابو على: من شدد فلا نظر فى قوله. و من خفف فانه حذف النون الثانية لالتقاء الساكنين. و التضعيف يكره، فيتوصل الى إزالته تارة بالحذف نحو علم أنى فلان، و تارة بالابدال نحو لا املاه عنى تفارقا، و نحو ديوان و قيراط، فحذفوا الثانية منهما كراهية التضعيف. و لا يجوز ان يكون المحذوفة الاولى، لان الاستثقال يقع بالتكرير فى الامر الأعم و فى الاولى أيضا أنها دلالة الاعراب و لذا حذفت الثانية كما حذف الشاعر فى قوله:

ليتى أصادفه و افقد بعض مالى «۱»

و قال بعضهم حذف هذه النون لغة غطفان. و حكى سيبويه هذه القراءة مستشهدا بها فى حذف النونات كراهية التضعيف. و اما إمالة (هدانى) فحسنة،

(۱) قائله زيد الخيل، اللسان (ليت) و روايته.

كمنية جابر إذ قال ليتى أصادفه و أتلف جلّ مالى

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۸

لأنه من هدى يهدى، فهو من الياء. و إذا كانوا أمالوا (غزا، و دعا)، لأنه قد يصير الى الياء فى غزى و دعى. فهذا لا اشكال فى حسنه.

قوله «وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ» يعنى فى وجوب عبادة اللَّه و ترك عبادة آلهتهم و خوَّفوه من تركها و ان لا يأمن ان تخبله آلهتهم من الأصنام و غيرها، فقال لهم ابراهيم (ع) «أَ تُحاجُّونِّی فِی اللَّهِ وَ قَدْ هَدانِ» بأن وفقنى لمعرفته و لطف بى فى العلم بتوحيده و ترك الشرك و اخلاص العبادة له «وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ» أى لا أخاف منه ضررا ان كفرت به و لا أرجو نفعا إن عبدته، لأنه بين صنم قد كسر، فلم يدفع عن نفسه أو نجم دل أفوله على حدوثه، فكيف تحاجونى و تدعوننى الى عبادة من لا يخاف ضرره و لا يرجا نفعه «إِلَّا أَنْ يَشاءَ رَبِّی شَيْئاً» فيه قولان:

أحدهما- الا أن يقلبها اللَّه، فيحييها و يقدرها فتضر و تنفع، فيكون ضررها و نفعها إذ ذاك دليلا على حدوثها أيضا، و على توحيد اللَّه و أنه المستحق للعبادة دون غيره و انه لا شريك له فى ملكه، ثم أثنى عليه تعالى فأخبر بأنه عالم بكل شيء، و أمرهم بالتذكر و التدبر لما أورده عليهم مما لا يدفعونه و لا يقدرون على إنكاره ان أنصفوا.

الثانى- قال الحسن: قوله: «وَ لا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ» أى لا أخاف الأوثان «إِلَّا أَنْ يَشاءَ رَبِّی شَيْئاً» استوجبه على اللَّه تعالى، او يشاء اللَّه ان يدخلنى فى ملتكم بالكفر. و الاول هو الأجود.

(أ تحاجونى) أصله (أ تحاجوننى) بنونين إحداهما للجمع و الاخرى لاسمه، فأدغمت إحداهما فى الاخرى، فشددت و مثله (تأمروننى) و قد يخفف مثل هذا فى بعض المواضع، قال الشاعر:

أبا لموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

فجاء بنون واحدة و خففها، و الاول أجود و اكثر فى العربية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۸۹

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۸۱] ..... ص : ۱۸۹

وَ كَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَ لا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۸۱)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية احتجاج من ابراهيم (ع) على قومه و تأكيد لما قدم من الحجاج لأنه قال لهم: و كيف تلزموننى ان أخاف ما أشركتم به من الأوثان المخلوقة و قد تبين حالهم، و انهم لا يضرون و لا ينفعون، و أنتم لا تخافون من هو القادر على الضرِّ و النفع بل تتجرؤن عليه و تتقدمون بين يديه بأن تجعلوا له شركاء فى ملكه و تعبدونهم من دونه، فأى الفريقين أحق بالأمن: نحن المؤمنون الذين عرفنا اللَّه بأدلته و وجهنا العبادة نحوه؟ ام أنتم المشركون بعبادته غيره من الأصنام و الأوثان؟ و لو أطرحتم الميل و الحمية و العصبية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعا.

و قوله «ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً» أى حجة لان السلطان هو الحجة فى اكثر القرآن، و ذلك يدل على ان كل من قال قولا و اعتقد مذهبا بغير حجة مبطل.

و قوله «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» معناه ان كنتم تستعملون عقولكم و علومكم و تحكِّمونها على ما تهوونه و تميل اليه أنفسكم.

و فى الآية دلالة على فساد قول من يقول بالتقليد و تحريم النظر و الحجاج، لان اللَّه تعالى مدح ابراهيم لمحاجته لقومه و امر نبيه بالاقتداء به فى ذلك فقال «وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ» «۱». ثم قال بعد ذلك: «أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ»

ای بأدلتهم اقتده.

---

(۱) آیة ۸۳ من هذه السورة.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۹۰

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۸۲] ..... ص : ۱۹۰

الَّذِینَ آمَنُوا وَ لَمْ یَلْبِسُوا إِیمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِکَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (۸۲)

آیة عند الجمیع.

تحتمل هذه الآیة ان تکون اخبارا عن اللَّه تعالی دون الحکایة عن ابراهیم بأنه قال تعالی: ان من عرف اللَّه تعالی و صدق به و بما أوجب علیه و لم یخلط ذلک بظلم، فان له الامن من اللَّه بحصول الثواب و الامان من العقاب و هو المحکوم له بالاهتداء- و هو قول ابن إسحاق و ابن زید و الطبری و الجبائی و ابن جریج- و قال البلخی: ان ذلک من قول ابراهیم، لأنه لما قطع خصمه و الزمه الحجة أخبر ان الذین آمنوا و لم یلبسوا إیمانهم بظلم فإنهم الآمنون المهتدون. قال: و کذلک یفعل من وضحت حجته و انقطع بعد البیان خصمه.

و الظلم المذکور فی الآیة هو الشرک عند أکثر المفسرین: ابن عباس و سعید ابن المسیب و قتادة و مجاهد و حماد بن زید و أبیُّ بن کعب و سلمان (رحمة اللَّه علیه) قال أبیُّ ألم تسمع قوله «إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ» «۱» و هو قول حذیفة.

و روی عن عبد اللَّه بن مسعود انه قال لما نزلت هذه الآیة شق علی الناس، و قالوا یا رسول اللَّه و أینا لا یظلم نفسه، فقال: انه لیس الذی تعنون ألم تسمعوا الی ما قال العبد الصالح «یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ» «۲».

و قال الجبائی و البلخی و اکثر المعتزلة: انه یدخل فیه کل کبیرة تحبط ثواب الطاعة، قال فان من هذه صورته لا یکون آمنا و لا مهتدیا. قال البلخی:

و لو کان الامر علی ما قالوه انه یختص بالشرک لوجب ان یکون مرتکب الکبیرة إذا کان مؤمنا یکون آمنا و ذلک خلاف القول بالارجاء.

و هذا الذی ذکروه خلاف أقاویل المفسرین من الصحابة و التابعین. و ما

(۱، ۲) سورة ۳۱ لقمان آیة ۱۳.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۱۹۱

قاله البلخی لا یلزم لأنه قول بدلیل الخطاب لان المشرک غیر آمن بل هو مقطوع علی عقابه بظاهر الآیة، و مرتکب الکبیرة غیر آمن لأنه یجوز العفو، و یجوز المؤاخذة و ان کان ذلک معلوما بدلیل، و ظاهر قوله «وَ لَمْ یَلْبِسُوا إِیمانَهُمْ بِظُلْمٍ» و ان کان عاما فی کل ظلم، فلنا ان نخصه بدلیل أقوال المفسرین و غیر ذلک من الادلة الدالة علی أنه یجوز العفو من غیر توبة. و

روی عن علی (ع): أن الآیة مخصوصة بإبراهیم.

و قال عکرمة مختصة بالمهاجرین. و اما الظلم فی أصل اللغة فقد قال الاصمعی هو وضع الشیء فی غیر موضعه، قال الشاعر یمدح قوما:

هرت الشقاشق ظلامون للجزر «۱»

فوصفهم انهم ظلامون للجزر، لأنهم عرقبوها فوضعوا النحر فی غیر موضعه، و کذلک الأرض المظلومة سمیت بذلک لأنه صرف عنها

المطر، و منه قول الشاعر:

و النؤى كالحوض بالمظلومة الجلد «۲»

سماها مظلومة لأنهم كانوا فى سفر فتحوضوا حوضا لم يحكموا صنعته و لم يضعوه فى موضعه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۸۳] ..... ص : ۱۹۱

وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۸۳)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة و يعقوب «دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ» الباقون بالاضافة، من أضاف ذهب الى ان المرفوعة هى الدرجات لمن نشاء و من نوَّن أراد ان المرفوع صاحب الدرجات، و تقديره نرفع من نشاء درجات، و الدرجات معناها المراتب.

---

(۱) مقاييس اللغة ۳: ۴۶۹ و صدره: (عاد الاذلة فى دار و كان بها).

(۲) اللسان «بين»، «ظلم».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹۲

و فى أصل اللغة هى المراقى فشبه علو المنازل بها.

أخبر اللَّه تعالى ان الحجج التى ذكرها ابراهيم لقومه آتاه اللَّه إياها و أعطاها إياه، بمعنى انه هداه لها فانه احتج بها بأمر اللَّه و رضيها منه و صوَّبه فيها، و لهذا جعلها حجة على الكفار.

و قوله «نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ» من المؤمنين الذين يؤمنون باللَّه و يطيعونه و يبلغون من الايمان و الدعاء الى اللَّه منزلة عظيمة و أعلا درجة ممن لم يبلغ من الايمان مثل منزلتهم، و بين انه حكيم فيما يدبره من أمور عباده عليم بهم و بأعمالهم، و فى ذلك دلالة على صحة المحاجة و المناظرة فى الدين و الدعاء الى توحيد اللَّه و الاحتجاج على الكافرين، لأنه تعالى مدح ذلك و استصوبه. و من حرم الحجاج فقد ردَّ صريح القرآن.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۸۴ الى ۹۰] ..... ص : ۱۹۲

وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۸۴) وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (۸۵) وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ (۸۶) وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۸۷) ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۸۸)

أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ (۸۹) أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرى لِلْعالَمِينَ (۹۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹۳

سبع آيات قرأ حمزة و الكسائى و خلف (اليسع) بتشديد اللام، و فتحها و سكون الياء ها هنا، و فى (ص). الباقون بسكون اللام و فتح الياء. قال الزجاج التشديد و التخفيف لغتان. و قال ابو على الالف و اللام ليستا للتعريف بل هما زائدتان و كان الكسائى يستصوب القراءة بلامين و يخطئ من قرأ بغيرهما كأن الاسم عنده (ليسع) ثم يدخل الالف و اللام. قال و لو كانت (يسع) لم يجز أن يدخل الالف و اللام، كما لا يدخل فى (يزيد) و (يحيى). قال الاصمعى فقلت له، ف (اليرصع) من الحجارة و (اليعمل) من الإبل و (اليحمد)

حى من اليمن، فكأنما ألقمته حجرا، و بعدها فانا قد سمعناهم يسمعون ب (يسع) و لم نرهم يسمعون ب (ليسع). و قال الفراء: القراءة بالتشديد أشبه بالأسماء العجمية من التخفيف. قال لأنهم لا يكادون يدخلون الالف و اللام فى ما لا يجرّ مثل (يزيد، و يعمر) الا فى الشعر أنشدنى بعضهم:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً شديدا بأعباء الخلافة كاهله «۱»

قال و انما أدخلوا الالف و اللام فى يزيد لدخولهما فى الوليد، فإذا فعلوا ذلك فقد أمسَّوا الحرف مدحا.

قوله (وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ) الهاء فى (له) كناية عن ابراهيم (ع) «كُلًّا هَدَيْنا» نصب كلا ب (هدينا) و (نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ) معناه هديناه قبل ابراهيم. و قوله (وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ) تقديره و هدينا داود و سليمان

---

(۱) معانى القرآن ۱/ ۳۴۲ و شواهد المغنى ۶۰ و خزانة الأدب ۱/ ۳۲۷ و تفسير الطبرى ۱۱/ ۵۱۱، و امالى ابن الشجرى ۱/ ۱۵۴ و ۲/ ۲۵۲، ۳۴۲. من شعر يمدح به الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹۴

نسقا على نوح. و يحتمل أن يكون قوله «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ» الهاء راجعة الى نوح لان الأنبياء المذكورين كلهم من ذريته. قال الزجاج و يجوز أن يكون من ذريته ابراهيم لان ذكرهما جميعا قد جرى، و أسماء الأنبياء التى جاءت بعد قوله «وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ» نسق على (نوح) نصب كلها، و لو رفعت على الابتداء كان صوابا. قال أبو على الجبائى: الهاء لا يجوز أن تكون كناية عن ابراهيم، لان فيمن عدد من الأنبياء لوطا و هو كان ابن أخته، و قيل ابن أخيه، و لم يكن من ذريته.

و هذا الذى قاله ليس بشيء، لأنه لا يمنع أن يكون غلب الأكثر. و جميع من ذكر من نسل ابراهيم، على أنه قال فيما روى عنه ابن مسعود أن الياس:

إدريس، و هو جدُّ نوح، و لم يكن من ذريته، و مع هذا لم يطعن على قول من قال: إنها كناية عن نوح. و قال ابن إسحاق: الياس هو ابن اخى موسى و يجوز أن تكون الهاء كناية عن ابراهيم و يكون من سمَّاهم الى قوله «كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ» من ذريته، ثم قال «وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً» فعطفهم على قوله «وَ نُوحاً هَدَيْنا».

و فى الآية دلالة على أن الحسن و الحسين من ولد رسول اللَّه (ص)، لأن عيسى جعله اللَّه من ذرية ابراهيم أو نوح، و إنما كانت أمه من ذريتهما.

و الوجه فى الآيات أن اللَّه تعالى أخبر أنه رفع درجة ابراهيم بما جعل فى ذريته من الأنبياء و جزاه بما وصل اليه من السرور و الابتهاج عند ما أعلمه عن ذلك و بما أبقى له من الذكر الرفيع فى الأعقاب، و الجزاء على الإحسان لذة و سرور من أعظم السرور و اكثر اللذات إذا علم الإنسان بأنه يكون من عقبة و ولده المنسوبين اليه أنبياء يدعون الى اللَّه و يجاهدون فى سبيله و يكونون ملوكا و خلفاء يطيعون اللَّه و يحكمون بالحق فى عباد اللَّه.

ثم اخبر انه جزى نوحا بمثل ذلك على قيامه فى الدعاء اليه و الجهاد فى سبيله. و الهداية فى الآيات كلها هو الإرشاد الى الثواب دون الهداية التى هى التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹۵

نصب الادلة، لأنه تعالى قال فى آخر الآيات: «وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» فبين أن ذلك جزاء و لا يليق إلا بالثواب الذى يختص به المحسنون دون الهداية التى هى الدلالة و يشترك فيها المؤمن و الكافر، و هو قول أبى على الجبائى و البلخى.

و قوله: «أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ» إشارة الى من تقدم ذكره من الأنبياء.

و قوله «فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ» يعنى الكفار الذين جحدوا نبوة النبى (ص) فى ذلك الوقت، «فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ» معنى (وَكَّلْنا بِها) اى وكلنا بمراعاة أمر النبوة و تعظيمها و الأخذ بهدى الأنبياء قوما ليسوا بها بكافرين. و إنما أضاف ذلك إلى المؤمنين و ان

كـان قـد فعـل بالكـافرين أيضـا ازاحـة العلـة فى التكليف من حيث أن المؤمنين هم الـذين قاموا بـذلك و عملوا به فأضافه اليهم، كما أضاف قوله «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و ان كان هداية لغيرهم.

و قيـل فى المعنيين بقوله «لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ» ثلاثـة اقوال: أحـدها- انه عنى بـذلك الأنبياء الـذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبى (ص) فى وقت مبعثهم و هو قول الحسن و الزجـاج و الطبرى و الجبـائى. قـال الزجـاج لقوله تعـالى «أُولئِكَ الَّذِينَ هَـدَى اللَّهُ فَبِهُـداهُمُ اقْتَدِهْ» و ذلك اشارة الى الأنبياء الذين ذكرهم و وصفهم و امر النبى (ص) بالاقتداء بهداهم.

و الثاني- انه عنى به الملائكة، ذهب اليه أبو رجاء العطاردى.

و قال قوم عنى به من آمن من أصحاب النبى (ص) فى وقت مبعثه.

و قال الفراء و الضـحاك: قوله «فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ» يعنى أهل مكة «فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ» يعنى أهل المدينة، و الأول أقوى.

و فى الآية دلالة على ان اللَّه تعالى يتوعد من يعلم انه لا يشرك و لا يفسق و ان الوعد و الوعيد قد يكونان بشرط.

و قوله: «أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» معناه أولئك الذين حكم اللَّه لهم التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹۶

بالهـدى و الرشـاد، و زادهم هـدى حين اهتـدوا. و المراد به الأنبيـاء الـذين تقـدم ذكرهم الثمانيـة عشـر. و أمر النبى (ص) بأن يسـلك سبيلهم و يأخذ بهداهم فى تبليغ الرسالة و الصبر على المحن و ان يقول لقومه «لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً» يعنى على الأداء و الإبلاغ، و لكنه يذكر به العالمين و ينبههم على ما يلزمهم من عبادة اللَّه و القيام بشكره.

و قوله (فَبِهُـداهُمُ اقْتَـدِهْ) قرأ حمزة و الكسائى و خلف و يعقوب و الكسائى عن أبى بكر بحـذف الهاء فى الوصل و إثباتها فى الوقف. الباقون بإثباتها فى الوصل و الوقف و سكونها، إلا ابن ذكوان فانه كسرها، و وصلها بياء فى اللفظ و إلا هشاما فانه كسرها من غير صلة بتاء، و لا خلاف فى الوقف انها بالهاء ساكنة.

قال ابو على الفارسـى الوجه الوقف بالهاء لاجتماع الكثرة، و الجمهور على إثباته، و لا ينبغى أن يوصل و الهاء ثابتة، لان هذه الهاء فى السـكت بمنزلـة همزة الوصل فى الابتـداء فى أن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن، فكما لا تثبت الهمزة فى الوصـل كذلك ينبغى أن لا تثبت الهاء.

قال ابو على و قراءة ابن عامر بكسر الهاء و إشمام الهاء الكسرة من غير بلوغ ياء ليس بغلط، و وجهها أن يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التى تلحق للوقف.

و حسن إضماره لذكر الفعل الدال عليه، و مثل ذلك قول الشاعر:

فجال على وحشية و تخاله على ظهره سبأ حديداً يمانيا

كأنه قال تخال خيلا على ظهره سبأ حديدا، و مثل ذلك قول الشاعر:

هذا سراقة للقرآن يدرسه و المرؤ عند الرشا أن يلقها ذئب «۱»

فالهاء كنايـة عن المصـدر، و يـدل يدرسه على الدروس، و لا يجوز ان يكون ضـمير القرآن، لان الفعل قد تعدى اليه باللام، فلا يجوز أن يتعدى اليه و الى ضميره كما أنك إذا قلت أ زيداً ضربته لم ينصب زيدا بضربت لتعديه

---

(۱) اللسان «سرق»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹۷

الى الضمير، و قياسه إذا وقف عليه أن يقول اقتده فيكسر (هاء) الضمير، كما تقول اشتره فى الوقف. و فى الوصل اشتريه لنا يا هذا.

و اسـتدل قوم بقوله (فَبِهُـداهُمُ اقْتَـدِهْ) على ان النبى (ص) كان متعبدا بشـريعة من قبله من الأنبياء و هذا لا دلالة فيه، لان قوله (فَبِهُداهُمُ

اقْتَدِهْ) معناه فبأدلتهم اقتده. و الدلالة ما أوجبت العلم و يجب الاقتداء بها، لكونها موجبة للعلم لا غير و لذلك قال تعالى (ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) فنسب الهدى الى نفسه، فعلم بذلك أنه أراد ما قلناه. و قوله (وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يدل على أن الهدى فى قوله (وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ) هداية الثواب على الاعمال الصالحة، لان الثواب على الاعمال هو الذى ينحبط تارة و يثبت اخرى دون الهداية التى هى الادلة الحاصلة للمؤمن و الكافر. و قوله (وَ كلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ) يعنى على عالمى زمانهم الذين ليسوا أنبياء و إنما دخلت (من) فى قوله «مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ» للتبعيض كأنه قال: و بعض آبائهم و بعض ذرياتهم و بعض إخوانهم هديناهم و لو لم تدخل (من) لاقتضى انه هدى جميعهم الهداية التى هى الثواب، و الامر بخلافه. و قوله «اجْتَبَيْناهُمْ» معناه اخترناهم.

و قوله (وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) لا يدل على صحة ثواب طاعاتهم التى أشركوا فى توجيهها الى غير اللَّه لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه الذى يستحق به الثواب، فأما ما تقدم فليس فى الآية ما يقتضى بطلانه غير أنا قد عملنا أنه إذا أشرك لا ثواب معه أصلا، لإجماع الامة على أن المشرك لا يستحق الثواب، فلو كان معه ثواب و قد ثبت أن الإحباط باطل، لكان يؤدى الى أن معه ثوابا و عقابا، لأنا قد بينا بطلان القول بالتحابط فى غير موضع و ذلك خلاف الإجماع.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹۸

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۹۱] ..... ص : ۱۹۸

وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً وَ عُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لا آباؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (۹۱)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً» بالتاء فيهن. الباقون بالياء فيهن. و من قرأ بالياء حمله على أنه للغيبة بدلالة قوله:

«وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى فيحمله على الغيبة لان ما قبله غيبة.

و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب يعنى قل لهم: «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً» و يقوى القراءة بالتاء، قوله «وَ عُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا» فجاء على الخطاب، و كذلك ما قبله.

و معنى «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ» تجعلونه ذوى قراطيس اى تودعونه إياها «وَ تُخْفُونَ» أى تكتمونه، و موضع قوله «تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ كَثِيراً» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون صفة القراطيس، لان النكرة توصف بالجمل.

و الآخر- أن نجعله حالا من ضمير الكتاب من قوله «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ» على أن تجعل القراطيس الكتاب فى المعنى، لأنه مكتوب فيها.

روى أن سبب نزول هذه الآية أن النبى (ص) رأى حبراً من أحبار اليهود سمينا يقال له: مالك بن الضيف، و قيل: فنحاص، فقال له النبى (ص) التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۱۹۹

أ ليس فى التوراة أن اللَّه يبغض الحبر السمين؟ فغضب، و قال: ما أنزل اللَّه على بشر من شيء، فلعنته اليهود و تبرأت منه، فنزلت هذه الآية، ذكر ذلك عكرمة و قتادة

، و قال محمد بن كعب القرطى: نزلت فى جماعة من اليهود. و روى مثل ذلك عن ابن عباس. و قال مجاهد نزلت فى مشركى قريش، و روى ذلك عن ابن عباس أيضا، و هو أشبه بسياق الآية، لأنهم الذين أنكروا أن يكون اللَّه أنزل كتابا على بشر، دون اليهود و

النصارى.

و معنى قوله «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عرفوه حق معرفته و ما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به «إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» أى ما أرسل اللَّه رسولا، و لم ينزل على بشر من شيء، مع أن المصلحة و الحكمة يقتضيان ذلك، و دلت المعجزات الباهرة على بعثة كثير منهم. ثم أمر اللَّه نبيه أن يقول لهم «مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً لِلنَّاسِ» فإنهم يقرون بذلك، و ان اللَّه أنزله و بعث موسى (ع) نبيا و إن لم يقروا بذلك فقد خرجوا من اليهودية الى قول من ينكر النبوات. و الكلام على من أنكر ذلك أصلا مذكور فى النبوات مستوفى لا نطول بذكره ها هنا.

و على ما قلناه: من أن الآية متوجهة الى مشركى قريش من حيث أن اللَّه تعالى من أول السورة الى ها هنا فى الاخبار عن أوصاف المشركين و عن أحوالهم و كذلك أول الآية فى قوله «وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» لأنهم كانوا لا يعتقدون التوحيد و يعبدون مع اللَّه الأصنام، و أهل الكتاب كانوا بخلاف ذلك، لأنهم كانوا يعتقدون التوحيد فلا يليق بهم ذلك، و إن كان اليهود عندنا أيضا غير عارفين باللَّه على وجه يستحقون به الثواب. و القول الآخر أيضا محتمل.

فعلى ما اخترنا يكون قوله «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ» متوجها الى اليهود و النصارى، لأنهم المقرون بذلك دون قريش و مشركى العرب، و يجوز أن يكون متناولا للمشركين أيضا، و يكون على وجه الاحتجاج عليهم، و التنبيه لهم على ما ظهر من معجزات موسى و ظهور نبوته، و هذا الذى اخترناه قول التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۰۰

مجاهد و اختاره الطبرى و الجبائى.

و قوله «تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ» أى تقطعونه فتجعلونه كتبا متفرقة و صحفا تبدون بعضها و تخفون بعضها، يعنى ما فى الكتب من صفات النبى (ص) و البشارة به. ثم عطف على ما ابتدأ به من وصف الكتاب الذى جاء به موسى و انه نور و هدى، فقال «وَ عُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لا آباؤُكُمْ» على لسان النبى (ص)، ثم أجاب عن الكلام الاول، فقال «قُلِ اللَّهُ» و هذا معروف فى كلام العرب، لان الإنسان إذا أراد البيان و الاحتجاج بما يعلم أن الخصم مقر به و لا يستطيع دفعه ذكر ذلك. ثم تولى الجواب عنه بما قد علم أن لا جواب له غيره.

و قوله «ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ» يقال مثل هذا لمن قامت عليه الحجة الواضحة التى لا يمكنه دفعها، و ليس على إباحة ترك الدعاء و الانذار بل على ضرب من الوعيد و التهديد، كأنه قال دعهم فسيعلمون عاقبة أمرهم.

و يجوز أن يكون أراد: دعهم فلا تقاتلهم، و لا تعمل على قهرهم على قبول قولك الى أن يؤذن لك فى ذلك، فيكون إنما أباح ترك قتالهم لا ترك الدعاء و التحذير و ترك البيان و الاحتجاج «يَلْعَبُونَ» رفعه لأنه لم يجعله جوابا لقوله «ذرهم» و لو جعله جوابا لجزمه، كما قال «ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا» «۱» و كان ذلك جوابا و موضع «يلعبون» نصب على الحال، و تقديره ذرهم لاعبين فى خوضهم. و قال قوم: إن هذه الآية مدنية مع الآيتين اللتين ذكرناهما فى أول السورة، و يجوز أن يكون ذلك بمكة أيضاً.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۹۲] ..... ص : ۲۰۰

وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (۹۲)

آية بلا خلاف.

---

(۱) سورة ۱۵ الحجر آية ۳ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۰۱

قرأ أبو بكر وحده «و لينذر» بالياء. الباقون بالتاء. من قرأ بالتاء، فلقوله «إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها» «۱» و قوله «وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ» «۲» و من قرأ بالياء جعل الكتاب هو المنذر، لان فيه إنذاراً لأنه قد خوَّف به فى قوله «هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ» «۳» و قوله «إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» «۴» فلا يمتنع أسناد الانذار اليه على وجه التوسع.

و قوله «وَ هذا كِتابٌ» إشارة الى القرآن الذى أنزله اللَّه على نبيه محمد (ص) فعطف هذه الآية على ذكره الكتاب الذى جاء به موسى (ع) فلما وصفه قال تعالى «وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ» و انه مصدق لما بين يديه يعنى ما مضى من كتب الأنبياء كالتوراة و الإنجيل و غيرهما، و بين انه انما أنزله لتنذر به اهل مكة و هى ام القرى، و من حولها.

قال ابن عباس و قتادة و غيرهما: ام القرى مكة، و من حولها اهل الأرض كلهم و انما خص اهل مكة بذلك لأنها أعظم قدرا لان فيها الكعبة و لان الناس يقصدونها بالحج و العمرة من جميع الآفاق. و إنذاره بالقرآن هو تخويفه إياهم بألوان عذاب اللَّه و عقابه ان أقاموا على كفرهم باللَّه و لم يؤمنوا به و برسوله.

و قوله: «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ» يعنى بالقرآن. و يحتمل ان يكون كناية عن محمد (ص) لدلالة الكلام عليه، و هذا يقوى مذهبنا فى انه لا يجوز ان يكون مؤمنا ببعض ما أوجب اللَّه عليه دون بعض. و بين انهم «عَلى صَلاتِهِمْ» يعنى على أوقات صلاتهم «يحافظون» بمعنى يراعون أوقاتها ليؤدّوها فى الأوقات و يقوموا بإتمام ركوعها و سجودها و جميع فرائضها.

و قيل سميت مكة ام القرى لأنها أول موضع سكن فى الأرض، و قيل ان الأرض كلها دحيت من تحتها فكانت امّا لها. و قال الزجاج سميت بذلك لأنها أعظم القرى شأناً.

---

(۱) سورة النازعات آية ۴۵

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۵۱

(۳) سورة ۱۴ ابراهيم آية ۵۲

(۴) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۰۲

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۹۳] ..... ص : ۲۰۲

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (۹۳)

آية بلا خلاف.

اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال اكثر المفسرين ان قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» نزلت فى مسيلمة الكذاب حيث ادعى النبوة.

و قال انه يوحى اليه، و ان قوله «مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» نزلت فى عبد اللَّه بن سعد ابن أبى سرح، فانه كان يكتب الوحى للنبى (ص) و كان إذا قال له: اكتب عليما حكيما، كتب غفورا رحيما. و إذا قال: اكتب غفورا رحيما، كتب حكيما، و ارتد و لحق بمكة. و قال إنى انزل مثل ما أنزل اللَّه، ذهب اليه عكرمة و ابن عباس و مجاهد و السدى و الجبائى و الفراء و الزجاج و غيرهم.

و قال قوم:

نزلت فى مسيلمة خاصة.

و قال آخرون: نزلت فى ابن أبى سرح خاصة و الاول هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال البلخى: قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ» هم الذين ادعوا النبوة بغير برهان و كذبوا على اللَّه «وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» هم الذين قالوا «لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» «۱» فادعوا بما لم يفعلوا و اعرضوا و بذلوا الأنفس و الأموال

---

(۱) سورة ۸ الانفال آية ۳۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۰۳

و استعملوا فى إطفاء نور من جاء بالكتاب سائر الحيل. ثم اخبر تعالى عن حال من فعل ذلك، فقال: «وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ» و حذف جواب (لو) و تقديره: و لو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيما و كل من كان فى شيء كثير يقال له: غمر فلاناً ذلك. و يقال قد غمر فلانا الدين معناه كثر، فصار فيما يعلم بمنزلة ما يبصر قد غمر و غطى من كثرته و قوله «وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ» معناه باسطوا أيديهم بالعذاب و قيل بقبض أرواح الكفار.

و قوله: «أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون تقديره يقولون: اخرجوا أنفسكم، كما تقول للذى تعذبه لأزهقن نفسك و لأخرجن نفسك، فهم يقولون لهم اخرجوا أنفسكم على معنى الوعيد و التهديد، كما يدفع الرجل فى ظهر صاحبه و يكرهه على المضى بأن يجره او بغير ذلك، و هو فى ذلك يقول امض الآن لترى ما يحل بك.

و الغمرات جمع غمرة، و غمرة كل شيء كثرته و معظمه، و أصله الشيء الذى يغمر الأشياء فيغطيها. و قال ابن عباس غمرات الموت سكراته، و بسط الملائكة أيديها فهو مدها، و قال ابن عباس ايضا: البسط الضرب، يضربون وجوههم و أدبارهم و ملك الموت يتوفاهم، و قال الضحاك: بسطها أيديها بالعذاب.

و الثانى- ان يكون معناه خلصوا أنفسكم اى لستم تقدرون على الخلاص «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ» اى العذاب الذى يقع به الهوان الشديد، و الهون- بفتح الهاء و سكون الواو- من الرفق و الدعة، كقوله «وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً» «۱» و قال الشاعر:

هوناً كما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن أسفاً فى أثر من ماتا «۲»

---

(۱) سورة ۲۵ الفرقان آية ۶۳

(۲) قائله ذو جدن الحميرى. معجم البلدان (بينون) و اللسان (هون) و الاغانى ۱۶/ ۷۰ و سيرة ابن هشام ۱/ ۳۹ و تاريخ الطبرى ۲/ ۱۸۰ و تفسير الطبرى ۱۱/ ۵۴۱ و غيرها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۰۴

و قد روى فتح الهاء فى معنى الهوان، قال عامر بن جوين:

يهين النفوس و هون النفو س عند الكريهة اغلى لها «۳»

و المعروف ضم الهاء إذا كان بمعنى الهوان. قال ذو الإصبع العدوانى:

اذهب اليك فما أمى براعية ترعى المخاض و لا اغضى على الهون «۴»

يعنى على الهوان، و

عن أبى جعفر (ع) عذاب الهون يعنى العطش.

و قوله:«وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» فى موضع جرّ كأنه قال:

و من اظلم ممن قال ذلك.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۹۴] ..... ص : ۲۰۴

وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۹۴)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة و الكسائى و حفص «بينكم» بنصب النون. الباقون برفعها. و البين مصدر بان يبين إذا فارق قال الشاعر:

بان الخليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا لبين تجرع «۵»

و قال ابو زيد: بان الحى بينونة و بيناً إذا ظعنوا، و تباينوا تباينا إذا كانوا جميعا فتفرقوا، قال و البين ما ينتهى اليه بصرك من حائط او غيره و استعمل هذا

---

(۳) و قيل أنه للخنساء. ديوان الخنساء: ۲۱۵ و الاغانى ۱۳/ ۱۳۶ و اللسان «هون» و روايتهم «يوم الكريهة أبقى لها» و الطبرى ۱۱/ ۵۴۲

(۴) أمالى القالى ۱/ ۳۶۶ و اللسان «هون» و شرح المفضليات: ۳۲۳ و تفسير الطبرى ۱۱/ ۵۴۲.

(۵) لم أجده بهذه الرواية و فى اللسان (خلط) أبيات كثيرة تشبهه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۲۰۵

الاسم على ضربين: أحدهما- ان يكون اسما منصرفا كالافتراق. و الآخر- ان يكون ظرفا فمن رفعه رفع ما كان ظرفا استعمله اسماً و يدل على جواز كونه اسماً قوله: «هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ» «۶» و قوله «مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ» «۷» فلما استعمل اسماً فى هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذى هو تقطع فى قراءة من رفع. و يدل على ان هذا المرفوع هو الذى استعمل ظرفا انه لا يخلو من ان يكون الذى هو ظرف اتسع فيه او يكون الذى هو مصدر و لا يجوز ان يكون الذى هو مصدر، لان التقدير يصير لقد تقطع افتراقكم، و هذا خلاف المعنى المراد، لان المراد لقد تقطع وصلكم، و ما كنتم تتألّفون عليه.

فان قيل كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل و أصله الافتراق و التباين و على هذا قالوا: بان الخليط إذا فارق، و فى الحديث ما بان من الحى فهو ميتة؟!.

قيل: انه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين نحو بينى و بينك شركة، و بينى و بينه صداقة و رحم صار لذلك بمنزلة الوصلة و على خلاف الفرقة فلذلك صار «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» بمعنى لقد تقطع وصلكم و مثل بين فى انه يجرى فى الكلام ظرفا ثم يستعمل اسماً بمعنى (وسط) ساكن العين ألا ترى أنهم يقولون:

جلست وسط القوم، فيجعلونه ظرفاً لا يكون الا كذلك، و قد استعملوه اسما كما قال الشاعر:

من وسط جمع بنى قريظة بعد ما هتفت ربيعة يا بنى خوَّات

و حكى سيبويه: هو احمر بين العينين. و اما من نصب بينكم ففيه وجهان:

أحدهما- انه أضمر الفاعل فى الفعل و دل عليه ما تقدم من قوله: «وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ» لان هذا الكلام فيه دلالة على التقاطع و التهاجر و ذلك المضمر هو الأصل، كأنه قال لقد تقطع وصلكم بينكم و الثانى- ان يكون على مذهب أبى الحسن ان يكون لفظه منصوبا و معناه مرفوعاً، فلما جرى فى كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه

---

(۶) سورة ۱۸ الکهف آیة ۷۹

(۷) سورة ۴۱ حم السجدة آیة ۵

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۰۶

فی اکثر الکلام و کذلک تقول فی قوله «یَوْمَ الْقِیامَةِ یَفْصِلُ بَیْنَکُمْ» «۱» و کذلک قوله: «وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذلِکَ» «۲» فدون فی موضع رفع عنده و ان کان منصوب اللفظ، کما تقول منا الصالح و منا الطالح فترفع.

و قال الزجاج: الرفع أجود و تقدیره لقد تقطع وصلکم. و النصب جائز علی تقدیر لقد تقطع ما کنتم فیه من الشرکة بینکم.

و قال الفراء فی قراءة عبد اللَّه «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَیْنَکُمْ»: و هو وجه الکلام إذا جعل الفعل ل (بین) ترک نصبا فی موضع رفع، لأنه صفة، فإذا قالوا هذا دون من الرجال، فلم یضیفوه رفعوه فی موضع الرفع. و کذلک تقول بین الرجلین بین بعید و بون بعید إذا أفردته أجریته فی العربیة و أعطیته الاعراب.

قال مهلهل:

کأن رماحهم أشطان بئر بعید بین جالیها جرور «۳»

فرفع بین حیث کانت اسماً. و قال مجاهد: معنی تقطع بینکم ای تواصلکم، و به قال قتادة و ابن عباس، فمعنی الآیة الحکایة عن خطاب اللَّه تعالی یوم القیامة لهؤلاء الکفار الذین اتخذوا مع اللَّه أندادا و شرکاء، و انه یقول لهم عند ورودهم:

«لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادی و هو جمع فرد، و فرید، و فرد، و فردان قال الازهری لا یجوز فرد علی هذا المعنی. و العرب تقول: فرادی و فراد فلا یصرفونها یشبهونها بثلاث و رباع قال الشاعر:

تری النعرات الزرق تحت لبانه فرادی و مثنی أضعفتها صواهله «۴»

و قال نابغة بنی ذبیان:

---

(۱) سورة ۶۰ الممتحنة آیة ۳

(۲) سورة ۷۲ الجن آیة ۱۱ [.....]

(۳) اللسان «بین» و أمالی القالی ۲/ ۱۳۲ و تفسیر الطبری ۱۱/ ۵۴۹.

«الاشطان» الحبال المحکمة الفتل و جالی البئر جوانبها. و «جرور» صفة للبئر البعید القعر.

(۴) مر تخریجه فی ۳/ ۱۰۶ تعلیقة ۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۰۷

من وحش و جرة موشی أکارعه طاوی المصیر کسیف الصیقل الفرد «۵»

و کان یونس یقول: فرادی جمع فرد کما قیل: توآم و توأم. و مثل الفرادی الردافی و العرابی، و رجل أفرد و امرأة فرداء: إذا لم یکن لها أخ. و قد فرد الرجل فهو یفرد فروداً یراد به تفرَّد فهو فارد.

فمعنی قوله «جِئْتُمُونا فُرادی ای وحداناً لا مال لکم و لا أثاث و لا رقیق و لا شیء مما کان اللَّه خولکم فی الدنیا «کَما خَلَقْناکُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ».

و

روی عن النبی (ص) انه قال: (یحشرون حفاة عراة عزلا) و العزل هم الغلف.

و

روی ان عائشة قالت لرسول اللَّه حین سمعت ذلک وا سوأتاه ینظر بعضهم الی سوءة بعض من الرجال و النساء، فقال رسول اللَّه: «لِکُلِّ

امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» «۶» فيشغل بعضهم عن بعض.

قال الزجاج: يحتمل ان يكون المعنى كما بدأكم أول مرة، اى كان بعثكم كخلقكم من غير كلفة و لا مشقة.

و قال الجبائى: معناه جئتم فرادى واحدا واحدا «كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» اى بلا ناصر و لا معين كما خلقكم فى بطون أمهاتكم، و لا احد معكم.

و قوله: «وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ» يعنى ما ملكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به فى الدنيا و هذا تعيير من اللَّه لهم لمباهاتهم التى كانوا يتباهون فى الدنيا بأموالهم، يقال: خولته اى أعطيته. و يقال خال الرجل يخال أشد الخيال بكسر الخاء و هو خائل و منه قول أبى النجم:

اعطى فلم يبخل و لم يبخل كوم الذرى من خول المخول «۷»

«وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ» يقول تعالى

---

(۵) ديوانه: ۲۶ و اللسان «فرد». و (وجرة) اسم مكان بين مكة و البصرة قال الاصمعى: هى أربعون ميلًا ليس فيها منزل فهى مرتع للوحوش و قد أكثر الشعراء ذكرها. (و موشى أكارعه) فيها سواد و (طارى المصير) ضامر البطن. و (المصير) جمع مصران.

(۶) سورة ۸۰ عبس آية ۳۷.

(۷) تفسير الطبرى ۱۱/ ۵۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۰۸

لهؤلاء الكفار: ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة.

و قال عكرمة: ان الآية نزلت فى النظر بن الحارث بن كلدة حيث قال سوف يشفع فىّ اللات و العزى، فنزلت الآية.

و قوله «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» اى وصلكم «وَ ضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» اى جار عن طريقكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم انه شريك للَّه تعالى و انه يشفع لكم عند ربكم فلا شفيع لكم اليوم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۹۵] ..... ص : ۲۰۸

إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (۹۵)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية تنبيه لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع اللَّه آلهة عبدوها، و حجة عليهم، و تعريف منه لهم خطأ ما هم عليه من عبادة الأصنام، بأن قال:

إن الذى له العبادة و مستحقها هو اللَّه الذى فلق الحب، يعنى شقه من كل ما ينبت عن النبات، فأخرج منه الزروع على اختلافها، «و النوى» من كل ما يغرس مما له نواة فأخرج منه الشجر، و الحب هو جمع حبة، و النوى جمع نواة، و ذلك لا يقدر عليه إلا اللَّه تعالى القادر بنفسه، لان القادر بقدرة لا يقدر على شق ذلك الا بآلة، و لا يقدر على إنبات شيء و إخراج شيء منهما، فعلم انه من فعل ذلك هو اللَّه الذى لا يشبه شيئا من الأجسام، و لا يشبهه شيء، القادر على اختراع الأعيان بلا معاناة و لا مزاولة.

ثم أخبر أنه «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» لان اللَّه تعالى يخلق الحى من النطفة، و هى موات، و يخلق النطفة، و هى موات من الحى، و هو قول الحسن و قتادة و ابن زيد و غيرهم. و قال الضحاك و ابن عباس: معنى «فالِقُ الْحَبِّ التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۰۹

وَ النَّوى

خالقهما. و قال مجاهد و ابو مالک: هو الشق الذی فی الحبهٔ و النوی. و الاول أقوی الأقوال.

و قال قوم: أراد بإخراج الحی من المیت إخراج السنبل و هی حی من الحبِّ و هو میت، و مخرج الحب المیت من السنبل الحی، و الشجر الحی من النوی المیت، و النوی المیت من الشجر الحی. و العرب تسمی الشجر ما دام غضا قائما بانه حی، فإذا یبس أو قطع من أصله او قلع سموه میتا، ذهب الیه السدی و الطبری و الجبائی. و ما ذکرناه أولًا قول ابن عباس، و هو الأقوی، لأنه الحقیقهٔ.

و ما ذکروه مجاز، و ان کان جائزا محتملا.

و قوله «ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ» معناه أن فاعل ذلک کله اللَّه تعالی فأنَّی وجوه الصد عن الحق أیها الجاهلون تصدون، و عن العذاب تصدفون، أفلا تدبرون، فتعلمون أنه لا ینبغی أن یجعل لمن أنعم علیکم- فخلق الحب و النوی و اخرج من الحی المیت، و من المیت الحی، و من الحب الزرع و من النوی الشجر- شریک فی عبادته ما لا یضر و لا ینفع و لا یسمع و لا یبصر.

و فی الآیهٔ دلالهٔ علی بطلان قول من قال: إن اللَّه تعالی یحول بین العبد و بین ما دعاه الیه إذ یخلق فیه ما نهاه عنه، لأنه قال: فانَّی تؤفکون، و لو کان شیئا من ذلک لکان هو المؤفک لهم و الصارف. تعالی اللَّه عن ذلک علوا کبیرا.

و معنی قوله «فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ» ای تصرفون عقولکم، و هو قول الحسن و غیره و الافک هو الکذب.

قوله تعالی:[سورهٔ الأنعام (۶): آیهٔ ۹۶] ..... ص : ۲۰۹

فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّیْلَ سَکَناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ (۹۶)

آیهٔ بلا خلاف.

قرأ أهل الکوفهٔ «جَعَلَ اللَّیْلَ» علی الفعل. الباقون «جاعل» علی الفاعل. من قرأ «جاعل» علی وزن فاعل فلأن قبله اسم فاعل، و هو قوله:

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۱۰

«فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی ...» و «فالِقُ الْإِصْباحِ» فقرأ «و جاعل اللیل» لیکون (فاعل) المعطوف علی (فاعل) المعطوف علیه، فیکون متشاکلًا، لان من حکم الاسم ان یعطف علی اسم مثله، لأنه به أشبه من الفعل بالاسم، و هذه المشاکلهٔ مراعاهٔ فی کلام العرب، و مثله «فَرِیقاً هَدی وَ فَرِیقاً حَقَّ عَلَیْهِمُ الضَّلالَهُ» «۱» و قوله «یُدْخِلُ مَنْ یَشاءُ فِی رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِینَ» «۲» و قوله «وَ کُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَ کُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِیراً» «۳» نصبوا هذا کله لیکون القارئ بنصبها کالعاطف جملهٔ من فعل و فاعل علی جملهٔ من فعل و فاعل، فکما أن الفعل أشبه من المبتدأ بالفعل، کذلک الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم، و یقوی ذلک قول الشاعر:

للبس عباءهْ و تقر عینی أحب الی من لبس الشفوف «۴»

و من قرأ «و جعل» فلأن اسم الفاعل الذی قبله بمعنی الماضی، فلما کان (فاعل) بمعنی (فعل) فی المعنی عطف علیه بالفعل لموافقته له فی المعنی و یدلک علی أنه بمنزلهٔ (فعل) أنه نزل منزلته فیما عطف علیه، و هو قوله «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً» ألا تری أنه لما کان المعنی (فعل) حمل المعطوف علی ذلک فنصب الشمس و القمر علی (فعل) لما کان فاعل کفعل. و یقوی ذلک قولهم: هذا معطی زید درهما أمس، فالدرهم محمولا علی (اعطی)، لان اسم الفاعل إذا کان لما مضی لم یعمل عمل الفعل، فإذا جعل (معطی) بمنزلهٔ (أعطی) کذلک جعل (فالق) بمنزلهٔ (فلق) لان اسم الفاعل لما مضی، فعطف علی (فعل) لما کان بمنزلته، و لا یجوز حمل (جاعل) علی اللیل، لان اسم الفاعل إذا کان لما مضی لا یعمل عمل الفعل، و قد أجازه بعض الکوفیین.

---

(۱) سورهٔ ۷ الاعراف آیهٔ ۲۹

(۲) سورهٔ ۷۶ الدهر آیهٔ ۳۱

(۳) سورهٔ الفرقان آیهٔ ۳۹

(۴) حاشية الصبان على الاشمونى ۳/ ۳۱۳ الشاهد ۸۲۷ و يروى «و لبس» بدل «للبس».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۱

معنى قوله «فالِقُ الْإِصْباحِ» أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، و ذلك دال على القدرة العجيبة التى لا يقدر عليها غير اللَّه، و يحتمل أن يكون معناه خالقه على ما حكيناه عن الضحاك و ذكره الزجاج، و رفع «فالق» لأنه خبر عن اللَّه تعالى بعد خبر كأنه قال «إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى فالق الإصباح.

و يحتمل أن يكون خبر ابتداء محذوف، فكأنه قال: هو فالق الإصباح.

و الإصباح مصدر أصبحنا إصباحاً، و المراد أصبح كل يوم، فهو فى معنى الإصباح. و روى عن الحسن أنه قرأ «فالق الإصباح» بفتح الالف و ما قرأ به غيره. و معنى «وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً» أى تسكنون فيه و تتودعون فيه، و هو قول مجاهد و الضحاك و قتادة و ابن عباس و أكثر المفسرين. و روى عن ابن عباس أن معناه، خالق الليل و النهار. و قوله «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً» نصبهما عطفا على موضع الليل، لان موضعه النصب بأنه مفعول جاعل.

و اختلفوا فى معناه، فقال ابن عباس و السدى و الربيع و قتادة، و مجاهد و الجبائى: إنهما يجريان فى أفلاكهما بحساب، تقطع الشمس الفلك فى سنة و يقطعه القمر فى شهر قدره اللَّه تعالى به، فهو قوله «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ» «۱» و قوله: «وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» «۲».

و قال قتادة معناه انه جعل الشمس و القمر ضياء. و الاول أجود لان اللَّه تعالى ذكر بمثل هذا من أياديه عند خلقه و عظيم سلطانه بفلقه الإصباح لهم و إخراج النبات و الغراس من الحب و النوى، و عقب ذلك بذكر خلق النجوم للاهتداء بها فى البر و البحر، و كان وصفه اجراء الشمس و القمر بمنافعهم أشبه، و أنها تجرى بحسبان ما يحتاج الخلق اليه فى معايشهم و معاملاتهم: أما الشمس فللزرع و الحرث، و اما القمر فللمواعيد و آجال الديون فى المعاملات، و فيها منافع لا يعرف تفصيلها الا اللَّه تعالى، لأنه قال «فالِقُ الْإِصْباحِ» ذكر

---

(۱) سورة ۵۵ الرحمان آية ۵.

(۲) سورة ۳۶ يس آية ۴۰ و سورة ۲۱ الأنبياء آية ۳۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۲

الضياء و لا معنى لتكريره دفعة ثانية. و الحسبان جمع حساب على وزن شهبان و شهاب. و قيل فى هذا الموضع انه مصدر حسبت الحساب أحسبه حسابا.

و حكى عن بعض العرب على ذلك حسبان فلان و حسبته أى حسابه. و الحسبان- بكسر الحاء- جمع حسبانة، و هى وسادة صغيرة. و نصب حسبانا على تقدير بحسبان، فلما حذف الباء نصبه. و قال قوم: هو نصب لقوله «و جعل».

و قوله: «ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» أى هذا الذى وصفه بأنه فعله من فلقه الإصباح، و جعل الليل سكنا، و الشمس و القمر حسبانا، تقدير الذى عز سلطانه فلا يقدر أحد أراده بسوء او عقاب او انتقام على الامتناع منه، العليم بمصالح خلقه و تدبيرهم، لا تقدير الأصنام و الأوثان التى لا تسمع و لا تبصر و لا تفقه شيئا و لا تعقل.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۹۷] ..... ص : ۲۱۲

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۹۷)

آية.

هذه الآية موصولة بالتى قبلها، و معناهما متقارب، و هو أن اللَّه تعالى عدد نعمه على خلقه و أن من جملتها أنه جعل لهم النجوم بمعنى

خلقها ليهتدوا بها فى أسفارهم فى ظلمات البر و البحر، و أنه قد فصل آياته لقوم يعلمون.

و انما أضاف الآيات الى الذين يعلمون و ان كانت آيات لغيرهم، لأنهم المنتفعون بها، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و ليس فى قوله انه خلقها ليهتدوا بها فى ظلمات البر و البحر ما يدل على أنه لم يخلقها لغير ذلك. قال البلخى: بل يشهد أنه خلقها لأمور جليلة عظيمة. و من فكر فى صغر الصغير منها و كبر الكبير، و اختلاف مواقعها و مجاريها و سيرها، و ظهور منافع الشمس و القمر فى نشؤ الحيوان و النبات علم أن الامر كذلك. و لو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۳

لخلقها صغارا و كبارا، و لاختلاف سيرها معنى. قال الحسين بن على المغربى:

هذا من البلخى اشارة منه الى دلالتها على الأحكام.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۹۸] ..... ص : ۲۱۳

وَ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (۹۸)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو، و روح «فمستقر» بكسر القاف. الباقون بفتحها.

قال ابو على النحوى: قال سيبويه: قالوا قرَّ فى مكانه و استقر، كما قالوا: جلب و أجلب، يراد بهما شيء واحد، فكما بنى هذا على (أفعلت) بنى هذا على (استفعلت) فمن كسر القاف كان المستقر بمعنى القار، و الخبر مضمر، و تقديره منكم مستقر كقولك: بعضكم مسقر أى مستقر فى الأرحام.

و قال «يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ» «۱» كما قال «وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً» «۲» و من فتح فليس على أنه مفعول، لان استقر لا يتعدى، و إذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول، فإذا له يكن مفعولا كان اسم الفاعل مكانه، فالمستقر بمنزلة المقر كما أن المستقر بمعنى القار، و على هذا، لا يجوز أن يكون خبره المضمر (منكم) كما جاز فى قول من كسر القاف، و إذا لم يجز ذلك جعلت الخبر المضمر (لكم) و تقديره: لكم مقر، و مستودع، فان استودع فعل يتعدى الى مفعولين تقول: استودعت زيدا ألفا و أودعت زيدا ألفا، فاستودع مثل أودع، و مثل استجاب و أجاب، فالمستودع يجوز ان يكون الإنسان الذى استودع ذلك المكان، و يجوز أن يكون المكان نفسه. فمن فتح القاف فى (مستقر) جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه أى فلكم مكان استقرار و مكان استيداع. و من كسر القاف، فالمعنى منكم

(۱) سورة ۳۹ الزمر آية ۶

(۲) سورة ۷۱ نوح آية ۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۴

مستقر فى الأرحام و منكم مستقر فى الأصلاب، فالمستودع اسم المفعول به ليكون مثل المستقر فى أنه اسم لغير المكان. قال الزجاج: و يحتمل ان يكون مستقرا فى الدنيا موجودا و مستودعا فى الأصلاب لم يخلق بعد. و يحتمل مستقر- بكسر القاف- فى الأحياء، و منكم مستودع فى الثرى. و رفع (مستقر و مستودع) على معنى فلكم مستقر و مستودع. و من كسر فمعناه فمنكم مستقر و منكم مستودع. و قال الفراء: تقديره ثم مستقر و مستودع.

و اختلف المفسرون فى قوله «فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ» فقال عبد اللَّه بن مسعود:

المستقر ما فى الرحم، و المستودع حيث يموت، و به قال ابراهيم و مجاهد.

و قال سعيد ابن جبير: مستودع ما كان فى أصلاب الرجال، فإذا قروا فى أرحام النساء و على ظهر الأرض و فى بطونها، فقد استقروا به.

و قال ابن عباس، و روى عن مجاهد- فى رواية أخرى- المستقر الأرض، و المستودع عند ربك.

و روى عن ابن مسعود- فى رواية- ان مستقرها فى الآخرة و مستودعها فى الصلب. و قال عكرمة: مستقر فى الآخرة و مستودع فى صلب لم يخلق سيخلق.

و به قال قتادة و الضحاك و السدى و ابن زيد. و قال الحسن: المستقر فى القبر و المستودع فى الدنيا.

و معنى الآية أن اللَّه تعالى هو الذى أنشأ الخلق ابتداء من نفس واحدة يعنى آدم، منهم مستقر و مستودع، و إذا حمل على العموم، فانه يتناول كل أحد على تأويل من قال المستقر فى القبر و المستودع فى الحشر، و على تأويل من قال المستودع من كان فى الأصلاب و المستقر من كان فى الأرحام، لان كل الخلائق داخلون فيه، فالأولى حمل الآية على عمومها و هو اختيار الطبرى.

و قوله «قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ» معناه قد بينا الحجج و ميزنا الآيات و الادلة و الاعلام، و أحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج و مواضع العبر، و يعرفون الآيات و الذكر، و هو قول قتادة و المفسرين.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۵

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۹۹] ..... ص : ۲۱۵

وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۹۹)

آية.

روى الأعشى و البرجمى «و جنات» بالرفع. الباقون «جنات» على النصب. و قرأ حمزة و الكسائى و خلف «ثمره» و «كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» و فى (يس) «لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» بضم الثاء و الميم فيهن. الباقون بفتحها. من كسر التاء فلأنها تاء جمع المؤنث فى موضع النصب عطفا على قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ» فأخرجنا به «جنات» و من رفع عطفها على القنوان فى الاعراب و إن لم يكن من جنسها، كما قال الشاعر:

و رأيت زوجك فى الوغى متقلدا سيفا و رمحا «۱»

أي و حاملا- رمحا. و من قرأ «ثمره» بالفتح فيهما فوجهه ان سيبويه يرى ان الثمر جمع ثمرة مثل بقرة و بقر و شجر و شجر و خرزة و خرز، و يقويه قوله ايضا «وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ» «۲» و قد كسِّر على (فعال) فقالوا: ثمار كما قالوا أكمة و اكام، و جذبة و جذاب و رقبة و رقاب. و من جمعها احتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون جمع ثمرة على ثمر، مثل خشبة و خشب فى قوله «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ» «۳» و اكمة و اكم فى قول الشاعر:

ترى الاكم منه سجداً للحوافر «۴»

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱: ۶، ۲۴۲، ۳: ۴۶۵ [.....]

(۲) سورة ۱۶ النحل آية ۶۷

(۳) سورة ۶۳ المنافقون آية ۴

(۴) انظر ۱/ ۱۱ تعليقة ۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۶

و من المعتل ساحة و سوح، و قارة و قور، و لابة و لوب و ناقة و نوق.

و الثانى- أن يكون جمع ثمار على ثمر، فيكون ثمر جمع الجمع، و جمعوه على (فعل) كما جمعوه على (فعايل) فى قولهم جمال و

جمايل.

و معنى الآية أن الذى يستحق العبادة خالصة لا ـ شريك له فيها سواه هو الذى أنزل من السماء ماء. و أصل الماء ماه إلا أن الهمزة أبدلت من الهاء بدلالة قولهم أمواه فى الجمع و مويه فى التصغير.

و قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ» معناه أخرج بالماء الذى أنزله من السماء من غذاء الانعام و البهائم و الطير و الوحش و أرزاق بنى آدم و أقواتهم ما يتغذون به و يأكلونه فينبتون عليه و ينمون، و يكون معنى قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ» أخرجنا به ما ينبت كل شيء و ينمو عليه و يصلح. و يحتمل أن يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات فيكون كل شيء هو اصناف النبات. و الاول أحسن.

و قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ» يعنى من الماء «خضرا» يعنى أخضر رطبا من الزرع. و الخضر و الأخضر واحد يقال: خضرت الأرض خضرا و خضارة.

و الخضرة رطب البقول يقال: نخلة خضرة إذا كانت ترمى ببسرها أخضرا قبل ان ينضج، و قد اختضر الرجل و اغتضر إذا مات شابا مصححا، و يقال:

هو لك خضرا مضرا أى هنيئا مريئا.

و قوله «نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً» يعنى يخرج من الخضر حبا يعنى ما فى السنبل من الحنطة و الشعير و الارز و غيرها من السنابل، لان حبها يركب بعضه بعضا.

و قوله «وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها» إنما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع العجيبة و الاغذية الشريفة التى ليست فى شيء من كمام الثمار.

قوله «قِنْوانٌ دانِيَةٌ» تقديره و من النخل من طلعها ما قنوانه دانية، و لذلك رفع القنوان. و القنوان جمع قنو، كصنوان و صنو، و هو العذب، يقال لواحدة قنو و قنو، و قنى و يثنى قنوان على لفظ الجمع و قنيان و انما يميز بينهما التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۷

بإعراب النون، و يجمع قِنوان و قنوان و فى الجمع القليل ثلاثة أقناء، فالقنوان لغة أهل الحجاز، و القنوان لغة قيس قال امرؤ القيس:

فأتت اعياله و آدت أصوله و مال بقنوان من البسر أحمر «۱»

و قنيان و قنوان لغة تميم و قوله «دانية» معناه قريبة متهدلة، و هو قول ابن عباس و قتادة و السدى و الضحاك. و قال الجبائى دانية أى متدانية فى حلوق النخل متكور بها.

و قوله «و جنات» يعنى و أخرجنا به أيضا جنات من أعناب يعنى بساتين من أعناب.

و قوله «وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ» عطف الزيتون على الجنات على تقدير و أخرجنا الزيتون و الرمان مشتبها و غير متشابه، قال قتادة متشابه ورقه مختلف ثمره. و يحتمل أن يكون المراد مشتبها فى الخلق مختلفا فى الطعم. و قال الجبائى مشتبها ما كان من جنس واحد، و غير متشابه إذا اختلف جنسه.

و المعنى و شجر الرمان و الزيتون، فاكتفى بذكر ثمره عن ذكر شجره، كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» فاكتفى بذكر القرية عن ذكر أهلها لدلالة الحال عليه.

و قوله «انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ» الثمر جمع ثمرة، و هو ما انعقد على الشجر يقال: ثمر الثمر إذا نضج و المراد إذا أطلع ثمره.

و قوله «و ينعه» قال بعضهم: إذا فتحت ياؤه فهو جمع يانع مثل صاحب و صحب و تاجر و تجر. و قال آخرون: هو مصدر قولهم ينع الثمر فهو ينع ينعا.

و يحكى فى مصدره ثلاث لغات يَنُع و يَنْع و ينع، و كذلك نضج و نضج و نضج قال الشاعر:

فى قباب حول دسكرة حولها الزيتون قد ينعا «۲»

(۱) ديوانه ۸۴ و اللسان (قنا) و الطبرى ۱۱/ ۵۷۵ و رواية الديوان:

سواحق جبار أثيث فروعه و عالين قنوانا من البسر أحمرا

(۲) الحيوان للجاحظ ۴/ ۶ (طبع بيروت) و الكامل للمبرد ۱/ ۲۲۶ و مجاز-

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۸

و سمع أيضا أينعت الثمرة تونع إيناعا فمعنى «و ينعه» نضجه و بلوغه حين يبلغ و فى ينعه لغتان: فتح الياء و ضمها، فالفتح لغة اهل الحجاز و الضم لغة نجد. و قال ابن عباس و قتادة و السدى و الضحاك و الطبرى و الزجاج و غيرهم: معنى و ينعه و نضجه.

و قوله «إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» يعنى فى انزال اللَّه الماء من السماء الذى أخرج به نبات كل شيء، و الخضر الذى أخرج منه الحب المتراكب و سائر ما عدد فى الآية «لآيات» أى دلالات أيها الناس إذا نظرتم فيها أدّاكم الى التصديق بتوحيده و خلع الأنداد دونه، و أنه لا يستحق العبادة سواه، لان فى ذلك بيانا و حججا و برهانا لقوم يؤمنون، فتصدقون بوحدانية اللَّه و قدرته على ما يشاء. و انما خصَّ المؤمنين بالذكر، لأنهم المنتفعون بذلك و المعتبرون به، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» و فى الآية دلالة على بطلان قول من يقول بالطبع، لان من الماء الواحد و التربة الواحدة يخرج اللَّه ثمارا مختلفة و أشجارا متباينة و لا يقدر على ذلك غير اللَّه تعالى.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۰] ..... ص : ۲۱۸

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَصِفُونَ (۱۰۰)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة «خرَّقوا» بتشديد الراء. الباقون بتخفيفها، قال أبو عبيدة «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ» أى جعلوا له و أشركوه. يقال: خرق و اخترق و اختلق بمعنى، إذا افتعل و افترا و كذب، قال أحمد بن يحيى: خرَّق و اخترق، و قال ابو الحسن الخفيفة أحب إلىَّ، لأنها أكثر.

القرآن ۱/ ۲۰۲ و اللسان و التاج (ينع)، (دسكر) و تفسير القرطبى ۷/ ۶۷ و قد روى (قد وفعا) بدل (قد ينعا).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۱۹

و قيل ان المعنى المشركين ادعوا أن الملائكة بنات اللَّه، و النصارى المسيح ابن اللَّه و اليهود عزير ابن اللَّه و من شدد كأنه ذهب الى التكثير.

أخبر اللَّه تعالى أن هؤلاء الكفار العادلين عن الحق المتخذين معه آلهة جعلوا له أندادا و شركاء الجن، كما قال «وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً» «۱» و قال «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «۲» و قال «وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ» «۳» و وصفهم بالجن لخفائهم عن الأبصار و قوله «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ» أراد به الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات اللَّه و النصارى الذين جعلوا المسيح ابن اللَّه، و اليهود الذين جعلوا عزيراً ابن اللَّه، و لذلك قال «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ» ففصل أقوالهم.

و قيل ان معنى «شُرَكاءَ الْجِنَّ» فى استعاذتهم بهم.

و قيل ان المعنى ان المجوس تنسب الشرَّ الى إبليس و تجعله بذلك شريكا.

و الهاء و الميم فى قوله «و خلقهم» يحتمل أن تكون عائدة الى الكفار الذين جعلوا للَّه الجن شركاء. و يحتمل أن تكون عائدة على الجن، و يكون المعنى «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ» و اللَّه خلق الجن فكيف يكونون شركاء له.

و فى نصب الجن وجهان أحدهما- ان يكون تفسيرا للشركاء و بدلا منه.

و الآخر- ان يكون مفعولا به و معناه و جعلوا للَّه الجن شركاء و هو خالقهم.

و روى عن يحيى بن يعمر انه قرأ «و خلقهم» بسكون اللام بمعنى أن الجن شركاء للّه فى خلقه إيانا، و هذه القراءة ضعيفة. و القراءة المعروفة أجود، لان المعنى و خلقهم بمعنى أن اللّه خلقهم متفردا بخلقه إياهم.

و قوله «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ» معناه تخرصوا، و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدى و ابن زيد و غيرهم، فيتلخص الكلام أن هؤلاء الكفار جعلوا للّه الجن شركاء فى عبادتهم إياه مع انه المتفرد بخلقهم بغير شريك و لا معين

---

(۱) سورة ۳۷ الصافات آية ۱۵۸

(۲) سورة ۴۳ الزخرف آية ۱۷

(۳) سورة ۱۶ النحل آية ۵۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۰

و لا ظهير «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ» معناه تخرصوا له كذبا بنين و بنات «بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى بغير حجة. و يحتمل أن يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلًا و آجلا و يحتمل ان يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقة ما يقولون، لكن جهلا منهم باللّه و بعظمته، لأنه لا ينبغى لمن كان إلها أن يكون له بنون و بنات و لا صاحبة و لا أن يشركه فى خلقه شريك، ثم نزه نفسه تعالى و أمرنا بتنزيهه عما أضافوه اليه، و أنه يجلُّ عن ذلك و يتعالى عنه، فقال «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَصِفُونَ» من ادعائهم له شركاء و اختراقهم له بنين و بنات لان ذلك لا يليق بصفته و لا بوحدانيته.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۱] ..... ص : ۲۲۰

بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۰۱)

آية بلا خلاف.

البديع هو المبدع و هى صفة معدولة عن (مفعل) الى (فعيل) و لذلك تعدى (فعيل) لأنه يعمل عمل ما عدل عنه، فإذا لم يكن معدولا للمبالغة لم يتعد نحو طويل و قصير، و ارتفع بديع، لأنه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو بديع السموات و الأرض. و يجوز ان يكون رفعا بالابتداء و خبره (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ).

و الفرق بين الابتداع و الاختراع فعل ما لم يسبق الى مثله، و الاختراع فعل ما لم يوجد سبب له، و لذلك يقال: البدعة و السنة، فالبدعة احداث ما لم يسبق اليه مما خالف السنة، و لا يوصف بالاختراع غير اللّه، لان حد ما ابتدئ فى غير محل القدرة عليه، و لا يقدر على ذلك الا القادر للنفس، لان القادر بقدرة اما ان يفعل مباشرا وحده ما ابتدئ فى محل القدرة عليه او متولد وحده ما وقع بحسب غيره، و هو على ضربين: أحدهما تولده فى محل القدرة عليه. و الآخر انه يتعداه بسبب هو الاعتماد لا غير، و لا يقدر غير التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۱

اللّه على الاختراع أصلا. فاما الابتداع فقد يقع منه، لأنه قد يفعل فعلا لم يسبق اليه. و اما «بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» فلا يوصف به غير اللّه لأنه خالقهما على غير مثال سبق.

و قوله «أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ» معناه و كيف يكون له ولد. و قيل: معناه من اين يكون له ولد؟ و لم تكن له صاحبة، فالولد هو الحيوان المتكون من حيوان، فعلى هذا آدم ليس بولد، لأنه لم يتكون عن والد، و المسيح (ع) ولد، لان مريم ولدته فهو متكون عنها، و ان لم يكن عن ذكر، و الصاحب هو القرين اللازم، و لذلك يقال: اصحاب الصحراء، و فى القرآن اصحاب النار و أصحاب الجنة. و معناه المقارنون لها. و قد يكون المقارن لما هو من جنسه و ما ليس من جنسه، فيوصف بانه صاحب الا انه لا بد من مشاكلته و يقال: صاحب القرآن أى حافظه، و صاحب الدار مالكها.

و قوله: «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون أراد ب (خلق) قدر، فعلى هذا تكون الآية عامة، لأنه تعالى مقدر كل شيء.

و يحتمل ان يكون أحدث كل شيء، فعلى هذا يكون مخصوصا، لأنه لم يحدث أشياء كثيرة من مقدورات غيره، و ما هو معدوم لم يوجد على مذهب من يسميها أشياء. و كقديم آخر، لأنه يستحيل.

و قوله: «وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» عام، لان اللَّه تعالى يعلم الأشياء كلها قديمها و محدثها، موجودها و معدومها، لا تخفى عليه خافية.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۲] ..... ص : ۲۲۱

ذٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (۱۰۲)

آية بلا خلاف.

«ذلك» اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف اللَّه بانه «بَدِيعُ السَّماواتِ التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۲

وَ الْأَرْضِ»

و غير ذلك من صفاته تعالى. و انما ادخل فيه الميم، لأنه خطاب لجميع الخلق. «اللَّهُ رَبُّكُمْ» صفة بعد صفة.

و قوله: «لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ» اخبار بانه لا معبود سواه تحق له العبادة.

و بين انه «خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» من اصناف الخلق. و حذف اختصارا- فى المبالغة- لقيام الدلالة على انه لا يدخل فيه ما لم يخلقه من اصناف الأشياء من المعدوم، و أفعال العباد و القبائح، و مثله فى المبالغة قوله: «تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها» «۱». و قوله: «وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» «۲». ثم امر الخلق بعبادة من كان خالق الأشياء كلها، و المنعم على خلقه بما يستحق به العبادة:

من خلق الحياة و القدرة و الشهوة و البقاء، و غير ذلك. و اخبر انه تعالى «عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» أي حافظ. و الوكيل على الشيء هو الحافظ الذى يحوطه و يدفع الضرر عنه. و انما وصف بانه وكيل مع انه مالك الأشياء، لأنه لما كانت منافعه لغيره لاستحالة المنافع عليه و المضار، صحة الصفة له من هذه الجهة بانه وكيل، و كان فيها تذكير بالنعمة مع كونه مالكا من جهة انه قادر عليه له ان يصرف أتم التصريف مما يريده بمنزلة ما يريده الوكيل فى ان منافعه تعود على غيره، و لا يلزم على هذا ان يقال: هو وكيل على القبائح و الفواحش، لأنه يوهم انها عرض و انما تدخل فى الجملة على طريق التبع، لأنه يجازى عليها بالعذاب المستحق بها.

و رفع «خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» بانه خبر ابتداء محذوف كأنه قيل هو خالق كل شيء، لأنه تقدم ذكره فاستغنى عن ذكره. و لا يجوز رفعه على ان خبره «فاعبدوه» لدخول الفاء. و كان يجوز نصبه على الحال لأنه نكرة اتصل بمعرفة بعد التمام.

---

(۱) سورة ۴۶ الأحقاف آية ۲۵

(۲) سورة ۲۷ النمل آية ۲۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۳

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۳] ..... ص : ۲۲۳

لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (۱۰۳)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية دلالة واضحة على انه تعالى لا يرى بالأبصار، لأنه تمدح بنفى الإدراك عن نفسه. و كلما كان نفيه مدحا غير متفضل به فاثباته لا يكون الا نقصا، و النقص لا يليق به تعالى. فإذا ثبت انه لا يجوز إدراكه، و لا رؤيته، و هذه الجملة تحتاج الى بيان أشياء:

أحدها- انه تعالى تمدح بالآية.

و الثاني- ان الإدراك هو الرؤية.

و الثالث- ان كلما كان نفيه مدحا لا يكون إثباته الا نقصا. و الذى يدل على تمدحه شيئان:

أحدهما- اجماع الامة، فانه لا خلاف بينهم فى انه تعالى تمدح بهذه الآية، فقولنا: تمدح بنفى الإدراك عن نفسه لاستحالته عليه. و قال المخالف:

تمدح لأنه قادر على منع الأبصار من رؤيته، فالإجماع حاصل على ان فيها مدحة.

و الثاني- ان جميع الأوصاف التى وصف بها نفسه قبل هذه الآية و بعدها مدحة، فلا يجوز ان يتخلل ذلك ما ليس بمدحة. و الذى يدل على ان الإدراك يفيد الرؤية ان اهل اللغة لا يفرقون بين قولهم: أدركت ببصرى شخصا، و آنست، و أحسست ببصرى. و انه يراد بذلك اجمع الرؤية. فلو جاز الخلاف فى الإدراك، لجاز الخلاف فيما عداها من الأقسام.

فاما الإدراك فى اللغة، فقد يكون بمعنى اللحوق، كقولهم: ادراك قتادة الحسن. و يكون بمعنى النضج، كقولهم أدركت الثمرة، و أدركت القدر، و أدرك الغلام إذا بلغ حال الرجال. و أيضا فان الإدراك إذا أضيف التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۴

الى واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه ألا ترى انهم يقولون:

أدركته بأذنى يريدون سمعته، و أدركته بانفى يريدون شممته و أدركته بفمى يريدون ذقته. و كذلك إذا قالوا: أدركته ببصرى يريدون رأيته. و اما قولهم أدركت حرارة الميل ببصرى فغير معروف و لا- مسموع، و مع هذا ليس بمطلق بل هو مقيد، لان قولهم حرارة الميل تقييد لان الحرارة تدرك بكل محل فيه حياة، و لو قال أدركت الميل ببصرى لما استفيد به الا الرؤية. و قولهم ان الإدراك هو الاحاطة باطل، لأنه لو كان كذلك لقالوا: أدرك الجراب بالدقيق و أدرك الحب بالماء و أدرك السور بالمدينة لاحاطة جميع ذلك بما فيه، و الامر بخلاف ذلك. و قوله «حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ» «۱» فليس المراد به الاحاطة بل المعنى حتى إذا لحقه الغرق، كما يقولون أدركت فلانا إذا لحقته، و مثله «فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ» «۲» أى لملحقون، و الذى يدل على أن المدح إذا كان متعلقا بنفى فاثباته لا يكون الا نقصا، قوله «لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ» «۳» و قوله «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ» «۴» لما كان مدحا متعلقا بنفى فلو ثبت فى حال لكان نقصا.

فان قيل كيف يتمدح بنفى الرؤية و مع هذا يشاركه فيها ما ليس بممدوح من المعدومات و الضمائر؟

قلنا: انما كان ذلك مدحا بشرط كونه مدركا للأبصار و بذلك يميز من جميع الموجودات لأنه ليس فى الموجودات ما يدرك و لا يدرك.

فان قيل: و لم إذا كان يدرك و لا يدرك يجب ان يكون ممدوحا؟؟

قلنا: قد ثبت ان الآية مدحة بما دللنا عليه، و لا بد فيها من وجه مدحة فلا يخلو من أحد وجهين: اما أن يكون وجه المدحة أنه يستحيل رؤيته مع كونه رائيا أو ما قالوه من أنه يقدر على منع الأبصار من رؤيته بأن لا يفعل

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۹۰

(۲) سورة ۲۶ الشعراء آية ۶۲

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۲۵۶. [.....]

(۴) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۹۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۵

فيها الإدراك، و ما قالوه باطل لقيام الدلالة على أن الإدراك ليس بمعنى الاحاطة، فإذا بطل ذلك لم يبق الا ما قلناه، و الا خرجت

الآية من كونها مدحة.

و قد قيل: ان وجه المدحة في ذلك أن من حق المرئى أن يكون مقابلا أو في حكم المقابل و ذلك يدل على مدحته، و هذا دليل من أصل المسألة لا يمكن ان يكون جوابا في الآية.

فان قيل: انه تعالى نفى أن تكون الأبصار تدركه فمن أين ان المبصرين لا يدركونه؟

قلنا: الأبصار لا- تدرك شيئا البتة فلا- اختصاص لها به دون غيره، و أيضا فان العادة ان يضاف الإدراك الى الأبصار و يراد به ذووا الأبصار، كما يقولون: بطشت يدى و سمعت أذنى و تكلم لسانى و يراد به أجمع ذووا الجارحة فان قيل: انه تعالى نفى أن جميع المبصرين لا يدركونه، فمن أين أن البعض لا يدركونه و هم المؤمنون؟

قلنا: إذا كان تمدحه في استحالة الرؤية عليه لما قدمناه فلا اختصاص لذلك براء دون رائى، و لك ان تستدل بأن تقول: هو تعالى نفى الإدراك عن نفسه نفيا عاما كما أنه أثبت لنفسه ذلك عاما فلو جاز ان يخص ذلك بوقت دون وقت لجاز مثله في كونه مدركا. و إذا ثبت نفى إدراكه على كل حال فكل من قال بذلك قال الرؤية مستحيلة عليه. و من أجاز الرؤية لم ينفها نفيا عاما فالقول بنفيها عموما مع جواز الرؤية عليه قول خارج عن الإجماع. فان عورضت هذه الآية بقوله «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» «۱» فانا نبين انه لا تعارض بينهما و انه ليس في هذه الآية ما يدل على جواز الرؤية إذا انتهينا اليها ان شاء اللّه.

و قوله «وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» قيل في معنى «اللطيف» قولان:

أحدهما- أنه اللاطف لعباده بسبوغ الانعام، غير انه عدل من وزن

---

(۱) سورة ۷۵ القيامة آية ۲۳

التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۶

(فاعل) الى (فعيل) للمبالغة.

الثاني- أنه لطيف التدبير، و حذف لدلالة الكلام عليه.

و الخبير هو العالم بالأشياء المتبين لها، و ما ذكرناه من أن معنى الآية نفى الرؤية عن نفسه على كل حال قول جماعة منهم عائشة، روى مسروق عن عائشة انها قالت: من حدثك أن رسول اللّه رأى ربه فقد كذب «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ» و «ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» «۱» و لكن رأى جبرائيل في صورته مرتين. و في رواية أخرى أن مسروقا لما قال لها: هل رأى محمد ربه؟ قالت: سبحان اللّه، لقد وقف شعرى مما قلت، ثم قرأت الآية. و قال الشعبى قالت عائشة من قال: ان أحدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على اللّه، و قرأت الآية، و هو قول السدى و جماعة أهل العدل من المفسرين كالحسن و البلخى و الجبائى و الرمانى و غيرهم. و قال أهل الحشو و المجبرة بجواز الرؤية على اللّه تعالى في الآخرة و تأولوا الآية على الاحاطة و قد بينا فساد ذلك.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۴] ..... ص : ۲۲۶

قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (۱۰۴)

آية بلا خلاف.

البصائر جمع بصيرة و هى الدلالة التي توجب العلم الذى يبصر به نفس الشيء على ما هو به و المراد هاهنا قد جاءكم القرآن الذى فيه الحجج و البراهين، قال الشاعر:

جاءوا بصائرهم على أكتافهم و بصيرتى يعدو بها عتد و أى»

---

(۱) سورة ۴۲ الشورى آية ۵۱

(۲) اللسان (بصر)، (عتد)، (و أى) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۲۴ و البصيرة الدم، و الشاعر يعير أخوته لأبيه لعدم أخذهم بثأر أبيهم و قد أخذ هو بدم أبيه و يروى (حملوا بصائرهم) و (راحوا بصائرهم). و العتد الحاضر المعد للكروب

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۷

و نعنى بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة. و أما الإبصار فهو الإدراك و لذلك يوصف تعالى بأنه مبصر كما يوصف بأنه مدرك و يسمى بأنه بصير، لأنه يجب أن يدرك المبصرات إذا وجدت و انما وصفت الدلالة بأنها جائية و ان كان لا يجوز أن يقال جاءت الحركة، و لا جاء السكون و لا الاعتماد، و غير ذلك من الاعراض لتفخيم شأن الدلالة حيث كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس كما يقال جاءت العافية و انصرف المرض و أقبل السعد و أدبر النحس.

و قوله «فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ» يعنى من تبين بهذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم و تبين بها، فمنفعة ذلك تعود عليه و لنفسه بما نظر. و من عمى فلم ينظر فيها و صدف عنها حتى جهل فعلى نفسه لان عقاب تفريطه لازم له و حال به، فسمى العلم و التبيين إبصارا مجازاً، و سمى الجهل عمى توسعا.

و فى ذلك دلالة على ان الخلق غير مجبرين بل هم مخيرون فى أفعالهم.

ثم خاطب اللَّه تعالى نبيه (ص) و أمره بأن يقول لهم «وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» يعنى برقيب على أعمال العباد حتى يجازيهم بها،- فى قول الحسن- بل هو شهيد عليهم، لأنه يرجع الى الحال الظاهرة التى تقع عليها المشاهدة. قال الزجاج: هذا قبل أن يؤمر بالقتال. ثم أمر أن يمنعهم بالسيف عن عبادة الأوثان.

و هذه الآية فيها أمر من اللَّه لنبيه أن يقول لهؤلاء الكفار: قد جاءكم حجج من اللَّه و هو ما ذكره فى قوله «فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى» (۱) الى ها هنا. و ما يبصرون به الهدى من الضلال، فمن نظر و علم فلنفسه نفع، و من جهل و عمى فلنفسه ضر. و لست أمنعكم منه و لا أحول بينكم و ما تحتاجون، و هو قول قتادة و ابن زيد.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۵] ..... ص : ۲۲۷

وَ كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۱۰۵)

آية بلا خلاف.

---

(۱) آية ۹۵ من هذه السورة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۸

قرأ ابن كثير و ابو عمرو (دارست) بألف و فتح التاء. الباقون بلا الف «درست» بفتح التاء، الا ابن عامر فانه قرأ «درست» بسكون التاء و فتح السين بمعنى (انمحت) و ذكر الأخفش (درست) و هو أشد مبالغة فى الامحاء و قيل (درست) على ما لم يسم فاعله. و المعانى متقاربة غير ان هذين لم يقرأ بهما أحد من المعروفين. و فى قراءة عبد اللَّه (درس) أى ليقولوا درس محمد.

قال أبو زيد: درست أدرس دراسة و هى القراءة. و انما يقال ذلك إذا قرأت على غيرك. قال الاصمعى أنشدنى ابن ميادة:

يكفيك من بعض ازديار الآفاق سمراء مما درس ابن مخراق (۱)

يقال درس يدرس مثل داس يدوس. قال: و قال بعضهم: سمراء ناقته، و درسها رياضها قال و درس السورة من هذا أى يدرسها لتخف على لسانه، و الدريس الثوب الخلق، و أصل الدرس استمرار التلاوة. و قال ابو على النحوى: من قرأ «دارست» معناه أهل الكتاب و ذاكرتهم، قال و قد يحذف الالف فى مثل هذا فى المصحف. قال و يقوى ذلك قوله «وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ

بُكْرَةً وَ أَصِيلًا» «۲» و قـالوا «إِنْ هـذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ» «۳» و من قرأ (درست) قـال لان أبيًا و ابن مسـعود قرءا به فاسـندا الفعـل فيه الى الغيبـة كما أسـند الى الخطاب و معناه درست فتعلمت من أهل الكتاب. و قال المغربى: درست معناه علمت كما قـال «وَ دَرَسُوا ما فِيهِ» «۴» أى علموه فعلى هـذا يكون اللام لام الغرض، كـأنه قال فعلنا ذلك ليقولوا علمت. و وجه قراءة ابن عامر انه ذهب الى الدرس الذى هو تعفية الأثر و إمحاء الرسم. و اللام من قوله «وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ» على ضربين:

من قال (درست) بلا الف، فالمعنى لكراهة أن يقولوا أو لئلا يقولوا:

درست، كما قال «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» «۵» و معناه لئلا تضلوا و كراهة

(۱) اللسان «سمر»

(۲) سورة ۲۵ الفرقان آية ۵

(۳) سورة ۲۵ الفرقان آية ۴

(۴) سورة ۷ الاعراف آية ۱۶۸

(۵) سورة ۴ النساء آية ۱۷۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۲۹

ان تضـلوا، و المعنى انى فصـلت الآيات و أحكمتها لئلا يقولوا: انها أخبار قـد تقدمت و طال العهد بها و باد من كان يعرفها، كما قالوا «أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» «۶» لان تلك الاخبار لا تخلو من خلل فإذا سلم الكتاب منه لم يكن لطاعن موضع طعن.

و الثانى- ليقولوا (درست) ذلك بحضرتنا أى ليقروا بورود الآية عليهم فتقوم الحجة عليهم.

و قال الزجاج: اللام لام العاقبـة و من قرأ (دارست) فاللام على قوله كالتى فى قوله «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۷» و لم يلتقطوه لذلك لكن كان عاقبته كذلك كما أنه تعالى لم يفصل الآيات ليقولوا دارست و درست. لكن لما قالوا ذلك أطلق ذلك عليه اتساعا.

و موضع الكاف فى و كـذلك نصب، لان المعنى نصـرف الآيات فى غير هذه السورة مثل التصـريف فى هذه السورة، فهو فى موضـع صفة المصدر كأنه قال تصـريفا مثل هذا التصريف. قال الرمانى: و التصريف اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة ليجتمع فيه وجوه الفائدة.

و قـال الحسن و مجاهـد و السـدى و ابن عبـاس و سـعيد بن جبير (دارست) أى ذاكرت أهـل الكتابين و قارأتهم، و قوله «وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» معنـاه لنبين الـذى هـذه الآيـات دالـة عليه لقوم يعلمون مـا نورده عليهم من هـذه الآيات، و يعقلون ذلك و هم الـذين يلزمهم الاستدلال بذلك على اللّه و على صحة دينه.

و قال قوم «لِيَقُولُوا دَرَسْتَ» معناه التهديـد كما يقول القائل: قل لفلان: يوفينا حقنا و ليصـنع ما شاء، و قل للناس الحق و ليقولوا ما شاءوا أى ذلك لا يضرك، و لان ضرره يعود عليهم من العقاب و الذم.

(۶) سورة ۱۶ النحل آية ۲۴

(۷) سورة ۲۸ القصص آية ۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۰

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۶] ..... ص : ۲۳۰

اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (۱۰۶)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) أن يتبع ما أوحى اليه من ربه، و الاتباع هو أن ينصرف الثانى بتصريف الاول، و النبى (ص) كان يتصرف فى الدين بتصريف الوحى فذلک كان متبعا، و كذلک كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له و الإيحاء هو إلقاء المعنى الى النفس من جهة يخفى، و انما أعاد قول «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» لان المعنى ادعهم الى انه لا اله الا هو، فعلى هذا ليس بتكرار، هذا قول الحسن. و قال الجبائى: لأنه بمعنى الزمه وحده. و قال غيره: لان معناه اتبع ما أوحى اليک من أنه لا اله الا هو.

و قوله «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» أمر للنبى (ص) بالاعراض عن المشركين، و لا ينافى ذلک أمره إياه بدعائهم الى الحق و قتالهم على مخالفتهم لامرين:

أحدهما- أنه أمره بالاعراض عنهم على وجه الاستجهال لهم فيما اعتقدوه من الاشراک بربهم.

الثانى- قال ابن عباس: نسخ ذلک بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» «۱» و أصل الاعراض هو الانصراف بالوجه الى جهة العرض. و العرض خلاف الطول، و منه (و أعرضت اليمامة). أى ظهرت كالظهور بالعرض و منه العارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض، و الاعتراض المنع من الشيء بحاجز عنه عرضا و منه العرض الذى يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث. وحّد أيضا بانه ما يظهر فى الوجود و لا يكون له لبث كلبث الجواهر.

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۱

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۷] ..... ص : ۲۳۱

وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا وَ ما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (۱۰۷)

آية.

ان قيل: كيف قال تعالى «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا» و المشيئة لا تتعلق الا بفعل يصح حدوثه، و لا تتعلق بأن لا يكون الشيء؟! قلنا: التقدير لو شاء اللَّه ان يكونوا على غير الشرک قسرا ما أشركوا فمتعلق المشيئة محذوف، فمراد هذه المشيئة حالهم التى تنافى الشرک قسرا بالاقتطاع عن الشرک عجزا او منعا أو الجاء. و انما لا يشاء اللَّه هذه الحال لأنها تنافى التكليف. و انما لم يمنع العاصى من المعصية لأنه انما اتى بها من قبل نفسه، و اللَّه تعالى فعل به جميع ما فعل بالمطيع من ازاحة العلة، فإذا لم يطع و عصى كانت الحجة عليه. و ربَّما كان فى بقائه لطف للمؤمن فيجب تبقيته و ليس لاحد ان يقول الآية دالة على انه تعالى لم يرد هدايتهم لأنه لو أراد ذلک لاهتدوا، و ذلک أنه لو لم يرد أن يهتدوا لم يكونوا عصاة بمخالفة الاهتداء، لان العاصى هو الذى خالف ما أريد منه و لما صح أمرهم أيضا بالاهتداء.

و الفرق بين الحفيظ و الوكيل هو أن الحفيظ يحفظهم من أن يزلوا بمنعه لهم، و الوكيل القيم بأمورهم فى مصالحهم لدينهم أو دنياهم حتى يلطف لهم فى تناول ما يجب عليهم، فليس بحفيظ فى ذاک و لا وكيل فى هذا، فلذلک قال تعالى: انه لم يجعل نبيه حفيظا و لا جعله وكيلا عليهم، بل اللَّه تعالى هو الرقيب الحافظ عليهم و المتكفل بأرزاقهم. و انما النبى (ص) مبلغ منذر و مخوف. و قيل: ان ذلک كان بمكة قبل أن يؤمر بالقتال.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۲

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۸] ..... ص : ۲۳۲

وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذلِكَ زَيَّنّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)

آية بلا خلاف.

قرأ الحسن و يعقوب «عدوا» بضم العين و الدال و تشديد الواو. و الباقون بفتح العين و بسكون الدال. و أصل ذلك من العدوان. و «عدوا» مخففا و «عدوّا» لغتان، يقال عدا على عدوا و عدوانا و عداء إذا ظلم مثل ضرب ضربا. و عدا فلان على فلان أى ظلمه. و الاعتداء افتعال من عدا.

نهى اللَّه تعالى المؤمنين أن يسبوا الذين يدعون من دون اللَّه. و السب الذكر بالقبيح و مثله الشتم و الذم و هو الطعن فيه بمعنى قبيح، كما يطعن فيه بالسنان، و أصله السبب، فهو تسبب الى ذكره بالعيب.

و المعنى فى الآية لا تخرجوا فى مجادلتهم و دعائهم الى الايمان و محاجتهم الى ان تسبوا ما يعبدونه من دون اللَّه، فان ذلك ليس من الحجاج فى شيء، و هو أيضا يدعوهم الى أن يعارضوكم و يسبوا اللَّه بجهلهم و حميتهم، فأنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون، و هم أيضا لا يتقونكم، لان الدار دارهم و لم يؤذن لكم فى القتال.

و كان سبب نزول الاية- فى قول الحسن- أن المسلمين كانوا يسبون آلهة المشركين من الأوثان، فإذا سبوها يسب المشركون اللَّه تعالى، فأنزل اللَّه تعالى الاية. و قال أبو جهل: و اللَّه يا محمد لتتركوا سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذى بعثك، فنزلت الآية. و فى ذلك دلالة على ان المحّق يلزمه الكف عن سب السفهاء الذين يسرعون الى سبه مقابلة له، لأنه بمنزلة البعث على المعصية و المفسدة فيها. و انما قال «يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» بمعنى يعبدون، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۳

لان معناه يدعونه إلهاً فلما قال «مِنْ دُونِ اللَّهِ» و هو من صفة الكفار دلَّ على هذا المعنى فحذف اختصارا. و انما قال «مِنْ دُونِ اللَّهِ» مع انهم كانوا يشركون فى العبادة بين اللَّه و بين الأصنام لامرين:

أحدهما- ان ما وجهوه من العبادة الى الأوثان انما هو عبادة لها لا للَّه، و ليس كالتوجه الى القبلة عبادة للَّه.

و الثانى- أن ذلك غير معتد به، لأنهم أوقعوا العبادة على خلاف الوجه المأمور به فما أطاعوا اللَّه بحال.

و قوله «كَذلِكَ زَيَّنّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ» قيل فى معناه أربعة أقوال:

أحدها- قال الحسن و الجبائى و الطبرى و الرمانى: انا كما أمرناكم بحسن الدعاء الى اللَّه تعالى و تزيين الحق فى قلوب المدعوين كذلك زينا للأمم المتقدمين أعمالهم التى أمرناهم بها و دعوناهم اليها بأن رغبناهم فى الثواب، و حذرناهم من العقاب و يسمى ما يجب على الإنسان أن يعمله بأنه عمله كما يقول القائل لولده أو غلامه: اعمل عملك يريد به ما ينبغى له أن يفعله، لان ما وجد و تقضى لا يصح الامر بأن يفعله.

الثانى- زينا الحجة الداعية اليها و الشبهة التى من كمال العقل ان يكون المكلف عليها، لأنه متى لم يفعل معنى الشبهة لم يكن عاقلا.

الثالث- التزيين المراد به ميل الطبع الى الشيء فهو الى الحسن ليفعل و الى القبيح ليجتنب.

و الرابع- ذكره البلخى أيضا، و هو أن المعنى ان اللَّه زين لكل أمة عملهم من تعظيم من خلقهم و رزقهم و أنعم عليهم، و المحاماة عنه و عداوة من عاداه طاعة له، فلما كان المشركون يظنون شركاءهم هم الذين يفعلون ذلك أو أنهم يقربونهم الى اللَّه زلفى، حاموا عنهم و تعصبوا لهم و عارضوا من شتمهم بشتم من يعز عليهم، فهم لم يعدوا فيما صنعوا ما زينه اللَّه لهم فى الجملة، لكن غلطوا فقصدوا بذلك من لم يجب ان يقصدوه فكفروا و ضلوا. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۴

و قوله «عدوا» نصب على المصدر، و قرئ «عدوا» و المعنى جماعة يعنى أعداء و على هذا يكون نصبا على الحال.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۹] ..... ص : ۲۳۴

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ ما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ (۱۰۹) آية.

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب و أبو بكر الا يحيى و نصير و خلف «و ما يشعركم انها» بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.

و قرأ ابن عامر و حمزة «لا تؤمنون» بالتاء. الباقون بالياء.

و (ما) فى قوله «وَ ما يُشْعِرُكُمْ» استفهام و فاعل (يشعركم) ضمير (ما) و لا يجوز ان يكون نفيا، لان الفعل فيه يبقى بلا فاعل، و لا يجوز ان يكون نصبا و يكون الفاعل ضمير اسم اللَّه، لان التقدير يصير، و ما يشعركم اللَّه انتفاء ايمانهم، و هذا ليس بصحيح، لان اللَّه قد أعلمنا أنهم لا- يؤمنون بقوله «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ ..» آية (۱۱۱) فالمعنى و ما يدريكم ايمانهم إذا جاءت الآيات، فحذف المفعول، و تقديره و ما يدريكم ايمانهم إذا جاءت أى هم لا يؤمنون مع مجيء الآية. و من كسر الالف فلانه استئناف على القطع بأنهم لا يؤمنون، و لو فتحت ب «يشعركم» كان عدوا لهم، و يجوز فتحها على وجهين:

الاول قال الخليل: بمعنى لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، كما يقول القائل: ائت السوق انك تشترى لنا شيئا معناه لعلك، قال عدى بن زيد:

أعاذل ما يدريك ان منيتى الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد «۱»

و قال دريد بن الصمة:

---

(۱) جمهرة اشعار العرب ۱۰۳ و اللسان (أنن) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۴۱ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۵

ذرينى أطوف فى البلاد لاننى أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا «۲»

و قال آخر:

هل أنتم عائجون بنا لأنا نرى العرصات أو أثر الخيام «۳»

و قال الفراء: انهم يقولون: لعلك، و لعنك، و رعنك، و علك، و رأنك، و لأنك بمعنى واحد. و قال ابو النجم:

قلت لشيبان ادن من لقائه انا نغدى اليوم من شوائه «۴»

الثانى- قال الفراء (لا)- هاهنا- صلة كقوله «ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» «۵» و التقدير و ما يشعركم انها إذا جاءت يؤمنون، و المعنى على هذا لو جاءت لم يؤمنوا و مثل زيادة (لا) قول الشاعر:

أبا جوده لا النجل و استعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود فاعله

بنصب النجل و جره، فمن نصب جعلها زيادة، و تقديره أبا جوده النجل و من جره أضاف (لا) الى (النجل) و مثله قوله تعالى «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ» «۶» و هو يحتمل أمرين:

أحدهما- ان تكون (لا) زائدة و (ان) فى موضع رفع بأنه خبر المبتدإ الذى هو (حرام) و تقديره و حرام على قرية مهلكة رجوعهم، كما قال «فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» «۷».

و الثانى- أن تكون (لا) غير زائدة بل تكون متصلة بأهلكناها، و التقدير بأنهم لا يرجعون أى أهلكناهم بالاستئصال، لأنهم لا يرجعون الى أهليهم

---

(۲) تفسير الطبرى ۳/ ۷۸ و ۱۲/ ۴۲ و الشعر و الشعراء ۲۱۰، ۲۱۱ و مجاز القرآن ۶/ ۵۵ و اللسان (أنن)

(۳) قائله جرير، مجمع البيان (صيدا) ۲: ۳۴۸ و اللسان (أنن)

(۴) المعانى الكبير لابن قتيبة ۳۹۳ و خزانة الآداب ۳/ ۹۵۱ و الطبرى ۱۲/ ۴۳

(۵) سورة ۷ الاعراف آية ۱۱

(۶) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۹۵

(۷) سورة ۳۶ يس آية ۵۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۶

للاستئصال الواقع بهم. و خبر الابتداء محذوف و تقديره حرام على قرية أهلكناها بالاستئصال بقاؤهم أو حياتهم و نحو ذلك.

من قرأ (يؤمنون) بالياء فلان قوله «و أقسموا» انما يراد به قوم مخصوصون بدلالة «وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ ..» الآية (۱۱۱)، و ليس كل الناس بهذا الوصف، فالمعنى و ما يشعركم ايها المؤمنون لعلهم إذا جاءت الآيات التى اقترحوها لم يؤمنوا.

و من قرأ بالتاء فانه انصرف من الغيبة الى الخطاب، و يكون المراد بالمخاطبين فى «يؤمنون» هم القوم المقسمون الذين أخبر اللَّه عنهم أنهم لا يؤمنون، و مثله قوله «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثم قال «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» و نحو ذلك مما ينصرف فيه الى خطاب بعد الغيبة.

و قوله «جَهْدَ أَيْمانِهِمْ» أى اجتهدوا فى اليمين و بالغوا فيه. و الآية التى سألوا النبى (ص) إظهارها قيل فيها قولان:

أحدهما- انهم سألوا تحول الصفا ذهبا.

الثانى- ما ذكره فى موضع آخر من قوله «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً» الى قوله «كِتاباً نَقْرَؤُهُ» «۱» و المعنى ان هؤلاء الكفار أقسموا متحكمين على النبى (ص) و بالغوا فى أيمانهم أنهم إذا جاءتهم الآية التى اقترحوها ليؤمنن بها أى عندها، فأمر اللَّه نبيه (ص) ان يقول لهم: إنما الآيات عند اللَّه.

فان قيل: كيف قال «الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ» و ذلك معلوم؟! قيل: معناه من أجل أن الآيات عند اللَّه، ليس لكم أن تتحكموا فى طلبها، لأنه لا يجوز أن يتخلف عنكم و لا عن غيركم ما فيه المصلحة فى الدين لأنه تعالى لا يخل بذلك.

قوله «وَ ما يُشْعِرُكُمْ» فيه تنبيه على موضع الحجة عليهم من أنه ليس

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء آية ۹۰- ۹۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۷

لهم ان يدعوا ما لا سبيل لهم الى علمه. و قال مجاهد و ابن زيد: الخطاب متوجه الى المشركين و قال الفراء و غيره: هو متوجه الى المؤمنين، لأنهم قالوا ظنا منهم أنهم لو أجيبوا الى الآيات لآمنوا.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۰] ..... ص : ۲۳۷

وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (۱۱۰)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى أنه يقلب اللَّه أفئدة هؤلاء الكفار و أبصارهم عقوبة لهم و فى كيفية تقليبها قيل قولان:

قال ابو على الجبائى: انه يقلبها فى جهنم على لهب النار و حر الجمر، و جمع بين صفتهم فى الدنيا و صفتهم فى الآخرة، كما قال «هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً» «۱» لان قوله «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ» يعنى فى الآخرة، و «عامِلَةٌ ناصِبَةٌ» فى الدنيا.

الثانى- انه يقلبها بالحسرة التى تغم و تزعج النفس. و قوله «كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» قيل فيه قولان:

أحدهما- أول مرة أنزلت الآيات، فهم لا يؤمنون ثانى مرة بما طلبوا من الآيات كما لم يؤمنوا أول مرة بما أنزل من الآيات، و هو قول ابن عباس و ابن زيد و مجاهد.

الثاني- روى أيضا عن ابن عباس يعنى أول مرة فى الدنيا و كذلك لو أعيدوا ثانية، كما قال تعالى «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «۲» و الكاف فى قوله «كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» قيل فيه قولان:

أحدهما- انها دخلت على محذوف كأنه قيل: فلا يؤمنون به ثانى مرة كما لم يؤمنوا به أول مرة.

---

(۱) سورة ۸۸ الغاشية آية ۱- ۴

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۸

و الثاني- انها دخلت على معنى الجزاء كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «۳».

و الهاء فى قوله «به» يحتمل ان تكون عائدة على القرآن و ما أنزل من الآيات. و يحتمل أن تكون عائدة على النبى (ص). و قال بعضهم: انها عائدة على التقليب، لأنه الحائل بينهم و بين الايمان.

و هذا خطأ لأنه لو حيل بينهم و بين الايمان لما كانوا مأمورين به، و لان تقليب الأبصار لا يمنع من الايمان كما لا يمنع الأعمى عماه من الايمان.

و قوله «وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» لا يدل على أنه تركهم فيه ليطغوا لأنه انما أراد انه خلى بينهم و بين اختيارهم و ان لم يرد منهم الطغيان، كما ان الائمة و الصالحين إذا خلوا بين اليهود و النصارى فى دخولهم كنائسهم لا يدل على انهم خلوهم ليكفروا.

و قال الحسين بن على المغربى قوله «وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ» معناه إنا نحيط علما بذات الصدور، و خائنة الأعين- و هو حشو بين الجملتين- و هو ان يختبر قلوبهم فيجد باطنها بخلاف الظاهر.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۱] ..... ص : ۲۳۸

وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَ حَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (۱۱۱)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و نافع و ابو جعفر «قبلا» بكسر القاف و فتح الباء.

الباقون بضمها، قال أبو زيد: يقال لقيت فلانا قُبُلاـ و قبَلاـ و قَبْلا و قبيلا و مقابلة كله بمعنى المواجهة فعلى هذا المعنى واحد فى اختلاف القراءات.

---

(۳) سورة ۴۲ الشورى آية ۴۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۳۹

و قال أبو عبيدة «قِبَلا» أى معاينة، فعلى هذا من كسر القاف و فتح الباء أراد معناه عيانا، و من قرأ بالضم فيهما قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و قتادة و ابن زيد: معناه مقابلة.

الثاني- قال مجاهد و عبد اللَّه بن زيد: معناه قبيلا قبيلا أى جماعة جماعة فيكون جمع قبيل، و قبيل جمع قبيلة نحو سفين و سفينة و يجمع أيضا سفنا.

الثالث- قال الفراء انه جمع قبيل بمعنى كفيل نحو رغيف و رغف لقوله «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا» «۱» أى يضمنون ذلك.

قال أبو على الفارسى: و هذا الوجه ضعيف لأنهم إذا لم يؤمنوا مع انزال الملائكة عليهم و كلام الموتى لهم مع ظهوره و بهوره و مشاهدته و الضرورة اليه، فألا- يؤمنوا بالمقالة التى هى قول لا يبهر و لا يضطر أجدر، اللهم الا ان يقال موضع الاية الباهرة انه جمع القبيل الذى هو الكفيل هو حشر كل شيء، و فى الأشياء المحشورة ما ينطق و ما لا ينطق، فإذا نطق بالكفالة من لا ينطق كان ذلك موضع بهر الاية و كان ذلك قويا. فأما إذا حملت قوله «قبلا» على جمع القبيل الذى هو الصنف، فان موضع الآيات هو حشر جميع الأشياء جنسا جنسا، و ليس فى العادة ان يحشر جميع الأشياء الى موضع واحد، فإذا اجتمعت كذلك كان ذلك باهراً و إذا حملت «قبلا» بمعنى مواجهة فانه يكون حالا من المفعول به، و المعنى حشرناه معاينة و مواجهة، فيكون فى معنى قراءة نافع «قِبَلا» أى معاينة.

فأما قوله «الْعَذابُ قُبُلًا» فمعناه مواجهة أو جمع قبيل. و المعنى يأتيهم العذاب صنفا صنفا. و قيل فيمن نزلت هذه الاية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: نزلت فى الكفار أهل الشقاء الذين علم اللَّه انهم لا يؤمنون على حال.

الثانى- قال ابن جريج: نزلت فى المستهزئين الذين سألوا الآيات.

---

(۱) سورة ۱۷ الإسراء ۹۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۴۰

أخبر اللَّه تعالى بهذه الآية عن هؤلاء الكفار الذين سألوا الآيات و علم من حالهم أنهم لا يؤمنون و لو فعل بهم ما فعل حتى لو أنزل عليهم الملائكة و كلمهم الموتى بأن يحييهم اللَّه حتى يكلموهم، و حشر عليهم كل شيء قبلا، على المعنى الذى فسرناه من ظهور خرق العادة فيه و المعجزة الباهرة فيه لم يؤمنوا لشدة عنادهم و عتوهم فى كفرهم. ثم قال «إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» و معناه احد أمرين:

أحدهما- قال الحسن: إلا أن يشاء اللَّه أن يجبرهم على الايمان بأن يمنعهم من أضداد الايمان كلها فيقع منهم الايمان.

الثانى- قال أبو على الجبائى: الا ان يشاء اللَّه ان يلجئهم بأن يخلق فيهم العلم الضرورى بأنهم ان راموا خلافه منعوا منه كما ان الإنسان ملجأ الى ترك قتل بعض الملوك بمثل هذا العلم. و انما قلنا: ذلك، لان اللَّه تعالى قد شاء منهم الايمان على وجه الاختيار، لأنه أمرهم به و كلفهم إياه، و ذلك لا- يتم إلا- بأن يشاء منهم الايمان، و لو أراد اللَّه من الكفار الكفر للزم أن يكونوا مطيعين إذا كفروا، لان الطاعة هى فعل ما أريد من المكلف. و للزم أيضا أن يصح أن يأمرهم به. و لجاز ان يأمرنا بأن نريد منهم الكفر كما أراد هو تعالى و فى الآية دلالة على ان ارادة اللَّه محدثة، لان الاستثناء يدل على ذلك لأنها لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء، كما لا يجوز ان يقول القائل:

لا يدخل زيد الدار الا أن يقدر اللَّه أو الا ان يعلم اللَّه لحصول هذه الصفات فيما لم يزل.

و قوله «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ» انما وصف أكثرهم بالجهل مع أن الجهل يعمهم لان المعنى يجهلون انه لو أوتوا بكل آية ما آمنوا طوعا. و فى الآية دلالة على انه لو علم اللَّه انه لو فعل بهم من الآيات ما اقترحوها لآمنوا أنه كان يفعل ذلك بهم و أنه يجب فى حكمته ذلك، لأنه لو لم يجب ذلك لما كان لهذا الاحتجاج معنى. و تعليله بأنه انما لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۴۱

فعلها لم يؤمنوا، و ذلك يبين ايضا فساد قول من يقول: يجوز ان يكون فى معلوم اللَّه ما إذا فعله بالكافر آمن، لأنه لو كان ذلك معلوما لفعله و لآمنوا و الامر بخلافه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۲] ..... ص : ۲۴۱

وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ (۱۱۲)

آية.

التشبيه في قوله «و كذلك» يحتمل أن يرجع الى أحد أمرين:

أحدهما- أن يكون تقديره جعلنا لك عدوا كما جعلنا لمن قبلك من الأنبياء.

الثاني- جعلنا تمكين من يعادى الأنبياء و تخليتنا بينهم و بين اختيارهم كتمكين غيرهم من السفهاء. و انما جعلهم اعداء على أحد معنيين:

أحدهما- بأن حكم بأنهم أعداء، و هو قول أبي علي.

الثاني- بأن خلى بينهم و بين اختيارهم و لم يمنعهم من العداوة.

و يجوز ان يكون المراد بذلك أن اللَّه تعالى لما أنعم على أنبيائه بضروب النعم و بعثهم الى خلقه و شرفهم بذلك، حسدهم على ذلك خلق، و عادوهم عليه، فجاز أن يقال على مجاز القول بأن اللَّه جعل لهم اعداء كما يقول القائل إذا أنعم على غيره بنعم جزيلة فحسده عليها قوم و عادوه لأجلها: جعلت لك أعداء. و قيل المعنى أمرنا الأنبياء بمعاداتهم فكأنما جعلناهم أعداء الأنبياء.

و هذا القول من اللَّه تعالى تسلية للنبي (ص) في أنه أجراه مجرى غيره من الأنبياء، و لا يجوز على قياس ذلك أن يقول: جعلنا للكافر كفرا، لان فيه إيهاما.

و قوله «شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» قيل في معناه قولان: التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۴۲

أحدهما- انه أراد مردة الكفار من الفريقين الانس و الجن، و هو قول الحسن و قتادة و مجاهد.

الثاني- قال السدي و عكرمة: شياطين الانس الذين يغوونهم، و شياطين الجن الذين هم من ولد إبليس. و يحتمل نصب (عدوا) وجهين:

أحدهما- على انه مفعول (جعلنا) و شياطين الانس بدل منه.

الثاني- على أنه خبر (جعلنا) في الأصل و يكون هنا مفعول (جعلنا) كأنه قال جعلنا شياطين الانس و الجن عدوا.

و قوله «يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ» معناه يلقى اليه بكلام خفي، و هو الدعاء و الوسوسة. و قوله «زُخْرُفَ الْقَوْلِ» معناه هو المزين يقال زخرفه زخرفة إذا زينه و «غرورا» نصب على المصدر.

ثم أخبر اللَّه تعالى أنه لو شاء ربك أن يمنعهم من ذلك و يحول بينهم و بينه لقدر على ذلك، لكن ذلك ينافي التكليف، و لو حال بينهم و بينه لما فعلوه.

ثم أمر نبيه (ص) أن يتركهم و ما يفترون أي و ما يكذبون بأن يخلي بينهم و بين ما يختارونه و لا يمنعهم منه بالقهر، فان اللَّه تعالى سيجازيهم على ذلك.

و هو تهديد لهم كقوله «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «۱» دون أن يكون ذلك أمرا واجبا أو ندبا أو اباحة كما يقول القائل لصاحبه: دعني و إياه، و يريد بذلك التهديد لا غير.

و

روي عن أبي جعفر عليه السلام في معنى قوله «يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ» ان الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيُلقى اليه ما يغوى به الخلق، حتى يتعلم بعضهم من بعض.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۳] ..... ص : ۲۴۲

وَ لِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ (۱۱۳)

آية بلا خلاف.

(۱) سورة ۴۱ حم السجد (فصلت) آیة ۴۰

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۴۳

العامل فی قوله «و لتصغی» قوله «یوحی» و هی لام الغرض و تقدیره یوحی بعضهم الی بعض زخرف القول لیغرونهم و لتصغی الیه أفئدة الذین لا یؤمنون بالآخرة، و تکون الهاء فی قوله «الیه» عائدة الی القول المزخرف، و لا یجوز أن یکون العامل فیها جعلنا، لان اللَّه تعالی لا یجوز أن یرید منهم أن تصغی قلوبهم الی الکفر و وحی الشیاطین، اللهم الا ان یجعلها لام العاقبة کما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۲» غیر ان هذا غیر معلوم أن کل من أرادوا منه الصغو صغی، و لم یصح ذلک أیضا فی قوله «وَ لِیَرْضَوْهُ وَ لِیَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ» لأنه غیر معلوم حصول جمیع ذلک.

و علی ما قلناه یکون جمیع ذلک معطوفا بعضه علی بعض و یکون مرادا کله للشیاطین. و قال الجبائی: ان هذه لام الامر، و المراد بها التهدید، کما قال «وَ اسْتَفْزِزْ» «۳» و قال «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ» «۴» قال لان علامة النصب و الجزم تتفق فی سقوط النون فی قوله «وَ لِیَرْضَوْهُ وَ لِیَقْتَرِفُوا» و هذا غیر صحیح، لأنها لو کانت لام الامر لقال «و لتصغ» بحذف الالف و ما قاله انما یمکن ان یقال فی قوله «وَ لِیَرْضَوْهُ وَ لِیَقْتَرِفُوا» فأما فی قوله «و لتصغی» فلا یمکن، فبان بذلک أنها لام کی. و قال الزجاج و البلخی: اللام فی «و لتصغی» لام العاقبة و ما بعده لام الامر الذی یراد به التهدید، و هذا جائز غیر أن فیه تعسفا. و معنی (صغا) مال و «لِتَصْغی أی لتمیل، و هو قول ابن عباس و ابن زید، تقول: صغوت الیه أصغی صغوا و صغوا و صغیت أصغی بالیاء أیضا و أصغیت الیه إصغاء بمعنی قول الشاعر:

تری السفیه به عن کل محکمة زیغ و فیه الی التشبیه إصغاء «۵»

و یقال أصغیت الإناء إذا أملته لتجمع ما فیه فاصله المیل لغرض من الاغراض.

(۲) سورة ۲۸ القصص آیة ۸

(۳) سورة ۱۷ الإسراء آیة ۶۴ [.....]

(۴) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آیة ۴۰

(۵) اللسان (صغا) و تفسیر القرطبی ۷/ ۶۹ و تفسیر الطبری ۱۲/ ۵۸

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۴۴

و قوله «وَ لِیَقْتَرِفُوا» عطف علی «وَ لِتَصْغی و الاقتراف اکتساب الإثم، و معناه و لیکتسبوا الإثم- فی قول ابن عباس و ابن زید و السدی- و یقال: خرج یقترف لأهله أی یکتسب لهم. و قارف فلان هذا الامر إذا واقعه و عمله و قرفتنی بما ادعیت علیَّ أی رمیتنی بالریبة، و قرف القرحة أی أقشر منها، و اقترف کذبا قال رؤبة:

أعیا اقتراف الکذب المقروف یقوی البغی و عفة العفیف «۶»

و أصله اقتطاع قطعة من الشیء و لام کی تنصب بإضمار (أن) مثل (حتی) غیر أنها قد تظهر مع اللام، و لا تظهر مع (حتی) لان (حتی) محمولة علی التأویل، و معناها (الی أن) لما فی (حتی) من الاشتراک. و لیس فی اللام حمل علی تأویل حرف آخر. و قال البلخی: الاقتراف الادعاء و التهمة، یقول الرجل لغیره: أنت قرفتنی أی نسبتنی الی التهم.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۱۴] ..... ص : ۲۴۴

أَ فَغَیْرَ اللَّهِ أَبْتَغِی حَکَماً وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ إِلَیْکُمُ الْکِتابَ مُفَصَّلاً وَ الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ (۱۱۴)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عـامر و حفص «منزل» بتشديـد الزاى. البـاقون بالتخفيف من شـدد حمله على التكرير بدلالـة قوله «تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» «۷».

و من خفف فلقوله «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۸» و ما أشبهها.

امر اللَّه تعالى نبيه أن يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم

---

(۶) مجاز القرآن ۱/ ۲۰۵ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۵۹.

(۷) سورة ۳۹ الزمر آية ۱، و سورة ۴۵ الجاثية آية ۱ و سورة ۴۶ الأحقاف آية ۲

(۸) سورة ۴۴ الدخان آية ۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۲۴۵

«أَ فَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً» أى أطلب سوى اللَّه حاكما، و نصب أ فغير اللَّه بفعل مقدر يفسره (أبتغى) تقديره أ أبتغى غير اللَّه أبتغى حكما، و الحكم و الحاكم بمعنى واحد، الا ان الحكم هو من كان أهلا أن يتحاكم اليه فهو أمدح من الحاكم، و الحاكم جار على الفعل، و قد يحكم الحاكم بغير الحق، و الحَكم لا يقضى الا بالحق لأنها صفة مدح و تعظيم.

و المعنى هل يجوز لاحد ان يعدل عن حكم اللَّه رغبة عنه، لأنه لا يرضى به؟! أو هل يجوز مع حكم اللَّه حكم يساويه فى حكمه؟! و قوله «وَ هُوَ الَّذِي» يعنى اللَّه الذى «أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلًا» و انما مدح الكتاب بأنه مفصل، لان التفصيل تبيين المعانى بما ينفى التخليط المعمى للمعنى، و ينفى ايضا التداخل الذى يوجب نقصان البيان عن المراد.

و انما فصل القرآن بالآيات التى تفصل المعانى بعضها من بعض و تخليص الدلائل فى كل فن.

و قيل: معنى (مفصلا) أى بما يفصل بين الصادق و الكاذب من أمور الدين. و قيل: فصل فيه الحرام من الحلال، و الكفر من الايمان، و الهدى من الضلال- فى قول الحسن-.

و قوله «وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» لا يجوز ان يكون على عمومه، لان كثيرا من أهل الكتاب، بل أكثرهم جهال لا يعرفون. و قوله: أهل الكتاب، قد يستعمل تارة بمعنى العلم، و بمعنى الإقرار أخرى، كما يقال للعلماء بالقرآن: أهل القرآن. و يقال لجميع المسلمين أهل القرآن بمعنى أنهم مقرون به. و قوله «يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به، فترغيبه، و ترهيبه، و وعده، و وعيده، و قصصه، و أمثاله، و غير ذلك مما فيه كله بهذه الصفة و الثانى- أن معنى «بالحق» البرهان الذى تقدم لهم حتى علموه به. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۲۴۶

فان قيل كيف يصح على أصلكم فى الموافاة و نفى الإحباط و صف الكفار بأنهم يعلمون الحق و ذلك مما يستحق به الثواب و لا خلاف أن الكافر لا ثواب معه؟!.

قلنا عنه جوابان: أحدهما- أن تكون الآية مخصوصة بمن آمن منهم فى المستقبل، فانا نجوز أن يكونوا فى الحال عالمين باللَّه و بأن القرآن حق ثم يظهرون الإسلام فيما بعد فيتكامل الايمان، لان الايمان لا يحصل دفعة واحدة بل يحصل جزءا فجزءا، لان أوله العلم بحدوث الأجسام، ثم ان لها محدثا، ثم العلم بصفاته، و ما يجوز عليه و ما لا يجوز، ثم العلم بالثواب و العقاب و ما يتبعهما، و ذلك يحصل فى أوقات كثيرة و الثانى- أن يكونوا علموه على وجه لا يستحقون به الثواب لأنهم يكونون نظروا فى الادلة لا لوجه وجوب ذلك عليهم، بل لغير ذلك فحصل لهم العلم و ان لم يستحقوا به ثوابا.

و يحتمل أن يكون المراد بذلك أنهم يعلمون عند أنفسهم، لأنهم إذا كانوا معتقدين بصحة التوراة و أنها من عند اللَّه، و فيها دلالة على صحة نبوة النبى (ص) و هم يدعون أن اعتقادهم علم، فهم اذاً على قولهم عالمون بأن القرآن منزل من ربك بالحق.

و يحتمل أن يكون المراد بقوله «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» المؤمنين المسلمين دون أهل الكتاب، و يكون المراد بالكتاب القرآن لأنا قد بينا أن اللَّه سماه كتابا بقوله «الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ» «۱» و بقوله «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ» «۲» فعلى هذا سقط السؤال، لان هذه صفة المؤمنين المستحقين للثواب و قوله «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» معناه لا تكونن من الشاكين.

و الامتراء الشك و كذلك المرية و يكون الخطاب للنبى (ص) و المراد به الامة.

و قيل المراد بذلك «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» يا محمد فى أنهم يعلمون أن ذلك من ربك بالحق.

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۱

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۴۷

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۵] ..... ص : ۲۴۷

وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۱۱۵)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة و يعقوب «كلمة» على التوحيد. الباقون «كلمات» جمع كلمة، و الكلمة و الكلمات ما ذكره اللَّه من وعده و وعيده و ثوابه و عقابه، فلا تبديل فيه، و لا تغيير له كما قال «ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ»»

، و قال تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ»

«۴» و كان التقدير، و تمت ذوات الكلمات، و لا يجوز أن يعنى بالكلمات الشرائع هاهنا كما عنى بقوله «وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» «۵» و قوله «وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها» «۶» لأنه قال لا مبدل لكلماته.

و الشرائع يدخلها النسخ. و قوله «صدقا و عدلا» مصدران ينتصبان فى موضع الحال من الكلمة و تقديره صادقة عادلة، و قال قوم: هما نصبا على التمييز. فمن قرأ (كلمات) فلانه لما كان جمعا فى المعنى جمعه. و من أفرد فلأن الكلمة قد يعنى بها الكثرة، كما قالوا: قال زهير فى كلمته، يعنى فى قصيدته و قال قس فى كلمته، يعنى خطبته، فالمفرد يفع على الكثرة فأغنى عن الجمع و مثله «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ» «۷». و قيل انه أراد به بقوله «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا» «۸» الى آخر الآية فسمى هذا القصص كلمة.

و قال مجاهد فى قوله «كَلِمَةَ التَّقْوى «۹» قول لا إله الا اللَّه. و معنى

---

(۳) سورة ۵۰ ق آية ۲۹

(۴) سورة ۱۰ يونس آية ۶۴

(۵) سورة ۲ البقرة آية ۱۲۴

(۶) سورة ۶۶ التحريم آية ۱۲

(۷) سورة ۷ الاعراف آية ۱۳۶

(۸) سورة ۲۸ القصص آية ۵

(۹) سورة ۴۸ الفتح آية ۲۶ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۴۸

«وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ» انها بتمامها موافقة لما توجبه المصلحة من غير زيادة و لا نقصان. و التمام و الكمال و الاستيفاء نظائر. و ان جميعه صدق و لا كذب فيه كما يقال: كمل فلان إذا تمت محاسنه.

و فى الآية دلالة على ان كلام اللَّه محدث، لأنه وصفه بالتمام و العدل و ذلك لا يكون الا حادثا. و التبديل وضع شىء مكان شىء، فلا أحد يقدر ان يضع مكان كلمة اللَّه يناقضها به. و قال قتادة: لا مبدل لها فيما حكم به لأنه و ان أمكن التغيير و التبديل فى اللفظ كما بدل أهل الكتاب التوراة و الإنجيل، فانه لا يعتد بذلك، لأنه لا يقلبه بحق ينقضه. و يجوز أن يكون المراد بقوله «وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» أنها أتتك شيئا بعد شىء حتى كملت.

و قوله «وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه أنه على صفة يجب ان يسمع المسموعات إذا وجدت عالم بما يكون ظاهرا و باطنا، فلا يظن ظان أن شيئا من ذلك يخفى عليه تعالى.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۶] ..... ص : ۲۴۸

وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (۱۱۶)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه لنبيه و لجميع المؤمنين انه من يطع أكثر من فى الأرض من الكفار و يتبع ما يريدونه يضلوه عن سبيل اللَّه، لأنه كان فى ذلك الوقت اكثر أهل الأرض كفارا. و الطاعة هى امتثال الامر و اجابة ما أريد منه إذا كان المريد فوقه، و الفرق بينه و بين الاجابة أن الاجابة عامة فى موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة، و لا تكون اجابة الا بأن يفعل لموافقة الدعاء بالأمر، و من أجله لا يراعى فيها الرتبة. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۴۹

و الفرق بين الأكثر و الأعظم أن الأعظم قد يوصف به واحد، و لا يوصف بالأكثر واحد بحال، و لهذا يقال فى اللَّه تعالى انه عظيم و أعظم من كل شىء، و لا يقال أكثر و انما يقال أكبر بمعنى أعظم.

و انما قال: ان تطعهم يضلوك، و ان كانت البدأة بالإغواء منهم لامرين:

أحدهما- ان المطيع يبتدأ باستشعار الطاعة، فإذا كان من الداعى أمر بشىء من الأشياء كان اطاعة و صدق بأنه مطيع.

و الثاني- ان دعاءهم لا يوصف بأنه إضلال لمن دعوه الا بعد الاجابة فكأنه قال: ان تجبهم تستحق الصفة بأنهم قد أضلوك، ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الكفار انهم لا يتبعون الا الظن الذى يخطئ و يصيب «وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» و معناه و ما هم الا كاذبين. و الخرص الكذب يقال: خرص يخرص خرصا و خروصا، و تخرص تخرصا و اخترص اختراصا و أصله القطع قال الشاعر:

ترى قصد المران تلقى كأنها تذرع خرصان بأيدى الشواطب «۱»

يعنى جريدا يقطع طويلا- و يتخذ منه الحصر، و هو جمع الخرص. و منه خرص النخل يخرصه خرصا إذا جزره، و الخريص الخليج ينقطع اليه الماء، و الخريص حبة القرط إذا كانت منفردة، و الخرص العود، لانقطاعه عن نظائره بطيب ريحه.

و قيل معنى «وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى فى أكل الميتة، لأنهم قالوا للمسلمين: أ تاكلون ما قتلتم و لا تأكلون ما قتل ربكم؟! فهذا إضلالهم. و قال بعضهم قوله «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» مثل قوله «يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً» «۲» يعنى المتعمدين المتردين.

و فى الآية دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف، و بطلان قولهم ان اللَّه تعالى لا يتوعد من لا يعلم الحق، لان اللَّه بين فى هذه الآية أنهم يتبعون الظن و لا يعرفونه، و توعدهم على ذلك. و ذلك بخلاف مذهبهم.

---

(۱) قائله قيس بن الخطيم اللسان (شطب)

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۱۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۰

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۷] ..... ص : ۲۵۰

إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ یَضِلُّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ (۱۱۷)

آية بلا خلاف.

خاطب اللَّه تعالى بهذه الآية نبيه (ص) و ان عنى به جميع الامة انه تعالى «أَعْلَمُ مَنْ یَضِلُّ عَنْ سَبِیلِهِ» بمعنى أعرف، و المعنى انه أعلم به ممن يعلمه، لأنه يعلمه من وجوه تخفى على غيره، لأنه تعالى يعلم ما كان و ما يكون، و ما هو كائن الى يوم القيامة، و على جميع الوجوه التى يصح ان تعلم الأشياء عليها و ليس كذلك غيره، لان غيره لا يعلم جميع الأشياء، و ما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهه. و أما من هو غير عالم أصلا، فلا يقال اللَّه أعلم منه، لان لفظة أعلم تقتضى الاشتراك فى العلم و زيادة لمن وصف بأنه أعلم، و هذا لا يصلح فى من ليس بعالم أصلا الا مجازا، و لا يصح أن يقال: هو تعالى أعلم بأن الجسم حادث من كل من يعلم كونه حادثا، لان هذا قد ذكر الوجه الذى يعلم منه و هو انه حادث، فان أريد بذلك المبالغة فى الصفة، و أن هذه الصفة فيه أثبت من غيره فجاز أن يقال ذلک.

و ذكروا فى موضع (من) وجهين من الاعراب:

قال بعضهم: موضعه نصب على حذف الباء و تقديره أعلم بمن يضل ليكون مقابلا لقوله «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ».

و قال الفراء و الزجاج: موضعها الرفع لأنها بمعنى (أى) كقوله «لِنَعْلَمَ أَیُّ الْحِزْبَیْنِ» «۱» و صفة (أفعل) من كذا لا تتعدى لأنها غير جارية على الفعل، و لا معدولة عن الجارية كعدل ضروب عن ضارب و منحار عن ناحر. و قال قوم:

ان (اعلم) هاهنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائى:

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۱۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۱

فخالفت طى من دوننا خلفا و اللَّه أعلم ما كنا لهم خولا «۲»

و قالت الخنساء:

القوم أعلم ان جفنته تغدو غداة الريح أو تسرى «۳»

قال الرمانى: هذا لا يجوز لأنه لا يطابق قوله «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ» فمعنى الآية ان اللَّه تعالى أعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدى الى الهلاك بالعقاب، و من سلك سبيل الهدى المفضى به الى النجاة و الثواب.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۸] ..... ص : ۲۵۱

فَکُلُوا مِمَّا ذُکِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَیْهِ إِنْ کُنْتُمْ بِآیاتِهِ مُؤْمِنِینَ (۱۱۸)

آية بلا خلاف.

قيل فى دخول الفاء فى قوله «فكلوا» قولان:

أحدهما- انه جواب لقول المشركين لما قالوا للمسلمين: أ تأكلون ما قتلتم و لا تأكلون ما قتل ربكم؟ فكأنه قيل: اعرضوا عن جهلكم فكلوا.

و الثاني- ان يكون عطفا على ما دل عليه أول الكلام، كأنه قال: كونوا على الهدى فكلوا مما ذكر اسم اللَّه عليه.

و قوله «فكلوا»، و ان كـان لفظه لفـظ الامـر، فـالمراد به الاباحـة، لان الاكـل ليس بواجب و لا مندوب، اللهم الا ان يكون فى الاكل استعانة على طاعة اللَّه، فـانه يكون الاكل مرغبا فيه، و ربما كان واجبا، فأما ما يمسك الرمق فخارج عن ذلك، لأنه عنـد ذلك يكون الإنسان ملجأ الى تناوله. و مثل هذه الآية فى لفظ الامر و المراد به الاباحة قوله «وَ إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «۴» و قوله «فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ» «۵» و الاصطياد و الانتشار

---

(۲) تفسير القرطبى ۷/ ۷۲ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۶۶

(۳) ديوانها: ۱۰۴ و تفسير الطبرى ۲/ ۶۶

(۴) سورة ۵ المائدة آية ۳

(۵) سورة ۶۳ الجمعة آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۲

مباحان بلا خلاف.

و قوله «مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» فالذكر المسنون هو قول بسم اللَّه.

و قيـل كـل اسم يختص اللَّه تعـالى به أو صـفة مختصـة كقـوله بسم اللَّه الرحمن الرحيم أو بسم القـدير أو بسم القـادر لنفسه أو العـالم لنفسه، و ما يجرى مجرى ذلك. و الاول مجمع على جوازه و الظاهر يقتضـى جواز غيره، و لقوله «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى . «۶»

و قوله «فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» خطاب للمؤمنين و فيه دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة، لان الظاهر يقتضى أن ما لا يسمى عليه لا يجوز أكله بدلالة قوله «إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ» لان هذا يقتضـى مخالفة المشـركين فى أكلهم ما لم يذكر اسم اللَّه عليه، فأما ما لم يذكر اسم اللَّه عليه سهوا أو نسيانا فانه يجوز أكله على كل حال. و الآية تدل على أن ذبائح الكفار لا يجوز أكلها، لأنهم لا يسمون اللَّه عليها. و من سـمى منهم لأنه لا يعتقد وجوب ذلك بل يعتقد ان الذى يسـميه هو الذى أبدى شرع موسى أو عيسى و كذب محمد بن عبـد اللَّه، و ذلـك لا يكون اللَّه، فإذا هم ذاكرون اسم شـيطان و الاسم انما يكون المسـمى مخصوص بالقصـد. و ذلك مفتقر الى معرفته و اعتقاده، و الكفار على مذهبنا لا يعرفون اللَّه تعالى، فكيف يصح منهم تسميته تعالى؟! و فى ذلك دلالة واضحة على ما قلناه.

و معنى قوله «إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ» ان كنتم عرفتم اللَّه و عرفتم رسوله و صـحة مـا أتاكم به من عنـد اللَّه، و هـذا التحليل عام لجميع الخلق و ان خص به المؤمنين بقوله «إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ» لان مـا حلـل اللَّه للمؤمنين، فهو حلال لجميع المكلفين و مـا حرم عليهم حرام على الجميع.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۹] ..... ص : ۲۵۲

وَ ما لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَ إِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (۱۱۹)

---

(۶) سورة ۱۷ الإسراء آية ۱۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۳

آية بلا خلاف.

قرأ نافع و حفص عن عاصم «و قد فصل لكم ما حرم» بفتح الفاء و الصاد و الحاء و الراء. و قرأ ابن كثير، و ابو عمرو، و ابن عامر (فصل) و (حرم) بضم الفاء و الحاء. و قرأ حمزة و الكسائى و ابو بكر (فصل) بفتح الفاء و (حرم) بضم الحاء. و قرأ أهل الكوفة (ليضلون) بضم الياء و كسر الضاد.

الباقون بفتح الياء.

من ضم الفاء و الحاء، فلقوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ ..» الآية «۱» فهنا تفصيل هذا العام بقوله (حرم) و كذلك (فصل) لان هذا المفصل هو ذلك المحرم الذى حل فى هذه الآية.

و من فتحهما فلقوله «أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ» «۲» و قوله «فَصَّلْنَا الْآياتِ» «۳» و كذلك قوله «الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هذا» «۴» و لأنه قال «وَ ما لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ» فينبغى أن يكون الفعل مبنيا للفاعل لتقدم ذكر اسم اللَّه.

و من فتح الفاء و ضم الحاء، فلقوله «فَصَّلْنَا الْآياتِ» و قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ» و قوله «و ما لكم» خطاب للمؤمنين الذين ذكرهم فى الآية الاولى و معناه لم لا تأكلوا، و قيل بينهما فرق، لان (لم لا تفعل) أعم من حيث انه قد يكون لحال يرجع اليه و قد يكون لحال يرجع الى غيره، فأما (مالك أن لا تفعل)

---

(۱) سورة ۵ المائدة آية ۴

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۱۵۳

(۳) سورة ۶ الانعام آية ۹۷، ۹۸، ۱۲۶

(۴) سورة ۶ الانعام آية ۱۵۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۴

فلحال يرجع اليه. و قيل فى معنى (لا) فى قوله (أَلَّا تَأْكُلُوا) قولان:

أحدهما- انها للجحد، و تقديره أى شيء لكم فى أن لا تأكلوا، اختاره الزجاج و غيره من البصريين.

و الثانى- أن يكون صلة، و المعنى ما منعكم ان تأكلوا، لان (مالك ان لا تفعل) (و مالك لا تفعل) بمعنى واحد. و قال قوم: معناه ليس لكم ان لا تأكلوا مما أمرناكم بأكله على الوصف الذى أمرناكم بفعله، و يجوز حذف (فى) من «ما لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا» و لا يجوز حذفها من مالكم فى ترك الاكل لان (ان) تلزمها الصلة فهى أحق بالاستحقاق من المصدر، لان المصدر لا تلزمه الصلة، كما حسن حذف الهاء من صلة (الذى) و لم يحسن من الصفة.

و قوله «وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ» يعنى ما ذكره فى مواضع من قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» «۱» الآية و غيرها.

و قوله «إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ» معناه الا إذا خفتم على أنفسكم الهلاك من الجوع و ترك التناول، فحينئذ يجوز لكم تناول ما حرمه اللَّه فى قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ» «۲» و ما حرمه فى هذه الآية.

و اختلفوا فى مقدار ما يسوغ له حينئذ تناوله، فعندنا لا يجوز له ان يتناول الا ما يمسك الرمق. و فى الناس من قال: يجوز له أن يشبع منه إذا اضطر اليه و ان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكله. و قال الجبائى: فى الآية دلالة على أن ما يكره عليه من أكل هذه الأجناس أنه يجوز له أكله، لان المكره يخاف على نفسه مثل المضطر.

و من قرأ «ليضلون» بفتح الياء ذهب الى ان المعنى ليضلون بأهوائهم أى يضلون باتباع أهوائهم، كما قال «وَ اتَّبَعَ هَواهُ» «۳» أى يضلون فى أنفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من أتباعهم بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم اللَّه

(۱، ۲) سورة ۵ المائدة آية ۴

(۳) سورة ۷ الاعراف آية ۱۷۵، و سورة ۱۸ الكهف آية ۲۸ و سورة ۲۰ طه آية ۱۶ و سورة ۲۸ القصص آية ۵۰ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۵

عليه و غير ذلك.

و من قرأ بضم الياء أراد انهم يضلون أشياعهم، فحذف المفعول به، و حذف المفعول كثير، و يقوى ذلك قوله «وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ» «۴» و قوله «رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا» «۵».

و قوله «وَ إِنَّ كَثِيراً» أوقع (ان) على النكرة، لان الكلام إذا طال احتمل و دل بعضه على بعض.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۰] ..... ص : ۲۵۵

وَ ذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَ باطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِما كانُوا يَقْتَرِفُونَ (۱۲۰)

آية بلا خلاف.

الواو فى قوله «و ذروا»، واو العطف و لا يستعمل «و ذر» لما مضى و لا «واذر» لاسم الفاعل و استغنى عنه ب (ترك) و انما يستعمل منه يذر و (ذر) و أمثاله و مثله (يدع) لم يستعمل منه (فَعَل) و لا (فاعل) استغنوا أيضا ب (ترك) و (تارك) و أشعروا بذلك كراهية الواو فى الابتداء حتى لم يزيدوها هناك أصلا مع زيادتهم أخواتها. و الظاهر هو الكائن على وجه يمكن إدراكه، و الباطن هو الكائن على وجه يتعذر إدراكه.

أمر اللّه تعالى فى هذه الآية بترك الإثم مع قيام الدلالة على كونه اثما، و نهى عن ارتكابه سرا و علانية، و هو قول قتادة و الربيع بن أنس و مجاهد، لان الجاهلية كانت ترى ان الزنا إذا أظهر و أعلن كان فيه اثم، فإذا اسْتَسَرَّ به صاحبه لم يكن اثما- ذكره الضحاك- و قال الجبائى الظاهر أفعال الجوارح، و الباطن أفعال القلوب. و قال غيره: الظاهر الطواف بالبيت عريانا و الباطن الزنا. و الاول أعم على ما قلناه- ذكره ابن زيد- و قال قوم: ظاهر الإثم الزنا، و باطنه اتخاذ الأخدان- ذكره السدى و الضحاك- و قال سعيد

---

(۴) سورة ۲۶ الشعراء آية ۹۹

(۵) سورة الاعراف آية ۳۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۶

بن جبير ظاهر الإثم امرأة الأب و باطنه الزنا.

أمر اللّه تعالى باجتناب الإثم على كل حال، ثم أخبر أن الذين يكسبون الإثم يعنى المعاصى و القبائح سيجازيهم اللّه يوم القيامة بما كانوا يرتكبونه.

و قد بينا أن معنى الاقتراف هو معنى الاكتساب. و الكسب هو فعل ما يجتلب به نفع الى نفسه أو يدفع به ضرر، و لذلك يوصف الواحد منا بأنه مكتسب و لا يوصف اللّه تعالى به، و الكواسب الجوارح من الطير، لأنها تكسب ما ينتفع به.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۱] ..... ص : ۲۵۶

وَ لا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (۱۲۱)

آية بلا خلاف.

نهى اللّه تعالى فى هذه الآية عن أكل ما لم يذكر اسم اللّه عليه، و ذلك صريح فى وجوب التسمية على الذبيحة، لأنها لو لم تكن

واجبة، لكان ترك التسمية غير محرم لها. فأما من ترك التسمية ناسيا، فمذهبنا أنه يجوز أن تؤكل ذبيحته بعد أن يكون معتقدا لوجوبها.

و كان الحسن يقول: يجوز له أن يأكل منها. و قال ابن سيرين: لا يجوز أن يأكل منها. و به قال الجبائی.

فأما إذا تركها متعمدا فعندنا لا يجوز اكله بحال. و فيه خلاف بين الفقهاء فقال قوم: إذا كان تارك التسمية متعمدا من المسلمين جاز أكل ذبيحته. و قال آخرون لا يجوز أكلها كما قلنا.

و ذلك يدل على ان ما يذبحه أهل الكتاب لا يجوز أكله، لأنهم لا يعتقدون وجوب التسمية و لا يذكرونها، و من ذكر اسم اللَّه منهم فإنما يقصد التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۷

به اسم من أبدى شرعهم، و لم يبعث محمدا صلى اللَّه عليه و آله، بل كذبه، و ذلك ليس هو اللَّه، فلا يجوز أكل ذبيحتهم. و لأنهم لا يعرفون اللَّه، فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه.

فأما من عدا أهل الكتابين فلا خلاف فی تحريم ما يذبحونه.

و ليست الآية منسوخة و لا شیء منها، و من ادعى نسخ شیء منها فعليه الدلالة.

و قال الحسن و عكرمة: نسخ منها ذبائح الذين أوتوا الكتاب بقوله «وَ طَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ» «۱» و عندنا ان ذلك مخصوص بالحبوب دون الذبائح.

و قال قوم: ليس أهل الكتاب داخلين فی جملة من يذكر اسم اللَّه على ذبيحته، و ليس واحد من هؤلاء معنيا بالآية، فلا يحتاج الى النسخ.

و قوله «وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ» يعنی ما لم يذكر اسم اللَّه عليه أی أكله فسق.

و حذف لدلالة الكلام عليه.

و قوله «وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ» يعنی بالشياطين علماءهم و رؤساءهم المتمردين فی كفرهم يوحون و يشيرون الى أوليائهم الذين اتبعوهم من الكفار بأن يجادلوا المسلمين فی استحلال الميتة. و قال الحسن يجادلونهم بقولهم: ان ما قتل اللَّه أولى بأن يؤكل مما قتله الناس. و قال عكرمة: المراد بالشياطين مردة الكفار من مجوس فارس «إِلى أَوْلِيائِهِمْ» من مشركی قريش. و قال ابن عباس: المراد بالشياطين هاهنا إبليس و جنوده بأن يوسوسوا اليهم و يوحون الى أهل الشرك بذلك، و به قال قتادة. و قال قوم: الذين جادلوا بذلك كانوا قوما من اليهود جادلوا رسول اللَّه (ص) بأن ما قتله اللَّه أولى بالأكل مما قتله الناس. ثم قال تعالى «وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ» ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال أكل الميتة و غيره «إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ» لان من استحل الميتة كافر بالإجماع. و من أكلها محرما لها مختارا، فهو فاسق

---

(۱) سورة ۵ المائدة آية ۶

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۸

و هو قول الحسن و جماعة من المفسرين. و التقدير فی قوله «انكم» فإنكم، لان جواب الشرط لا يكون ب (أن) بلا فاء. و انما يكون ذلك جواب القسم.

و اختلفوا فی ما عناه اللَّه تعالى بقوله «وَ لا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» فقال عطاء: ذلك يختص بذبائح كانت فی الجاهلية على الأوثان كانت العرب تذبحها و قريش. و قال ابن عباس ذلك الميتة. و قال قوم: عنی بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم اللَّه عليها. و هذا الوجه أقوى على ما بيناه. و من حمل الآية على الميتة فقد أبعد، لان أحدا من العرب ما كان يستحل الميتة. و انما ذلك مذهب قوم من المجوس، فالآية اما أن تكون مختصة بما كانت تذبح للأصنام على ما قاله عطاء، أو عامة فی كل ما لم يذكر اسم اللَّه عليه الا ما

أخرجه الدليل. و قد بيناه ان ذلك أعم و أولى بحمل الآية عليه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۲] ..... ص : ۲۵۸

أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲۲)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة و يعقوب (ميتا) بالتشديد. الباقون بالتخفيف. قال أبو عبيدة الميتة مخففة و مثقلة معناهما واحد، و انما خفف استثقالا، قال ابن الرعلاء الغسانى:

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء

انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء «۱»

و قد وصف اللّه الكفار بأنهم أموات بقوله «أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» «۲» و كذلك «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ» و المعنى من كان ميتا

---

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۴۳۲، ۸۴ و ۳/ ۴۲۸

(۲) سورة ۱۶ النحل آية ۲۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۵۹

بالكفر فصار حيا بالإسلام بعد الكفر، كالمصر على كفره؟! و قوله «وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يراد به النور المذكور فى قوله يسعى «نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» «۳» و قوله «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ» «۴» الثانى- أن يراد بالنور الأحكام التى يؤتاها المسلم بإسلامه، لأنه إذا جعل الكافر بكفره فى الظلمات فالمؤمن بخلافه.

و من خفف حذف الياء الثانية المنقلبة عن الواو، أعلت بالحذف كما أعلت بالقلب اختلفوا فى من نزلت هذه الآية، فقال ابن عباس و الحسن و غيرهما من المفسرين: نزلت فى كل مؤمن و كافر. و قال عكرمة:

نزلت فى عمار بن ياسر و أبى جهل، و هو قوله أبى جعفر (ع).

و قال الضحاك: نزلت فى عمر بن الخطاب و قال الزجاج: نزلت فى النبى (ص) و أبى جهل. و الاول أعم فائدة، لأنه يدخل فيه جميع ما قالوه.

بين اللّه تعالى أن «مَنْ كانَ مَيْتاً» يعنى كافرا «فَأَحْيَيْناهُ» يعنى وفقناه للايمان، فآمن أو صادفناه مؤمناً بأن آمن، لأن الأحياء بعد الإماتة- هاهنا- هو الإخراج من الكفر الى الايمان عند جميع أهل العلم: كابن عباس و الحسن و مجاهد و البلخى و الجبائى و غيرهم.

و قوله «وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» يعنى جعلنا له علما، فسمى العلم نورا و حياة، و الجهل ظلمة و موتا، لان العلم يهتدى به الى الرشاد، كما يهتدى بالنور فى الظلمات، و تدرك به الأمور كما تدرك بالحياة. و الظلمة كالجهل لأنه يؤدى الى الحيرة و الهلكة، و الموت كالجهل فى أنه لا تدرك به حقيقة.

و انما قال «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ» و لم يقل كمن هو فى الظلمات، لان التقدير كمن مثله مثل من فى الظلمات و يجوز أن يدل بأن مثله فى الظلمات على أنه فى الظلمات الا انه يزيد فائدة أنه ممن يضرب به المثل فى ذلك.

(۳، ۴) سورة ۵۷ الحدید آیة ۱۲- ۱۳

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۶۰

و قیل فی المراد بالنور الذی یمشی به فی الناس قولان:

أحدهما- قال الحسن: و هو القرآن. و قال غیره: هو الایمان الذی لطف له به.

و وجه التشبیه فی قوله «کَذلِکَ زُیِّنَ لِلْکافِرِینَ» أی زین لهؤلاء الکفر، فعملوه کما زین لأولئک الایمان فعملوه، فشبهت حال هؤلاء فی التزیین بحال أولئک فیه، کما قال «کُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَیْهِمْ فَرِحُونَ» «۱» و انما زین اللَّه تعالی الایمان عند المؤمنین، و زین الغواة من الشیاطین و غیرهم الکفر عند الکافرین و هو قول الحسن و أبی علی و الرمانی و البلخی و غیرهم.

و فی الآیة دلالة علی وجوب طلب العلم، لأنه تعالی رغب فیه بأن جعله کالحیاة فی الإدراک بها و النور فی الاهتداء به.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۲۳] ..... ص : ۲۶۰

وَ کَذلِکَ جَعَلْنا فِی کُلِّ قَرْیَةٍ أَکابِرَ مُجْرِمِیها لِیَمْکُرُوا فِیها وَ ما یَمْکُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَ ما یَشْعُرُونَ (۱۲۳)

آیة بلا خلاف.

معنی قوله «کَذلِکَ جَعَلْنا» أی جعلنا ذا المکر من المجرمین، کما جعلنا ذا النور من المؤمنین، فکلما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئک الا أن أولئک اهتدوا بحسن اختیارهم و هؤلاء ضلوا بسوء اختیارهم، لان کل واحد منهما جعل بمعنی صار به کذا الا أن الاول باللطف، و الثانی بالتمکین من المکر، فصار کأنه جعل کذا.

و موضع الکاف فی «و کذلک» نصب بالعطف علی قوله «کَذلِکَ زُیِّنَ لِلْکافِرِینَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ» و المعنی مثل ذلک الذی قصصنا علیک زین للکافرین عملهم. و مثل ذلک «جَعَلْنا فِی کُلِّ قَرْیَةٍ أَکابِرَ مُجْرِمِیها» و انما خص أکابر المجرمین بهذا المعنی دون الأصاغر، لأنه أحسن فی الاقتدار علی الجمیع، لان الأکابر إذا کانوا فی قبضة القادر فالاصاغر بذلک أجدر.

---

(۱) سورة ۲۳ المؤمنون آیة ۵۴ و سورة ۳۰ الروم آیة ۳۲

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۶۱

و الأکابر جمع الأسماء، و الکبر جمع الصفات تقول: کبیر و أکابر و یجوز أن یکون جمع أکبر علی أکابر. و قد قالوا: الاکابرة و الاصاغرة، کما قالوا:

الاساورة و الاحامرة قال الشاعر:

ان الاحامرة الثلاثة أهلکت مالی و کنت بهن قدما مولعا

الخمر و اللحم السمین أحبه و الزعفران فقد أبیت مودعا «۱»

و قوله «لِیَمْکُرُوا فِیها» اللام لام العاقبة و یسمی لام الصیرورة، کما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۲» و قال الشاعر:

فاقسم لو قتلوا مالکا لکنت لهم حیة راصدة

و ام سماک فلا تجزعی فللموت ما تلد الوالدة «۳»

و لیس المراد بها لام الغرض، لأنه تعالی لا یرید أن یمکروا، و قد قال «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ» «۴» و إرادة القبیح قبیحة. و التقدیر و کذلک جعلنا فی کل قریة أکابر مجرمیها لیطیعونی و یمتثلوا أمری، و کان عاقبتهم أن مکروا بالمؤمنین و خدعوهم، فقال اللَّه تعالی «وَ ما یَمْکُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ» لان عقاب ذلک یحل بهم. و المکر هو فتل الشیء الی خلاف الرشد علی وجه الحیلة فی الامر. و المکر و الختل و الغدر نظائر. و أصل المکر الفتل. و منه جاریة ممکورة أی مفتولة البدن. و وجه مکر الإنسان بنفسه

أن وبال مكره يعود عليه، كأنه قال و ما يضرون بذلك المكر الا أنفسهم، و ما يشعرون انهم يمكرون بها، و لا يصح أن يمكر الإنسان بنفسه على الحقيقة، لأنه لا يصح أن يخفى عن نفسه معنى ما يحتال به عليها و يصح أن يخفى ذلك عن غيره.

و فائدة الآية ان أكابر المجرمين لم يمكروا بالمؤمنين على وجه المغالبة للَّه، إذ كأنه جعلهم ليمكروا مبالغة فى انتفاء صفة المغالبة.

---

(۱) قائلة الأعشى. ديوان الاعشيين: ۲۴۷ و اللسان «حمر» و تفسير الطبرى ۱۲/ ۹۴ و فيه اختلاف كثير فى الرواية، و قد أثبتنا ما فى مخطوطة التبيان

(۲) سورة ۲۸ القصص آية ۸

(۳) مر تخريجه فى ۳/ ۶۰ و سيأتى فى ۵/ ۴۳

(۴) سورة ۵۱ الذاريات آية ۵۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۶۲

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۴] ..... ص : ۲۶۲

وَ إِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ (۱۲۴)

قرأ ابن كثير و حفص رسالته على التوحيد و نصب التاء. الباقون على الجمع. و من وحد، فلأن الرسالة تدل على القلة و الكثرة لكونها مصدرا.

و من جمع، فلما تكرر من رسل اللَّه و تحميله إياهم رسالة بعد أخرى فاتى بلفظ الجمع.

أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار أنه إذا جاءتهم آية و دلالة من عند اللَّه تدل على توحيد اللَّه و صدق أنبيائه و رسله «قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ» اى لا نصدق بها «حَتَّى نُؤْتى أى نعطى آية مثل ما أعطى رسل اللَّه حسدا منهم للأنبياء (عليهم السلام). ثم أخبر تعالى على وجه الإنكار عليهم بأنه تعالى أعلم منهم و من جميع الخلق حيث يجعل رسالاته، لان الرسالة تابعة للمصلحة، و لا يبعث اللَّه تعالى الا من يعلم ان مصلحة الخلق تتعلق ببعثه دون من لا يتعلق ذلك به.

و من يعلم انه يقوم بأعباء الرسالة دون من لا يقوم بها. و توعدهم فقال: «سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» أى سينال الذين انقطعوا الى القبيح و أقدموا عليه «صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ» و الصغار الذل الذى يصغر الى الإنسان نفسه يقال:

صغر يصغر صغارا و صغرا، و قيل فى معنى الصغار عند اللَّه ثلاثة اقوال:

أولها- صغار أى ذلة من عند اللَّه، و لا يجوز على هذا أن يقال: زيد عند عمر بمعنى من عنده، لان حذف (من) تلبيس- هاهنا-.

الثاني- قال الفراء اكتسب من ترك اتباع الحق صغارا عند اللَّه.

الثالث- قال الزجاج يعنى صغار فى الآخرة، و هو أقواها، لقوله «وَ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ» فى دار الدنيا، و «عِنْدَ اللَّهِ» يتعلق بقوله التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۶۳

«سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ» و يجوز أن يكون متعلقا ب «صغار»، و تقديره سيصيب الذين أجرموا صغار ثابت لهم عند اللَّه.

و معنى الآية الإنكار لما طلبوا الاحتجاج عليهم فيما جهلوا، و الوعيد على ما فعلوا.

و قوله «رُسُلُ اللَّهِ» اللام مفخمة فى (اللَّه) و لا تفخم من قوله «اللَّهُ أَعْلَمُ» لان ما وقع بعد فتح و ضم صح تفخيمه، كقولك من اللَّه، لأنه بمنزلة تفخيم الالف مع هاتين الحركتين فى نحو كامل و عالم و ترك التفخيم فى الثانى كما ترك فى الالف مع الكسرة فى نحو عائد، و انما فخمت اللام فى تلك المواضع لتعظيم الاسم من غير إخلال بالخروج عن نظيره.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۵] ..... ص : ۲۶۳

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (۱۲۵)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «ضيقا» بتخفيف الياء و سكونها- هاهنا- و فى الفرقان.

الباقون بتشديدها و كسرها. و قرأ أهل المدينة و أبو بكر «حرجا» بكسر الراء. الباقون بفتحها. و قرأ ابن كثير «يصعد» بتخفيف الصاد و العين و سكون الصاد من غير الف، و رواه أبو بكر بتشديد الصاد و ألف بعدها و تخفيف العين. الباقون بتشديد الصاد و العين و فتح الصاد من غير الف.

قال ابو على النحوى: الضيق و الضيق مثل الميّت و الميت فى أن معناهما واحد. و الياء و الواو يشتركان فى الحذف، و ان لم تعل الياء بالقلب كما أعلت الواو به فاتبعت الياء الواو فى هذا، كما اتبعتها فى قولهم أيسر، قالوا فى أيسار التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۶۴

الجزور اتسر، فجعلت بمنزلة اتّعد. و قال غيره: يجوز أن يكون من ضاق الامر يضيق ضيقا. و قد قرأه من قرأ «وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ». و من فتح الراء من (حرج) جعلها و صفا للمصدر، لان المصادر قد توصف بمثل ذلك، كقولهم رجل دنف أى ذو دنف و لا يكون كبطل لان اسم الفاعل فى الأكثر من (فَعَّل) انما يجيء على (فَعَل). و من كسر الراء فهو مثل دنِف، و فرق. قال ابو زيد و حرج عليه السحور و السحر: إذا أصبح قبل أن يتسحر و حرج عليه حرجا و هما واحد، و حرجت على المرأة الصلاة تحرج حرجا، و حرمت عليها الصلاة تحرم حرما بمعنى واحد، و يقال حرج فلان يحرج إذا هاب ان يتقدم على الامر أو قاتل فصبر و هو كاره.

و قال غيره: هما بمعنى واحد كالدنَف و الدنِف، و الوحِد و الوحَد، و الفرد و الفرد و قيل: الحرج الإثم و الحرج الضيق الشديد.

و من قرأ «يصعد» من الصعود، فالمعنى أنه فى نفوره عن الإسلام، و ثقله عليه بمنزلة من تكلف مالا يطيقه، كما أن صعود السماء لا يستطاع.

و من قرأ «يصعد» بتشديد الصاد و العين بلا الف أراد يتصعد فأدغم.

و المعنى كأنه يتكلف ما يثقل عليه. و كأنه تكلف شيئا بعد شيء كقولك يتصرف و يتحرج و غير ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شيء و يصاعد مثل يصعد و مثل ضاعف و ضعف و ناعم و نعم.

و الضمير فى قوله «يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ» يحتمل ان يكون راجعا الى (من) و تقديره أن المهدى يشرح صدر نفسه، و هو جيد و يكون تقديره: من أراد اللَّه أن يثيبه و يهديه الى طريق الجنة فليطعه. و من أراد ان يعاقبه فليعصه فالارادة واقعة على فعل العبد بقلبه بالاحراج و الضيق. و يقوى ذلك قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ»»

فان الطمأنينة الى الايمان فعلهم

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آية ۱۰۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۶۵

لا محالة، لأنه ايمان. ثم نسب تعالى شرح صدورهم بالكفر اليهم.

و الثانى- أن يكون الضمير فيه عائدا أبدا الى اسم اللَّه تعالى و هو الأقوى لقوله «أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ» و قوله «أَ لَمْ نَشْرَحْ

لَکَ صَدْرَکَ» «۲» و کذلک یکون الضمیر فی قوله «یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ» عائدا لاسم اللَّه تعالی.

و المعنی ان الفعل مستند الی اسم اللَّه فی اللفظ و فی المعنی للمشروح صدره، و انما نسبه الی ضمیر اسم اللَّه لأنه بقدرته کان و توفیقه، کما قال «وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ رَمی «۳» و یدل علی ان المعنی لفاعل الایمان اسناد هذا الفعل الی الکافر فی قوله «وَ لکِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْکُفْرِ صَدْراً فَعَلَیْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ» فکما أسند الفعل الی فاعل الکفر کذلک یکون اسناده فی المعنی الی فاعل الایمان، و معنی شرح الصدر اتساعه للایمان أو الکفر و انقیاده له و سهولته علیه، بدلالة وصف خلاف المؤمن بخلاف الشرح الذی هو اتساع.

و قوله «وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ» یعنی یعاقبه أو یعدل به عن طریق الجنة یجعل صدره ضیقا حرجا کأنما یفعل ما یعجز عنه و لا یستطیعه لثقله علیه و تکاؤده علیه.

و قوله «یَصَّعَّدُ» و یصاعد من المشقة و صعوبة الشیء. و من ذلک قوله «یَسْلُکْهُ عَذاباً صَعَداً» «۴» و قوله «سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً» «۵» ای سأغشیه عذابا صعودا أی شاقا. و من ذلک قوله عمر: ما یصعدنی شیء کما یصعدنی خطبة النکاح أی ما یشق علی مشقتها، فکان معنی یصعد یتکلف مشقة فی ارتقاء صعودا. و علی هذا قالوا: عقبة عنوت و عنتوت، و عقبة کؤد، و لا یکون السماء فی هذا الموضع- علی هذا القول- هی المظلة للأرض لکن کما قال سیبویه: القیدود الطویل فی غیر سمائه یرید فی غیر ارتفاع صعدا، و مثله «قَدْ نَری تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِی السَّماءِ» «۶» و اما قوله «یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً»

---

(۲) سورة ۹۴ الانشراح آیة ۱

(۳) سورة ۸ الانفال آیة ۱۷. [.....]

(۴) سورة ۷۲ الجن آیة ۱۷

(۵) سورة ۷۴ المدثر آیة ۱۷

(۶) سورة ۲ البقرة آیة ۱۴۴

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۶۶

فانه یحتمل أمرین:

أحدهما- التسمیة کقوله «وَ جَعَلُوا الْمَلائِکَةَ الَّذِینَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «۷» ای سموهم بذلک فلذلک یسمی القلب ضیقا المحاولته الایمان و حرجا عنه و الآخر- الحکم کقولهم اجعل البصرة بغداد، و جعلت حسنی قبیحا أی حکمت بذلک و لا یکون هذا من الجعل الذی یراد به الخلق و لا الذی یراد به الإلقاء کقولک جعلت متاعک بعضه علی بعض. و قوله «وَ یَجْعَلَ الْخَبِیثَ بَعْضَهُ عَلی بَعْضٍ» «۸»

و قیل فی معنی الهدایة و الإضلال فی الآیة قولان:

أحدهما أنه یرید بالهدی تسهیل السبیل الی الإسلام بالدلائل التی یشرح بها الصدر، و الإضلال تصعیب السبیل الیه بالدلائل التی یضیق بها الصدر، لان حاله أوجبت تغلیظ المحنة علیه من غیر أن یکون هناک مانع له و لا تدبیر غیره أولی منه، و انما هو حض علی الاجتهاد فی طلب الحق حتی ینشرح بالدلائل الصدر، و لا یضیق بدعائها الی خلاف ما سبق من العقد، و الهدی الی ما طلبه طالب الحق، و الإضلال عما طلبه طالب تأکید الکفر.

و الثانی- ان یراد بالهدایة الهدایة الی الثواب و بالإضلال الإضلال عن الثواب و السلوک به الی العقاب، و یکون التقدیر من یرد اللَّه أن یهدیه للثواب فی الآخرة فیشرح صدره للإسلام فی الدنیا بأن یفعل له اللطف الذی یختار عنده الإسلام، و من یرد أن یعاقبه و یعدل به عن الثواب الی النار یجعل صدره ضیقا حرجا بما سبق من سوء اختیاره للکفر جزاء علی فعله و یخذله و یخلی بینه و بین ما یریده من الکفر أو یحکم علی قلبه بالضیق و الحرج، أو یسمیه بذلک علی ما فسرناه. و هذا الإضلال لا یکون الا مستحقا کما أن

تلك الهداية لا تكون الا مستحقة، و قد سمى اللَّه تعالى الثواب الهداية فى قوله

---

(۷) سورة ۴۳ الزخرف آية ۱۹

(۸) سورة ۸ الانفال آية ۳۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۶۷

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ» «۱» و قال «وَ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَلَنْ یُضِلَّ أَعْمالَهُمْ، سَیَهْدِیهِمْ وَ یُصْلِحُ بالَهُمْ» «۲» و الهداية بعد القتل انما هى الثواب فى الجنة، و قال تعالى «وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدیً» «۳» و قال «وَ مَنْ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ یَهْدِ قَلْبَهُ» «۴» و قال «یَهْدِی بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ» «۵» و قال «وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا» «۶» و كل ذلك يراد به الثواب و قد سمى العقاب ضلال فى قوله «وَ یُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِینَ» «۷» و قوله «وَ ما یُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِینَ» «۸» و هذه الجملة معنى قول أبى على الجبائى و البلخى، و الاول قول الرمانى و قيل أيضا: انما يشرح قلب المؤمن بالآيات و الدلائل لكونه طالب للحق، و لم يفعل ذلك بالكافر لكونه طالبا لتأكيد الكفر و فى هذا الوجه حض على طلب الحق.

و الحرج الضيق الشديد، و قال ابن عباس: أصله الحرجة، و هى الشجرة الملتفة بالشجر حولها، فلا يصل اليها الراعى، فكذلك قلب هذا لا يصل اليه خير- فى قوله عمر- و قال ابن عباس لا يصل اليه حكمة.

و قوله «كَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- كأنما كلف الصعود الى السماء بالدليل الذى يدعوه الى خلاف مذهبه. و قال سعيد بن جبير: كأنه لا يجد مسلكا الا صعدا.

و الثانى- كأنما ينزع قلبه الى السماء نبوا عن الحق بأن يتباعد فى الهرب.

و فى معنى الرجس قولان:

أحدهما- قال مجاهد: كلما لا خير فيه. و قال ابن زيد و غيره من أهل اللغة: هو العذاب. و يقال الرجس و النجس لما كان رجسا، و لقد رجس رجاسة و نجس نجاسة. و وجه التشبيه فى قوله

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۴۲

(۲) سورة ۴۷ محمد آية ۴- ۵

(۳) سورة ۴۷ محمد آية ۱۷

(۴) سورة ۶۴ التغابن آية ۱۱

(۵) سورة ۵ المائدة آية ۱۸

(۶) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۶۹

(۷) سورة ۱۴ ابراهيم آية ۲۷

(۸) سورة ۲ البقرة آية ۲۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۶۸

«كَذلِكَ یَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ» أنه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر فى قلوب أولئك و ان كل ذلك على وجه الاستحقاق. و لا يجوز أن يكون المراد بالآية ان اللَّه تعالى يجعل سبب الايمان الذى يكون به الايمان، و سبب الكفر الذى يكون به الكفر، و انهما جميعا من فعل اللَّه على ما يقوله المجبرة، و ذلك أن اللَّه تعالى أنزل القرآن حجة له على عباده، لا حجة للعباد عليه، فلو كان كما قالوه لكانت الحجة عليه لا له على انه لا يجوز أن يكون فى كلام اللَّه تعالى مناقضة، و قد ذكره اللَّه تعالى

فى مواضع أنه هدى للكفار نحو قوله «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى «۱» و قال «وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» «۲» و قال «وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى «۳» و قال «قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها» «۴» فبين بجميع ذلك انه تعالى هـدى الكفار كما هـدى المؤمنين، فكيف ينفى ذلك فى موضع آخر، و هل ذلك الا مناقضـة و كلام اللَّه منزه عنهـا؟! و متى حملنـا الآيـات على ما قلناه و وفقنا بينها لم يؤد الى المناقضـة و لا التضاد، و يقوى ذلك ان اللَّه اخبر انه يجعل قلب الكافر ضيقا حرجا و نحن نجد كثيرا من الكفار غير ضيقى الصدر بما هم فيه من الكفر بل هم فى غاية السرور و الفرح بذلك، فكيف يقال ان اللَّه تعالى ضـيق صدورهم بالكفر؟! و لا يلزمنا ذلك إذا قلنا ان اللَّه يفعل ذلك بهم على وجه العقوبة لأنه تعالى إذا كان يفعل بهم ذلك عقوبة يجوز أن يفعل بهم ذلك إذا أراد عقابهم لا فى جميع الأحوال، و لا يلزم ان يجدوا نفوسهم على ذلك فى كل وقت. و أيضا فان سـبب القبيح لا يكون الا قبيحا فعلى هذا سبب الكفر يجب ان يكون قبيحا، لأنه موجب له لا يصلح لضده من الايمان، لأنه لو صلح لذلك لم يكن سببا، و اللَّه تعالى لا يفعل

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة آية ۱۷ [.....]

(۲) سورة ۹۰ البلد آية ۱۰- ۱۱

(۳) سورة ۱۷ الإسراء آية ۹۴ و سورة ۱۸ الكهف آية ۵۶

(۴) سورة ۶ الانعام آية ۱۰۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۶۹

القبيـح. و انما ذكر اللَّه ضـيق صدر الكافر، و هو مما يصح ان يدعا به الى الايمان فى بعض الأحوال، كما يصح أن يدعا بانشـراحه فى غير تلك الحال.

و يقوى ما قلناه قوله «كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» و انما أريـد بذلك ما يفعله بهم من العقاب و البراءة و اللعنة و الشـتم و الأسـماء القبيحـة مع ما أعد لهم من العقاب. و قال الحسن: معناه انه يكون مقبول الايمان منشـرح الصدر، و من يرد أن يضـله يجعـل صـدره ضـيقا حرجـا، و معنـاه انه يثقل عليه ما يـدعا اليه من الايمان كأنما يصـعد الى السـماء، فبـذلك صار ضـيق الصـدر عن الايمان. «يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ» يعنى رجاسة الكفر على الذين لا يؤمنون.

و وجه آخر فى الآيـة، و هو أن نحملها على التقـديم و التأخير كأنه قال: من يشـرح الله صدره للإسـلام يرد اللَّه أن يهديه، و من يجعل صدره ضيقا حرجا يرد اللَّه أن يضله.

و وجه آخر و هو أن يكون اللَّه تعالى لما دعاهم الى الايمان و أمرهم ففعلوه انشـرحت صدورهم، فنسب شرح ذلك الى اللَّه تعالى، و لما ضاقت صدور الكفار عند دعاء اللَّه و اقامة الحجج عليهم و أمره إياهم بذلك فضـلوا عند ذلك، صح ان ينسب اضلالهم اليه، كما يقولون: أضل فلان بعيره إذا ضل عنه، و هو لم يرد ذلك.

و اللام فى قوله «للإسلام» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون اللَّه تعالى هداه بالالطاف التى ينشرح بها صدره للتمسك بالإسلام و الاستبصار فيه، و لا يكون فعل ذلك بالكفار و ان لم يخل بينهم و بين الايمان و لا يمنعهم منه، لأنه تعالى قد اعطى الكفار الصـحة و السلامة و القوة، و جميع ما يتمكن به من فعل ما أمره به، و انما لم يفعل بهم اللطف الـذى يؤمنون عنـده، لأنهم لما عدلوا عن النظر فى آيات اللَّه و حججه خرجوا من أن يكون لهم لطف يختارون عنده الايمان و صاروا مخذولين، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷۰

فخلى اللَّه تعالى بينهم و بين اختيارهم، فعبر عن ذلك بأنه جعل صدر الكافر ضيقا حرجا.

و الثانى- ان يكون اللام بمعنى لأجل الشيء و بسببه كما يقول القائل: انما قلت هذا الكلام لزيد و المراعات عمرو، المعنى من أجله و

بسببه، فيكون المعنى انه شرح صدره من أجل الإسلام، لأنه فعل إسلاما استحق به شرح الصدر.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۲۶ الى ۱۲۷] ..... ص : ۲۷۰

وَ هذا صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (۱۲۶) لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲۷)

آيتان بلا خلاف.

الاشارة بقوله «وَ هذا صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً» يمكن ان تكون الى أحد شيئين:

أحدهما- ما قال ابن عباس: انه راجع الى الإسلام.

و الثاني- أن تكون اشارة الى البيان الذى فى القرآن، و أضيف الصراط الى اللَّه فى قوله «صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً» لأنه لما كانت الاضافة فيه انما هى على أنه الذى نصبه و دل به، و غلب عليه الاستعمال. و لم يجز قياسا على ذلك ان يقال: هذا طريق ربك، لأنه لم تجر العادة باستعماله كما انهم استعملوا قولهم: هذا فى سبيل اللَّه، و لم يقولوا فى طريق اللَّه، لما قلناه.

و قوله «مستقيما» نصب على الحال و معناه الذى لا اعوجاج فيه.

فان قيل كيف يقال: انه مستقيم مع اختلاف وجوه الادلة؟! قلنا: لأنها مع اختلافها يؤدى كل واحد منها الى الحق، و كأنها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض و الفساد، و كلها تؤدى من تمسك بها الى الثوب و قوله «قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ» أى بيناها «لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ» و انما أعيد ذكر تفصيل الآيات للاشعار بأن هذا الذى تقدم من الآيات التى فصلها اللَّه عز التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷۱

و جل للعباد. و قوله «يذكرون» أصله يتذكرون فقلبت التاء ذالا و أدغمت الاولى فى الثانية، و لم يجز قلب الذال الى الدال كما جاز فى «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» «۱» لأنهم لما لهم يجيزوا ادغام التاء فى الدال، لأنها أفضل منها بالجهر، قلبت الى الدال لتعديل الحروف و ليس كذلك ادغام التاء فى الذال. و انما خص الآيات بقوم يتذكرون لأنهم المنتفعون بها و ان كانت آيات لغيرهم، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ».

و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: المعارف ضرورية لأنها لو كانت ضرورية لم يكن لتفصيل الآيات ليتذكر بها فائدة.

و قوله «لَهُمْ دارُ السَّلامِ» هذه لام الاضافة و انما فتحت مع المضمر و كسرت مع الظاهر لامرين:

أحدهما- طلبا للتخفيف، لان الإضمار موضع تخفيف، و فتحت فى الاستغاثة فى (يا لبكر) تشبيها بالكناية، و لأنه موضع تخفيف بالترخيم و حذف التنوين.

و الثاني- أن أصلها الفتح، و انما كسرت مع الظاهر للفرق بينها و بين لام الابتداء.

و قيل فى معنا «السلام» هاهنا قولان:

أحدهما- قال الحسن و السدى: انه اللَّه و داره الجنة.

و الثاني- قال الزجاج و الجبائى: أنها دار السلامة الدائمة من كل آفة و بلية.

و قوله «عِنْدَ رَبِّهِمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- مضمون عند ربهم حتى يوصله اليهم.

الثاني- فى الآخرة يعطيهم إياه.

و قوله «وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ» يعنى اللَّه. و فى معنى (الولى) قولان:

أحدهما- انه يتولى إيصال المنافع اليهم و دفع المضار عنهم.

---

(۱) سورة ۵۴ القمر آية ۱۵، ۱۷، ۲۲، ۳۲، ۴۰، ۵۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷۲

الثانى- ناصرهم على أعدائهم.

و قوله «بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» يعنى جزاء بأعمالهم، و هو و ان كان مطلقا فالمراد بما كانوا يعملونه من الطاعات، لان من المعلوم ان ما لم يكن طاعة فلا ثواب عليه. و يجوز ايضا ان يكون مقيدا لدلالة قوله «يذكرون» عليه.

و الموعود بهذا الوعد المتذكر لآيات اللّه بحقها، و هو العامل بها.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۸] ..... ص : ۲۷۲

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ قالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۱۲۸)

آية بلا خلاف.

قرأ حفص و روح «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» بالياء. الباقون بالنون.

من قرأ بالياء فلقوله «لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» و النون كالياء فى المعنى، و يقوى النون قوله «وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» «۱» و قوله «وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى «۲» و الذى يتعلق به (اليوم) هذا القول المضمر. و المعنى و يوم نحشرهم جميعا نقول «يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ» أى قد استكثرتم ممن أضللتموه من الانس بالإغواء و الإضلال. قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: معناه استكثرتم من اغوائهم و اضلالهم «وَ قالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ».

و قيل فى وجه الاستمتاع من بعضهم ببعض قولان:

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۴۸

(۲) سورة ۲۰ طه آية ۱۲۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷۳

أحدهما- بتزيين الأمور التى يهوونها حتى يسهل عليهم فعلها.

و الثانى- قال الحسن و ابن جريج و الزجاج و الفراء و غيرهم: انه إذا كان الرجل أراد ان يسافر فيخاف سلوك طريق من الجن فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادى، ثم يسلك فلا يخاف، كما قال تعالى «وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً» «۳» و وجه استمتاع الجن بالانس أنهم إذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم، و يعتقدون انهم ينفعونهم و يضرونهم أو أنهم يقبلون منهم إذا أغووهم كان فى ذلك تعظيم لهم و سرور و نفع، ذكر ذلك الزجاج و البلخى و الرمانى. و قال البلخى: و يحتمل ان يكون قوله «اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ» مقصوراً على الانس، فكأن الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن.

و قوله «بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و السدى: انه الموت.

الثانى- الحشر، لان كل واحد منهما اجل فى الحكم، فالموت اجل استدراك ما مضى، و الحشر أجل الجزاء. و قال ابو على: فى الآية دلالة على انه لا اجل الا واحد، قال لأنه لو كان له أجلان فكان إذا اقتطع دونه بأن قتل ظلما لم يكن بلغ اجله، و الآية تتضمن انهم اجمع يقولون: بلغنا أجلنا الذى أجلت لنا. و قال الرمانى و غيره من البغداديين: لا تدل على ذلك، بل لا يمتنع ان يكون له أجلان: أحدهما ما يقع فيه الموت، و الآخر ما يقع فيه الحشر، و ما كان يجوز أن يعيش اليه.

و قوله «قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ» جواب من اللّه تعالى لهم بأن النار مثواهم، و هو المقام، يقال: ثوى يثوى ثواء، قال الشاعر:

لقد کان فی حول ثواء ثویته تقضی لیانات و یسأم سائم «۴»

و معنی الآیة التقریع للغواة من الجن و الانس مع اعترافهم بالخطیئة فی

---

(۳) سورة ۷۲ الجن آیة ۶

(۴) قائله الأعشی دیوانه: ۵۶ و سیبویه ۱/ ۱۲۳، و تأویل مشکل القرآن: ۵۹.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۷۴

وقت لا ینفعهم النـدم علی ما سلف، و خاصـة إذا کان الجواب لهم بأن مثواهم النار «خالِدِینَ فِیها» أی مؤبدین فیها، و هو نصب علی الحال.

و قوله «إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» قیل فی معنی هذا الاستثناء ثلاثة اقوال:

أحـدها- «إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» من الفائت قبل ذلک من الاسـتحقاق من وقت الحشـر الی زمان المعاقبـة، و تقدیره: خالدین فیها علی مقادیر الاسـتحقاق الا ـ مـا شاء اللَّه من الفائت قبل ذلک، لان ما فات یجوز إسـقاطه بالعفو عنه. و الفائت من الثواب لا یجوز ترکه، لأنه بخس لحقه، ذکره الرمانی و البلخی و الطبری و الزجاج و الجبائی.

الثانی- «إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ» من تجدید الخلود بعد احتراقهم و تصـریفهم فی انواع العذاب فیها، و التقدیر خالدین فیها علی صفة واحدة الا ما شاء اللَّه من هذه الأمور.

الثالث- ما حکی عن ابن عباس، حکاه الرمانی و الطبری عنه أنه قال:

هـذه الآیة توجب الوقف فی جمیع الکفار، فانه ذهب الی ان وعیدهم بالقطع یدل علیه فیما بعد، و هو قوله «إِنَّ اللَّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْـرَکَ بِهِ» «۱» و قال قوم:

معنی (ما) (من) و تقدیره الا من شاء اللَّه إخراجه من النار من المؤمنین الذین لهم ثواب بعد استیفاء عقابهم.

و قوله «إِنَّ رَبَّکَ حَکِیمٌ عَلِیمٌ» أی هو حکیم فیما یفعله من جزائهم، و عالم بذلک و بغیره من المعلومات لا یخفی علیه شیء منها.

قوله تعالی:[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۲۹] ..... ص : ۲۷۴

وَ کَذلِکَ نُوَلِّی بَعْضَ الظَّالِمِینَ بَعْضاً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ (۱۲۹)

آیة بلا خلاف.

قیل فی معنی قوله «نُوَلِّی بَعْضَ الظَّالِمِینَ بَعْضاً» قولان:

---

(۱) سورة ۴ النساء آیة ۴۷، ۱۱۵.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۲۷۵

أحدهما- انا نکل بعضهم الی بعض فی النصرة و المعونة فی الحاجة، و لا نحول بینهم.

الثانی- نجعل بعضهم یتولی القیام بأمر بعض.

و قیل فی کیفیة تولیة اللَّه الظالمین بعضهم بعضاً أقوال:

أحدها- بأن حکم ان بعضهم یتولی بعضا فیما یعود علیه بالوبال من الاعمال التی یتفقون علیها.

الثانی- بأن یخلی بینهم و بین ما یختارونه من غیر نصرة لهم.

و ثالثها- ما قال قتادة: انه من الموالاة و التتابع فی النار، أی یدخل بعضهم عقیب بعض.

و وجه التشبيه فى قوله «و كذلك» قال الرمانى: اى كذلك المهل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذى معه يصح الجزاء على الاعمال، بجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذى يجرى على الاستحقاق. و قال الجبائى: المعنى إنا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن و الانس بعضهم الى بعض يوم القيامة و تبرأنا منهم كذلك نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة و نكل الاتباع الى المتبوعين، و نقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب.

و الغرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيامة ولىّ يدفع عنهم شيئا من العذاب. و قال غيره: لما حكى اللَّه تعالى ما يجرى بين الجن و الانس من الخصام و الجدال فى الآخرة، قال اللَّه لهم: النار مثواكم. ثم قال «وَ كَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً» أى كما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم فى النار و تولية بعضهم بعضا و جعل بعضهم أولى ببعض، نفعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم.

و الفرق بين (ذلك) و (ذاك) أن زيادة اللام فى (ذلك) قامت مقام هاء التنبيه التى تدخل فى ذاك فتقول هذاك و لا تقول هذلك.

و لا يجوز إمالة (ذلك) لان (ذا) بمنزلة الحرف، و الأصل فى الحروف ألا تمال، لان التصريف انما هو للافعال و الأسماء. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷۶

و قوله «بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» معناه بما كانوا يكسبونه من المعاصى و ان ما يفعله بهم من العقاب جزاء على أعمالهم القبيحة.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۰] ..... ص : ۲۷۶

يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا قالُوا شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ (۱۳۰)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى انه يخاطب الجن و الانس يوم القيامة بأن يقول «مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ»

و المعشر الجماعة. و الفرق بينه و بين المجمع: أن المعشر يقع عليهم هذا الاسم مجتمعين كانوا او مفترقين كالعشيرة، و ليس كذلك المجمع، لأنه مأخوذ من الجمع. و الجن مشتق من الاجتنان عن العيون و هو اسم علم الجنس مما يعقل متميز عن جنس الإنسان و الملك. و الانس هم البشر.

و قوله «لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ»

احتجاج عليهم بأن اللَّه بعث اليهم الرسل إعذارا و إنذارا و تأكيدا للحجة عليهم، و لا بد أن يكون خطابا لمن بعث اللَّه اليهم الرسل، فأما أول الرسل فلا يمكن ان يكونوا داخلين فيه، لأنه كان يؤدى الى ما لا نهاية لهم من الرسل و ذلك محال.

و قوله «منكم» و ان كان خطابا لجميعهم، و الرسل من الانس خاصة، فانه يحتمل ان يكون لتغليب أحدهما على الآخر، كما يغلب المذكر على المؤنث، و كما قال «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ» بعد قوله «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ» «۱» و انما يخرج اللؤلؤ من الملح دون العذب. و كقولهم أكلت خبزا و لبنا و انما شرب اللبن. و كما يقولون: فى هذه الدار سرو، و انما هو فى بعضها. و هذا

---

(۱) سورة ۵۵ الرحمن آية ۱۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷۷

قول أكثر المفسرين: منهم ابن جريج و الفراء و الزجاج و الرمانى و البلخى و الطبرى. و روى عن ابن عباس انه قال: هم رسل الانس الى غيرهم من الجن كما قال تعالى «وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ» «۲». و قال الضحاك: ذلك يدل على انه تعالى أرسل رسلا من الجن. و به قال الطبرى و اختاره البلخى أيضا، و هو الأقوى. و قال الجبائى و الحسين بن على المغربى: المعنى «لَمْ يَأْتِكُمْ»

يعنى معشر المكلفين و المخلوقين «رُسُلٌ مِنْكُمْ»

يعنى من المكلفين.

و هذا اخبار و حكاية عما يقال لهم فى وقت حضورهم فى الآخرة، و ليس بخطاب لهم فى دار الدنيا، و هم غير حضور، فيكون قبيحا، بل هو حكاية على ما قلناه.

و قولهَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي»

مثل يتلون عليكم دلائلى و بيناتىَ يُنْذِرُونَكُمْ»

يعنى يخوفونكمِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا»

يعنى لقاء ما تستحقونه من العقاب فى هذا اليوم و حصولكم فيه. ثم أخبر تعالى عنهم انهم يشهدون على أنفسهم بالاعتراف بذلك و الإقرار بأن الحياة الدنيا غرتهم، و يشهدون أيضا بأنهم كانوا كافرين فى دار الدنيا، فلذلك كرر الشهادة.

و معنى غرتهم الحياة الدنيا أى غرتهم زينة الدنيا و لذتها و ما يرون من زخرفها و بهجتها.

و استدل بهذه الآية قوم على ان اللَّه لا يجوز أن يعاقب الا بعد ان يرسل الرسل، و ان التكليف لا يصح من دون ذلك، و هذا ينتقض بما قلناه من أول الرسل، و انه صح تكليفهم و ان لم يكن لهم رسل، فالظاهر مخصوص بمن علم اللَّه ان الشرع مصلحة له، فان اللَّه لا يعاقبهم الا بعد ان يرسل اليهم الرسل و يقيم عليهم الحجة بتعريفهم مصالحهم، فإذا خالفوا بعد ذلك استحقوا العقاب.

---

(۲) سورة ۴۶ الأحقاف آية ۲۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷۸

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۱] ..... ص : ۲۷۸

ذلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها غافِلُونَ (۱۳۱)

آية بلا خلاف.

موضع (ذلك) من الاعراب يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون رفعا كأنه قال: الامر ذلك، لأنه لم يكن (ذلك) إشارة الى ما تقدم ذكره من العقاب و الجواب بأن مثواهم النار.

و الثانى- أن يكون نصبا، و تقديره فعلناه ذلك لهذا.

و انما جازت الاشارة بذلك الى غير حاضر لان ما مضى صفة حاضرة للنفس فقام مقام حضوره، و يجوز الاشارة الى هذا الذى تقدم ذكره.

و قوله «أَنْ لَمْ يَكُنْ» ف (ان) هى المخففة من الثقيلة. و المعنى لأنه لم يكن و مثلها التى فى قول الشاعر:

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى و ينتعل «۱»

ف (أنَّ) المفتوحة لا بد فيها من إضمار الهاء، لأنه لا معنى لها فى الابتداء و انما هى بمعنى المصدر المبنى على غيره. و المكسورة لا تحتاج الى ذلك، لأنها يصح ان تكون حرفا من حروف الابتداء فلا تحتاج الى إضمار.

و قوله «بظلم» قيل فى معناه قولان:

أحدهما ما ذكره الفراء و الجبائى: انه بظلم منه على غفلة من غير تنبيه و تذكير و مثله قوله «وَ ما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ» «۲».

الثانى- بظلم منهم حتى يبعث اليهم رسلا يزجرونهم و يذكرونهم على وجه الاستظهار فى الحجة دون ان يكون ذلك واجبا، لأنهم بما فعلوه من الظلم

(۱) قائله الأعشى ديوانه: ۴۵ القصيدة ۶ و روايته:

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذوى الحيلة الحيل

(۲) سورة ۱۱ هود آية ۱۱۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۷۹

قد استحقوا العقاب.

و من استدل بذلك على انه لا يحسن العقاب الا بعد إنفاذ الرسل، فقد أجبنا عن قوله فى الآية الاولى.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۲] ..... ص : ۲۷۹

وَ لِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (۱۳۲)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «عما تعملون» بالتاء. الباقون بالياء.

و من قرأ بالياء حمله على الغيبة. و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب للمواجهة.

و فى الآية حذف و تقديرها، و لكل عامل بطاعة اللَّه أو معصيته منازل من عمله حتى يجازيه ان خيرا فخيرا، و ان شرا فشرا. و ما تقدم من ذكر الغافلين يدل على هذا الحذف.

و (قبل. و بعد) بنيتا عند حذف المضاف فى مثل قوله «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ» «۳» لأنهما فى حال الاعراب لم يكونا على التمكن التام، لأنه لا يدخلهما الرفع فى تلك الحال، فلما انضاف الى هذا النقصان من التمكن بحذف المضاف اليه أخرجا الى البناء، و ليس كذلك (كل) فانه متمكن على كل حال و لذلك لم يبن.

و (الدرجات) يحتمل أمرين: أحدهما- الجزاء. و الثانى- الاعمال فإذا وجهت الى الجزاء كان تقديره: و لكل درجات جزاء من اجل ما عملوا، و إذا حمل على الاعمال كان تقديره: و لكل درجات أعمال من أعمالهم. و انما مثل الاعمال بالدرجات ليبين انه و ان عمَّ احد قسميها صفة الحسن، و عم الآخر صفة القبيح، فليست فى المراتب سواء، و انه بحسب ذلك يقع الجزاء، فالاعظم من العقاب للاعظم من المعاصى، و الأعظم من الثواب للاعظم من الطاعات.

(۳) سورة ۳۰ الروم آية ۴ [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸۰

و قوله «وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» انما ذكره ليعلموا انه لا يفوته شيء منهما و لا من مراتبهما حتى يجازى عليه بما يستحق من الجزاء، و فيه تنبيه و تذكير للخلق فى كل أمورهم.

و الغفلة ذهاب المعنى عمن يصح ان يدركه. و الغفلة عن المعنى و السهو عنه و الغروب عنه نظائر، و ضد الغفلة اليقظة، و ضد السهو الذكر، و ضد الغروب الحضور.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۳] ..... ص : ۲۸۰

وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (۱۳۳)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية بأنه الغنى. و الغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج. و الغنى عن الشيء هو الذى يكون وجود الشيء و عدمه و صحته و فساده عنده بمنزلة واحدة، فى انه لا يلحقه صفة نقص. و «ذو الرحمة» يعنى صاحب الرحمة، و هو تعالى بهذه الصفة لرحمته بعباده.

ثم أخبره عن قدرته و انه لو شاء ان يذهب الخلق بأن يميتهم و يهلكهم و يستخلف من بعدهم ما يشاء بان ينشئ بعد هلاكهم كما أنشأهم فى الاول من ذرية من تقدمهم. و كذلك ينشئ قوما آخرين من نسلهم و ذريتهم، و الجواب محذوف و الكاف فى (كما) فى موضع نصب و تقديره و يستخلف من بعدكم ما يشاء مثل ما استخلفكم. و فى ذلك دلالة على انه يصح القدرة على ما علم انه لا يكون لأنه بين انه لو شاء لذهب بهم و أتى بقوم آخرين و لم يفعل ذلك، فدل ذلك على انه يقدر على ما يعلم انه لا يفعله.

و (من) فى قوله «وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ» للبدل كقولك: أعطيتك من التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸۱

دينارك ثوبا اى مكان دينارك و بدله، و معنى (من) فى قوله «كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ» ابتداء الغاية لان التقدير، ان ابتداء غايتكم من قوم آخرين و قيل فى وزن «ذرية» ثلاثة أقوال: أولها- فعلية من الذر. الثاني- فعلية على وزن خليفة من ذرأ الخلق يذرأهم. الثالث- فعولة من (ذروة) الا أن الهمزة أبدلت واوا، ثم قلبت ياء، فيكون بمنزلة عليَّة من علوة. و قرئ فى الشواذ (ذرية) بكسر الذال و هما لغتان.

و انشأ اللَّه الخلق إذا خلقه و ابتدأه و كل من ابتدأ شيئا فقد انشأه. و منه قولهم: انشأ فلان قصيدة، و النشأة الأحداث من الأولاد، واحدها ناشئ مثل خادم و خدم، و يقال للجواريْ أنشاء، و للذكور نشاء، قال نصيب:

و لو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار «۱»

و يقال لهذا السحاب نشؤ حسن، و هو أول ظهوره فى السماء.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۴] ..... ص : ۲۸۱

إِنَّ ما تُوعَدُونَ لَآتٍ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۱۳۴)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان الذى أوعد الخلق به من عقابه على معاصيه و الكفر به واقع بهم لان (ما) فى قوله «انما» بمعنى الذى، و ليست كافة مثل قولك: انما قام زيد، لان خبرها جاء بعدها، و هو قوله «لآت» و هى فى موضع نصب، و الجنس فى موضع رفع، و الكافة لا خبر لها، و اللام فى قوله (لآت) لام الابتداء و لا يجوز ان تكون لام القسم، لان لام القسم لا تدخل على الأسماء و لا الافعال المضارعة الا أن تكون معها النون الثقيلة، و لا تعلق الفعل فى (قد علمت ان زيدا ليقومن).

---

(۱) اللسان (نشأ) النشأ: الشباب او الشابات.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸۲

و معنى «توعدون» من الإيعاد بالعقاب يقال: أوعدته أوعده إيعادا، و قال الحسن: انما توعدون من مجيء الساعة، لأنهم كانوا يكذبون بالبعث، فعلى هذا يجوز ان يكون المصدر الوعد لاختلاط الخير و الشر، فيكون على التغليب إذ مجيء الساعة خير للمؤمنين و شر على الكافرين.

و قال الجبائى: ان معناه «إِنَّ ما تُوعَدُونَ» من الثواب و العقاب، فان اللَّه يأتى به.

و قوله «وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» أى لستم معجزين اللَّه عن الإتيان بالبعث و العقاب، و انما قيل ذلك لان من يعبد الوثن يتوهم انه ينفعه فى صرف المكروه عنه جهلا منه و وضعا للأمر فى غير موضعه. و ايضا فإنهم يعملون عمل من كان يفوته العقاب لتأخره عنه و طول

السلامة بالامهال فيه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۵] ..... ص : ۲۸۲

قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّی عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (۱۳۵)

آية بلا خلاف.

قرأ ابو بكر «مكاناتكم» على الجمع. الباقون على التوحيد، و قرأ حمزة و الكسائی يكون بالياء. الباقون بالتاء المعجمة من فوق. و من قرأ بالياء فلان المصدر المؤنث يجوز تأنيثه على اللفظ و تذكيره على المعنى. و من قرأ بالتاء فعلى اللفظ، فمما جاء منها على اللفظ قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ» «۱» و قوله «قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» «۲» و على المعنى قوله

---

(۱) سورة ۱۵ الحجر آية ۷۳، ۸۳ و سورة ۲۳ المؤمنون آية ۴۱

(۲) سورة ۱۰ يونس آية ۵۷

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸۳

«وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ» «۳» و قوله «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ» «۴». و من وحد «مكانتكم» فلأنه مصدر، و المصادر فی الأكثر لا تجمع. و من جمع فلأنها قد تجمع كقولهم: الحلوم و الأحلام.

قال ابو عبيدة «مكانتكم» أی على حيالكم. و قال ابو زيد: رجل مكين عند السلطان من قوم مكناء، و قد مَكُن مكانة، كأنه قال: اعملوا على قدر منزلتكم و تمكنكم من الدنيا، فإنكم لن تضرونا بذلك شيئا.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) ان يخاطب المكلفين من قومه و يأمرهم بأن يعملوا على مكانتهم، و المكانة الطريقة يقال: هو يعمل على مكانته و مكينته أی طريقته و جهته. و قال ابن عباس و الحسن: على ناحيتكم. و قال الجبائی:

على حالتكم. و قال الزجاج: يجوز ان يكون المراد على تمكنكم، و هذا و ان كان صيغته صيغة الامر فالمراد به التهديد كما قال «اعملوا ما شئتم» «۵» و انما جاء التهديد بصيغة الامر لشدة التحذير، أی لو امر بهذا لكان يجوز قبول أمره. و وجه آخر- هو ان التقدير «اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ» ان رضيتم بالعقاب أی انكم فی منزلة من يؤمر به ان رضيتم بالعقاب، فهذا على التبعيد أن يقيموا عليه، كالتبعيد أن يرضوا. و وجه ثالث هو ان الضرر يخص المقيم على المنكر، لان غيره بمنزلة الآمن فی انه لا يأمره بما يضره.

و قوله «انی عامل» إخبار من الرسول انه عامل بما امر اللَّه تعالى به.

و قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيه تهديد، و معناه فسوف تعلمون جزاء أعمالكم.

و قوله «من تكون» يحتمل موضع (من) أمرين من الاعراب:

أحدهما- الرفع و تقديره أينا يكون له عاقبة الدار.

و الثانی- النصب بقوله «يعلمون» و يكون بمعنى الذی.

---

(۳) سورة ۱۱ هود آية ۶۷

(۴) سورة ۲ البقرة آية ۲۷۵

(۵) سورة ۴۱ حم السجدة آية ۴۰

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸۴

و انما قال: ان عاقبة الدار للمؤمنين دون الكافرين و ان كان الكفار أيضا لهم عاقبة من حيث يصيرون الى العقاب المؤبد و هی

للمؤمنين من حيث يصيرون الى النعيم الدائم، كما يقول العرب: لهم الكرة، و لهم الحملة، لأنه إذا فصل قيل: لهم و على أعدائهم.

و قوله «إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» أى لا يفوز الظالمون بشـيء من الثواب و المنافع، و انما لم يقل (الكافرون) و ان كان الكلام فى ذكرهم لأنه أعم و اكثر فائـدة، و لأنه إذا لم يفلح الظالم، فالكافر بذلك اولى، على ان الكافر يسـمى ظالما فيجوز ان يكون عنى به انه لا يفلح الظالمون الذين هم الكافرون، كما قال «وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» «۶» و قال «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» «۷».

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۶] ..... ص : ۲۸۴

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَكائِنا فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ ما كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ (۱۳۶)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى «بزعمهم» بضم الزاى فى الموضعين. الباقون بفتحها.

و فى الزعم ثلاث لغات: الفتح، و الضم، و الكسر مثل فتلك و فتك و فتك.

و قبل و قبل و قبل. وَ وِدَّ و وَدَّ و وُدَّ. و لم يقرأ بالكسر احد. فالفتح لغة اهل الحجاز، و الضم لغة تميم، و الكسر لغة بعض بنى قيس.

اخبر اللَّه تعالى عن الكفار الذين تقدم وصـفهم أنهم يجعلون شيئا من أموالهم للَّه و شيئا لشركائهم تقربا اليهما، من جملة من خلقه اللَّه و اخترعه، لان الذرأ هو الخلق على وجه الاختراع، و أصله الظهور، و منه ملح ذرآنى

---

(۶) سورة ۲ البقرة آية ۲۵۴

(۷) سورة ۳۱ لقمان آية ۱۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸۵

و ذِرآنى، لظهور بياضه. و الذرأة ظهور الشيب. قال الراجز:

و قد علتنى ذَرأة بادى بدى وَ رِيثة تنهض فى تشددى «۱»

يقال: ذرأ اللَّه الخلق يذرأهم ذرءاً و ذروا. و يقال: ذرئت لحيته ذرءاً إذا شابت. و منه طعنه فأذراه- غير مهموز- إذا ألقاه، و ذرت الريح التراب تـذروه ذروا إذا أبـادته، و ذُروة كـل شـيء أعلاه. و (الحرث) الزرع و (الحرث) الأرض التى تثار للزرع، و منه حرثهـا يحرثها حرثـا، و منه قوله «نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» «۲» لان المرأة للولـد كالأرض للزرع و (الانعام) المواشـى من الإبل و البقر و الغنم، مأخوذ من نعمة الوطء، و لا يقال لذوات الحافر: أنعام.

و انما جعلوا الأوثان شركاءهم، لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها فى نعمهم.

و قوله «فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ، وَ ما كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ» قيل فى معناه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال ابن عباس و قتادة: انه إذا اختلط شـيء مما جعلوه لاوثانهم بشـيء مما جعلوه للَّه ردوه الى ما لاوثانهم، و إذا اختلط بشيء مما جعلوه للَّه لم يردوه الى ما للَّه.

الثانى- قال الحسن و السدى: كان إذا هلك الذى لاوثانهم أخذوا بدله مما للَّه، و لا يفعلون مثل ذلك فى ما للَّه (عز و جل).

الثالث- قال ابو على: انهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه للَّه فى النفقة على أوثانهم، و لا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه للأوثان.

و قوله «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» فيه قولان: أحدهما- قال الزجاج:

تقديره ساء الحكم حكمهم. فيكون على هذا موضع (ما) رفعا. و قال

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۷ و اللسان و التاج (ذرأ) (بدا)

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۲۳

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸۶

الرمانی: يجوز ان يكون موضع (ما) نصبا و تقديره ساء حكما حكمهم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۷] ..... ص : ۲۸۶

وَ كَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ (۱۳۷)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده «زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم» بضم الزاى، و نصب (الأولاد) و خفض «شركائهم». الباقون بفتح الزاى، «قتل» مفتوح اللام «أولادهم» بجر الدال «شركاؤهم» بالرفع بالتزيين.

فوجه قراءة ابن عامر انه فرق بين المضاف و المضاف اليه بالمفعول، و التقدير: قتل شركائهم أولادهم، و شركاؤهم فاعل القتل، و انما جر بالاضافة و من أضاف القتل الى الأولاد فى القراءة الاخرى يكون الأولاد فى موضع النصب، و هو مفعول به بالقتل و انشدوا فيه بيتا على الشذوذ أنشده بعض الحجازيين ذكره ابو الحسن:

فزججتها بمزجة زج القلوص أبى مزاده «۱»

و ذلك لا يجوز عند اكثر النحويين لان القراءة لا يجوز حملها على الشاذ القبيح، و لأنه إذا ضعف الفصل بالظرف حتى لم يجز الا فى ضرورة الشعر كقول الشاعر:

كما خط الكتاب بكف يوما يهودى «۲»

فان لا يجوز فى المفعول به أجدر، و لم يكن بعد الضعف الا الامتناع.

---

(۱) معانی القرآن ۱/ ۳۵۸ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۳۸ و خزانة الأدب ۲/ ۲۵۱

(۲) قائله ابو حية النمرى ألفية ابن عقيل ۲/ ۶۸ و القرطبى ۷/ ۱۱۱ و تمامه:

كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب او يزل

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۸۷

و قيل انما حمل ابن عامر على هذه القراءة انه وجد (شركائهم) فى مصاحف اهل الشام بالياء لا بالواو، و هذا يجوز فيه قتل أولادهم شركائهم على إيقاع الشرك للأولاد يعنى شركائهم فى النعم و فى النسب و فى الأولاد، و لو قيل أيضا زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على ذكر الفاعل بعد ما ذكر الفعل على طريقة ما لم يسم فاعله جاز كما قال الشاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومة و مختبط مما تطيح الطوائح «۲»

أى ليبكه ضارع. و مثله «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ رِجالٌ» «۳» و تقديره كأنه لما قال «زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ» قال قائل من زينه؟ قيل زينه شركاؤهم. و قال الفراء تكون «شركائهم» على لغة من قال فى عشاء عشاى كما قال الشاعر:

إذا الثريا طلعت عشايا فبع لراعى غنم كسايا

و ابو العباس يأبى هذا البيت، و يقول الرواية الصحيحة بالهمزة.

و وجه التشبيه فى قوله «وَ كَذلِكَ زَيَّنَ» أنه كما جعل أولئك فى الآية الاولى ما ليس لهم كذلك زين هؤلاء ما ليس لهم ان يزينوه. و

الشركاء الذين زينوا قتل الأولاد قيل فيهم خمسة اقوال:

أحدها- قال الحسن و مجاهد و السدى: هم الشياطين زينوا لهم و أدِ البنات أحياء خوف الفقر و العار.

و الثانى- قال الفراء و الزجاج: هم قوم كانوا يخدمون الأوثان.

و الثالث- انهم الغواة من الناس.

و الرابع- قيل: شركاؤهم فى نعمهم.

(۲) قائله نهشل بن حرى النهشلى، و قيل الحارث بن نهيك النهشلى. و قيل ضرار النهشلى، و قيل مزرد. و قيل المهلهل. و قيل غير ذلك. شواهد العينى على الاشمونى فى حاشية الصبان ۲/ ۴۹ الشاهد ۷۵ و غيره.

(۳) سورة ۲۴ النور آية ۳۶ [.....]

و الخامس- شركاؤهم فى الاشراك.

و قوله «ليردوهم» فالارداء الإهلاك، تقول: أراده يرديه إرداء و ردى يردى ردى إذا هلك، و تردَّى تردیا، و منه قوله «وَ ما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى» «۱» و المراد به الحجر يتردَّى من رأس جبل.

و اللام فى قوله «ليردوهم» قال قوم هى لام العاقبة، كما قال «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» «۲» لأنهم لم يكونوا معاندين فيقصدوا أن يردوهم و يلبسوا عليهم دينهم، هذا قول أبى على. و قال غيره: يجوز ان يكون فيهم المعاند، و يكون ذلك على التغليب.

و قوله «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ» معناه لو شاء ان يضطرهم الى تركه، او لو شاء ان يمنعهم منه لفعل، و لو فعل المنع و الحيلولة لما فعلوه، لكن ذلك ينافى التكليف. ثم أمر نبيه (ص) ان يذرهم اى يتركهم و لا يمنعهم و يخلى بينهم و بين ما يكذبون و ذلك غاية التهديد كما يقول القائل: دعنى و إياه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۸] ..... ص : ۲۸۸

وَ قالُوا هذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُها إِلاَّ مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ وَ أَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها وَ أَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِراءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِما كانُوا يَفْتَرُونَ (۱۳۸)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار انهم «قالُوا هذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ» يعنى الانعام و الزرع الذى جعلوهما لآلهتهم و أوثانهم. و قوله «بزعمهم» يدل على أنهم فعلوا ذلك بغير حجة بل بقولهم العارى عن برهان.

و قيل فى الانعام الاولى قولان

(۱) سورة ۹۲ الليل آية ۱۱

(۲) سورة ۲۸ القصص آية ۸

أحدهما- قال الجبائى: التى ذكرها أولا فهو ما جعلوه لاوثانهم كما جعلوا الحرث للنفقة عليها فى خدامها و ما ينوب من أمرها. و قيل: قرباناً للأوثان. و أما الانعام التى ذكرت ثانياً، فهى السائبة و البحيرة و الحام، و هو الفحل الذى يخلونه و يقولون: حمى ظهره، و هو قول الحسن و مجاهد. و أما التى ذكرت ثالثا- قيل فيه قولان: أحدهما التى إذا ولدوها أو ذبحوها أو ركبوها لم يذكروا اسم اللَّه عليها،

و هو قول السدى و غيره.

و الثانى قال ابو وائل هى التى لا يحجون عليها.

و قوله «حجر» معناه حرام تقول: حجرت على فلان كذا أى منعته منه بالتحريم، و منه قوله «حِجْراً مَحْجُوراً» «۱» و الحجر لامتناعه بالصلابة، و الحجر العقل للامتناع به من القبيح، قال المتلمس:

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس «۲»

و قال رؤبة:

و جارة البيت لها حجرى «۳»

و قال الآخر:

فبت مرتفقاً و العين ساهرة كأن نومى علىَّ الليل محجور «۴»

و قيل: حجر و حرج مثل جذب و جبذ، و به قرأ ابن عباس. و بضم الحاء قراءة الحسن و قتادة. و يقال: حِجر و حَجر و حُجر بمعنى المنع بالتحريم، و حَجر الإنسان، و حِجر بالكسر و الفتح. و انما أعيبوا بتحريم ظهور الانعام،

---

(۱) سورة ۲۵ الفرقان آية ۲۲، ۵۳

(۲) قائله جرير بن عبد المسيح، و هو الملتمس. ديوانه القصيدة ۴ و مجاز القرآن ۱/ ۲۰۷ و اللسان (دهرس) و معجم البلدان (نخلة القصوى) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۴۰ و «الدهاريس» الدواهى

(۳) و قيل انه للعجاج. ديوان العجاج: ۶۸ و اللسان «حجر»

(۴) نسبه ابن منظور فى اللسان (رفق) الى (أعشى بأهله). و هو فى الطبرى ۱۲/ ۱۴۱ غير منسوب. و معنى (مرتفقا) أى متكئا على يده

و الواجب تحريمها عقلا- حتى يرد سمع با باحته، لأنهم حرموا ذلك على وجه الكذب على اللَّه، و انه أوجب ذلك إذا كانت على صفة مخصوصة. و انما أعيبوا بأكلها بعد ذبحها، و هى حينئذ تجرى مجرى الميتة، و ذلك لا يعلم تحريمه عقلا، لأنهم ادعوا انه على وجه التذكية افتراء على اللَّه، فقصدوا به هذا القصد، و لذلك أعيبوا بتملكها و ان كانوا سبقوا أليها، و انما وجب تحريم الانتفاع باستهلال الانعام، لان الإيلام لا يحسن الا مع تضمن العوض الموافى عليه، و ذلك مفتقر الى السمع.

و قوله «افتراء» يعنى كذبا، و فى نصبه قولان: أحدهما- قالوا: افتراء على اللَّه، الثانى- لا يذكرون اسم اللَّه افتراء على اللَّه، كأنه قيل: افتروا بتركهم التسمية الذى أضافوه الى اللَّه افتراء عليه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۹] ..... ص : ۲۹۰

وَ قالُوا ما فِي بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلى أَزْواجِنا وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۱۳۹)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «و ان يكن» بالياء «ميتة» رفع. و قرأ ابن عامر الا الداحونى عن هشام، و ابو جعفر «تكن» بالتاء «ميتة» رفع. و قرأ ابو بكر عن عاصم الا الكسائى «يكن» باليا «ميتة» نصب. الباقون بالتاء «ميتة» نصب. وجه قراءة الأكثر ان يحمل على (ما) و تقديره و ان يكن ما فى بطون الانعام ميتة. و وجه قراءة ابن عامر ان يضيف الفعل الى الميتة فيرتفع الميتة به، فلذلك أنث الفعل. و وجه قراءة أبى بكر ان ما فى بطون الانعام مؤنث، لأنها من الانعام. و يجوز ان يكون أراد ان تكون الاجنة ميتة.

و وجه قراءة ابن كثير ان يضيف الفعل الى الميتة، لكن لما لم يكن تأنيث الميتة التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹۱
تأنيث ذوات الفروج، و تقدم الفعل جاز ان يذكر، كما قال «فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ» «۱» و «أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ» «۲» و تكون (كان) تامة، و معناه و ان وقع ميتة.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم أنهم «قالُوا ما فِي بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ» التى تقدم ذكرها أحياء، فهو خالص لذكورهم، و محرم على أزواجهم الإناث و بناتهم. و قال بعضهم انه يختص بالزوجات، و الاولى عموم النساء تفضيلا للذكور على الإناث. و قيل ان الذكور كانوا القوَّام بخدمة الأوثان.

و المراد بما فى بطون الانعام قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال قتادة المراد به الألبان.

و الثاني- قال مجاهد و السدى: انه الاجنة.

الثالث- ان المراد به الجميع، و هو أعم.

و قوله «خالِصَةٌ لِذُكُورِنا» معناه لا يشركهم فيها أحد من الإناث و ليس المراد به تسوية تصفية شيء عن شيء كالذهب الخالص و الفضة الخالصة، و من ذلك إخلاص التوحيد و اخلاص العمل للَّه.

و الهاء فى قوله «خالصة» قيل فيها ثلاثة أقوال:

أحدها- أنها للمبالغة فى الصفة كالعلامة و الرواية.

الثاني- على تأنيث المصدر كالعاقبة و العافية، و منه قوله «بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ» «۳».

الثالث- لتأنيث ما فى بطونها من الانعام. و يقال فلان خالصة فلان و من خلصائه. و حكى الزجاج و الفراء: انه قرئ خالصة لذكورنا، و المعنى ما خلص منها. و قيل أصل (الذكور) من الذكر سمى الذكر بذلك، لأنه أنبه و اذكر

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۷۵

(۲) سورة ۱۱ هود آية ۶۷

(۳) سورة ۳۸ ص آية ۴۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹۲

من الأنثى.

و قوله «وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً» معناه ان كان جنين الانعام ميتة فالذكور و الإناث فيه سواء، فقال اللَّه تعالى «سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ» يعنى سيجزيهم جزاء وصفهم، و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه.

و قوله «إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» معناه انه تعالى حكيم فيما يفعل بهم من العقاب آجلا، و فى إمهالهم عاجلا «عليم» بما يفعلون لا يخفى عليه شيء منها.

و قوله «خالصة» رفع بانه خبر الابتداء و المبتدأ قوله «ما فِي بُطُونِ» و لا يجوز عند البصريين النصب، لان العامل فيه لا يتصرف، فلا يتقدم عليه، و أجازه الفراء مع قوله انهم لا يكادون يتكلمون به، لا يقولون زيد قائما فيها، و لكنه قياس.

و قد عاب اللَّه على الكفار فى هذه الآية من أربعة أوجه:

أولها- ذبحهم الانعام بغير إذن اللَّه.

و ثانيها- أكلهم على ادعاء التذكية افتراء على اللَّه.

و ثالثها- تحليلهم للذكور و تحريمهم على الإناث تفرقة بين ما لا يفترق الا بحكم من اللَّه.

و رابعها- تسويتهم بينهم فى الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۰] ..... ص : ۲۹۲

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (۱۴۰)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابن عامر «قتّلوا» بتشديد التاء. الباقون بالتخفيف.

من شدد حمله على التكرار، كقوله «جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً» «۱». و من خفف

---

(۱) سورة ۳۸ ص آية ۵۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹۳

فلانه يدل على الكثرة.

اخبر اللَّه تعالى ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا أولادهم الإناث خوفا من الفقر و هربا من العار قد خسروا، و معناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عذاب الأبد. و الخسران هلاك رأس المال.

و قوله «سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ» نصب على انه مفعول له و يجوز ان يكون نصبا على المصدر، و تقديره سفهوا بما فعلوه سفها خوفا من الفقر و هربا من العار.

و السفه خفة الحلم بالعجلة الى ما لا ينبغى ان يعجل اليه. و أصله الخفة. و ضد السفيه الحليم. و الفرق بين السفه و النزق ان السفه عجلة يدعو اليها الهوى، و النزق عجلة من جهة حدة الطبع و الغيظ.

و قوله «وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ» يعنى ما حرموه على نفوسهم من الحرث بزعمهم انه حجر. و قال الحسن: انه راجع الى الانعام. و قال الرمانى: لا يجوز ذلك لأنها محرمة عليهم بحجة العقل حتى يأتى بسمع. و القتل نقض البنية التى تحتاج الحياة اليها و الموت- عند من أثبته معنى- ضد الحياة.

و قوله «افْتِراءً عَلَى اللَّهِ» يعنى كذبا. و نصبه على المصدر و العامل فيه قوله «و حرموا» لان ذلك قول منهم أضافوه الى اللَّه. ثم اخبر تعالى انهم قد ضلوا بما فعلوه و جازوا عن طريق الحق و أنهم لم يكونوا مهتدين الى طريق الرشاد و الحق.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۱] ..... ص : ۲۹۳

وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ مُتَشابِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (۱۴۱)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹۴

قرأ اهل البصرة و ابن عامر و عاصم (حصاده)- بفتح الحاء- الباقون بكسرها. و هما لغتان. و قال سيبويه: جاءوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال (فعال) نحو الصرام و الجزاز، و الجداد و القطاف و الحصاد. و ربما دخلت اللغتان فى بعض هذا، و كان فيه (فِعال و فَعال).

لما اخبر اللَّه عن هؤلاء الكفار و عن عظيم ما ابتدعوه و افتروا به على اللَّه و شرعوا من الدين ما لم يأذن اللَّه فيه، عقب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الأشياء فلا يجوز اضافة شيء منها الى الأوثان، و لا تحليله، و لا تحريمه الا بأذنه، فقال «وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ» و الإنشاء هو احداث الافعال ابتداء لا على مثال سبق، و هو كالابتداع. و الاختراع هو أحداث الافعال فى الغير من غير

سبب، و الخلق هو التقـدير و الترتيب. و الجنات جمع جنة، و هی البساتين التی يجنها الشـجر من النخل و غيره. و الروضة هی الخضـرة بالنبات و الزهور المشرقة باختلاف الألوان الحسنة.

و قوله «مَعْرُوشاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشاتٍ» قيل فی معناه قولان:

أحـدهما- ما قال ابن عباس و السـدی: المعروشات هو ما عرش الناس من الكروم و نحوها، و هو رفع بعض أغصانها على بعض «وَ غَيْرَ مَعْرُوشاتٍ» ما يكون من قبل نفسه فی البراری و الجبال.

و الثانی- قال ابو علی يعرشه أی يرفع له حظائر كالحائط. و أصله الرفع و منه قوله تعالى «خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها» «۱» يعنی على أعاليها، و ما ارتفع منها لم يندك فيستوی بالأرض، و منه العرش للسرير لارتفاعه.

(و معرشات) فی موضع النصب، لأنها صـفة ل (جنات) و النخل و الزرع معناه و أنشأ النخل و الزرع «مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ» يعنی طعمه، و نصب مختلفا على الحال، و انما نصبه على الحال، و هو يؤكل بعد ذلك بزمان، لامرين:

أحدهما- ان معناه مقدار اختلاف أكله كقولهم: مروت برجل معه صقر

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۵۹ و سورة ۱۸ الكهف آية ۴۳ و سورة ۲۲ الحج آية ۴۵

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹۵

صايدا به غدا أی مقدار الصيد به غدا.

الثانی- ان يكون معنى (أكله) ثمره الذی يصلح ان يؤكل منه.

«وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ» أی و انشـأ الزيتون و الرمـان. و انمـا قرن الزيتون الى الرمـان، لأـنه لما ذكر الكرم و النخل و الزرع اقتضـى ذكر ما خرج عن ذلك، فقرنا لفضـلهما بعد ما ذكره. و قيل: لأنهما يشتبهان باكتناف الأوراق فی أغصانها «مُتَشابِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ» معناه متماثلا و غير متماثل. و قيل «متشابها» فی النظر «وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ» فی الطعم بل الطعم مختلف.

و قوله «كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ» المراد به الاباحـة لا الامر. و قال الجبائی و جماعـة: ان ذلك يدل على جواز الاكل من ثمره، و ان كان فيه حق للفقراء.

و قوله «وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصـادِهِ» أمر إيجـاب بإيتاء الحق يوم الحصاد على طريق الجملـة، و الحق الـذی يجب إخراجه يوم الحصاد فيه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و محمد بن الحنفية و زيد بن أسـلم و الحسن و سـعيد بن المسيب و طاوس و جابر بن عبد اللَّه و بريد و قتادة و الضحاك: انه الزكاة العشر، او نصف العشر.

الثانی-

روی عن جعفر (ع) عن أبيه (ع) و عطاء و مجاهد و ابن عامر و سعيد بن جبير و الربيع بن أنس: انه ما ينثر مما يعطى المساكين.

و روی أصحابنا أنه الضغث بعد الضغث و الحفنة بعد الحفنة.

و قال ابراهيم و السدی: الآية منسوخة بفرض العشـر و نصف العشر، قالوا: لان الزكاة لا تخرج يوم الحصاد، و قالوا لان هذه الآية مكية و فرض الزكاة نزل بالمدينة. و لما

روی بأن فرض الزكاة نسخ كل صدقة.

قال الرمانی: و هذا غلط، لان يوم حصاده ظرف لحقه، و ليس بظرف الإيتاء المأمور به.

و قوله «وَ لا تُسْرِفُوا» قيل فی المخاطبين به ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابو العالية و ابن جريح انه يتوجه الى ارباب الأموال، التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹۶

لأنهم كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة يسرفون فيه، فروى عن ثابت بن شماس انه كان له خمس مائة رأس نخلا فصرهما و تصدق بها، و لم يترك لأهله منها شيئا فنهى اللّه عن ذلك، و بين أنه مسرف، و لذلك

قال النبى (ص) ابدأ بمن تعول.

الثانى- قال ابن زيد انه خطاب للسلطان.

الثالث- انه خطاب للجميع و هو أعم فائدة.

و قيل: ان السرف يكون فى التقصير، كما يكون فى الزيادة قال الشاعر:

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من و لا سرف «۱»

معناه و لا تقصير. و قيل و لا إفراط، لأنه لا يستكثر كثيرهم. و الإسراف هو مجاوزة حد الحق و هو افراط و غلو. و ضده تقصير و إقتار. و مسرف صفة ذم فى العادة.

و ينبغى ان يؤدى الحق الذى فى الغلات الى امام المسلمين ليصرفه الى اهل الصدقات و لهم ان يخرجوه الى المساكين إذا لم يأخذهم الامام بذلك فأما مقدار ما يجب من الزكاة، و النصاب الذى يتعلق به و صفة الأرض الزكوية فقد بيناه فى كتب الفقه مستوفى لا نطول بذكره الكتاب.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۲] ..... ص : ۲۹۶

وَ مِنَ الْأَنْعامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۱۴۲)

آية بلا خلاف.

العامل فى قوله «حَمُولَةً وَ فَرْشاً» قوله «انشأ» المتقدم، كأنه قال و انشأ لكم من الانعام «حَمُولَةً وَ فَرْشاً». و قيل فى معنى: «حَمُولَةً وَ فَرْشاً»

---

(۱) قائله جرير ديوانه ۳۸۹ و طبقات فحول الشعراء: ۳۵۹ و اللسان (هند)، «سرف» و تفسير الطبرى ۷/ ۵۷۹ و ۱۲/ ۱۷۷ و تفسير القرطبى ۷/ ۱۱۱، و هنيدة: اسم لكل مائة من الإبل، و هو ممنوع من الصرف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۲۹۷

ثلاثة أقوال:

أحدها- ما روى عن ابن مسعود، و ابن عباس فى احدى الروايتين، و الحسن فى رواية- و مجاهد: ان الحمولة كبار الإبل، و الفرش الصغار.

الثانى- ما روى عن الحسن- فى رواية- و قتادة و الربيع و السدى و الضحاك و ابن زيد: ان الحمولة ما حمل من الإبل و البقر، و الفرش الغنم.

الثالث- ما روى عن ابن عباس- فى رواية- ان الحمولة كل ما حمل من الإبل و البقر و الخيل و البغال و الحمير، و الفرش الغنم، كأنه ذهب الى أنه يدخل فى الانعام ذو الحافر على الاتباع.

و (الحمولة) لا واحد لها من لفظها كالركوبة و الجزورة. و (الحمولة) بضم الحاء هى الأحمال، و هى الحمول. و انما قيل للصغار: فرش، لامرين:

أحدهما- لاستواء أسنانها فى الصغر و الانحطاط، كاستواء ما يفترش.

الثانى- من الفرش و هى الأرض المستوية التى يتوطأها الناس.

و قال الجبائى: فى التفسير، و ابو بكر الرازى فى احكام القرآن: ان الفرش ما يفترش من البسط، و الزرابى. و هذا غلط قبيح جدا فى

اللغة.

و قوله «خطوات» يجوز فيه ثلاثة أوجه- بضم الخاء و الطاء، و ضم الخاء و سكون الطاء، و ضم الخاء و فتح الطاء- و فى معناه قولان:

أحدهما- ما يتخطى بكم الشيطان اليه من تحليل الى تحريم، و من تحريم الى تحليل.

الثانى- طرق الشيطان، فانه لا يسعى الا فى عصيان.

و قوله «انه» الهاء كناية عن الشيطان «لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» فيه اخبار من اللَّه ان الشيطان عدو للبشر «مبين» أى ظاهر. و قيل فى معنى «مبين» قولان:

أحدهما- انه أبان عداوته لكم بما كان منه الى أبيكم آدم حين أخرجه من الجنة الثانى- بين العداوة أى لإظهاره ذلك فى حزبه، و أوليائه من الشياطين هذا قول الحسن.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹۸

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۳] ..... ص : ۲۹۸

ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۴۳)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير الا ابن فليح و ابن عامر الا الداجونى عن هشام و اهل البصرة (المعز) بفتح العين. الباقون بسكونها. قال أبو على من قرأ بالفتح أراد الجمع بدلالة قوله «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» و لو كان واحدا لم يسغ فيه هذا، و نصب اثنين على تقدير: و انشأ ثمانية ازواج: انشأ من الضأن اثنين و من المعز اثنين، و نظير معز جمع ماعز خادم و خدم و طالب و طلب، و حارس و حرس، و قال ابو الحسن:

هو جمع على غير واحد، و كذلك المعزى، و حكى ابو زيد أمعوز و انشد:

كالتيس فى أمعوزه المربل

و قالوا: المعيز كالكليب، و من سكن العين، فهو أيضا جمع ما عز كصاحب و صحب و تاجر و تجر و راكب و ركب. و ابو الحسن: يرى هذا الجمع مستمرا، و من يرده فى التصغير الى الواحد، فيقول فى تحقير ركب رويكبون، و فى تجر:

تويجرون، و سيبويه يراه اسما من أسماء الجمع، و انشد ابو عثمان حجة لقول سيبويه:

بنيته بعصبة من ماليا أخشى ركيبا او رجيلا عاديا «۱»

- بالعين و الغين- عن غير أبى على فتحقيره له على لفظه من غير ان يرده

---

(۱) البيت ل (أحيحة بن الجلاح) و قد أنشده ابو عثمان شاهدا على البيت الذى يأتى بعده من أنه يقال فى تصغير (ركب) ركيب- بضم الراء و فتح الكاف و تسكين الياء

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۲۹۹

الى الواحد الذى هو فاعل- و الحاق الواو و النون أو الياء و النون، يدل على إنه اسم للجمع و أنشد ابو زيد:

و اين ركيب واضعون رحالهم الى أهل نار من أناس بأسود «۲»

و قال ابو عثمان البقرة عند العرب نعجة، و الظبية عندهم ماعزة، الدليل على ذلك قول ذى الرمة:

إذا ما رآها راكب الضيف لم يزل يرى نعجة فى مرتع فيثيرها

مولعة خنساء ليست بنعجة يدمّن أجواف المياه و قيرها «۳»

قوله لم يزل يرى نعجة يريد بقرة، ألا- ترى انه قال مولعة خنساء، و الخنس و التوليع إنما يكونان فى البقر دون الظباء. و قوله ليست بنعجة معناه انها ليست بنعجة أهلية، لأنه لا يخلو من ان يريد أنها ليست بنعجة أهلية، أو ليست بنعجة، و لا يجوز أن يريد انها ليست بنعجة، لأنك ان حملته على هذا فقد نفيت ما أوجبه من قوله: لم يزل يرى نعجة، و إذا لم يجز ذلك علمت انه أراد ليست بنعجة أهلية، و الدليل على ان الظبية ماعزة قول أبى ذؤيب.

و عادية تلقى الثياب كأنها تيوس ظباء محصها و انبتارها «۴»

فقوله تيوس ظباء كقوله: تيوس معز، و لو كانت عندهم ضائنة لقال كأنها كباش ظباء، و الوقير الشاة يكون فيها كلب و حمار فى قوله الاصمعى.

قوله «ثمانية ازواج» منصوب، لأنه بدل من «حمولة و فرشا» لدخوله فى الإنشاء، و تقديره و أنشأ حمولة و فرشا ثمانية أزواج «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» نصب (اثنين) بتقدير أنشأ من الضأن اثنين، و لو رفع على تقدير منها ماعز اثنان كما تقول رأيت القوم منهم قائم و قاعد كان جائزا، و انما أجمل ما فصله فى الاثنين للتقدير على شيء منه، لأنه أشد فى التوبيخ من ان يكون دفعة واحدة.

---

(۲) أنشده شاهدا على ما تقدم على انه يقال فى تصغير (راكب) ركيب، و ذلك يدل على ان ركبا مفرد، و ليس جمعا لراكب [.....]

(۳) اللسان (نعج)

(۴) اللسان «تيس»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰۰

و قوله «ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ» يريد ثمانية افراد، لان كل واحد من ذلك يسمى زوجا، و الأنثى زوج، و انما سمى بذلك، لأنه لا يكون زوج الا و معه آخر له مثل اسمه، فلما دل على الاثنين من اقرب الوجوه، وقع على طريقه، و منه قول لبيد.

من كل محفوف يظل عصيّه زوج عليه كلة و قرامها «۵»

و مثل ذلك قولهم: خصم للواحد و الاثنين، و قوله «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» يعنى ذكر و أنثى، فالضأن الغنم ذوات الاصواف و الأوبار، و المعز الغنم ذوات الاشعار و الاذناب القصار، و واحد الضأن ضائن، كقولهم تاجر و تجر فى قول الزجاج. و الأنثى ضائنة. و قال غيره: هو جمع لا واحد له، و يجمع ضئين كقولهم: عبد و عبيد، و يقال فيه (ضئين) كما يقولون فى شعر شعير، و كذلك ماعز و معز، الا أنه يجوز فتحه لدخول حرف الحلق فيه و يجمع مواعز.

و

روى عن أبى عبد اللّه (ع) ان المراد بقوله «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» أهلى و وحشى و كذلك المعز و البقر «وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ» العرابى و البخاتى.

و انما خص هذه الثمانية أزواج، لأنها جميع الانعام التى كانوا يحرمون منها ما يحرمونه مما تقدم ذكره.

فان قيل: إذا كان ما حرموه معلوما فلم عدل بهم فى السؤال الى غيره؟

قيل على وجه المعارضة لهم على طريقة الحجاج أى انكم بمنزلة من قال هذا، و لذلك وقع السؤال أعلى كذا أم كذا؟ و ان لم يتقدم دعوى أن أحدهما كذا، لأنهم فى حكم هذا المدعى. و قوله «آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ» منصوب ب (حرم)، و المعنى فى قوله «آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ» أ جاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة و البحيرة و الوصيلة و الحام من الذكرين أم من الأنثيين، فالالف ألف استفهام و المراد به التوبيخ، فلو قالوا من قبل الذكر حرم عليهم كل ذكر، و لو قالوا من قبل

---

(۵) تفسير الطبرى ۱۱/ ۱۴۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۳۰۱

الأنثى حرمت عليهم كل أنثى. ثم قال «أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ» فلو قالوا ذلك حرم عليهم الذكر و الأنثى، لان الرحم يشتمل عليهما، قال الحسن معناه ما حملت الرحم.

و قوله «نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى ذلك.

و قوله «آلذكرين» دخلت الف الاستفهام على الف الوصل لئلا يلتبس بالخبر، و لو أسقطت جاز، لان (أم) تدخل على الاستفهام، و على هذا أجاز سيبويه قال الشاعر ان يكون استفهاما:

فو اللّه ما ادرى و ان كنت داريا شعيب بن سهم أم شعيب بن منقر «۱»

أجاز تقديره أشعيب. و (ما) فى قوله «أما اشتملت» فى موضع نصب عطفا على الأنثيين، و انما قال: الأنثيين مثنى، لأنه أراد من الضأن و المعز.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۴] ..... ص : ۳۰۱

وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۱۴۴)

آية بلا خلاف.

قوله «وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ» تفصيل لتمام الثمانية أزواج التى أجملها فى الآية الاولى. و قد بينا معنى قوله «آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ» و اصل الاشتمال الشمول تقول: شملهم الأمر يشملهم شمولا فهو شامل، و منه الشمال لشمولها على ظاهر الشي‌ء

---

(۱) مر تخريجه فى ۴/ ۱۹۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۳۰۲

و باطنه بقوتها و لطفها و الشمول الخمر لاشتمالها على العقل. و قيل: لان لها عصفة كعصفة الشمال.

و قوله «أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا» ف (أم) معادلة لقوله «آلذكرين» و انما قال «أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا» لان طرق العلم اما الدليل الذى يشترك العقل فى ادراك الحق بها أو المشاهدة التى يختص بها بعضهم دون بعض، فإذا لم يكن واحد من الامرين سقط المذهب.

و المعنى أعلمتم ذلك بالسمع و الكتب المنزلة فأنتم لا تقرون بذلك أم شافهكم اللّه به فعلتموه؟! فإذا لم يكن واحد منهما علم بطلان ما تذهبون اليه.

و الوصية مقدمة مؤكدة فيما يفعل او يترك، يقال: وصاه يوصيه توصية و أوصاه يوصيه إيصاء، و الوصى الموصى اليه.

و قوله «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ» يعنى من أظلم لنفسه ممن يكذب عليه فيضيف اليه تحريم ما لم يحرمه و تحليل ما لم يحلله «لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى عمل القاصد الى إضلالهم من اجل دعائه الى ما يشك بصحته مما لا يؤمن ان يكون فيه هلاكهم و ان لم يقصد إضلالهم، فلذلك قال «لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ».

ثم أخبر «إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي» الى الثواب «الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» لأنهم مستحقون للعقاب الدائم بكفرهم و ضلالهم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۵] ..... ص : ۳۰۲

قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۴۵)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰۳

قرأ ابن كثير و حمزة «تكون» بالتاء «ميتة» بالنصب. و قرأ ابن عامر بالتاء و الرفع. الباقون بالياء و النصب.

من قرأ بالياء و نصب الميتة جعل فى «تكون» ضميرا و نصب الميتة بأنه خبر كان و تقديره: الا ان يكون ذلك او الموجود ميتة.

و من قرأ بالتاء و رفع الميتة رفعها ب (يكون) و يكون من كان التامة دون الناقصة التى تدخل على المبتدأ و الخبر، و هذه القراءة ضعيفة، لان ما بعده «أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ» بالعطف عليه، فلو كان مرفوعا لضعف ذلك.

و من قرأ بالتاء و نصب الميتة جعل فى (يكون) ضمير العين او النفس، و تقديره الا أن تكون النفس ميتة، و نصب الميتة بأنه خبر كان.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار انه لا يجد فى ما أوحى اليه شيئا محرما الا نحو ما ذكره فى المائدة «۱» كالمنخنقة و الموقوذة و المتردية و النطيحة، لان جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة، و فى حكمها، فبين هناك على التفصيل، و هاهنا على الجملة و أجود من ذلك ان يقال: ان اللَّه تعالى خص هذه الثلاثة أشياء تعظيما لتحريمها و بين ما عداها فى موضع آخر. و قيل:

انه خص هذه الأشياء بنص القرآن و ما عداه بوحى غير القرآن. و قيل: ان ما عداه حرم فيما بعد بالمدينة و السورة مكية.

و الميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية. و الدم المسفوح هو المصبوب، يقال: سفحت الدمع و غيره أسفحه سفحا إذا صببته، و منه السفاح الزنا، لصب الماء صب ما يسفح و السفح و الصب و الاراقة بمعنى و انما خص المسفوح بالذكر، لان ما يختلط بالدم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو مباح، و هو قول أبى محلز، و عكرمة و قتادة.

و قوله «أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ» فانه و ان خص لحم الخنزير بالذكر، فان جميع

---

(۱) آية ۳ من سورة ۵ المائدة ۳/ ۴۲۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰۴

ما يكون منه من الجلد و الشعر و الشحم و غير ذلك محرم.

و قوله «فَإِنَّهُ رِجْسٌ» يعنى ما تقدم ذكره، فلذلك كنا عنه بكناية المذكر، و الرجس العذاب أيضا.

و قوله «أو فسقا» عطف على قوله «او لحم خنزير» فلذلك نصبه، و المراد بالفسق «ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» يعنى «مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» او تذكر الأصنام و الأوثان، و سمى ما ذكر عليه أسم الوثن: فسقا لخروجه عن أمر اللَّه.

و أصل الإهلال رفع الصوت بالشىء، و منه اهل الصبى إذا صاح عند ولادته.

و قوله «فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ» قيل فيه قولان:

أحدهما- غير طالب بأكله التلذذ.

و الثانى- غير قاصد لتحليل ما حرم اللَّه. و

روى أصحابنا فى قوله «غَيْرَ باغٍ» ان معناه ان لا يكون خارجا على إمام عادل أى لا يعتدى بتجاوز ذلك الى ما حرمه اللَّه.

و

روى أصحابنا ان المراد به قطاع الطريق، فإنهم غير مرخصين بذلك على حال.

و الضرورة التى تبيح أكل الميتة هى خوف التلف على النفس من الجوع.

و انما قال عند التحليل للمضطر «فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لان هذه الرخصة لأنه «غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة. و فى ذلك بيان عن عظم موقع النعمة.

و قد استدل قوم بهذه الآية على إباحة ما عدا هذه الأشياء المذكورة.

و هذا ليس بصحيح، لان هاهنا محرمات كثيرة غيرها كالسباع، و كل ذى ناب و كل ذى مخلب، و غير ذلك. و كذلك أشياء كثيرة اختص أصحابنا بتحريمها، كالجرى و المار ما هى، و غير ذلك، فلا يمكن التعلق بذلك.

و يمكن ان يستدل بهذه الآية على تحريم الانتفاع بجلد الميتة فانه داخل تحت قوله «أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً» و يقويه

قوله (عليه السلام) لا ينتفع من الميتة التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰۵

بأهاب و لا عصب.

فأما دلالته على ان الشعر و الصوف و الريش منها و الناب و العظم محرم، فلا يدل عليه، لان ما لم تحله الحياة لا يسمى ميتة على ما مضى القول فيه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۶] ..... ص : ۳۰۵

وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إِلاَّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحَوايا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (۱۴۶)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى انه حرم على اليهود فى أيام موسى كل ذى ظفر.

و اختلفوا فى معنى «كُلَّ ذِي ظُفُرٍ» فقال ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و قتادة و السدى: انه كل ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، و النعام، و الاوز، و البط.

و قال أبو على الجبائى: يدخل فى ذلك جميع انواع السباع و الكلاب و السنانير و سائر ما يصطاد بظفره من الطير.

و قال البلخى: هو كل ذى مخلب من الطائر، و كل ذى حافر من الدواب.

و يسمى الحافر ظفرا مجازا، كما قال الشاعر:

فما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمريه بساق و حافر «۱»

فجعل الحافر موضع القدم. و اخبر تعالى انه كان حرم عليهم شحوم البقر و الغنم من الثرب، و شحم الكلى، و غير ذلك مما فى أجوافها، و استثنى من ذلك بقوله «إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما» ما حملته ظهورها فانه لم يحرمه، و استثنى أيضا ما على الحوايا من الشحم، فانه لم يحرمه.

---

(۱) قائله جبيها الاسدى. اللسان (حفر)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰۶

و اختلفوا فى معنى الحوايا، فقال ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و قتادة و مجاهد و السدى: هى المباعر. و قال ابن زيد: هن بنات اللبن.

و قال الجبائى: الحوايا الأمعاء التى عليها الشحم من داخلها.

و حوايا جمع حوية و حاوية. و قيل فى واحده حاوياء- فى قول الزجاج- على وزن راضعات و رواضع، و ضاربة و ضوارب، و من قال: حِويَّة قال وزنه فعائل مثل سفينة و سفائن فى الصحيح، و هى ما يجرى فى البطن فاجتمع و استدار، و يسمى بنات اللبن و المباعر و المرابض و ما فيها الأمعاء بذلك.

و استثنى أيضا من جملة ما حرم «مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ» و هو شحم الجنب و الإلية، لأنه على العصص- فى قول ابن جريج و السدى- و قال

الجبائى:

الإلية تدخل فى ذلك، لأنها لم تستثن و ما اعتد بعظم العصص.

و موضع (الحوايا) من الاعراب يحتمل أمرين:

أحدهما- قول اكثر اهل العلم: انه رفع عطفا على الظهور على تقدير:

و ما حملت الحوايا.

الثاني- نصب عطفا على ما فى قوله «إِلَّا ما حَمَلَتْ» فأما قوله «أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ» فيكون نسقاً على ما حرم لا على الاستثناء. و التقدير- على هذا القول- حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور، فانه غير محرم. و (أو) دخلت على طريق الاباحة كقوله «وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً» «۱» و المعنى اعص هذا و أعص هذا، فان جميعهم اهل ان يعصى، و مثله جالس الحسن أو ابن سيرين اى جالس أيهما شئت.

و هذه الأشياء و إن كان اللَّه تعالى حرمها على اليهود فى شرع موسى، فقد نسخ تحريمها على لسان محمد (صلى اللَّه عليه و آله) و أباحها، و تدعى النصارى ان ذلك نسخ فى شرع عيسى (ع) و لسنا نعلم صحة ما يقولونه.

و قوله «ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ» معناه انا حرمنا ذلك عليهم عقوبة لهم

---

(۱) سورة ۷۶ الدهر آية ۲۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰۷

على بغيهم.

فان قيل: كيف يكون التكليف عقابا، و هو تابع للمصلحة، و مع ذلك فهو تعريض للثواب؟؟

قلنا: إنما سماه عقوبة، لان عظيم ما أتوه من الاجرام و المعاصى اقتضى تحريم ذلك و تغير المصلحة، و حصول اللطف فيه، فلذلك سماه عقوبة، و لو لا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك.

و قوله «وَ إِنَّا لَصادِقُونَ» يعنى فيما أخبرنا به من تحريم ذلك على اليهود فيما مضى. و ان ذلك عقوبة لاوائلهم و مصلحة لمن بعدهم الى وقت النسخ.

و حكى عن ابن علية أنه كان يقول: ان ما يذبحه اليهود لا يجوز أكل شحمه و ان جاز أكل لحمه، لان الشحوم كانت حراما عليهم. و عندنا ان ما يذبحه اليهود لا يجوز استباحة شيء منه، و هو بمنزلة الميتة غير ان الذى ذكره غير صحيح، لأنه يلزم عليه انه لو نحر اليهود جملا ان لا يجوز اكله، لأنه كان حراما عليهم، و ذلك باطل عنده.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۷] ..... ص : ۳۰۷

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ وَ لا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (۱۴۷)

آية بلا خلاف.

المعنى بقوله «فَإِنْ كَذَّبُوكَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال مجاهد و السدى: انهم اليهود، لأنهم زعموا أنهم حرموا الثروب، لان إسرائيل حرمها على نفسه، فحرموها هم اتباعا له دون ان يكون اللَّه حرم ذلك على لسان موسى.

الثاني- انه يرجع الى جميع المشركين فى قول الجبائى و غيره على ظاهر الآية، فقال اللَّه لنبيه «فَإِنْ كَذَّبُوكَ» يا محمد فى انى حرمت ذلك على اليهود على لسان موسى «فقل» لهم «رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ» و اقتضى ذكر الرحمة التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰۸

أحد أمرين:

الاول- انه برحمة أمهلهم مع تكذيبهم، بالمؤاخذة عاجلا- فى قول أبى على الجبائى-.

الثانى- انه ذكر ذلك ترغيبا لهم فى ترك التكذيب و تزهيدا فى فعله و انما قابل بين لفظ الماضى فى قوله «كذبوك» بالمستقبل فى قوله «فقل» لتأكيد وقوع القول بعد التكذيب إذ كونه جوابا يدل على ذلك. و (ذو) بمعنى صاحب. و الفرق بينهما ان أحدهما يصح ان يضاف الى المضمر، و لا يصح فى الآخر، لان (ذو) وصلة الى الصفة بالجنس، و لذلك جعل ناقصا لا يقوم بنفسه دون المضاف اليه، و المضمر ليس بجنس و لا يصح ان يوصف به.

و قوله «لا يُرَدُّ بَأْسُهُ» معناه لا يمكن أحدا أن يرده عنهم، و هو أبلغ من قوله بأسه نازل بالمجرمين، لأنه دل على هذا المعنى و على أن أحدا لا يمكنه ردُّه. و قوله «عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» معناه أن أحدا لا يتمكن من ردِّ عقاب اللَّه عن العصاة المستحقين للعقاب مع انه تعالى ذو رحمة واسعة.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۸] ..... ص : ۳۰۸

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (۱۴۸)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى نبيه (ص) بأن هؤلاء المشركين سيحتجون فى إقامتهم على شركهم، و على تحريمهم ما أحله اللَّه من الانعام التى تقدم وصفها بأن يقولوا: لو شاء اللَّه ان لا نفعل نحن ذلك و لا نعتقده و لا آباؤنا، او أراد منا خلاف ذلك «ما أشركنا نحن و لا آباؤنا و لا حرمنا» شيئا من ذلك. فكذَّبهم التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۰۹

اللَّه تعالى بذلك فى قوله «كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» و معناه مثل هذا التكذيب الذى كان من هؤلاء- فى انه منكر- «كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» و انما قال كذلك لتقضى الخبر، و لو قال (كذا) لجاز، لأنه قريب بعد الاول، و (كذلك) أحسن، لان ما فيه من تأكيد الاشارة تغنى عن الصفة.

و حكى انه قرئ «كذب الذين» بالتخفيف، فمن خفف أراد ان هؤلاء كاذبون كما كذب الذين من قبلهم على اللَّه بمثله. و من قرأ بالتشديد، فلأنهم بهذا القول كذبوا رسول اللَّه لأنهم قالوا له: ان اللَّه أراد منا ذلك و شاءه، و لو أراد غيره لما فعلناه، مكذبين للرسول (ص) كما كذب من تقدم أنبياءهم فيما أتوا به من قبل اللَّه.

ثم بيَّن بقوله «قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا» أن ما قالوه باطل و كذب على اللَّه لأنه لو كان صحيحا لما رده عليهم.

ثم أكد تكذيبهم بقوله «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» أى ليس يتبعون إلا ظنا من غير علم «وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ» يعنى تكذبون، و الخرص الكذب كقوله «قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ» «۱».

و فى هذه الآية أدلُّ دلالة على ان اللَّه تعالى لا يشاء المعاصى و الكفر، و تكذيب ظاهر لمن أضاف ذلك الى اللَّه مع قيام ادلة العقل على انه تعالى لا يريد القبيح، لان إرادة القبيح قبيحة، و هو لا يفعل القبيح، و لان هذه صفة نقص، فتعالى اللَّه عن ذلك علوا كبيرا.

و قوله «حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا» معناه حتى ذاقوا عذابنا، و أراد به حلول العذاب بهم فجعل وجدانهم لذلك ذوقا مجازا. و جاز قوله «ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا» و لم يجز ان يقال: قمنا و زيد، لان العطف على المضمر المتصل لا يحسن الا بفصل، فلما فصلت (لا) حسن، كما حسن: ما قد قمنا و لا زيد كان كذلك، لان الضمير المتصل يغيَّر له الفعل فى (فعلت) فيصير كجزء منه.

---

(۱) سورة ۵۱ الذاريات آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱۰

فان قيل: انما أنكر اللَّه تعالى عليهم هذا القول، لأنهم جعلوا هذا القول حجة فى إقامتهم على شركهم، فأعلم اللَّه عزَّ و جل ان «كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا» و لم ينكر عليهم انهم قالوا الشرك بمشيئة اللَّه، و لو كان منكرا لذلك، لقال: كذلك كذب الذين- بتخفيف الذال-.

قلنا: لا يجوز ذلك، لأنه تعالى بين انهم كذبوا فى هذا القول بقوله «وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ» أى تكذبون، فاما كذبوا فقد حكينا أنه قرئ- بالتخفيف- و من شدد الذال، فلان تكذيب الصادق كذب، و هو يدل على الامرين، فان قالوا: انما عابهم، لأنهم كانوا متهزئين بهذا القول لا معتقدين و لا متدينين. قلنا: المعروف من مذهبهم خلافه، لأنهم كانوا يعتقدون ان جميع ما يفعلونه قربة الى اللَّه، و ان اللَّه تعالى اراده و اخبر عنه، فكيف يكونون متهزئين، على ان الهازئ بالشىء لا يسمى كاذبا، فكيف سماهم اللَّه كاذبين؟ على انه إذا كان كل ما يجرى بمشيئته فلا يجب ان ينكر على احد ما يعتقده، لأنه اعتقد ما شاء اللَّه. و من فعل ما شاء كان مطيعا له، لان الطاعة هى امتثال الامر و المراد منه. و هذا باطل بالإجماع.

فان قيل: انما عاب اللَّه المشركين بهذه الآية، لأنهم قالوا ذلك حدسا و ظنا لا عن علم، و ذلك لا يدل على انهم غير صادقين، و قد يجوز ان يكون الإنسان صادقا فيما يخبر به و يكون قوله صادرا عن حدس و عن ظن.

قلنا: لو كان الامر على ما قلتم لما كانوا كاذبين إذا كان مخبر ما أخبروا به على ما أخبروا، و قد كذبهم اللَّه فى اخبارهم بقوله «كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» و بقوله «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ» على ان من ظن شيئا فأخبر عنه لا يوصف بأنه كاذب و ان كان على خلاف ما ظنه فكيف إذا كان على ما ظنه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۹] ..... ص : ۳۱۰

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ (۱۴۹)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱۱

امر اللَّه تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين احتجوا بما قالوه ان اللَّه لو شاء منهم ذلك لما كان للَّه الحجة البالغة يعنى الحجة التى احتج بها على الكافرين فى الآية الاولى، و جميع ما احتج به على عباده فى صحة دينه الذى كلفهم إياه. و معنى (البالغة) التى تبلغ قطع عذر المحجوج و تزيل كل لبس و شبهة عمن نظر فيها و استدل أيضا بها. و انما كانت حجة اللَّه صحيحة بالغة، لأنه لا يحتج الا بالحق و ما يؤدى الى العلم. و قوله «وَ لَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ» يحتمل أمرين:

أحدهما- لو شاء لألجأ الجميع الى الايمان غير ان ذلك ينافى التكليف.

الثانى- انه لو شاء لهداهم الى نيل الثواب و دخول الجنة، و بيَّن بذلك قدرته على منافعهم و مضارهم، و بيَّن انه لم يفعل ذلك، لأنه يوجب زوال التكليف عنهم و اللَّه تعالى أراد بالتكليف تعريضهم للثواب الذى لا- يحسن الابتداء به، و لو كان الامر على ما قالته المجبرة من ان اللَّه تعالى شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على اللَّه من حيث فعلوا ما شاء اللَّه، و كان يجب ان يكونوا بذلك مطيعين له و لا تكون الحجة عليهم من حيث انه خلق فيهم الكفر و أراد منهم الكفر، فأى حجة مع ذلك.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۰] ..... ص : ۳۱۱

قُلْ هَلُمَّ شُهَداءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هذا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (۱۵۰)

آية بلا خلاف.

معنى هذه الآية ان الحجاج بأن الطريق الموصل الى صحة مذهبهم غير مسندّ إذ لم يثبت من جهة حجة عقل و لا سمع. و ما لم يصح ان يثبت من التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱۲

أحد هذين الوجهين باطل لا محالة، لان ما لا يصح ان يعلم فاسد لا محالة.

امر اللَّه تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين تقدم وصفهم «هلموا» و معناه هاتوا. و هلم كلمة موضوعة للجماعة بنى مع (ها) فصار بمنزلة الصوت نحو (صه) قال الأعشى:

و كان دعا قومه دعوة هلَّم الى أمركم قد صُرِم «۱»

و من قال: هلموا، فانه لم ينبهم مع (ها) بل قدره على الانفصال.

و الاول أفصح، لأنها لغة القرآن، و هى لغة اهل الحجاز. و اهل نجد يقولون:

هلم و هلما و هلموا و هلمى و هلميا و هلمن، قال سيبويه أصله (ها) ضم اليه (لم) فبنى فقيل: هلم، و هات فصل و لم يتصل بما يبنى معه، فلذلك لا بد ان يقال للجماعة: هاتوا. و (هلم) لفظ يتعدى تارة، و اخرى لا يتعدى، فإذا كانت بمعنى (هاتوا) فإنها تتعدى مثل قوله «هَلُمَّ شُهَداءَكُمُ» و إذا كانت بمعنى (تعالوا) نحو «هلم إلينا» «۲» فإنها لا تتعدى و نظيره: عليك زيدا يتعد الى واحد، و علىَّ زيدا يتعدى الى اثنين بمعنى أولنى زيدا، و مثله من الفعل: رجع و رجعته، و لا يجوز فى (هلم) الضم و الكسر، كما يجوز فى وَرُد: وَرَد. قال الزجاج: لأنها لا تتصرف على طريقة: فَعَل يَفعَل، مع ما اتصلت بها من هاء.

و معنى الآية هاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تدعون من ان اللَّه حرم هذا الذى ذكرتموه. و قوله «فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ» فان قيل كيف دعاهم الى الشهادة مع أنهم إذا شهدوا لم تقبل شهادتهم؟؟! قلنا عنه جوابان أحدهما- قال أبو على: لأنهم لم يشهدوا على الوجه دعوا ان يُشهِدوا بيِّنة عادلة تقوم بها الحجة.

الثانى- شهداء من غيرهم، و لن يجدوا ذلك، و لو وجدوه ما وجب

---

(۱) ديوانه ۳۴، و مجاز القرآن ۱/ ۲۰۸ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۱۵۰، و اللسان و التاج (ربع)

(۲) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۱۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱۳

قبول شهاداتهم، لأنها لا ترجع الا الى دعوى مجردة. و لكن المذهب مع هذه الحال أبعد عن الصواب، لأنهم لا يجدون من يشهد لهم. و هو قول الحسن.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا» نهى من اللَّه لنبيه و المراد به أمته ان يعتقدوا مذهب من اعتقد مذهبه هوى، و يمكن اتخاذ المذهب هوى من وجوه.

أحدها- هوى من سبق اليه فقلده فيه.

و الثانى- ان يدخل عليه شبهة فيتخيَّله بصورة الصحيح مع ان فى عقله ما يمنع منه. و منها- ان يقطع النظر دون غايته، للمشقة التى تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد. و منها- ان يكون نشأ على شىء و ألفه و اعتاده فيصعب عليه مفارقته. و كل ذلك متميز مما استحسنه بعقله.

و انما قال «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» و كلهم كفار ليفصل وجوه كفرهم، لان منه ما يكون مع الإقرار بالآخرة كحال اهل الكتاب، و منه ما يكون مع الإنكار كحال عبدة الأوثان. و قوله «وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» معناه يعدلون به عن الحق لاتخاذهم مع اللَّه شركاء و اضافتهم إليه ما لم يقله و افترائهم عليه.

و فى الآية دلالة على فساد التقليد لأنه لو كان التقليد جائزا لما طالب اللَّه الكفار بالحجة على صحة مذهبهم، و لما كان عجزهم عن

الإتيان بها دلالة على بطلان ما ذهبوا اليه.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۱] ..... ص : ۳۱۳

قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۱۵۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱۴

آية بلا خلاف.

لما حكى اللَّه تعالى عن هؤلاء القوم انهم حرموا ما لم يحرمه اللَّه و أحلُّوا ما حرمه، قال لنبيه «قل» لهم «تعالوا» حتى أبين لكم ما حرمه اللَّه.

و (تعالوا) معناه أدنوا، و هو مشتق من العلو، و تقديره كأن الداعى فى المكان العالى، و ان كانا فى مستوى من الأرض كما يقال للإنسان: ارتفع الى صدر المجلس.

و قوله «اتل» مشتق من التلاوة مثل القراءة. و المتلو مثل المقروء، فالمتلوُّ هو المقروء الاول، و التلاوة هى الثانى منه على طريق الاعادة، و هو مثل الحكاية و المحكى. و قوله «اتل» مجزوم بأنه جواب الامر، و علامة الجزم فيه حذف الواو، و من شأن الجازم أن يأخذ الحركة إذا كانت على الحرف، فان لم يكن هناك حركة أخذ نفس الحرف.

و قوله «ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ» (ما) فى موضع نصب ب (أتل) و هى بمعنى الذى، و تقديره أتل الذى حرم ربكم عليكم: ان لا تشركوا به شيئا، و يجوز ان يكون نصبا ب (حرَّم) و تقديره أى شيء حرم ربكم، لان (أتلوا) بمنزلة أقول.

و قوله «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» يحتمل موضع (ان) ثلاثة أوجه من الاعراب:

أحدها- الرفع على تقدير ذلك ان لا تشركوا به شيئا.

و الثانى- النصب على تقدير أوصى ان لا تشركوا به شيئا.

و قيل فيه وجه رابع- ان يكون نصبا ب (حرَّم) و تكون (لا) زائدة، و تقديره حرم ربكم ان تشركوا به شيئا، كما قال «ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ» «۱» و نظائر ذلك قد قدمنا طرفا منها. و موضع تشركوا يحتمل أمرين، أحدهما-

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱۵

النصب ب (ان). الثانى- الجزم ب (لا) على النهى.

و

قال ابو جعفر عليه السلام: ادنى الشرك الرياء.

و قوله «وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» العامل فيه (أمر) أى امر بالوالدين إحسانا، و اوصى بالوالدين إحسانا. و دليله من وجهين: أحدهما- ان فى (حرم كذا) معنى اوصى بتحريمه، و امر بتجنبه. الثانى «ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ».

و قوله «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ» عطف بالنهى على الخبر، لان قوله «و لا تقتلوا» نهى، و قوله اوصى ألا تشركوا به شيئا، و أوصى بالوالدين إحسانا خبر، و جاز ذلك كما جاز فى قوله «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «۲» و قال الشاعر:

حج و أوصى بسليمى الاعْبُدَ ان لا ترى و لا تكلم أحدا

و لا تمش بقضاء بَعُدا و لا يزل شرابها مبردا «۳»

و الاملاق: الإفلاس من المال و الزاد يقال: املق إملاقا و منه الملق لأنه اجتهاد فى تقرب المفلس للطمع فى العطية.

و قال ابن عباس و قتادة و السدى و ابن جريج و الضحاك: الاملاق الفقر، نهاهم اللَّه ان يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر. و قال «نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ» و قوله «وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ» نهى عن الفواحش و هى القبائح. و قيل:

الفاحش العظيم القبح، و القبيح يقع على الصغير و الكبير، لأنه يقال القرد قبيح الصورة و لا يقال فاحش الصورة. و ضد القبيح الحسن و ليس كذلك الفاحش. قال الرمانى و يدخل فى الآية النهى عن الصغير، لان قرب الفاحش عمل الصغير من القبيح. و قوله «ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و الضحاك و السدى: كانوا لا يرون بالزنا بأسا سرا، و يمنعون منه علانية، فنهى اللَّه عنه فى الحالتين.

---

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۱۴

(۳) مجاز القرآن ۱/ ۳۶۴ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۲۱۶.

الثانى- لئلا يظن و يتوهم ان الاستبطان جائز.

و

قال ابو جعفر (عليه السلام) ما ظهر هو الزنا، و ما بطن المخالَّة.

و قيل معناه ما علن و ما خفى يعنى من جميع أنواع الفواحش و هو أعم فائدة.

و قوله «وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» فالنفس المحرم قتلها هى نفس المسلم و المعاهد دون الكافر الحربى، و الحق الذى يستباح به قتل النفس المحرمة ثلاثة أشياء: قود بالنفس الحرام، و الزنا بعد إحصان، و الكفر بعد الايمان.

و قوله «ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ» خطاب لجميع الخلق «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» معناه لكى تعقلوا عنه ما وصاكم به فتعملوا به.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۲] ..... ص : ۳۱۶

وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۱۵۲)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة الا أبا بكر «تذكرون» بتخفيف الذال حيث وقع.

الباقون بالتشديد. قال سيبويه: ذكرته ذكرا مثل شربا، قال ابو على:

(ذكر) فعل يتعدى الى مفعول واحد، كقوله «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» «۱» فإذا ضاعفت العين تعدى الى مفعولين كقولك ذكرته أباه قال الشاعر:

يُذَكِّرنيك حنين العجول و نوح الحمامة تدعو هديلا

فان نقله بالهمزة كان كنقله بالتشديد، و تقول: ذكرته فتذكر، لان تذكر مطاوع (فعل) كما تفاعل مطاوع فاعل، قال تعالى

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۵۲ [.....]

«إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا» «۲» و قد تعدى تفعلت قال الشاعر:

تذكرت أرضا بها أهلها أخوالها فيها و أعمامها

و أنشد ابو زيد:

تذكرت ليلى لات حين أذكارها و قد حنى الإضلال ضلا بتضلال

فقال أذكارها، كما قال «وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» «۳» و نحو ذلك مما لا يحصى مما لا يجىء المصدر على (فعلة)، و جاء المصدر على (فعلى) بالف التأنيث، فقالوا ذكرى و قالوا فى الجمع الذكر، فجعلوه بمنزلة (سدرة، و سدر) و قالوا: الدكر بالدال غير المعجمة حكاه سيبويه، و المشهور بالذال.

فمن قرأ بتشديد الذال أراد يتذكرون و يأخذون به، و لا يطرحونه و ادغم التاء فى الذال، و المعنى يتذكرون، كما قال «وَ النَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ» «۴» أى يتفكر و قال «أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ» «۵» معناه او لا يتفكر، و قال «وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا» «۶» أى ليتفكروا فيه.

و من قرأ- بتخفيف الذال- أراد لكى يذكروه و لا ينسوه فيعلموا به.

و القراءتان متقاربتان غير ان هذا حذف التاء الاولى، و الأولون أدغموا التاء فى الذال. و المعنى فيها لعلكم تتذكرون.

هذه الآية عطف على ما حرم اللَّه فى الآية الاولى و اوصى به، فنهى فى هذه الآية ان تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن، و المراد بالقرب التصرف فيه، و انما خص اليتيم بذلك و ان كان واجبا فى كل احد، لان اليتيم لما كان لا يدفع عن نفسه و لا له والد يدفع عنه، فكان الطمع فى ماله أقوى تأكد النهى فى التصرف فى ماله.

و قوله «إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»

قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

---

(۲) سورة ۷ الاعراف آية ۲۰۰

(۳) سورة ۷۳ المزمل آية ۸

(۴) سورة ۲۵ الفرقان آية ۶۲

(۵) سورة ۱۹ مريم آية ۶۷

(۶) سورة ۲۵ الفرقان آية ۵۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱۸

أحدها- حفظه عليه الى ان يكبر فيسلم اليه.

و قيل معناه تثميره بالتجارة فى قول مجاهد و الضحاك و السدى.

و الثالث- ما قاله ابن زيد: ان يأخذ القيم عليه بالمعروف دون الكسوة.

و قوله «حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ»

اختلفوا فى حد الأشد، فقال ربيعة و زيد بن أسلم و مالك و عامر الشعبى: هو الحلم. و قال السدى: ثلاثون سنة. و قال قوم: ثمانى عشرة سنة. لأنه اكثر ما يقع عندهم البلوغ و استكمال العقل.

و قال قوم قوم: انه لاحد له و انما المراد به حتى يكمل عقله و لا يكون سفيها يحجر عليه. و المعنى حتى يبلغ أشده فيسلم اليه ماله او يأذن فى التصرف فى ماله، و حذف لدلالة الكلام عليه. و هذا أقوى الوجوه.

و واحد الأشد قيل فيه قولان:

أحدهما- شد مثل أضر جمع ضر، و أشد جمع شد. و الشد القوة، و هو استحكام قوة شبابه و سنه، كما شد النهار ارتفاعه. و حكى الحسين بن على المغربى عن أبى اسامة ان واحدة شدة. مثل نعمة و أنعم. و قال بعض البصريين: الأشد واحد مثل الافك. و من قال ان واحده شد استدل بقول عنترة:

عهدى به شد النهار كأنما خضب البنان و رأسه بالعظم «۱»

هكذا رواه المفضل الضبى. و قال الآخر:

يطيف به شد النهار ظعينة طويلة انقاء اليدين سحوق «۲»

و قوله «وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ»

أمر من اللَّه بتوفية كيل ما يكال و توفية وزن ما يوزن بالقسط يعنى بالعدل وفاء من غير بخس.

و قوله «لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها»

معناه هنا انه لما كان التعويل فى الوزن و الكيل على التحديد من اقل القليل يتعذر، بين انه لا يلزم فى ذلك الاجتهاد فى التحرز.

---

(۱) ديوانه ۲۷ و تفسير الطبرى ۱۲: ۲۲۲

(۲) تفسير الطبرى ۱۲: ۲۲۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۱۹

و قوله «وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا»

يعنى قولوا الحق. و لو كان على ذى قرابة لكم. و انما خص القول بالعدل دون الفعل، لان من جعل عادته العدل فى القول دعاه ذلك الى العدل فى الفعل، لان ذلك من آكد الدواعى اليه و البواعث عليه.

و قوله «وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا»

قيل فى معنى العهد هاهنا قولان:

أحدهما- كل ما أوجبه على العبد فقد عهد اليه بإيجابه عليه و تقديم القول فيه و الدلالة عليه.

الثانى- قال ابو على عهد اللَّه الحلف باللَّه، فإذا حلف فى غير معصية اللَّه وجب عليه الوفاء. و قوله «ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»

قيل فى معناه قولان:

أحدهما- لئلا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به و القيام بما يلزم منه.

الثانى- لتتذكروا كل ما يلزمكم بتذكر هذا فتعملوا به.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۳] ..... ص : ۳۱۹

وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۱۵۳)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائى و حمزة «و ان هذا» بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.

و كلهم شدد النون الا ابن عامر فانه خففها. و كلهم سكن الياء من (صراطى) الا ابن عامر فانه فتحها. و به قرأ يعقوب. و قرأ ابن كثير و ابن عامر «سراطى» بالسين. الباقون بالصاد الا حمزة، فانه قرأ بين الصاد و الزاى. و روى ابن فليح و البزى الا القواس «فتفرق» بتشديد التاء. و وجهه ان أصله (فتتفرق) فأدغم أحدهما فى الاخرى.

و من فتح (أنَّ) احتمل ذلك وجهين: التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۰

أحدهما- ان يكون عطفا على «أَلَّا تُشْرِكُوا».

و الثاني- و لان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه.

و من كسر (انَّ) احتمل ايضا وجهين: أحدهما- عطفه على «أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ» و اتل «ان هذا» بمعنى أقول. و الثاني- استأنف الكلام.

و من خفف (ان) فأن المخففة فى قوله تتعلق بما تتعلق به المشددة.

و موضع (هذا) رفع بالابتداء و خبره (صراطى) و فى (ان) ضمير القصة و الشأن. و على هذه الشريطة تخفف، و ليست المفتوحة كالمكسورة إذا خففت. و الفاء فى قوله «فاتبعوه» على قول من كسر (ان) عاطفة جملة على جملة. و على قول من فتح زائدة و نصب «مستقيما» على الحال.

و الفائدة ان هذا صراطى و هو مستقيم، فاجتمع له الأمران، و لو رفع مستقيم، لما أفاد ذلك.

و انما سمى اللَّه تعالى ان ما بيَّنه و ذكره من الواجب و المحرم صراط و طريق لان امتثال ذلك على ما أمر به يؤدى الى الثواب فى الجنة، فهو طريق اليها، و الى النعيم فيها و قوله «فَاتَّبِعُوهُ» أمر من اللَّه تعالى باتباع صراطه و ما شرعه للحق. و طريق اتباع الشرع- و فيه الحرام و الحلال و المباح- هو اعتقاد ذلك فيه، و العمل على ما ورد الشرع به، فيفعل الواجب و الندب، و يجتنب القبيح، و يكون مخيرا فى المباح. و لا يجب فعل جميعه، لان ذلك خلاف الاتباع. و انما قيل لاعتقاد صحة الشرع اتباع له، لأنه تعالى إذا حظر شيئا أو حظر تركه كان حكمه، و وجب اتباعه فى انه محرم و واجب، و كذلك الندب و المباح.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ» يعنى سبل الشيطان و اتباع اهل البدع من اليهود و النصارى و غيرهم، فنهى تعالى عن اتباع ذلك فان اتباع غير سبيله تصرف عن اتباع سبيله، و لا يمكن ان يجتمعا «ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» معناه أمركم به و أوصاكم بامتثاله لكى تتقوا عقابه باجتناب معاصيه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۱

و انما اتى بلفظة (لعل) لان المعنى انكم تعاملون فى التكليف و الجزاء معاملة الشك للمظاهرة فى العدل.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۴] ..... ص : ۳۲۱

ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (۱۵۴)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله «ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» مع ان كتاب موسى قبل القرآن و (ثم) تقتضى التراخى قولان:

أحدهما- ان فيه خذفا، و تقديره: ثم اتل «آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» و قال ابو مسلم عطفه على المنن التى امتنَّ بها على ابراهيم من قوله «وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ» الى قوله «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» و استحسنه المغربى.

و قوله «تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ» قيل فيه خمسة أقوال:

أحدها- قال الربيع و الفراء: تماما على إحسانه اى احسان موسى كأنه قال ليكمل إحسانه الذى يستحق به كمال ثوابه فى الآخرة.

الثاني- قال مجاهد: تماما على المحسنين. و قيل فى قراءة عبد اللَّه «تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ» كأنه قيل إتماما للعنة على المحسنين الذين هو أحدهم.

الثالث قال ابن زيد: تماما على احسان اللَّه الى أنبيائه.

الرابع- قال الحسن و قتادة: لتمام كرامته فى الجنة على إحسانه فى الدنيا.

الخامس- قال ابو على: تماما على احسان اللَّه الى موسى بالنبوة، و غيرها من الكرامة. و قال أبو مسلم تماما على الذى احسن ابراهيم، فجعل ما اعطى موسى منَّة على ابراهيم و اجابة لدعوته بما تقدم من إحسانه و طاعته، و ذلك إذ يقول ابراهيم «وَ اجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» «۱».

و قوله «تَماماً عَلَى الَّذِی» يقتضى مضاعفة (عليه). و لو قال: تماما،

(۱) سورة ۲۶ الشعراء آية ۸۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۲

لـدل على نقصـانه قبـل تكميله. و قوله «أحسن» فى موضع خفض عنـد الفراء، زعم ان العرب تقول مررت بالـذى خير منك، و بالـذى أخيك. و لا يقولون:

بالذى قائم، لأنه نكرة و أنشد عن الكسائى:

ان الزبيرى الذى مثل الحكم مشى بأسلابك فى اهل العلم «۲»

قال الزجاج: أجمع البصريون على انه لا يجوز ذلك، لان (الذى) يقتضى صلة، و لا يصح ان يوصف الا بعد تمام صلته.

و قوله «وَ هُدىً وَ رَحْمَةً» صفتان للكتاب الذى أنزله على موسى، و معناه حجة و رحمة «وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» مثل ذلك. و قوله «لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ» معناه لكى يؤمنوا بجزاء ربهم، فسـمى الجزاء لقاء اللَّه تفخيما لشأنه و تعظيما له مع الاختصار و الإيجاز. و (تماما) و (تفصيلا) نصب على انه مفعول له، و تقديره إنا فعلنا للتمام و التفصيل لكل ما شرعنا له. و روى فى الشواذ (أحسن) رفعا و تقديره على الذى هو أحسن.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۵] ..... ص : ۳۲۲

وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۱۵۵)

آية بلا خلاف.

قوله «و هذا» اشارة الى القرآن، وصـفه بأنه كتاب أنزله اللَّه و انما وصفه بأنه كتاب و ان لم يكن قرآنا من اجل انه يكتب، لأنه لما كان التقييـد بالكتاب من اكثر ما يحتاج اليه فى الـدلائل و الحكم، وصف بهـذا الوصف، لبيان انه مما ينبغى ان يكتب، لأنه اجل الحكم، و ذكر فى هذا الموضع بهذا الذكر ليقابل ما تقدم من ذكر كتاب موسى (ع).

و قوله «مبارك» فالبركة ثبوت الخير بزيادته و نموه، و أصـله الثبوت، و منه (تبارك) أى تعالى بصفة اثبات لا أول له و لا آخر، و هذا تعظيم

(۲) معانى القرآن ۱/ ۳۶۵ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۲۳۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۳

لاـ يسـتحقه غير اللَّه تعالى. و رفعه بأنه صـفة للكتاب، و لو نصب على الحال كان جائزا غير ان الرفع يـدل على لزوم الصـفة للكتاب، و النصب يجوز ان يكون لحالة عارضة فى وقت الفعل.

و قوله «فَاتَّبِعُوهُ» امر من اللَّه باتباعه و تدبر ما فيه و امتثاله.

و قوله «وَ اتَّقُوا» أمر منه تعالى باتقاء معاصيه، و تجنب مخالفة كتابه.

و قوله «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى لكى ترحموا، و انما قال «اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» مع انهم إذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين:

أحدهما- اتقوا على رجاء الرحمة، لأنكم لا تدرون بما توافون فى الآخرة.

الثانى- اتقوا لترحموا، و معناه ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند اللَّه من الرحمة و الثواب.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۶] ..... ص : ۳۲۳

أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ (۱۵۶)

آية بلا خلاف.

العامل فى (أن) قوله «أنزلناه» و تقديره لان لا تقولوا، فحذف (لا) لظهور المعنى فى انه أنزله لئلا يكون لهم حجة بهذا، و حذف (لا) فى قول الفراء، و قال الزجاج: تقديره كراهة ان تقولوا، و لم يجز حذف (لا) هاهنا، و إذا كان يجوز حذف المضاف فى غير (ان) فهو مع (أن) أجدر، لطولها بالصلة، و (ان) إذا كانت بمعنى المصادر تعمل، و لا تعمل إذا كانت بمعنى (أى) لان هذه تختص بالفعل، و الاخرى تدخل للتفسير، فتارة تفسير جملة من ابتداء و خبر، و تارة جملة من فعل و فاعل.

و قوله «إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا» معنى (انما) الاختصاص، و انما كان كذلك، لان (أن) كانت تحقيقا بتخصيص المعنى مما خالفه، فلما صحبتها (ما) ممكنة لها ظهر هذا المعنى فيها. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۴

و المعنى «عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا» اليهود و النصارى- فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و ابن جريج و قتادة و السدى- و انما خصا بالذكر لشهرتهما و لظهور أمرهما.

و قوله «وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ» اللام فى قوله «لغافلين» لام الابتداء، و لا يجوز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها الا فى باب (إنَّ) خاصة لأنها زحلقت معها عن الاسم الى الخبر للفصل بين حرفين بمعنى واحد، و تقدير الآية: انا أنزلنا الكتاب الذى هو القرآن لئلا يقولوا: انما أنزل الكتاب على اليهود و النصارى، و لم ينزل علينا، و لو أريد منا ما أريد ممن قبلنا لأنزل إلينا كتاب كما أنزل على من قبلنا «وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ» و تقديره و ان كنا غافلين عن تلاوة كتبهم يعنى الطائفتين اللتين أنزل عليهم الكتاب، لأنهم كانوا أهله دوننا.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۷] ..... ص : ۳۲۴

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنَّا أَهْدى مِنْهُمْ فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ وَ صَدَفَ عَنْها سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ الْعَذابِ بِما كانُوا يَصْدِفُونَ (۱۵۷)

آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما قبلها و التقدير: انا أنزلنا القرآن المبارك لئلا يقولوا: انه ما أنزل علينا الكتاب، كما أنزل على من قبلنا، او يقولوا: لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فى المبادرة الى قبوله و التمسك به، كما يقول القائل: لو أتيت بدليل لقبلته منك. و مثل هذا يستبق الى النفس.

و قوله «أَهْدى مِنْهُمْ» فلإدلالهم بالاذهان و الافهام. و قد يكون العارف بالشيء أهدى اليه من عارف آخر، بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها الآخر، و بأن التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۵

يكون ما يعرفه به أثبت مما يعرفه به الآخر.

قال الرمانى: و الفرق بين الهداية و الدلالة ان الهداية مضمنة بأنها نصبت ليهتدى بها صاحبها، و ليس كذلك الدلالة، قال: و لذلك كثر تصرفها فى القرآن، كما كثر تصرف الرحمة، لأنها على المحتاج. و هذا فرق غير صحيح لان الدلالة أيضا لا تسمى دلالة الا إذا نصبت ليستدل بها، و لذلك لا يقال:

اللص دل على نفسه إذا فعل آثار أمكن ان يستدل بها على مكانه، و لم يقصد ذلك.

و قوله «لو أنا» فتحت (ان) بعد (لو) مع انه لا يقع فيه المصدر، لان الفعل مقدر بعد (لو) كأنه قيل: لو وقع إلينا أنا أنزل هذا الكتاب علينا، الا أن هذا الفعل لا يظهر من اجل طول (ان) بالصلة، و لا يحذف مع المصدر الا فى الشعر قال الشاعر:

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار الى بنى العوام

فقال اللَّه لهم «فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» يعنى حجة واضحة «وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ» و ادلة مؤدية الى الحق، و رحمة منه تعالى و انعام «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ» يعنى فمن أظلم لنفسه ممن كذب بآيات اللَّه «وَ صَدَفَ عَنْها» أى اعرض عنها غير مستدل بها و لا مفكر فيها. و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدى.

فان قيل كيف قال «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ» بأن يجحدها، و لو فرضنا انه ضم الى ذلك قتل النفوس و انتهاك المحارم كان اظلم؟.

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- للمبالغة لخروجه الى المنزلة الداعية الى كل ضرب من الفاحشة.

و الآخر- انه لا خصلة ممن ظلم النفس أعظم من هذه الخصلة.

ثم قال تعالى «سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ» أى يعرضون «عَنْ آياتِنا سُوءَ الْعَذابِ» أى شديدة «بِما كانُوا يَصْدِفُونَ» أى جزاء بما كانوا يعرضون التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۶

و هو ما أعد اللَّه للكفار نعوذ باللَّه.

فان قيل: فهل للذين ماتوا قبل من خوطب بهذه الآية ان يقولوا هذا القول؟

قيل: لا، ليس له ذلك، لان عذره كان مقطوعا بعقله، و بما تقدم من الاخبار و الكتب و هؤلاء أيضا لو لم يأتهم الكتاب و الرسول لم يكن لهم حجة، لكن فعل اللَّه تعالى ما علم ان المصلحة تعلقت به لهؤلاء، و لو علم ذلك فيمن تقدم، لأنزل عليهم مثل ذلك، لكن لما لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصلحتهم.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۸] ..... ص : ۳۲۶

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (۱۵۸)

آية.

قرأ حمزة و الكسائى «يأتيهم الملائكة» بالياء. الباقون بالتاء.

و قد مضى الكلام فى أمثال ذلك فيما مضى، فلا وجه للتطويل باعادته.

قوله «هَلْ يَنْظُرُونَ» ما ينتظرون، يعنى هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم. و قال ابو على: معناه هل تنتظر انت يا محمد و أصحابك الا هذا؟!

و هم و ان انتظروا غيره فذلك لا يعتد به فى جنب ما تنتظرونه من الأشياء المذكورة لعظم شأنها، و هو مثل قوله «وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى «۱»»، و تكلمت و لم تتكلم بما لا يعتد به.

و قوله «إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ» يعنى لقبض أرواحهم. و قال مجاهد و قتادة و السدى: تأتيهم الملائكة، لقبض أرواحهم «أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ» أى يوم

---

(۱) سورة ۸ الانفال آية ۱۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۷

القيامة «أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ»، كطلوع الشمس من مغربها.

و قوله «أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- او يأتى امر ربك بالعذاب. و حذف المضاف و اقام المضاف اليه مقامه، و مثله «وَ جاءَ رَبُّكَ» «۲» و قوله «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» «۳» يعنى يؤذون اولياء اللّه.

الثانى- او يأتى ربك بعظم آياته فيكون (يأتى) به على معنى الفعل المعتدى، و مثل ذلك قول الناس: أتانا الروم يريدون أتانا حكم الروم و سيرتهم.

و قوله «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ». قيل فى الآيات التى تحجب من قبول التوبة ثلاثة أقوال:

أحدها- قال الحسن، و

روى عن النبى (ص) انه قال (بادروا بالأعمال قبل ستة: طلوع الشمس من مغربها، و الدابة، و الدجال، و الدخان، و خويصة أحدكم- اى موته- و امر القيامة) يعنى القيامة.

الثانى- قال ابن مسعود: طلوع الشمس من مغربها و الدجال و دابة الأرض، و هو قول أبى هريرة.

الثالث-

طلوع الشمس من مغاربها رواها جماعة عن النبى (ص).

و قوله «أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- الإبهام فى احد الامرين:

الثانى- التغليب، لان الأكثر ممن ينتفع بإيمانه حينئذ من كان كسب فى إيمانه خيرا قبل.

الثالث- انه لا ينفعه إيمانه حينئذ و ان اكتسب فيه خيرا الا أن يكون ممن آمن قبل- فى قول السدى- و معنى كسب الخير فى الايمان عمل النوافل و الاستكثار من عمل البر بعد أداء الفرائض. و الاول عندى أقواها،

---

(۲) سورة ۸۹ الفجر آية ۲۲

(۳) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۵۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۸

لان المعنى انه لا ينفع نفسا إيمانها الا إذا كانت آمنت قبل، فإنها إذا آمنت قبل نفعها إيمانها بانفراده او إذا ضمت الى إيمانها أفعال الخير، فان ذلك ينفعها أيضا، فانه ازداد خيرا.

و قوله «قُلِ انْتَظِرُوا» خطاب للنبى (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار:

انتظروا إتيان الملائكة و هذه الآيات، فانا منتظرون حصولها. و معنى الآية الحث على المبادرة الى الايمان قبل الحال التى لا تقبل فيها التوبة، و هى ظهور الآيات التى تقدم ذكرها، و فى ذلك غاية التهديد.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۹] ..... ص : ۳۲۸

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (۱۵۹)

آية.

قرأ حمزة و الكسائى «فارقوا» بألف، و هو المروى عن على (ع)

الباقون «فرقوا» بلا الف مع تشديد الراء. و المعنيان متقاربان، لان القراءتين يؤلان الى شيء واحد، لان جميع ذلك مخالف لما يوجبه

دينهم، فهم بتفريقه من جهة إكفار بعضهم بعضا على جهالة فيه مخالفون له، و هم بخروجهم عنه الى غيره مفارقون له مخالفون. و قيل فى المعنيين بهذه الآية اربعة أقوال:

أحدها- قال مجاهد: هم اليهود، لأنهم كانوا يمالئون عبدة الأوثان على المسلمين.

الثانى- قال قتادة: هم اليهود و النصارى، لان بعض النصارى يكفر بعضا و كذلك اليهود.

الثالث- قال الحسن هم جميع المشركين، لأنهم جميعا بهذه الصفة.

الرابع-

قال ابو جعفر (ع): هم اهل الضلالة و البدع من هذه الامة.

و هو قول أبى هريرة و المروى عن عائشة.

حذرهم اللَّه تعالى من تفرق الكلمة و دعاهم الى الاجتماع على ما تقوم عليه التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۲۹

الحجة. و الدين الذى فارقوه: قيل فيه قولان:

قال ابو على و غيره: هو الدين الذى امر اللَّه باتباعه و جعله دينا لهم.

الثانى- الدين الذى هم عليه، لانكار بعضهم بعضا بجهالة فيه.

و معنى الشيع الفرق التى يمالئ بعضهم بعضا على امر واحد مع اختلافهم فى غيره، و قيل أصله الظهور من قولهم: شاع الخبر يشيع إذا ظهر. و قال الزجاج: أصله الاتباع من قولك: شايعه على الامر إذا اتبعه.

و قوله «لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» خطاب للنبى (ص) و اعلام له انه ليس منهم فى شىء، و انه على المباعدة التامة من ان يجتمع معهم فى معنى من مذاهبهم الفاسدة، و ليس كذلك بعضهم مع بعض، لأنهم يجتمعون فى معنى من الباطل و ان افترقوا فى غيره، فليس منهم فى شىء، لأنه برىء من جميعه و قال الفراء: معناه النهى عن قتالهم، ثم نسخ بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» «۱» و هو قول السدى.

اخبر اللَّه تعالى ان الذين فرقوا دينهم- و خالفوه و باينوه و صاروا فرقا يمالئ بعضهم بعضاً على أمر واحد مع اختلافهم فى غيره- ليس النبى (ص) منهم فى شىء و انه مباين لهم لفساد ما هم عليه. ثم قال «إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ» يعنى ان اللَّه تعالى هو الذى يخبرهم بأفعالهم و يجازيهم عليها دون غيره يعنى يوم القيامة.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۶۰] ..... ص : ۳۲۹

مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۱۶۰)

آية بلا خلاف.

يجوز فى قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» ثلاثة أوجه: الجر بالاضافة، و عليه جميع القراء الا يعقوب. و رفع (أمثالها) مع التنوين على الصفة، و به قرأ

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۳۰

الحسن و يعقوب. و نصبه على التميز، كما تقول عندى خمسة أترابا ذكر ذلك الزجاج، و الفراء.

و معنى القراءة الأولى، فله عشر حسنات أمثالها، و يجوز فى العربية فله عشر مثلها، فيكون المثل فى لفظ الواحد و فى معنى الجمع، كما قال «إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ» «۲». و من قال: أمثالها فهو كقوله «لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ» «۳» و انما جاز فى (مثل) التوحيد فى معنى الجمع، لأنه على قدر ما يشبه به، تقول: مررت بقوم مثلكم و بقوم أمثالكم. و قال الرمانى: كلما لم يتميز بالصورة فان جمعه يدل على الاختلاف،

كقولك: رمال و مياه، فأما (رجال) فلا يدل على الاختلاف، لأنه يتميز بالصورة، و يجوز ان يكون (المثل) فى موضع الجمع و لا يجوز مثل ذلك فى (العدل) لان (المثل) لا يضاف الى الجماعة الا على معنى انه مثل لكل واحد منهم. و ليس كذلك (العدل) لأنه يكون لجماعتهم دون كل واحد منهم.

و قال اكثر اهل العدل ان الواحد من العشرة مستحق و تسعة تفضل.

و قال بعضهم: المعنى فله من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها، و هذا لا يجوز، لأنه يقبح ان يعطى غير العامل مثل ثواب العامل كما يقبح ان يعطى الأطفال مثل ثواب الأنبياء و مثل إجلالهم و إكرامهم و ان يرفع منزلتهم عليهم.

و انما لم يتوعد على السيئة الا بمثلها، لان الزائد على ذلك ظلم. و اللَّه يتعالى عن ذلك، و زيادة الثواب على الجزاء تفضل و احسان فجاز ان يزيد عليه. قال الرمانى: و لا يجوز على قياس عشرة أمثالها عشر صالحات بالاضافة لان المعنى ظاهر فى ان المراد عشر حسنات أمثالها، و قال غيره لان الصالحات لا تعد، لأنها اسماء مشتقة. و انما تعد الأسماء. و (المثل) اسم فلذلك جاز العدد به، و قال الرمانى: دخول الهاء فى قوله (الحسنة) يدل على ان تلك الحسنة ما هو مباح لا يستحق عليه المدح و الثواب. و لو قيل: دخول الالف

---

(۲) سورة ۴ النساء آية ۱۳۹ [.....]

(۳) سورة ۴۷ محمد آية ۳۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۳۱

و اللام فيها يدل على ان الحسنة هى المأمور بها، و دخلا للعهد، و اللَّه لا يأمر بالمباح، لكان أقوى مما قاله، و يجوز أن يكون التفضل مثل الثواب فى العدد و الكثرة، و يتميز منه الثواب بمقارنة التعظيم و التبجيل اللذين لو لا هما لما حسن التكليف. و انما قلنا: يجوز ذلك لان وجه حُسن ذلك: الإحسان و التفضل، و ذلك حاصل فى كل قدر زائد. و فى الناس من منع من ان يساوى التفضل الثواب فى باب الكثرة. و الصحيح ما قلناه أولا.

فان قيل: كيف تجمعون بين قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» و بين قوله «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ» «۱» و قوله «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً» «۲» و لان المجازاة بدخول الجنة مثابا فيها على وجه التأبيد، لا نهاية له، فكيف يكون ذلك عشر أمثالها، و هل هذا الا ظاهر التناقض؟؟! قلنا: الجواب عن ذلك ما ذكره الزجاج و غيره: ان المعنى فى ذلك ان جزاء اللَّه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذى هو النهاية فى التقيد فى النفوس، و يضاعف اللَّه عن ذلك بما بين عشرة أضعاف الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة، ففائدة ذلك انه لا ينقص من الحسنة عن عشر أمثالها، و فيما زاد على ذلك يزيد من يشاء من فضله و إحسانه.

و قال قوم: المعنى من جاء بالحسنة فله عشر أمثال المستحق عليها، و المستحق مقداره لا يعلمه الا اللَّه و ليس يريد بذلك عشر أمثالها فى العدد، كما يقول القائل للعامل الذى يعمل معه: لك من الأجر مثل ما عملت اى مثل ما تستحقه بعملك.

و قال آخرون: المعنى فى ذلك ان الحسنة لها مقدار من الثواب معلوم للَّه تعالى فأخبر اللَّه تعالى انه لا يقتصر بعباده على ذلك بل يضاعف لهم الثواب حتى تبلغ ذلك ما أراد و علم أنه أصلح لهم، و لم يرد العشرة بعينها لكن أراد الاضعاف

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۶۱

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۴۵

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۳۲

كما يقول القائل: لئن أسديت إلىَّ معروفا لأكافينَّك بعشرة أمثاله، و عشرة أضعافه. و فى الوعيد لئن كلمتنى واحدة لأكلمنك عشرة،

و ليس يريدون بذلك العدد المعين لا اكثر منها، و انما يريدون ما ذكرناه.

و قال قوم: عنى بهذه الآية الاعراب، و اما المهاجرون فحسناتهم سبع مائة، ذهب اليه ابو سعيد الخدرى، و عبد اللَّه بن عمر.

و قال قوم: معنى «عَشْرُ أَمْثالِها» لأنه كان يؤخذ منهم العشر فى الزكاة، و كانوا يصومون فى كل شهر ثلاثة ايام و الباقى لهم.

و قال قوم «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ» يعنى الايمان، فله يعنى للايمان عشر أمثالها، و هو ما ذكره فى قوله «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ ...» «۱» الى آخر الآية. و هذان الوجهان قريبان، و المعتمد ما قدمناه من الوجوه.

و قال اكثر المفسرين: ان السيئة المذكورة فى الآية هى الشرك، و الحسنة المذكورة فيها هى التوحيد و اظهار الشهادتين.

فان قيل كيف يجوز الزيادة فى نعم المثابين مع ان الثواب قد استغرق جميع مناهم و ما يحتملونه؟

قلنا عنه جوابان: أحدهما- انه ليس للمنية نهاية مما يحتمله من اللذات.

و الثانى- ان يزاد فى البنية و القوة مثل أن يزاد فى قوة البصر حتى يرى الجزء الذى لا يتجزَّء و ان لم يزد فى إخفاء الإنسان.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۶۱ الى ۱۶۲] ..... ص : ۳۳۲

قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۱۶۱) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيايَ وَ مَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۶۲)

آيتان.

قرأ ابن عامر و اهل الكوفة «قيما» بكسر القاف و تخفيف الياء و فتحها.

الباقون بفتح القاف مع تشديد الياء.

---

(۱) سورة ۳۳ الأحزاب آية ۳۵

من قرأ بتشديد الياء فحجته قوله «وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» «۱» كأنه قال دين الملة القيِّمة، و يكون وصفا للدين إذا كان نكرة، كما كان وصفا للملة، لان الملة هى الدين. قال ابو الحسن: قال اهل المدينة «دِيناً قِيَماً» و هى حسنة، و لم أسمعها من العرب. قال ابو الحسن: و هو فى معنى المستقيم.

فأما من قرأ بالتخفيف، فانه أراد المصدر، مثل الشبع، و لم يصحح (عوض و حول). قال الزجاج: لأنه جاء على (فَعل) معتل، و هو (قام) و الأصل (قوم، أقوم قوما) قال ابو على: و كان القياس يقتضى ان يصحح، لكنه شذَّ عن القياس، كما شذ (أشياء) و نحوه عن القياس نحو (ثيرة) فى جمع (ثور) و نحو (جياد) فى جمع (جواد) و كان القياس الواو، كما قالوا:

طويل و طوال قال الأعشى:

جيادك فى الصيف فى نعمة تصا ن الجلال و تعطى الشعيرا «۲»

و قوله «دِيناً قِيَماً» يحتمل نصبه ثلاثة أوجه:

أحدها- انه قال «إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» و استغنى بجرى ذكر الفعل عن ذكره، فقال «دِيناً قِيَماً» كما قال «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ».

و الثانى- نصبه على تقدير عرِّفنى، لان هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على عرِّفنى دينا قيما.

و قال الزجاج: معناه عرفنى دينا قيما. و ان شئت حملته على الاتباع كما قال «اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ» «۳» و قال الفراء: هو نصب على المصدر، كأنه قال هدانى اهتداء، و وضع (دينا) موضعه.

أمر اللَّه تعالى نبيه (ص) ان يقول للخلق و خاصة لهؤلاء الكفار «إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي» و قيل فى معنى الهداية قولان:

---

(۱) سورة ۹۸ البينة آية ۵

(۲) ديوانه: ۱۷

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۱۷۰

أحدهما- قال ابو على: أراد بالهداية الدلالة و أضافه الى نفسه دونهم، و ان كان قد هداهم أيضا، لأنه اهتدى دونهم.

و قال غيره: أراد به لطف لى ربى فى الاهتداء.

و «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» قد فسرناه فى غير موضع. و انه الطريق الموصل الى ثواب اللَّه من غير اعوجاج، و انما قال «إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»- هاهنا- و قال فى موضع آخر «وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً» «۴»، لأنه إذا ضمن معنى النهاية دخلت (الى) و إذا لم تضمن لم تدخل (الى) و صار بمعنى عرّفنى.

و الاول بمنزلة ارشدنى، و انما كرر (مستقيم، و قيم) للمبالغة، كأنه قال:

هو مستقيم على نهاية الاستقامة. و قوله «مِلَّةَ إِبْراهِيمَ» فالملة الشريعة و هى مأخوذة من الاملاء كأنه ما يأتى به السمع و يورده الرسول من الشرائع المتجددة فيمله على أمته ليكتب او يحفظ.

فأما التوحيد و العدل فواجبان بالعقل، و لا يكون فيهما اختلاف.

و الشرائع تختلف، و لهذا يجوز ان يقال دينى دين الملائكة. و لا يقال ملتى ملة الملائكة. و الملة دين، و ليس كل دين ملة. و انما وصف دين النبى (ص) بأنه ملة ابراهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابراهيم فى نفوسهم و غيرهم من أهل الأديان.

و قوله «حنيفا» معناه مخلصا لعبادة اللَّه فى قول الحسن. و أصله الميل من قولهم: رجل أحنف إذا كان مائل القدم بإقبال كل واحدة منهما على الاخرى من خلقة لا من عارض. و قال الزجاج: الحنيف هو المائل الى الإسلام ميلا لازما لا رجوع معه. و قال ابو على: أصله الاستقامة. و انما جاء (أحنف) على التفاؤل «وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» يعنى ابراهيم (ع) و «حنيفا» نصب على الحال من (ابراهيم) و «مِلَّةَ أَبِيكُمْ» نصب على المصدر- فى قول الفراء- و قال الزجاج: هو بدل من قوله «دِيناً قِيَماً».

---

(۴) سورة ۴۸ الفتح آية ۲۰

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۶۳] ..... ص : ۳۳۵

لا شَرِيكَ لَهُ وَ بِذلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (۱۶۳)

آية.

أسكن الياء من «محياى» أهل المدينة. قال ابو على الفارسى: اسكان الياء من (محياى) شاذ خارج عن القياس و الاستعمال، فشذوذه عن القياس ان فيه التقاء الساكنين، و لا يلتقيان على هذا الحد، و شذوذه عن الاستعمال انك لا تجده فى نظم و لا نثر الا شاذا. و وجهه ما حكى بعض البغداديين انه سمع او حكى له: التقت حلقتا البطان بإسكان الالف مع سكون لام المعرفة، و حكى غيره: له ثلثا المال و ليس هذا مثل قوله «حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها» «۱» لان هذا فى المنفصل مثل دأبه فى المتصل. و مثل ما أجاز يونس من قوله:

اضربان زيدا، و سيبويه ينكر هذا من قول يونس. قال الرمانى: و لو وصله على نية الوقف جاز.

أمره ان يقول لهؤلاء الكفار «إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي» و قد فسرنا معنى الصلاة فيما مضى.

و قيل فى معنى و «نسكى» ثلاثة أقوال:

أحدها- قال سعيد بن جبير و مجاهد و قتادة و السدى و الضحاك: ذبيحتى فى الحج و العمرة. و قال الحسن (نسكى) دينى. و قال الزجاج و الجبائى «نسكى» عبادتى. قال الزجاج: و الأغلب عليه امر الذبح الذى يتقرب به الى اللَّه. و يقولون: فلان ناسك بمعنى عابد. و انما ضم الصلاة الى اصل الواجبات من التوحيد و العدل لان فيها التعظيم للَّه عند التكبير، و فيها تلاوة القرآن التى تدعو الى كل برّ، و قرر فيها الركوع و السجود و هما خضوع للَّه، و فيها التسبيح و هو تنزيه للَّه.

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۳۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۳۶

و قوله «وَ مَحْياىَ وَ مَماتِي» يقولون حيي يحيا حياة و محيا، و مات يموت موتا و مماتا. و انما جعل للفعل الواحد مصادر فى الثلاثى لقوَّته، و لأنه الأكثر الأغلب. و انما جمع بين صلاته و حياته، و أحدهما من فعله، و الآخر من فعل اللَّه، لأنهما جميعا بتدبير اللَّه تعالى و ان كان أحدهما من حيث إيجاده و اعدامه لما فيه من الصلاح. و وجه ضم الموت الى اصل الواجب الرغبة الى من يقدر على كشفه الى الحياة فى النعيم الدائم بطاعته فى أداء الواجبات.

و قوله «لا شَرِيكَ لَهُ» فالشركة هى تلك المساهمة، فلما كان عبدة الأوثان جعلوا العبادة على هذه الصفة كانوا مشركين فى عبادة اللَّه، فأمر اللَّه ان ينفى عنه هذا الشرك و يقول «لا شريك له». و المعنى لا يستحق العبادة سواه.

ثم أمره بأن يقول انى أمرت بذلك يعنى بنفى الاشراك مع اللَّه و توجيه العبادة اليه تعالى وحده «وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» قال الحسن: معناه أول المسلمين من هذه الامة. و به قال قتادة و بيّن ذلك لوجوب اتباعه (ص) و لبيان فضل الإسلام إذا كان أول مسارع اليه نبينا (ص) و معنى الآية وجوب نفى الشرك عن اللَّه و وجوب اعتقاد بطلانه و اخلاص العبادة اليه تعالى.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۶۴] ..... ص : ۳۳۶

قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۱۶۴)

امر اللَّه تعالى نبيه ان يخاطب هؤلاء الكفار، و يقول على وجه الإنكار لفعلهم «أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي» أى أتخذ «رَبًّا» معبوداً؟! فالكلام خرج مخرج الاستفهام، و المراد به الإنكار، لأنه الجواب لصاحبه الا بما هو قبيح، لان تقديره أ يجوز أن اطلب الضر و النفع بعبادتى ممن هو مربوب مثلى!؟ التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۳۷

عادلا بذلك عن رب كل شىء و ليس بمربوب؟! أم هذا قبيح فى العقول؟ و هو لازم لكم على عبادة الأوثان. و الرب إذا أطلق أفاد المالك لتصريف الشىء بأتم التصريف و إذا أضيف فقيل رب الدار، و رب الضيعة، فمعناه المالك لتصريفه بأتم تصريف العباد و أصله التربية و هى تنشئة الشىء حالا بعد حال حتى يصير الى الكمال. ثم صرف الى معنى الملك لهذه الأحوال من الشىء و ماجرى مجراها.

و الفرق بين الرب و السيد، أن السيد هو المالك لتدبير السواد الأعظم، و الرب المالك لتدبير الشىء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال.

و قوله «وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها» معناه لا يكون جزاء عمل كل نفس الا عليها. و وجه اتصاله بما قبله أنه لا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك، لأنه ليس بعذر لى فى اكتساب غيرى له، لأنه «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى و قيل: ان الكفار قالوا للنبى

(ص) اتبعنا، و علينا وزرك ان كان خطأ، فأنزل اللَّه الآية. و فيها دلالة على فساد قول المجبرة من وجهين:

أحدهما- ان قوله «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى يدل على انه لا يعذب الطفل بكفر أبيه.

و الثانى- أنه لا يعذب أحدا بغير ذنب كان منه، لأنهما سواء فى أن كل منهما مستحق. و تقول: وَزِر يزِر وِزرا، و وُزِر، يوزر، فهو موزور، و كله بمعنى الإثم. و الوزر الملجأ. و منه قوله «كَلَّا لا وَزَرَ» «۱» فحال الموزور كحال الملتجئ من غير ملجأ. و منه الوزير لان الملك يلتجئ اليه فى الأمور. و قيل: أصله الثقل، و منه قوله «وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ» «۲» و كلاهما محتمل «ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ» يعنى مالككم و مصيركم الى اللَّه فى يوم لا يملك فيه الامر غيره تعالى.

و قوله «فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» معناه انه يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه من الباطل، فيظهر المحسن من المسيء بما يزول معه الشك و الارتياب

---

(۱) سورة ۷۵ القيامة آية ۱۱

(۲) سورة ۹۴ الانشراح آية ۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۳۸

و يقع معه الندامة فى وقت قد فات فيه استدراك الخطيئة، فمعنى الآية الحجة على ان كل شيء سوى اللَّه فاللَّه ربه من كل وجه يصح منه الربوبية، و فيها دلالة على فساد قول المجبرة: ان اللَّه يعذب على غير ذنب.

قوله تعالى:[سورة الأنعام (۶): آية ۱۶۵] ..... ص : ۳۳۸

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۶۵)

اخبر اللَّه تعالى انه الذى جعل الخلق خلائف الأرض، و معناه ان كل اهل عصر يخلفون اهل العصر الذى قبله كلما مضى واحد خلفه آخر على انتظام و اتساق و ذلك يدل على مدبر أجراه على هذه الصفة قال الشماخ:

تصيبهم و تخطئنى المنايا و أخلف فى ربوع عن ربوع «۳»

و واحد الخلائف خليفة، مثل صحيفة و صحائف، و سفينة و سفائن، و وصيفة و وصائف، هذا قول الحسن و السدى. و قال قوم: معناه انه جعلهم خلفاء الجان قبل آدم. و قال آخرون معناه و المراد به أمة نبينا (ص) لان اللَّه جعلهم خلفاء سائر الأمم.

و قوله «وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ» وجه الحكمة فى ذلك مع انه يخلقهم كذلك ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات و الصارفة عن القبائح، لان من كان غنيا فى ماله شريفا فى نسبه قويا فى جسمه ربما دعاه ذلك الى طاعة من يملكها رغبة فيها.

و الحال فى أضدادها ربما كان دعته الى طاعته رهبة منها و من أمثالها و رجاء أن ينقل عنها الى حال جليلة يغتبط عليها. و قال السدى: رفع بعضهم فوق

---

(۳) ديوانه ۵۸ و اللسان (ربع) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۲۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۳۹

بعض فى الرزق و قوة الأجسام و حسن الصورة، و شرف الإنسان. و غير ذلك بحسب ما علم من مصالحهم. و قوله «درجات» يحتمل نصبه ثلاثة أشياء:

أحدها- ان یقع موقع المصدر کأنه قال رفعة فوق رفعة.

الثانی- الی درجات، فحذفت (الی) کما فی قولهم: دخلت البیت، و تقدیره دخلت الی البیت.

الثالث- أن یکون مفعولا من قولک: ارتفع درجة و رفعته درجة مثل اکتسی ثوباً و کسوته ثوباً.

و قوله «لِیَبْلُوَکُمْ فِی ما آتاکُمْ» معناه فعل بکم ذلک لیجزیکم فیما أعطاکم.

و القدیم تعالی لا یبتلی خلقه لیعلم ما لم یکن عالما به، لأنه تعالی عالم بالأشیاء قبل کونها. و انما قال ذلک، لأنه یعامل معاملة الذی یبلو، مظاهرة فی العدل، و انتفاء من الظلم.

و قوله «إِنَّ رَبَّکَ سَرِیعُ الْعِقابِ» انما وصف نفسه بأنه سریع العقاب مع وصفه تعالی بالامهال و مع ان عقابه فی الآخرة من حیث کان کل آت قریبا، فهو اذاً سریع، کما قال «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا کَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «۱» و قد یکون سریع العقاب بمن استحقه فی دار الدنیا، فیکون تحذیر الواقع فی الخطیئة علی هذه الجهة. و قیل معناه انه قادر علی تعجیل العقاب، فاحذروا معاجلته. و انما قابل بین العقاب و الغفران و لم یقابل بالثواب، لان ذلک ادعی الی الاقلاع عما یوجب العقاب، لأنه لو ذکر الثواب لجاز ان یتوهم انه لمن لم یکن فیه عصیان.

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آیة ۷۷.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۴۰

۷-سورة الاعراف ..... ص : ۳۴۰

اشارة

قال قتادة سورة الاعراف مکِّیَّة. و قال قوم: هی مکیة إلا قوله «وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْیَةِ» «۱» الی آخر السورة.

و قال قوم هی محکمة کلها. و قال آخرون حرفان منها منسوخان أحدهما قوله «خُذِ الْعَفْوَ» «۲» یرید من أموالهم و ذلک قبل الزکاة. و الآخر قوله «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِینَ» «۳» نسخ بآیة السیف «۴».

و قال قوم لیس واحد منهما منسوخا بل لکل منهما موضع و السیف له موضع. و هو الأقوی، لان النسخ یحتاج الی دلیل.

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱ الی ۲] ..... ص : ۳۴۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

المص (۱) کِتابٌ أُنْزِلَ إِلَیْکَ فَلا یَکُنْ فِی صَدْرِکَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ (۲)

آیتان فی الکوفی و آیة فیما عداه قد بینا فی أول سورة البقرة اختلاف المفسرین فی أوائل السور بالحروف المقطعة، و قلنا: ان الأقوی من ذلک قول من قال: انها أسماء للسور، و هو قول الحسن و البلخی و الجبائی، و اکثر المحصلین. و روی عن ابن عباس أنه قال: هی اختصار من کلام لا یفهمه الا النبی (ص) قال الشاعر:

---

(۱) آیة ۱۶۲ [.....]

(۲، ۳) آیة ۱۹۸.

(۴) یرید الآیة ۶ من سورة التوبة.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌۴، ص: ۳۴۱

نادوهم أن ألجموا ألاتا قالوا جميعا كلهم ألافا «۱»

يريد ألا- تركبون قالوا فاركبوا. و بنى قوله «المص» على السكون فى الوصل مع ان قبله ساكنا، لان حروف الهجاء توصل على نية الوقف، لأنه يجزى على تفصيل الحروف، للفرق بينها و بين ما وصل للمعانى، و كأن مجموع الحروف يدل على معنى واحد، و متى سميت رجلا ب (المص)، وجبت الحكاية. فان سميته ب (صادق) أو (قاف) لم يجب ذلك، لان صاد، و قاف، لهما نظير فى الأسماء المفردة، مثل، باب، و ناب، و نار. و ليس كذلك (المص) لأنه بمنزلة الجملة، و ليس له نظير فى المفرد. و انما عد الكوفيون «المص» آية، و لم يعدوا (ص) لان «المص» بمنزلة الجملة مع ان آخره على ثلاثة أحرف بمنزلة المردف، فلما اجتمع هذان السببان، و كل واحد منهما يقتضى عدَّه عدوه. و لم يعدوا (المر) لان آخره لا يشبه المردف. و لم يعدوا (ص) لأنه بمنزلة اسم مفرد، و كذلك (ق) و (ن).

و انما سميت السورة بالحروف المعجمة، و لم تسم بالأسماء المنقولة لتضمنها معانى أخرى مضافة الى التسمية، و هو أنها فاتحة لما هو منها، و أنها فاصلة بينها و بين ما قبلها، و لأنه يأتى من التأليف بعدها ما هو معجز مع انه تأليف كتأليفها، فهذه المعانى من أسرارها.

و قيل فى موضع (المص) من الاعراب قولان:

أولهما- انه رفع بالابتداء و خبره كتاب، او ان يكون على هذه (المص) فى قول الفراء.

الثانى- لا موضع له، لأنه فى موضع جملة على قول ابن عباس، كأنه قال: أنا اللّه أعلم و افصل- اختاره الزجاج.

و قوله «كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ» قيل فى العامل فى قوله «كتاب» ثلاثة أقوال:

أحدها- هذا كتاب، فحذف لأنها حال اشارة و تنبيه.

---

(۱) مر فى ۱/ ۴۷۰ و هو فى تفسير القرطبى ۱/ ۱۳۵.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌۴، ص: ۳۴۲

الثانى- «المص كِتابٌ» على أنه اسم للسورة و كتاب خبره.

و قال الفراء: رفعه بحروف الهجاء، لأنها قبله، كأنك قلت الالف و اللام و الميم و الصاد، من الحروف المقطعة كتاب أنزل اليك مجموعا، فنابت (المص) عن جميع حروف المعجم، كما تقول: أ، ب، ت، ث، ثمانية و عشرون حرفا.

و كذلك تقول قرأت الحمد، فصار اسم الفاتحة الكتاب.

و قوله «فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ» يحتمل دخول الفاء وجهين:

أحدهما- أن يكون عطفا و تقديره إذا كان أنزل اليك لتنذر به، فلا يكن فى صدرك حرج منه، فيكون محمولا على معنى إذا.

و الثانى- ان النهى و ان كان متناولا- للحرج، فالمعنى به المخاطب، نهى عن التعرض للحرج، و جاز ذلك لظهور المعنى ان الحرج لا ينهى، و كان مخرج له برده الى نهى المخاطب ابلغ، لما فيه من أن الحرج لو كان مما ينهى له لنهيناه عنك، فانته انت عنه بترك التعرض له.

و قيل فى معنى الحرج فى الآية ثلاثة أقوال:

قال الحسن: معناه الضيق أى لا يضيق صدرك لتشعب الفكر بك خوفا ألا تقوم بحقه، و انما أنزل اليك لتنذر به.

الثانى- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدى: ان معناه الشك هاهنا و المعنى لا تشك فيما يلزمك له فإنما أنزل اليك لتنذر به.

الثالث- قال الفراء: لا- يضيق صدرك بأن يكذبوك، كما قال- عزَّ و جلَّ- «فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً».

و قوله «لِتُنْذِرَ بِهِ» يعنى لتخوف بالقرآن. و قال الفراء و الزجاج و اكثر أهل العلم: هو على التقديم و التأخير، و تقديره أنزل اليك لتنذر به و ذكرى للمؤمنين، و الذكرى مصدر ذكر يذكر تذكيرا، فالذكرى اسم للتذكير و فيه مبالغة، و مثله الرجعى، و قيل فى موضعه ثلاثة أقوال:

أولها- النصب على أنزل للانذار و ذكرى، كما تقول جئتك للإحسان و شوقا اليك. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۴۳

الثانى- الرفع بتقدير و هو ذكرى.

الثالث- قال الزجاج: يجوز فيه الجر، لان المعنى، لان تنذر و ذكرى.

قال الرمانى: هذا ضعيف، لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل، كما لا يجوز مررت به و زيد.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۳] ..... ص : ۳۴۳

اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ (۳)

قرأ حمزة، و الكسائى و حفص «تذكرون» بتخفيف الذال بتاء واحدة.

الباقون بالتشديد الا ابن عامر، فانه قرأ يتذكرون بياء و تاء، قال الزجاج:

التخفيف على حذف التاء الثانية كراهة اجتماع ثلاثة أحرف متقاربة، كما قالوا استطاع يستطيع، فحذفوا أحدى الثلاثة المتقاربة دون الاول، لان الاول بمعنى الاستقبال، لا يجوز حذفها، و الثانية يدل عليها تشديد العين.

و من قرأ بتشديد الذال، فأصله تتذكرون فأدغم التاء فى الذال لقرب مخرجهما، لان التاء مهموسة و الذال مجهورة. و المجهورة أزيد صوتا و أقوى من المهموس فحسن ادغام الأنقص فى الأزيد. و لا يسوغ ادغام الأزيد فى الأنقص، ألا ترى ان الصاد و أختيها لم يدغمن فى مقاربهنَّ لما فيهنَّ من زيادة الصفير.

و قراءة ابن عامر بالياء و التاء: انه مخاطبة للنبى (ص) أى قليلا ما يتذكرون هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب.

قوله «اتَّبِعُوا» خطاب من اللَّه للمكلفين و أمر منه بأن يتبعوا ما أنزل عليهم من القرآن. و يحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد: اتبعوا ما أنزل إليكم، لأنه قال قبل ذلك «لِتُنْذِرَ بِهِ» و كان الخطاب متوجهاً اليه. و الاتباع تصرف الثانى بتصريف الاول و تدبيره، فالأول امام و الثانى مؤتم. و الفرق التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۴۴

بين الإتباع و الاتباع ان أحدهما يتعدى الى مفعول، و الثانى يتعدى الى مفعولين، تقول: اتَّبعت زيدا و أتبعت زيدا عمرا. و وجوب الإتِّباع فيما أنزل اللَّه يدخل فيه الواجب و الندب و المباح، لأنه يجب ان يعتقد فى كل جنس ما أمر اللَّه به، كما يجب ان يعتقد فى الحرام وجوب اجتنابه.

و قوله «وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ» نهى من اللَّه ان يتبعوا من دون اللَّه و يتخذوا أولياء. و أولياء جمع وليَّ و هو ضد العدو، و هو يفيد الاولى و يفيد الناصر و غير ذلك مما بيناه فيما مضى «۱».

و قوله «قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» معناه الاستبطاء فى التذكر، و خرج مخرج الخبر و فيه معنى الامر، و معناه تذكروا كثيرا مما يلزمكم من أمر دينكم، و ما أوجبه اللَّه عليكم. و اخبر انهم قليلا ما يتذكرون و (ما) زائدة، و تذكر معناه أخذ فى التذكر شيئا بعد شىء مثل تفقه و تعلم، و يقال: تقيَّس إذا انتمى الى قيس، و لم يكن منهم، لأنه يدخل نفسه فيهم شيئا بعد شىء.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴] ..... ص : ۳۴۴

وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ (۴)

آية بلا خلاف.

(كم) لفظة موضوعة للتكثير و (رب) للتقليل. و انما كان كذلك، لان (رب) حرف، و (كم) اسم. و التقليل ضرب من النفى و (كم) تدخل فى الخبر بمعنى التكثير. فأما فى الاستفهام، فلا، لان الاستفهام موكول الى بيان المجيب و الخبر الى بيان المخبر، و انما دخلها التكثير، لان استبهام العدد ان يظهر او يضبط انما يكون لكثرته فى غالب الامر، ف (كم) مبهمة قال الفرزدق:

---

(۱) سورة البقرة آية ۲۵۷ فى ۲/ ۳۱۳- ۳۱۴ و فى سورة المائدة آية ۵۸، فى ۳/ ۵۴۹ و غيرهما كثير.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۴۵

كم عمة لك يا جرير و خالة فدعاء قد حلبت علىَّ عشارى «۲»

فدل ب (كم) على كثرة العمات، و موضع (كم) فى الآية رفع بالابتداء و خبرها (أهلكناها) و لو جعلت فى موضع نصب جاز، كقوله «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ» «۳»، و الاول أجود.

اخبر اللَّه تعالى- على وجه الترهيب للكفار و الإيعاد لهم- أنه أهلك كثيرا من القرى، يعنى أهلها بما ارتكبوه من معاصيه، و الكفر به، و انه أنزل عليهم بأسه، يعنى عذابه «بَياتاً» يعنى فى الليل «أَوْ هُمْ قائِلُونَ» يعنى فى وقت القيلولة، و هو نصف النهار. و أصله الراحة، فمعنى أقلته البيع أرحته منه باعفائى إياه من عقده، و قلت إذا استرحت الى النوم، فى وسط النهار:

القائلة. و الأخذ بالشدة فى وقت الراحة أعظم فى العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر.

و قيل فى دخول الفاء فى قوله «فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً» ثلاثة أقوال:

أحدها- أهلكناها فى حكمنا «فَجاءَها بَأْسُنا» و قد قيل: هو مثل زرنى و اكرمنى فان نفس الإكرام هى الزيارة، قال الرمانى: و ليس هذا مثل ذلك، لان هذا انما جاز لأنه قصد الزيارة. ثم الإكرام بها.

و الثانى- قال قوم «أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا» أى فكان صفة أهلكنا أن جاءهم بأسنا.

و الثالث- أهلكناها فصح انه جاءها بأسنا. و قال الفراء الفاء بمعنى الواو، و قال الرمانى: هذا لا يجوز، لأنه نقل للحرف عن معناه بغير دليل.

و قال بعضهم: ان المعنى أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية، و هذا لا يجوز لأنه ليس من صفة الحكيم ان يمنع من طاعته حتى تقع المعصية، ثم يعاقب عليها.

---

(۲) ديوانه ۴۵۱ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۰۰ و سيبويه ۱/ ۲۵۳، ۲۹۳

(۳) سورة ۵۴ القمر آية ۴۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۴۶

و قوله «أَوْ هُمْ قائِلُونَ» قال الفراء: واو الحال مقدرة فيه، و تقديره أو «و هم قائلون» و انما حذفت استخفافا. و قال الزجاج و جميع البصريين لا يحتاج الى ذلك، لأنه يستغنى برجوع الذكر عن الواو، كما يقال: جاءنى زيد راجلا او هو فارس، او جاءنى زيد هو فارس لم يحتج الى واو، لان الذكر قد عاد على الاول.

فمعنى الآية ان اللَّه أهلك اهل قريات كثيرة بتمردهم فى المعاصى، و حذر من ان يعمل مثل عملهم فينزل بالعامل مثل ما نزل بهم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵] ..... ص : ۳۴۶

فَما كانَ دَعْواهُمْ إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا إِلاَّ أَنْ قالُوا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (۵)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى انه لم يكن دعاء هؤلاء الذين أهلكهم عقوبة على معاصيهم و كفرهم فى الوقت الذى جاءهم بأس اللَّه، و هو شدة عذابه، و منه البؤس شدة الكفر. و البئس الشجاع لشدة بأسه، و بئس من شدة الفساد الذى يوجب الذم. «إِلَّا أَنْ قالُوا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ» يعنى اعترافهم بذلك على نفوسهم و إقرارهم به، و كان هذا القول منهم عند معاينة البأس و اليقين بأنه نازل بهم، و يجوز ان يكون قالوه حين لابسهم طرف منه، لم يهلكوا منه، و (دعواهم) خبر كان و اسمها «ان قالوا» و هو بمعنى قولهم، و هما معرفتان يجوز ان يجعل كل واحد منهما اسما و الآخر خبرا، كما قال «ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا» «۱» بالرفع، و النصب، و انما قدم الخبر على الاسم، لان الثانى وقع موقع الإيجاب، و الاول موقع النفى، و النفى أحق بالخبر.

و الدعوى، و الدعاء واحد. و فرق قوم بينهما بأن فى الدعوى اشتراكا

---

(۱) سورة ۴۵ الجاثية آية ۲۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۴۷

بين الدعاء و الادعاء المال و غيره، و أصله الطلب قال الشاعر:

ولت و دعواها كثير صخبه «۲»

أى دعاؤها، و يجوز ان يقال: اللهم أشركنا فى دعوى المسلمين يريد دعاء المسلمين حكاه سيبويه، قال الشاعر:

و ان مَذِلَتْ رجلى دعوتك اشتفى بدعواك من مذل بها فيهون «۳»

معنى مذلت اى خدرت.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۶ الى ۷] ..... ص : ۳۴۷

فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (۶) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ ما كُنَّا غائِبِينَ (۷)

آيتان بلا خلاف.

الفاء فى قوله «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ» عطف جملة على جملة، و قد يكون لهذا، و قد يكون لعطف مفرد على مفرد، و قد يكون للجواب. و انما دخلت الفاء و هى موجبة للتعقيب مع تراخى ما بين الاول و الثانى، و ذلك يليق ب (ثم) لتقريب ما بينهما، كما قال «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» «۴» و قال «وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «۵» و قال «أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ» «۶» و بينهما بعد.

و النون فى قوله «فلنسألن» نون التأكيد يتلقى بها القسم، و انما بنى

---

(۲) اللسان (دعا)، و روايته «قالت» بدل (ولت) و فى رواية أخرى (ولت و دعواها شديد صخبه).

(۳) ديوانه ۲/ ۲۴۵ و اللسان (مذل) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۰۴ و نهاية الارب ۲/ ۱۲۵. و كانوا يدَّعون ان الإنسان إذا خدرت رجله و دعا باسم من يحب زال الخدر

(۴) سورة ۵۴ القمر آية ۱

(۵) سورة ۱۶ النحل آية ۷۷

(۶) سورة ۳۶ يس آية ۷۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۴۸

المضارع مع نون التأكيد، لأنه انما دخلت عليه طلباً للتصديق، كما ان الامر طلب للفعل فأدخلت عليه نون التأكيد و تثبت مع الفعل،

لان هذه الزيادة التى لا تكون للاسم باعدته كما باعدت الالف و اللام ما لا ينصرف من الفعل، فانصرف.

أقسم اللَّه تعالى فى هذه الآية انه يسأل المكلفين الذين أرسل اليهم رسله و اقسم أيضا انه ليسأل الصادقين المرسلين الذين بعثهم، فيسأل هؤلاء عن الإبلاغ و يسأل أولئك عن الامتثال، و هو تعالى و ان كان عالما بما كان منهم، فإنما أخرجه مخرج التهديد و الزجر ليتأهب العباد و يحسنوا الاستعداد لذلك السؤال.

و حقيقة السؤال طلب الجواب بأداته فى الكلام، و حقيقة الاستخبار طلب الخبر بأداته فى الكلام.

و قوله «فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ» قسم آخر، و اخبار منه تعالى انه يقص عليهم بما عملوه فانه علم جميع ذلك. و انما ذكره بنون الجمع لاحد أمرين:

أحدهما- ان هذا على كلام العظماء من الملوك لان أفعالهم تضاف الى أوليائهم.

و الثانى- ان الملائكة تقص عليهم بأمر اللَّه.

و قال ابن عباس نقص عليه بما نجده فى كتاب عمله.

و

روى عن النبى (ص) انه قال: (ان اللَّه يسأل كل احد بكلامه له ليس بينه و بينه ترجمان)

و القص ما يتلو بعضه بعضا. و منه المقص، لان قطعه يتلو بعضه بعضا، و منه القصة من الشعر، و القصة من الكتاب، و منه القصاص لأنه يتلو الجناية فى الاستحقاق، و منه المقاصة فى الحق، لأنه يسقط ماله قصاصا بما عليه. و انما دخلت نون التأكيد مع لام القسم فى المضارع دون الماضى، لأنها تؤذن بطلب الفعل الذى تدخل فيه نحو (لأكرمَنَّ زيداً) فان فيه طلب الإكرام بأداته، فالتصديق بالقسم، و لهذا ألزمت النون فى طلب الفعل من جهتين، و فتحت هذه النون ما قبلهم فى جمع المتكلم، و لم تفتحه فى بيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۴۹

الغائب، لان الضمة يجب ان تبقى لتدل على الواو المحذوفة فى (ليقصنَّ) بالياء و ليس كذلك المتكلم، لأنه لا واو فيه.

و معنى قوله «بعلم» قيل فيه وجهان: أحدهما بأنا عالمون، و الآخر بمعلوم، كما قال «وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» «۱» أى من معلومه، و وجه المسألة له و القصص عليهم أنه سؤال توبيخ و تقريع للضالين، و سؤال تذكير و تنبيه للمؤمنين، فبمقدار ما يغتم أولئك يسَّر هؤلاء. ثم يسأل الرسل لان من الأمم من يجحد، فيقول ما جاءنا من بشير و لا نذير، و منهم من يقول:

و اللَّه ربنا ما كنا مشركين.

فان قيل كيف يجمع بين قوله «وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» «۲» و قوله «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ»؟

قلنا فيه قولان: أحدهما- انه نفى ان يسألهم سؤال استرشاد و استعلام و انما يسألهم سؤال توبيخ و تبكيت. الثانى- تنقطع المسألة عند حصولهم فى العقوبة، كما قال «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» «۳» و قال فى موضع آخر «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» «۴» و الوجه ما قلناه انه يسألهم سؤال توبيخ قبل دخولهم فى النار فإذا دخلوها انقطع سؤالهم. و السؤال فى اللغة على اربعة اقسام:

أحدها- سؤال استرشاد و استعلام، كقولك اين زيد؟، و من عندك؟

و هذا لا يجوز عليه تعالى.

و الثانى- سؤال توبيخ و تقريع، و هو خبر فى المعنى، كقولك ألم احسن اليك فكفرت نعمتى؟؟ أ لم أعطيك فجحدك عطيتى؟!. و منه قوله تعالى «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ» «۵» و قولهَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ»

«۶» و قوله

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۵۶

(۲) سورة ۲۸ القصص آية ۷۸. [.....]

(۳) سورة ۵۵ الرحمن آية ۹

(۴) سورة ۳۷ الصافات آية ۲۴.

(۵) سورة ۳۶ يس آية ۶۰

(۶) سورة الانعام آية ۱۳۰ و سورة ۳۹ الزمر آية ۷۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۰

«أَ لَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ» «۷» و قال الشاعر:

أ لستم خير من ركب المطايا و اندى العالمين بطون راح «۸»

و لو كان سائلا لما كان مادحا، و قال العجاج:

اطربا و انت قِنَّسرِيٌّ «۹»

معنى قنسرى كبير السن، و هذا توبيخ لنفسه أى كيف اطرب مع الكبر و الشيب.

الثالث- سؤال التحضيض و فيه معنى (ألا) كقولك: هلا تقوم، و ألا تضرب زيدا أى قم و اضرب زيدا.

و الرابع- سؤال تقريب بالعجز و الجهل، كقولك للرجل: هل تعلم الغيب؟

و هل تعرف ما يكون غدا؟ و هل تقدر ان تمشى على الماء؟ و كما قال الشاعر:

و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر

المعنى و ليس يصلح العطار ما أفسد الدهر، فإذا ثبت ذلك فقوله «فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس و لا جان» «۱۰» و قوله «وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» «۱۱» المراد به لا يسألون سؤال استعلام و استخبار ليعلم ذلك من قولهم، لأنه تعالى عالم بأعمالهم قبل خلقهم. و اما قوله «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» و قوله «فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ» «۱۲» فهو مسألة توبيخ و تقريع، كقوله «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ» «۱۳».

و سؤاله للمرسلين ليس بتوبيخ و لا تقريع لكنه توبيخ للكفار و تقريع لهم أيضا. و اما قوله «فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ» «۱۴» فمعناه سؤال

---

(۷) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۱۰۶

(۸) قائله حسان و قد مر فى ۱/ ۶۱، ۱۳۲، ۴۰۰ و ۲/ ۳۲۷ و سيأتى فى ۵/ ۳۱۹

(۹) اللسان (قنسر).

(۱۰) سورة ۵۵ الرحمن آية ۳۹

(۱۱) سورة ۲۸ القصص آية ۷۸.

(۱۲) سورة ۱۵ الحجر آية ۹۲

(۱۳) سورة ۳۶ يس آية ۶۰

(۱۴) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۱۰۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۱

تعاطى و استخبار عن الحال التى جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك، كما قال «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» «۶» و قوله «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» «۷» فهو سؤال توبيخ و تقريع و تلاوم، كما قال «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ» «۸» و كقوله «أَ نَحْنُ

صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ» «۹» و قوله «رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ» «۱۰» و هذا كثير فى القرآن، و ليس فى شيء من ذلك تضاد بين المسألتين، و لا تنافى بين الخبرين بل اثبات لسؤال عن شيء آخر و مثله قول الشاعر:

فأصبحت و الليل لى ملبس و أصبحت الأرض بحرا طما

فقوله: و أصبحت و الليل لى ملبس لم يرد به الصبح، لأنه لو أراد لما نفاه ب (و الليل لى ملبس) و انما أراد أصبحت بمعنى اشعلت المصباح و هو السراج أى أسرجت فى ظلمة الليل، فلم يكن خبراه متضادين.

و قوله «وَ ما كُنَّا غائِبِينَ» فالغائب البعيد عن حضرة الشيء، و معناه فى الآية انه لا يخفى عليه شيء و ذلك يدل على انه ليس بجسم، لأنه لو كان جسما على العرش على ما يذهب اليه المجسمة لكان غائبا عما فى الأرضين السفلى، لان من كان دون هذا بكثير فهو غائب عنا.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۸ الى ۹] ..... ص : ۳۵۱

وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۸) وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ (۹)

آيتان

---

(۶) سورة ۸۰ عبس آية ۳۷.

(۷) سورة ۳۷ الصافات آية ۲۷، ۵۰ و سورة ۵۲ الطور آية ۲۵. [.....]

(۸) سورة ۶۸ القلم آية ۳۰

(۹) سورة ۳۴ سبأ آية ۳۲

(۱۰) سورة ۳۸ ص آية ۶۱

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۲

ارتفع قوله «و الوزن» بالابتداء، و خبره (الحق)، و هو الوجه المختار.

و قال الفراء: يجوز ان يكون خبره (يومئذ) و ينصب (الحق) على المصدر، و تقديره و الوزن يومئذ- يعنى فى يوم القيامة- حقا، فينصب الحق و ان كان فيه الالف و اللام، كما قال «فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ» «۱» و الوزن فى اللغة هو مقابلة أحد الشيئين بالآخر حتى يظهر مقداره، و قد استعمل فى غير ذلك تشبيهاً به، منها وزن الشعر بالعروض، و منها قولهم: فلان يزن كلامه وزنا قال الأخطل:

و إذا وضعت أباك فى ميزانهم رجحوا و شال أبوك فى الميزان

و قيل فى معنى الوزن فى الآية أربعة أقوال:

قال الحسن: موازين الآخرة لها كفتان فالحسنات و السيئات توضعان فيهما و توزنان. ثم اختلفوا، فقال بعضهم: انما توضع صحائف الاعمال فتوزن، و هو قول عبد اللَّه بن عمر. و قال ابو على: انما تتفضل كفة الحسنات من كفة السيئات بعلامة يراها الناس يومئذ، و ذهب عبيد بن عمير الى انه يوزن الإنسان فيؤتى بالرجل العظيم الجثة، فلا يزن جناح بعوضة. و قال مجاهد: الوزن عبارة عن العدل فى الآخرة و انه لا ظلم فيها على أحد، و هو قول البلخى و هو أحسن الوجوه، و بعده قول الجبائى. و وجه حسن ذلك- و ان كان اللَّه تعالى عالما بمقادير المستحقات- ما فيه من المصلحة فى دار التكليف و حصول الترهيب به و التخويف.

و قوله «يومئذ» يجوز فى (يومئذ) الاعراب و البناء، لان اضافته الى مبنى اضافة غير محضة تقربه من الأسماء المركبة، و اضافته الى الجملة تقربه من الاضافة الحقيقية. و نوّن يومئذ لأنه قد قطع عن الاضافة إذ شأن التنوين ان يعاقبها، و قد قطع (إذ) فى هذا الموضع

عنها.

و (الحق) وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة. و قد

---

(۱) سورة ۳۸ ص آية ۸۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۳

استعمل مصدرا على هذا المعنى و صفة، كما جرى ذلك فى العدل، قال اللّه تعالى «ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» «۱» فجرى على طريق الوصف.

و قوله «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ» فالثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلا و نقيضه الخفة، و هى اعتماد لازم علواً، و مثلت الاعمال بهما لما ذكر من المقارنة. و المعنى ان من كانت طاعاته أكثر، فهو من الفائزين بثواب اللّه.

و من قلت طاعاته «فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» بأن استحقوا عذاب الأبد جزاء على ما كانوا يظلمون أنفسهم بجحود آياتنا و حجتنا.

و قوله «موازينه» فالموازين جمع ميزان، و أصله من الواو، و قلبت ياء لسكونها و انكسار ما قبلها. و لم يقلب فى (خوان) لتحركها و أنها لم تجر على فعل لها. و الخسران ذهاب رأس المال، و من أعظم رأس المال النفس، فإذا أهلك نفسه بسوء عمله، فقد خسر نفسه. و ظلمهم بآيات اللّه مثل كفرهم بها و جحدهم إياها.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۰] ..... ص : ۳۵۳

وَ لَقَدْ مَكَّنّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ (۱۰)

آية بلا خلاف.

روى خارجة عن نافع همز (معايش) و روى ذلك عن الأعمش، و عبد الرحمن الأعرج. الباقون غير مهموز.

و عند جميع النحويين أن (معايش) لا يهمز، و متى همز كان لحنا، لان الياء فيها اصلية، لأنه من عاش يعيش، و لم يعرض فيها علة كما عرض فى (أوائل) و هى فى (مدينة) زائدة علة لا تدخلها الحركة كما لا تدخل الالف، و مثله (مسألة، و مسائل، و منارة و منائر، و مقام و مقاوم) قال الشاعر:

و انى لقوام مقاوم لم يكن جرير و لا مولى جرير يقومها

---

(۱) سورة ۲۲ الحج آية ۶، ۶۲ و سورة ۳۱ لقمان آية ۳۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۴

و وزنه (مفعلة) مثل مسورة و مساور، و من همزهما اعتقدها (فعلية) على وزن (صحيفة) فجمعها على (فعائل) مثل (صحائف) و ذلك غلط، لان الياء أصلها لقولهم عاش يعيش عيشا و معيشة. قال ابو على من همز (مدائن) لم يجعله (مفعلة) و لكنه (فعيلة) بدلالة قولهم: مدنى، و لا يجوز ان يكون (مفعلة) من دان يدين، و من أخذه من ذلك قال فى الجمع مداين، بتصحيح الياء. و اعتل (معيشة) لأنه على وزن (يعيش) و زيادتها تختص بالاسم دون الفعل، فلم يحتج الى الفصل بين الاسم و الفعل، كما احتيج اليه فيما كان زيادته مشتركة، نحو الهمزة فى (أجاد) و (هو أجود منك)، و موافقة الاسم لبناء الفعل توجب فى الاسم الاعتلال، ألا ترى انهم أعلُّوا (بابا) و (دارا) لما كانا على وزن الفعل. و صححوا نحو (حول) و (غيبة) و (لومة) لما لم تكن على مثال الفعل، ف (معيشة) موافقة للفعل فى البناء، مثل (يعيش) فى الزنة، و تكسيرها يزيل مشابهتها فى البناء، فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للإعلال فى الواحد و فى الجمع، فلزم التصحيح فى التكسير لزوال المشابهة فى اللفظ، لان التكسير معنى لا يكون فى الفعل، و انما يختص الاسم به، فإذا زالت

مشابهة الفعل وجب تصحيحه.

و من همز (مصايب) فانه غلط، كما غلط من همز (معايش) و مثله جاء فى جمع (مسيل) أمسلة، جاء ذلك فى الشعر لبنى هذيل، فتوهموه (فعيلة) و انما هو (مفعلة) و حكى يعقوب: مسيل و ميسل، فالميم على هذا فاء و مسيل (فعيل)، و على الاول (مفعل) من سال.

قال الزجاج: من همز (مصايب) جعل الهمزة بدلا من الواو، كما قالوا:

أقب فى (وقب) و هذا ان وقع فى أول الكلام. و قد قالوا فى (أدور) أدأر، فهمزوه، فجاز على هذا ان يكونوا حملوا المكسورة على المضمومة.

و يقال: عاش فلان بمعنى حيى، و طيب العيش طيب الحياة، فلهذا كانت المعيشة مضمنة بالحياة. و حد المعيشة الرمانى: بأنها وصلة من جهة مكسب التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۵

المطعم و المشرب و الملبس الى ما فيه الحياة.

اخبر اللّه تعالى على وجه الامتنان على خلقه بأصناف نعمه انه مكن عباده فى الأرض بمعنى مكنهم من التصرف فيها، و التمكين إعطاء ما يصح معه الفعل مع ارتفاع المنع، لان الفعل كما يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى آلة و الى سبب، كما يحتاج الى رفع المنع، فالتمكين عبارة عن حصول جميع ذلك.

و الأرض هذه الأرض المعروفة، و فى الأصل عبارة عن قرار يمكن أن يتصرف عليه الحيوان، فعلى هذا لو خلق مثلها، لكانت أرضا حقيقة.

و قوله «وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ» فالجعل وجود ما به يكون الشىء على خلاف ما كان، مثل ان تقول جعلت الساكن متحركا، لأنك فعلت فيه الحركة، و نظيره التصيير و العمل،. و جعل الشيء أعم من حدوثه، لأنه قد يكون بحدوث غيره فيه مما يتغير به.

و قوله «قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ» نصب قليلا ب (تشكرون)، و تقديره تشكرون قليلا. و (ما) زائدة. و يحتمل ان تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و تقديره قليلا شكركم. و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و الحمد مثله. و قيل: الفرق بينهما ان كل شكر حمد، و ليس كل حمد شكرا، لان الإنسان يحمد على إحسانه الى نفسه، و لا يشكر عليه، كما انه يذم على إساءته الى نفسه، و لا يجوز ان يكفر من اجل إساءته الى نفسه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۱] ..... ص : ۳۵۵

وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (۱۱)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللّه تعالى لخلقه بأنه خلقهم. و الخلق هو احداث الشىء على تقدير تقتضيه الحكمة، لا زيادة على ما تقتضيه، فيخرج الى الإسراف، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۶

و لا ناقص عنه فيخرج الى الإقتار. و قد استوفينا اختلاف الصور، و الصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة.

و قوله «ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» فالسجود هو وضع الجبهة على الأرض و أصله الانخفاض من قول الشاعر:

ترى الا كم فيها سجدا للحوافر «۱»

و قيل فى معنى السجود لآدم قولان:

أحدهما- انه كان تكرمة لآدم و عبادة للّه، لان عبادة غير اللّه قبيحة لا يأمر اللّه بها. و عند أصحابنا كان ذلك دلالة على تفضيل آدم على الملائكة على ما بينا فى سورة البقرة. «۲» و قال أبو على الجبائى: أمروا ان يجعلوه قبلة، و أنكر ذلك أبو بكر بن أحمد بن على الأخشاد بأن قال: هو تكرمة،. لأن اللّه تعالى امتن به على عباده، و ذكرهم بالنعمة فيه. فان قيل كيف قال «ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ» مع أن

القول للملائكة كان قبل خلقنا و تصويرنا؟

قلنا عن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها- قال الحسن و ابو على الجبائى: المراد به خلقنا إياكم ثم صورنا إياكم. ثم قلنا للملائكة، و هذا كما يذكر المخاطب و يراد به أسلافه، و ذكرنا لذلك نظائر فيما مضى، منها قوله «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» «۳» أى ميثاق اسلافكم. قال الزجاج المعنى ابتدأنا خلقكم بأن خلقنا آدم، ثم صورناه، ثم قلنا.

الثانى- قال ابن عباس و مجاهد و الربيع و قتادة و الضحاك و السدى:

ان المعنى خلقنا آدم ثم صورناكم فى ظهره. ثم قلنا للملائكة.

الثالث- خلقناكم ثم صورناكم ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة، كما تقول: انى راحل ثم أنى معجل. و قال الأخفش (ثم) هاهنا بمعنى الواو، كما

---

(۱) مر فى ۱/ ۲۶۳

(۲) المجلد الاول صفحة ۱۳۹.

(۳) سورة ۲ البقرة آية ۶۳، ۹۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۷

قال «اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ» و مثله قوله «ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» «۴» على قول بعض المتأخرين معناه و كان من الذين آمنوا، و مثله «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» «۵» على بعض الأقوال معناه و توبوا اليه، قال الزجاج هذا خطأ عند جميع النحويين. و قال الشاعر:

سألت ربيعة من خيرها أبا ثم اما فقالوا لمه «۶»

معناه سألت أولا عن الأب ثم الام. و قال بعضهم: معناه خلقناكم فى ظهور آبائكم ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم. و قال قوم: فى الآية تقديم و تأخير، و تقديره خلقناكم بمعنى خلقنا أباكم أى قدرناكم. ثم قلنا للملائكة اسجدوا. ثم صورناكم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۲] ..... ص : ۳۵۷

قالَ ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (۱۲)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية لما كان من خطاب اللَّه لا بليس حين امتنع من السجود لآدم، انه قال له «ما مَنَعَكَ» بمعنى اى شىء منعك «أَلَّا تَسْجُدَ» و فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- ان تكون (لا) صلة مؤكدة، كما قال «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ» «۷» و معناه ليعلم، كقوله «لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ» و كقوله «فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ» و كما قال الشاعر:

أبى جوده لا البخل و استعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله «۸»

معناه أبى جوده البخل، و روى أبو عمرو بن العلا: أبى جوده لا البخل

---

(۴) سورة ۹۰ البلد آية ۱۷.

(۵) سورة ۱۱ هود آية ۳، ۵۲، ۹۰

(۶) تفسير الطبرى ۱۲: ۳۲۲.

(۷) سورة ۵۷ الحديد آية ۲۹

(۸) اللسان (نعم) و تفسير الطبرى ۲۱/ ۲۲۴ و أمالى ابن الشجرى ۲/ ۲۲۸، ۲۲۱ و شرح شواهد المغنى ۲۱۷. و قد روى (فاعله) بدل (قاتله) و روى أيضا «قائله».

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۸

بالجر، كأنه قال أبى جوده كلمة البخل، و رواه كذا عن العرب. و قال الزجاج:

فيه وجه ثالث لا البخل على النصب بدلا من (لا) كأنه قال ابى جوده ان يقول (لا) فقال نعم. و هى حكاية فى كل هذا.

الثانى- انه دخله معنى ما دعاك ان لا تسجد.

الثالث- معنى «أَلَّا تَسْجُدَ» ما الحال ان لا تسجد أو ما أحوجك.

و قال الفراء لما تقدم الجحد فى أول الكلام أكد بهذا، كما قال الشاعر:

ما ان رأينا مثلهن لمعشر سود الرؤوس فوالج و فيول «۹»

ف (ما) للنفى و (ان) للنفى فجمع بينهما تأكيدا.

فان قيل كيف قال «ما مَنَعَكَ» و لم يكن ممنوعا؟! قلنا: لان الصارف عن الشىء بمنزلة المانع منه، كما ان الداعى اليه بمنزلة الحامل عليه.

و قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» حكاية لجواب إبليس حين ذمه تعالى على الامتناع من السجود، فأجاب بما قال، و هذا الجواب غير مطابق لأنه كان يجب أن يقول معنى كذا، لأن قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ» جواب لمن يقول أيكما خير، و لكن فيه معنى الجواب، و يجرى ذلك مجرى أن يقول القائل لغيره: كيف كنت، فيقول أنا صالح، و كان يجب أن يقول كنت صالحاً لكنه جاز ذلك، لأنه أفاد انه صالح فى الحال مع ما كان صالحاً فيما مضى. و وجه دخول الشبهة عليه فى أنه خلقه من نار و خلق آدم من طين أنه ظن أن النار إذا كانت أشرف لم يجز أن يسجد الأشرف للأدون، و هذا خطأ، لأن ذلك تابع لما يعلم اللّه من مصالح العباد، و ما يتعلق به من اللطف

---

(۹) معانى القرآن ۱/ ۱۷۶، ۳۷۴ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۲۵. (الفوالج) جمع (فالج) و هو الجمل ذو سنامين. و (الفيول) جمع (فيل). و كانت هذه الجمال تجلب من السند، و هى البلاد التى فيها الفيلة. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۵۹

لهم، و لم يكن ذلك استخفافاً بهم بالأعمال.

و قد قال الجبائى: إن الطين خير من النار، لأنها أكثر منفعة للخلق من حيث أن الأرض مستقر الخلق و فيها معايشهم، و منها تخرج أنواع أرزاقهم لأن الخيرية فى الأرض أو النار، إنما يراد بهما كثرة المنافع، دون كثرة الثواب، لأن الثواب لا يكون إلا للمكلف المأمور، و هذان جمادان.

و على ما يذهب اليه أصحابنا أن ذلك يدل على تفضيل آدم على الملائكة و كان ذلك مستحقاً، فلذلك أسجد اللّه الملائكة له.

فإن قيل: لم اعترض إبليس على اللّه مع علمه أنه لا يفعل إلا الحكمة؟

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه اعترض كما يعترض السفيه على الحكيم الحليم فى تدبيره من غير فكر فى العاقبة.

و الثانى- أن يكون جهل هذا بشبهة دخلت عليه. و على ما نذهب اليه من أنه لم يكن عرف اللّه قط سقطت الشبهة.

و استدل أيضاً بهذه الآية على أن الجواهر متماثلة بأن قيل: لا شىء أبعد الى الحيوان من الجماد، فإذا جاز أن ينقلب الطين حيواناً و

إنساناً جاز أن ينقلب الى كل حال من أحوال الجواهر، لأنه لا فرق بينهما في العقل.
و استدل أيضاً بهذه الآية على أن الأمر من اللّه يقتضي الإيجاب بأن اللّه تعالى ذم إبليس على امتناعه من السجود حين أمره، فلو كان الأمر يقتضي الندب لما استحق العيب بالمخالفة و ترك الامتثال، و الامر بخلاف ذلك في الآية.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳] ..... ص : ۳۵۹

قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصّاغِرِينَ (۱۳)

قوله «قالَ فَاهْبِطْ مِنْها» حكاية لقول اللّه تعالى لإبليس و أمره إياه أن التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۶۰
يهبط منها، و ما بعد القول و إن كان استئنافاً و الفاء لا يستأنف بها و انما يكون كذلك، لأن ما قيل له بعد جوابه الذي أجاب به، فهو حكاية ما كان من الكلام له الثاني بعد الأول.

و الهبوط و النزول واحد. و فرق بينهما بأن النزول يقتضي تنزله الى جهة السفل بمنزلة بعد منزلة، و ليس كذلك الهبوط، لأنه كالانحدار في المرور الى جهة السفل، و كأن الانحدار دفعة واحدة، كما قال الشاعر:

كل بني حرة مصيرهم قل و إن أكثروا من العدد

إن يغبطوا يهبطوا و إن أمّروا يوماً فهم للفناء و الفند «۱»

و قيل في الضمير الذي في قوله «منها» قولان:

أحدهما- قال الحسن: إنه كناية عن السماء، لأنه كان في السماء فاهبط منها.

الثاني- قال أبو علي: كناية عن الجنة.

فان قيل من أين علم إبليس أن اللّه تعالى قال له هذا القول؟

قلنا عنه جوابان: أحدهما- قال أبو علي: إنه قال له على لسان بعض الملائكة.

الثاني- أنه رأى معجزة تدله على ذلك.

و قوله «فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها» معناه ليس لك أن تتكبر فيها، و التكبر إظهار كبر النفس على جميع الأشياء، فهو في صفة العباد ذم، و في صفة اللّه مدح، كما قال تعالى «الْجَبّارُ الْمُتَكَبِّرُ» «۲» فالجبار القاهر لجميع الأشياء. و المتكبر الدال بذاته على أنه أكبر من جميع الأشياء. و قوله «فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصّاغِرِينَ» أمر من اللّه لإبليس بالخروج، لأنه من الصاغرين.

و الصاغر هو الذليل بصغر القدر، صغر يصغر صغراً و صغاراً، و تصاغرت اليه نفسه ذلًا و مهانة، و الأصل الصغر.

---

(۱) قائلة لبيد و قد مر في ۱/ ۷۳

(۲) سورة ۵۹ الحشر آية ۲۳.

التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۶۱

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۴ الى ۱۵] ..... ص : ۳۶۱

قالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۱۴) قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (۱۵)

آيتان.

في الآية الأولى حكاية عن إبليس أنه سأل اللّه تعالى أن ينظره. و الانظار الامهال الى مدة فيها النظر في الأمر طال أم قصر. و الانظار و الامهال و التأخير و التأجيل نظائر في اللغة، و بينها فرق. و ضد الامهال الاعجال. و أصل الانظار المقابلة، و هي المناظرة. و (الجبلان

يتناظران) أى يتقابلان، و نظر اليه بعينه أى قابله لينظر له و نظر اليه بيده، ليظهر له حاله فى اللين و الخشونة أو الحرارة و البرودة.

و قوله «إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» مدة للانظار الذى طلبه. و البعث الإطلاق فى الامر، و الانبعاث الانطلاق. و البعث و الحشر و النشر و الجمع نظائر.

و يجوز فى «يَوْمِ يُبْعَثُونَ» ثلاثة أوجه من العربية: بالجر و ترك التنوين على الاضافة، و الجر مع التنوين على الصفة. و الفتح و ترك التنوين على البناء.

و ليس بالوجه، لأن الفعل معرب.

و الوجه فى مسألة إبليس الانظار- مع علمه أنه مطرود ملعون مسخوط عليه- علمه بأن اللّه يظاهر الى عباده بالإحسان، و يعمهم بفضله و إنعامه، فلم يصرف ارتكابه المعصية و إصراره على الخطيئة عن المسألة طامعاً فى الاجابة، و عن انس من بلوغ المحبة.

و قيل فى قوله «قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» هل فيه إجابة الى ما التمسه أم لا؟

فقال السدى و غيره: إنه لم يجبه «إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» لأنه يوم القيامة، و هو يوم بعث لا يوم موت، و لكن انظر الى يوم الوقت المعلوم، كما ذكره فى سورة اخرى «۱». و يقوى ذلك قوله «إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» و ليس لأحد

---

(۱) سورة ۳۸ ص آية ۷۹- ۸۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۶۲

أن ينظر أحداً الى يوم القيامة على هذا المعنى.

الثانى- أنه سأل تأخير الجزاء بالعقوبة الى يوم يبعثون. لما خاف من تعجيل العقوبة، فأنظر على هذا. و قال قوم: انظر الى يوم القيامة، و الأقوى الوجه الثانى، لأنه لا يجوز أن يعلم اللّه أحداً من المكلفين الذين ليسوا بمعصومين أنه يبقيهم الى وقت معين، لأن فى ذلك إغراء له بالقبح من حيث أنه يعلم انه باق الى ذلك الوقت فيرتكب القبيح، فإذا قارب الوقت جدد التوبة فيسقط عنه العقاب.

و هل يجوز اجابة دعاء الكافر أم لا؟ فيه خلاف:

فذهب أبو على الى أنه لا يجوز، لما فى ذلك من التعظيم و التبجيل لمجاب الدعوة فى مجرى العادة، ألا ترى أنه إذا قيل: فلان مجاب الدعوة دل ذلك على أنه صالح المؤمنين. و أجاز ذلك أبو بكر بن الأخشاد على وجه الاستصلاح. و كان يقول: بتفصيل ذلك بحسب الوجه الذى يقع عليه.

و كسرت «إن» لأنها حكاية بعد القول، و هى تكسر فى هذا الموضع، و فى الابتداء بها، و إذا كان فى خبرها لام التأكيد. و انما عملت (إن) لشبهها بالفعل الماضى من حيث كانت على ثلاثة أحرف مفتوحة الآخر، فهى بمنزلة (كان) إلا أنه خولف بعملها لأنها حرف.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۶ الى ۱۷] ..... ص : ۳۶۲

قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (۱۶) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ (۱۷)

آيتان بلا خلاف.

قوله «قال فبما» حكاية عن قول إبليس، لما لعنه اللّه، و طرده و حكى سؤاله الانظار، و اجابة اللّه تعالى الى شىء منه، قال حينئذ «فَبِما أَغْوَيْتَنِي» أى فبالذى أغويتنى. و قيل فى معنى هذه الباء ثلاثة أقوال: التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۶۳

أحدهما- انى مع اغوائك إياى كما تقول بقيامك تناول هذا أى مع قيامك.

الثانى- معناه اللام، و التقدير فلإغوائك إياى.

الثالث- أنها بمعنى القسم كقولك باللَّه لأفعلن.

و قيل فى معنى اغويتنى ثلاثة أقوال:

أحدها- قال أبو على و البلخى: معناه بما خيبتنى من جنتك، كما قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغوَ لا يعدم على الغى لائما «۱»

أى من يخب، و قال قوم: يجوز أن يكون أراد إنك امتحنتنى بالسجود، لآدم فغويت عنده، فقال (أغويتنى) كما قال «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ» «۲».

الثانى- قال ابن عباس و ابن زيد: معناه حكمت بغوايتى كقولك:

أضللتنى أى حكمت بضلالتى.

الثالث- أغويتنى بمعنى أهلكتنى بلعنك إياى، كما قال الشاعر:

معطفة الأثناء ليس فصيلها برازئها درًّا و لا ميت غوى «۳»

أى و لا- ميت هلاكاً بالقعود عن شرب اللبن. و منه قوله «فسوف يلقون غياً» «۴» أى هلاكاً. و يقولون: غوى الفصيل إذا أنفذ اللبن فمات. و المصدر غِوَى مقصوراً و قوله «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ» جواب القسم. و القسم محذوف، لأن غرضه بالكلام التأكيد، و هو ضد قوله «ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» «۵»

---

(۱) مر هذا البيت فى ۲/ ۳۱۲ و سيأتى فى ۵/ ۵۴۸.

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۱۲۶.

(۳) قائله (مدرج الريح الجرمى) و أسمه (عامر بن المجنون)، الشعر و الشعراء: ۷۱۳، و المعانى الكبير: ۱۰۴۷ و المخصص ۷/ ۴۱، ۱۸۰ و تهذيب إصلاح المنطق ۲/ ۵۴ و اللسان (غوى) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۳۳.

(۴) سورة ۱۹ مريم آية ۵۹.

(۵) سورة ۳۸ ص آية ۲.

فانه حذف الجواب، و هى القسم، لأن الغرض تعظيم المقسم به.

و قعوده على الصراط معناه أنه يقعد على طريق الحق ليصد عنه بالإغواء حتى يصرفه الى طريق الباطل عداوة له وكيداً.

و قوله «صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» قيل فى نصب (صراطك) أنه نصب على الحذف دون الظرف، و تقديره على صراطك، كما قيل ضرب زيد الظهر و البطن أى على الظهر و البطن قال الشاعر:

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب «۶»

و قال آخر:

كأنى إذا أسعى لأظفر طائراً مع النجم فى جو السماء يصوب «۷»

أى لأظفر على طائر، و إغواء اللَّه تعالى لإبليس لم يكن سبباً لضلاله، لأنه تعالى علم أنه لو لم يغوه لوقع منه مثل الضلال الذى وقع أو أعظم، فأما قول من قال: إنه لو كان ما يفعل به الايمان هو ما يفعل به الكفر، لكان قوله «فَبِما أَغْوَيْتَنِي» و بما أصلحتنى بمعنى واحد، فكلام غير صحيح، لأن صفة الآلة التى يقع بها الايمان خلاف صفتها إذا وقع بها الكفر. و إن كانت واحدة كالسيف. و لا يجب من ذلك أن تكون صفتها واحدة من أجل أنها واحدة بل لا يمتنع أنه متى استعمل آلة الايمان فى الضلال سمى إغواء، و إن استعمل فى الايمان سمى هداية، و إن كان ما يصح به الايمان و الكفر و الضلال واحداً.

و قوله «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و قتادة و ابراهيم بن الحكم و السدى و ابن

---

(۶) قائله ساعدة بن جؤية الهذلى ديوانه ۱/ ۱۹۰ و سيبويه ۱/ ۱۶، ۱۹۰ و خزانة الأدب ۱/ ۴۷۴ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۳۷ و غيرها.

(۷) تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۳۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۶۵

جريج: من قبل دنياهم و آخرتهم. و من جهة حسناتهم و سيئاتهم.

الثانى- قال مجاهد: من حيث يبصرون و من حيث لا يبصرون.

الثالث- قال البلخى و أبو على: من كل جهة يمكن الاحتيال عليهم بها.

و قال ابن عباس: و لم يقل من فوقهم، لأن رحمة اللّه تنزل عليهم من فوقهم، و لم يقل من تحت أرجلهم، لأن الإتيان منه موحش. و قال أبو جعفر (ع) «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» معناه أهوّن عليهم أمر الآخرة و من خلفهم آمرهم بجمع الأموال و البخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم «وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ» و أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة و تحسين الشبهة «وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ» بتحبيب اللذات اليهم و تغليب الشهوات على قلوبهم.

و قال الزجاج: «مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» معناه أغوينهم حتى يكذبوا بالبعث و النشور، «وَ مِنْ خَلْفِهِمْ» حتى يجحدوا ما كان من أخبار الأمم الماضية و الأنبياء السالفة.

و إنما دخلت (من) فى الخلف و القدام، و (عن) فى اليمين و الشمال، لأن فى القدام و الخلف معنى طلب النهاية، و فى اليمين و الشمال الانحراف عن الجهة.

و دخول (ثم) فى الكلام: بيان أن هذا المعنى يكون بعد القعود فى طريقهم.

و قوله «وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ» إخبار من إبليس أن اللّه لا يجد أكثر خلقه شاكرين. و قيل: يمكن أن يكون علم ذلك من أحد وجهين.

أحدهما- قال أبو على: ذلك علمه من جهة الملائكة باخبار اللّه تعالى إياهم.

الثانى- قال الحسن: يجوز أن يكون أخبر عن ظنه ذلك، كما قال تعالى «وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» لأنه لما أغوى آدم فاستزله، قال ذرية هذا أضعف منه، و ظن أنهم سيجيبونه و يتابعونه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۸] ..... ص : ۳۶۵

قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (۱۸)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۶۶

حكى عن عاصم فى الشواذ «لمن تبعك» بكسر اللام، و يكون خبره محذوفاً و تقديره لمن تبعك النار، و ليس بمعروف.

هذا خبر من اللّه تعالى أنه «قالَ اخْرُجْ مِنْها» يعنى من الجنة «مَذْؤُماً» قال ابن عباس: معناه معيباً. و قال ابن زيد: مذموماً، يقال: ذأمه يذأمه ذأماً و ذامه يذيمه ذيماً و ذاماً. و قيل الذأم و الذيم أشد العيب. و مثله اللوم قال الشاعر:

صحبتك إذ عينى عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسى أذيمها «۱»

و أكثر الرواية ألومها. و قوله «مَدْحُوراً» فالدحر الدفع على وجه الهوان و الاذلال يقال: دحره يدحره دحراً و دحوراً. و قيل الدحر الطرد- فى قول مجاهد و السدى-.

و قوله «لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ» جواب القسم، و حذف جواب الجزاء فى «لَمَنْ تَبِعَكَ» لأن جواب القسم أولى بالذكر من حيث أنه فى صدر الكلام، و لو كان فى حشو الكلام، لكان الجزاء أحق منه، كقولك: إن تأتنى و اللَّه أكرمك، و لا يجوز أن تكون (من) هاهنا بمعنى الذى، لأنها لا- تقلب الماضى الى الاستقبال، و يجوز أن تقول: و اللَّه لمن جاءك أضربه بمعنى لأضربه، و لم يجز بمعنى لأضربنه، كما يجوز و اللَّه أضرب زيداً بمعنى لأضرب و لا يجوز بمعنى لأضربن، لأن الإيجاب لا بد فيه من نون التأكيد مع اللام على قول الزجاج.

و إنما قال «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ» بلفظ الجمع و إن كان المخاطب واحداً على التغليب للخطاب على الغيبة، كما يغلب المذكر على المؤنث، و كما يغلب الأخف على الأثقل فى قولهم: سنة العمرين، لأن المفرد أخف من المضاف، لأن المعنى لأملأن جهنم منك و ممن تبعك منهم أجمعين، كما ذكره فى موضع آخر.

و قوله «أجمعين» تأكيد لقوله «منكم» و هو و إن كان بلفظ الغائب أكد به المخاطب، لأنه تابع للأول، فإن كان غائباً فهو غائب و إن كان مخاطباً،

---

(۱) قائله (الحارث بن خالد المخزومى) الاغانى (دار الثقافة) ۳/ ۳۱۳ و تفسير الطبرى ۱/ ۲۶۵ و ۱۲/ ۳۴۳.

فهو مخاطب و إن كان متكلماً، فهو متكلم كقولك: نحن منطلق أجمعون عامدون، لأن الاتباع قد دل على ذلك.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۹] ..... ص : ۳۶۷

وَ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ (۱۹)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية خطاب اللَّه تعالى لآدم و أمره إياه أن يسكن هو و زوجه حواء الجنة. و اختلفوا فى الجنة التى أسكن اللَّه آدم فيها. فقال قوم: إنها جنة الخلد، لأن الجنة إذا أطلقت معرفة بالألف و اللام لا يعقل منها فى العرف إلا جنة الخلد، كما أن السموات و الأرض إذا أطلق لم يعقل منه إلا السموات المخصوصة دون سقف البيت.

و قوله «و زوجك» إنما جاء به على لفظ التذكير، لأن الاضافة أغنت عن ذلك و أبانت عن المعنى، فكان الحذف أحسن، لأنه أوجز يقال: لصاحب المنزل ساكن فيه، و إن كان يتحرك فيه أحياناً للتغليب، لأن سكونه فيه أكثر، بجلوسه و نومه فى ليله. و غير ذلك من أوقاته، و أباح اللَّه تعالى لهما أن يأكلا من حيث شاءا، و أين شاءا ما شاءا، و نهاهما على وجه الندب ألا تقربا هذه الشجرة.

و عندنا إن ذلك لم يكن محرماً عليهما بل نهاهما نهى تنزيه دون حظر و بالمخالفة فاتهما ثواب كثير، و إن لم يفعلا بذلك قبيحاً، و لا أخلا بواجب.

و من خالفنا قال أخطأ فى ذلك على خلاف بينهم بأن ذلك صغيرة أو كبيرة.

و من قال كانت صغيرة، منهم من قال: وقع ذلك منه سهواً و نسياناً. و منهم من قال: وقع ذلك تأويلًا من حيث نهى عن جنس الشجر، فحمله على شجرة بعينها، فأخطأ فى التأويل. و قد بينا فساد ذلك فيما مضى «۱».

---

(۱) فى المجلد الأول ص ۱۶۰- ۱۶۴.

و قوله «فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ» يحتمل أن يكون نصباً على جواب النهى.

و الثانی- أن یکون جزماً عطفاً علی النهی، فکأنه قال لا تقربا هذه الشجرة، و لا تکونا من الظالمین. و معنی «الظالمین» علی مذهبنا المراد به الباخسین نفوسهم ثواباً کثیراً، و المفوتین نعیماً عظیماً. و من قال: إنهما ارتکبا قبیحاً قال: ظلما أنفسهما بارتکاب القبیح. و علی مذهب من یقول بأن ذلک کانت صغیرة وقعت مکفرة لا- بد أن یحمل الظلم هاهنا علی نقصان الثواب الذی انحبط بمقارنة الصغیرة له، فأبو علیّ: ذهب الی أن ذلک وقع منه نسیاناً. و قال البلخی وقع منه تأویلًا، لأنه نهی عن جنس الشجرة فتأوّله علی شجرة بعینها، و هذا خطأ، لأن ما یقطع سهواً أو نسیاناً لا- یحسن المؤاخذة به. و أما الخطأ فی التأویل فقد زاد من قال ذلک قبیحاً آخر. أحدهما ارتکاب المنهی. و الثانی الخطأ فی التأویل به.

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آیة ۲۰] ..... ص : ۳۶۸

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّیْطانُ لِیُبْدِیَ لَهُما ما وُورِیَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَ قالَ ما نَهاکُما رَبُّکُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَکُونا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونا مِنَ الْخالِدِینَ (۲۰)

آیة بلا خلاف.

قرأ یحیی بن کثیر و یعلی بن حکیم «إِلَّا أَنْ تَکُونا مَلَکَیْنِ» بکسر اللام من قوله «هَلْ أَدُلُّکَ عَلی شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْکٍ لا یَبْلی الباقون بفتح اللام.

أخبر اللَّه تعالی أنه لما نهی آدم و زوجته عن أکل الشجرة وسوس لهما الشیطان. و الوسوسة الدعاء الی أمر بضرب خفی کالهمهمة و الخشخشة قال رؤبة مراجعة:

وسوس یدعو مخلصاً رب الفلق سراً و قد أوّن تأوین العقق «۱»

---

(۱) دیوانه: ۱۰۸ و اللسان (وسوس) و هو من ارجوزة یصف بها صائداً مختفیاً یرتقب حمر الوحش.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۳۶۹

و قال الأعشی:

تسمع للحلی وسواساً إذا انصرفت کما استعان بریح عشرق زجل «۲»

و قوله «لِیُبْدِیَ لَهُما» فالابداء الاظهار، و هو جعل الشیء علی صفة ما یصح أن یدرک، و ضده الإخفاء و کل شیء أزیل عنه الساتر فقد أبدی.

و قوله «ما وُورِیَ» فالمواراة جعل الشیء وراء ما یستره. و مثله المساترة، و ضده المکاشفة، و لم یهمز، لأن الثانیة مدة، و لو لا ذلک لوجب الهمز.

و قیل للفرج سوأة، لأنه یسوء صاحبه إظهاره، و کلما قبح إظهاره سوأة، و السوء من هذا المعنی. و إذا بالغوا قالوا: السوأة السوآء، و لم یقصد آدم و حواء (علیهما السلام) بالتناول من الشجرة القبول من إبلیس و الطاعة له بل إنما قصدا عند دعائه شهوة نفوسهما، و لو قصدا القبول منه لکان ذلک قبیحاً لا محالة. و قال الحسن لو قصدا ذلک لکانا کافرین.

و فرق بین وسوس الیه و وسوس له مثل قولک ألقی الیه المعنی، و وسوس له معناه أوهمه النصیحة له. فإن قیل کیف وصل إبلیس الی آدم و حواء حتی وسوس لهما؟ و هو خارج الجنة، و هما فی الجنة، و هما فی السماء و هو فی الأرض؟ قلنا: فیه أقوال.

أحدها- قال الحسن: کان یوسوس من الأرض الی السماء و الی الجنة فوصلت وسوسته بالقوة التی خلقها اللَّه له.

الثانی- قال أبو علی إنهما کانا یخرجان من السماء فبلغهما و هما هناک.

الثالث- قال أبو بکر بن الإخشید إنه خاطبهما من باب الجنة و هما فیها.

و قوله «ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ» فيه قولان:

أحدهما- أن فيه حذفاً و تقديره إلا أن تكونا ملكين و لستما ملكين.

و معناه لئلا تكونا ملكين.

---

(۲) ديوانه: ۴۲ القصيدة ۶. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۰

الثانى- إلا كراهة أن تكونا ملكين.

فإن قيل كيف يموّه عليهما أن الأكل من الشجرة يوجب الانقلاب من صورة البشرية الى صورة الملائكة أو يوجب الخلود فى الجنة؟!

قلنا: عن ذلك جوابان:

أحدهما- أنه أوهم أن ذلك فى حكم اللَّه فى كل من أكل من تلك الشجرة.

الثانى- أنه أراد إلا أن تكونا بمنزلة الملائكة فى علو المنزلة.

و استدل جماعة من المعتزلة بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من البشر، و الأنبياء منهم. و هذا ليس بشىء، لأنه لم يجر هاهنا ذكر لكثرة الثواب و أن الملائكة أكثر ثواباً من البشر بل كان قصد إبليس أن يقول لآدم ما نهاك اللَّه عن أكل الشجرة إلا أن تكونا ملكين، فإن كنتما ملكين فقد نهاكما، و حيث لستما من الملائكة فما نهاكما اللَّه عن أكلها، و تلخيص الكلام أن المنهى من أكل الشجرة هم الملائكة فقط، و من ليس منهم فليس بمنهى، و لا تعلق لذلك بكثرة الثواب و لا بقلته و على قول من كسر اللام لا متعلق فى الآية و لا شبهة.

و الشجرة التى نهى عنها آدم، قال قوم هى الكرمة، و قال آخرون هى السنبلة. و قيل فيه أقوال غيرهما ذكرناها فى سورة البقرة «۱».

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۱] ..... ص : ۳۷۰

وَ قاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ (۲۱)

آية بلا خلاف.

المقاسمة لا تكون إلا بين اثنين، و القسم كان من إبليس لآدم، لأن آدم مقسم له. و انما قال و قاسمهما كما يقال: عاقبت اللص و طارقت النبل و ناولت الرحل و عافاه اللَّه، و كذلك قاسمته، لان فى جميع ذلك معنى المقابلة، كأنه قابله فى المنازعة باليمين و المعاقبة مقابلة بالجزاء و كذلك المعافاة، و قال الهذلى:

و قاسمها باللَّه جهدا لأنتم ألَذّ من السلوى إذا ما نشورها «۲»

---

(۱) فى تفسير آية ۳۵ المجلد ۱/ ۱۵۸، ۱۶۲

(۲) ديوان الهذليين ۱/ ۱۵۸ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۵۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۱

أى حالفها، و فى موضع آخر «قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» «۳» أى تحالفوا- و سئل الحسن فقيل له: أ ليس اللَّه خلق آدم ليكون خليفة فى الأرض قال: بلى، قال و كان لا بد له من ان يهبط الأرض، قال: لا و اللَّه، و لكن لو هبط مطيعا للَّه كان خيرا له من ان يهبط عاصيا، و لم يعاتبه اللَّه على الهبوط، و انما عاتبه على مخالفة الأمر. و أصل القسم القسمة، قال أعشى بنى ثعلبة:

رضيعى لبان ثدى أم تقاسما باسحم داج عوض لا نتفرق «۱»

و القسم تأكيد الخبر بطريقة و اللَّه، و باللَّه، و تاللَّه.

اخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية ان إبليس حلف، لآدم و حواء انه لهما ناصح فى دعائهما الى التناول من الشجرة و لذلك تأكدت الشبهة عندهما، و ظنا ان أحداً لا يقدم على اليمين باللَّه إلا صادقاً، فكان ذلك داعياً لهما الى تناول الشجرة.

و يجوز ان تقول: انى لك لناصح، و لا يجوز ان تقول أنا لك لناصح، لان لام الابتداء موضعها صدر الكلام لا تؤخر عنه الا فى باب (ان) خاصة لئلا يجتمع حرفا تأكيد فى موضع واحد، فيوهم اختلاف المعنى، لان الأصل فى اجتماع الحرفين فى موضع انه لا ينوب أحدهما عن الآخر، و تقدير الكلام، و قاسمهما انى لكما ناصح، ثم فسر ذلك بقوله من الناصحين ليكون متعلقا بقوله لمن الناصحين فقدم الصلة على الموصول، و مثله قوله «وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «۲» و تقديره و أنا على ذلكم شاهد، و بينه بقوله من الشاهدين.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۲] ..... ص : ۳۷۱

فَدَلَّاهُما بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ (۲۲)

---

(۳) سورة النمل آية ۴۹.

(۱) ديوانه: ۱۵۰ و اللسان (عوض)، (سحم) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۵۰

(۲) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۵۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۲

آية بلا خلاف.

معنى قوله «فَدَلَّاهُما» حطهما الى الخطيئة بغرور، و منه قولهم: فلان يتدلى الى الشر، لان الشر سافل و الخير عال. و قيل: دلاهما من الجنة الى الأرض بغرور. الغرور إظهار النصح مع ابطان الغش، و أصله الغر: طيُّ الثوب يقال: اطوه على غره أى على كسر طيه، و قال الشاعر:

كأن غرَّ متنه إذ نجنبه سير صناع فى خريز تكلبه «۱»

فالغرور بمنزلة الغر لما فيه من اظهار حال و إخفاء حال، و منه الغرر لخفاء ما لا يؤمن فيه. و الغر الذى لم يجرب الأمور، لأنها تخفى عليه. و الغرة الأخذ على غفلة. و الغرارة الوعاء، لأنها تخفى ما فيها. و الأغر الأبيض لظهور الثوب فى غره، و منه الغرة فى الجبهة.

و قوله «فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما» أى ظهرت عورتاهما، و لم يكن ذلك على وجه العقوبة، لان الأنبياء لا يستحقون العقوبة، و انما كان ذلك لتغير المصلحة، لأنهما لما تناولا من الشجرة اقتضت المصلحة إخراجهما من الجنة و نزعهما لباسهما الذى كان عليهما، و اهباطهما الى الأرض، و تكليفهما فيها.

و قوله «و طفقا» قال ابن عباس: معنى طفق جعل يفعل، و مثله قولهم:

ظل يفعل و أخذ يفعل و ابتدأ يفعل، فقد يكون ذلك بأول الفعل و قد يكون بالقصد الى الفعل، و يقال: طفق يَطفِق و طفق يَطفَق طفقا.

و قوله «يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» معناه يقطفان من ورق الجنة ليستترا به، و يحوزان بعضه الى بعض، و منه المخصف: المثقب الذى يخصف به النعل، و الخصاف الذى يرقع النعل قال الشاعر:

---

(۱) قائله (دكين بن رجاء الفقيمى) اللسان (كلب) و «غرَّ متنه» ما تثنى من جلده و (سير صناع) أى سير متصنع به من كثر الخرز فيه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۳

و أسعى للندى و الثوب جرد محاسرة و فى نعلى خصاف

يعنى ترقيع، و قال الأعشى:

قالت أرى رجلا فى كفه كتف او يخصف النعل لهفى آية صنعا «۱»

و منه

قول النبى (ص) (خاصف النعل فى الحجرة) يعنى عليا (ع).

و الاخصاف سرعة العدو، لأنه يقطعه بسرعة. و الخصف ثياب غلاظ جدا، لأنه يعسر قطعها لغلظها. و كان الحسن يقرأ «يخصفان» بمعنى يختصفان.

و قوله «مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» قيل: انه من ورق التين. و اصل الورق ورق الشجرة، و منه الورق اسم الدراهم. و الورقة سواد فى غبرة كأنه كلون الورق الذى بهذه الصفة، و حمامة ورقاء.

و فى ذلك دلالة على ان ستر العورة كان واجبا فى ذلك الوقت.

و قوله «وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ» حكاية عما قال اللَّه تعالى لآدم و حواء- بعد ان بدت سوآتهما و طفقا يخصفان عليهما من ورق الشجر- أ ليس كنت نهيتكما عن تلكما الشجرة، و انما قال «تلكما» لأنه خاطب اثنين و أشار الى الشجرة، فلذلك قال (تلكما) و «أقل لكما» عطف على «أنهكما» فلذلك جزمه «إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ» يعنى ظاهر العداوة.

و قد بينا ان آدم لم يرتكب قبيحا و ان ما توجه اليه بصورة النهى كان المراد به ضربا من الكراهة دون الحظر، و انما قلنا ذلك لقيام الدلالة على عصمتهما من سائر القبائح صغائرها و كبائرها، فعلى هذا لا- يحتاج ان نقول: انهما تأولا فأخطئا، على ما قال البلخى و الرمانى، أو وقع منهما سهواً على ما قاله الجبائى

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۳] ..... ص : ۳۷۳

قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (۲۳)

آية بلا خلاف.

---

(۱) ديوانه: ۸۳ القصيدة ۱۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۴

فى هذه الآية حكاية عما قال آدم و حواء (ع) لما عاتبهما اللَّه و وبخهما على ارتكابهما ما نهاهما عنه، و اخبار عن اعترافهما على أنفسهما بأن «قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا» و معناه بخسناها الثواب بترك المندوب اليه. و الظلم هو النقص.

و على مذهب من يقول انهما فعلا صغيرة لا بد ان يحمل قوله «ظَلَمْنا أَنْفُسَنا» على تنقيص الثواب، لان عندهم ان الصغيرة انقصت ثواب طاعاتهم، فكان ذلك ظلما للنفس، فأما من يقول: ان الصغيرة انقصت ثواب طاعاتهم، فكان ذلك ظلما للنفس، فأما من يقول: ان الصغير تقع مكفرة من غير ان ينقص من ثواب فاعلها شيء، فلا يتصور معنى لقوله «ظَلَمْنا أَنْفُسَنا» و لا يثبت فيهما فائدة، لأنهما لم يستحقا عقابا بلا خلاف.

و صفة ظالم مفارقة لقولنا: ظلمنا، لان الظالم اسم ذم فى اكثر التعارف، و ظلم قد يستعمل فى غير المستحق للعقاب و الذم، كما ان اسم (مؤمن) اسم مدح لمستحق الثواب، و آمن يؤمن بخلاف ذلك عند القائلين بالوعيد.

و قوله «وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا» معناه ان لم تستر علينا، لان الغفر هو الستر على ما بيناه فيما مضى، و على مذهب من يقول: ان معصيتهم كانت صغيرة وقعت مكفرة لا معنى لقوله «وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا»، لان الغفران كائن لا محالة، و لا يحسن المؤاخذة به.

و قوله «لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ» المعنى ان لم تتفضل علينا بنعمك التى تتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب بضروب تفضلك لنكونن من جملة من خسر، و لم يربح. و الإنسان يصح ان يظلم نفسه بأن يدخل عليها ضررا غير مستحق، و لا يدفع عنها ضررا أعظم، و لا يجتلب منفعة توفى عليه. و لا يصح ان يكون معاقبا لنفسه، و يجوز ان يأمر اللّٰه تعالى المكلف ان يضر بنفسه، و لا يحسن ان يأمره ان يعاقب نفسه، لان امر الحكيم يدل على الترغيب فى الشيء، و لا يجوز أن يرغبه فى عقابه، كما لا يجوز ان يرغبه فى ذمه و لعنه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۵

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۴] ..... ص : ۳۷۵

قالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ (۲۴)

آية بلا خلاف.

اختلفوا فى المعنى بهذه الآية، فقال السدى و أبو على الجبائى و أبو بكر ابن الإخشيد: ان المراد بالخطاب آدم و حواء و إبليس، جمع بينهم فى الذكر، و ان كان الخطاب لهم وقع فى أوقات متفرقة، لان إبليس امر بالهبوط حين أمتنع من السجود، و آدم و حواء حين أكلا من الشجرة، و انتزع لباسهما. و قال أبو صالح: الخطاب متوجه الى آدم و حواء و الحية. و قال الحسن- قولا بعيدا من الصواب- و هو ان المراد به آدم و حواء و الوسوسة، و هذا قول منعزب عنه، لان الوسوسة لا تخاطب.

و الهبوط هو النزول بسرعة، و البعض هو أحد قسمى العدة، و أحد قسمى العشرة بعضها، و احد قسمى الاثنين بعضهما و لا بعض للواحد، لأنه لا ينقسم. و قوله «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ» أضاف (البعض) الى جملة هو منها، و لا يجوز ان يضاف (غير) الى جملة هو منها، لان اضافة (غير) الى الجملة و التفصيل لصحة ان يكون لكل واحد غير، و ليس كذلك بعض، لأنه لا يصح ان يكون لكل واحد بعض فأضافته الى الجملة فقط.

و العدوٌّ ضد الولىِّ، و من صفة العدو انه مراصد بالمكاره. و من صفة الولىِّ انه مراصد بالمحاب. و قال الرمانى: العدو هو النائى بنصرته فى وقت الحاجة الى معونته، و الولى هو الدانى بنصرته فى وقت الحاجة الى معونته. و قوله «وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ» فالمستقر قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابو العالية: هو موضع استقرار.

الثاني- انه الاستقرار بعينه، لان المصدر يجيء على وزن المفعول نحو التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۶

و «نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً» «۱» أى إدخالا كريما قال الشاعر:

أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلا و أنجو إذا غم الجبان من الكرب «۲»

و قوله «وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ» فالمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ، لان المناظر الحسنة يستمتع بها لما فيها من عاجل اللذة. و الحين الوقت، قصيرا كان او طويلا، الا انه قد استعمل على طول الوقت- هاهنا- و ليس بأصل فيه كقول القائل: ما لقيته منذ حين قال الشاعر:

و ما مزاحك بعد الحلم و الدين و قد علاك مشيب حين لا حين «۳»

أى وقت لا وقت، و قال البلخى «الى حين» معناه الى القيامة.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۵] ..... ص : ۳۷۶

قالَ فِيها تَحْيَوْنَ وَ فِيها تَمُوتُونَ وَ مِنْها تُخْرَجُونَ (۲۵)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن ذكوان و حمزة و الكسائى و خلف و يعقوب «تخرجون» بفتح التاء و ضم الراء. الباقون بضم التاء و فتح الراء. من قرأ بضم التاء، فلقوله «انكم مخرجون» «۴» و قوله «كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى «۵». و من فتح التاء، فلإجماع الكل فى قوله «ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» «۶» بفتح التاء و لقوله «إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» «۷» فأسند الفعل اليهم، و لأنه أشبه

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۳۰

(۲) قائله كعب بن مالك. اللسان (قتل).

(۳) قائله جرير. ديوانه: ۵۸۶ و سيبويه ۱/ ۳۵۸ و مجاز القرآن ۱/ ۲۱۲ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۵۹. و رواية الديوان و سيبويه (ما بال جهلك بعد الحلم و الدين).

(۴) سورة ۲۳ المؤمنون آية ۳۵

(۵) سورة ۷ الأعراف آية ۵۶.

(۶) سورة ۳۰ الروم آية ۲۵

(۷) سورة ۳۶ يس آية ۵۱. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۷

بما قبله من قوله «فِيها تَحْيَوْنَ وَ فِيها تَمُوتُونَ» «۸» و كما قال «كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» «۹» أضاف الفعل اليهم.

و فى الآية اخبار من اللَّه تعالى و حكاية عما قاله لآدم انكم تحيون فى هذه الأرض التى تهبطون اليها، و فيها تموتون، و منها تخرجون، للبعث يوم القيامة.

قال الجبائى فى الآية دلالة على ان اللَّه (عز و جلَّ) يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض التى حيوا فيها بعد موتهم، و انه يفنيها بعد ان يخرج العباد منها فى يوم الحشر، و إذا أراد إفناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون الى ارض اخرى و هذا معنى قوله «فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ» «۱۰».

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۶] ..... ص : ۳۷۷

يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشاً وَ لِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۲۶)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة، و ابن عامر و الكسائى «و لباس التقوى» بالنصب.

الباقون بالرفع، و من نصب حمله على (انزل) من قوله «قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً، ... وَ لِباسُ التَّقْوى و أنزلنا هاهنا مثل قوله «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» «۱۱» و مثل قوله «وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ» «۱۲» أى خلق. و انما قال «أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً» لاحد أمرين.

أحدهما- لأنه ينبت بالمطر الذى ينزل من السماء، فى قول الحسن و الجبائى.

الثانى- لأن البركات تنسب الى أنها تأتى من السماء كقوله

---

(۸) سورة ۷ الاعراف آية ۲۴

(۹) سورة ۷ الاعراف آية ۲۹.

(۱۰) سورة ۷۹ النازعات آية ۱۴.

(۱۱) سورة ۵۷ الحديد آية ۲۵

(۱۲) سورة ۳۹ الزمر آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۸

«وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» «۳» و قوله «ذلک» على هذا مبتدأ و خبره (خير)، و من رفع قطع اللباس من الاول و استأنف، فجعله مبتدأ و جعل قوله «ذلک» صفة له أو بدلا أو عطف بيان. و من قال «ذلک» لغو فقد أخطأ، لأنه يجوز أن يكون على أحد ما قلناه، و (خير) خبر ل (لباس) و تقديره لباس التقوى خير لكم إذا أخذتم به و أقرب لكم الى اللَّه مما خلق لكم من اللباس و الرياش الذى يتجمل به، و أضيف اللباس الى التقوى كما أضيف فى قوله «فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ» «۴» الى (الجوع).

و هذه الآية خطاب من اللَّه تعالى لأهل كل زمان من المكلفين على ما يصح و يجوز من وصول ذلك اليهم، كما يوصى الإنسان لولده و ولد ولده- و ان نزلوا- بتقوى اللَّه و إيثار طاعته، و يجوز خطاب المعدوم بمعنى أن يراد بالخطاب إذا كان المعلوم أنه سيوجد و تتكامل فيه شروط التكليف، و لا يجوز أن يراد من لا يوجد لأن ذلك عبث لا فائدة فيه.

و اللباس كلما يصلح للبس من ثوب أو غيره من نحو الدرع، و ما يغشى بها البيت من نطع او كسوة. و أصله المصدر تقول: لبسه يلبسه لَبساً و لباساً، و لبساً- بكسر اللام- قال الشاعر:

فلما كشفن اللبس عنه مسحنه بأطراف طفل زان غيلا موشما «۵»

الغيل الساعد، و وصفها بلطف الكف. (و الريش): ما فيه الجمال، و منه ريش الطائر، و قيل أصله المصدر من راشه يريشه، و قد تريش فلان أى صار له ما يعيش به، قال الشاعر أنشده سيبويه:

و ريشى منكم و هواى معكم و إن كانت زيارتكم لماما «۶»

---

(۳) و سورة ۵۷ الحديد آية ۲۵

(۴) سورة ۱۶ النحل آية ۱۱۲.

(۵) قائله «حميد بن ثور الهلالى» ديوانه ۱۴ و معانى القرآن ۱/ ۳۷۵ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۶۴ و اللسان (لبس)، (طفل).

(۶) كتاب سيبويه ۲/ ۴۵ نسبه الى الراعى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۷۹

و قال سعيد الجهنى الرياش المعاش. و قال الزجاج: الريش اللباس يقولون: أعطيت الرجل فريشته أى كسوته، و جمعه رياش.

قال مجاهد: و إنما ذكر اللباس- هاهنا- لأن المشركين كانوا يتعرون فى الطواف حتى تبدو سوآتهم باغواء الشياطين، كما أغوى أبويهم قبل هذا الإغواء. و قوله «يُوارِى سَوْآتِكُمْ» معناه يستر ما يسوؤكم انكشافه من الجسد، لأن السوءة ما يسوء انكشافه من الجسد، و العورة ترجع الى النقيصة فى الجسد قال الشاعر:

خرقوا جيب فتاتهم لم يبالوا سوءة الرجلة «۷»

و لِباسُ التَّقْوى فيه خمسة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس: هو العمل الصالح.

الثانى- قال قتادة و السدى و ابن جريج هو الايمان.

الثالث- قال الحسن: هو الحياء الذى يكسبكم التقوى.

الرابع- قال الجبائى: هو الذى يقتصر عليه من أراد التواضع و النسك فى العبادة من لبس الصوف و الخشن من الثياب.

الخامس- قال الرمانى: هو العمل الذى يقى العقاب، و فيه الجمال مثل جمال الناس من الثياب. و قال الحسين بن على المغربى «لِباسُ

التَّقْوى يعنى الذى كان عليكما فى الجنة خير لكم بدلالة قوله «ذلك» و هى للبعيد.

و قوله «ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ» معناه إن الذى فعلناه بكم من حجج اللّه التى دلتكم على توحيده من اللّه «لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» معناه لكى يتفكروا فيها و يؤمنوا باللّه و برسوله.

---

(۷) اللسان (رجل) و الكامل للمبرد ۱/ ۱۶۵ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۳۶۱ و شرح الحماسة ۱/ ۱۱۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۰

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۷] ..... ص : ۳۸۰

يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (۲۷)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللّه لأولاد آدم العقلاء منهم المكلفين، فنهاهم أن يفتنوا بفتنة الشيطان. و الفتنة هى الاختبار و الابتلاء و افتتان الشيطان يكون بالدعاء الى المعاصى من الجهة التى تميل اليها النفوس و ما تشبهيه. و انما جاز ان ينهى الإنسان بصيغة النهى للشيطان، لأنه أبلغ فى التحذير من حيث يقتضى أنه يطلبنا بالمكروه، و يقصدنا بالعداوة، فالنهى له يدخل فيه النهى لنا عن ترك التحذير منه.

و قوله «كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ» يعنى أغوى أبويكم آدم و حواء حتى خرجا من الجنة، فنسب الإخراج اليه لما كان باغوائه، و جرى ذلك مجرى ذم اللّه تعالى فرعون بأنه يذبح أبناءهم و إنما أمر بذلك، و تحقيق الذم فيها راجع الى فعل القتل المذموم، و لكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله فى عظم الفاحشة.

و قوله «يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما» فى موضع الحال من الشيطان، و تقديره نازعاً عنهما لباسهما لكى تبدوا سوءاتهما فيرياها، و النزع قلع الشىء من موضعه الذى هو ملابس له و يقال: نزع من الأمر ينزع نزوعاً تشبيهاً بهذا، و نازعه إذا حاول كل واحد منهما أن يزيل صاحبه عما هو عليه، و غرض الشيطان فى ان يريا سوآتهما هو ان يغمهما ذلك و يسوأهما ان تبدو لغيرهما، كما بدا لهما، لان ذلك صفة كل من له مروءة. و اللباس الذى ينزع عنهما قيل فيه ثلاثة التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۱

أقوال:

أحدها- قال ابن عباس: كان لباسهما الظفر.

و قال وهب بن منبة كان لباسهما نوراً.

و قال قوم هى ثياب من ثياب الجنة.

و قوله «إنه» يعنى الشيطان «يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ» و انما كانوا يرونا و لا نراهم لان أبصارهم احد من أبصارنا، و أكثر ضوءاً من أبصارنا، فابصارنا قليلة الشعاع، و مع ذلك أجسامهم شفافة و أجسامنا كثيفة، فصح أن يرونا و لا يصح منا أن نراهم، و لو تكثفوا لصح منا أيضاً أن نراهم.

و قال أبو على: فى الآية دلالة على بطلان قول من يقول: إنه يرى الجن من حيث أن اللّه عمَّم أن لا نراهم، قال: و إنما يجوز أن يروا فى زمن الأنبياء بأن يكثف اللّه أجسامهم.

و قال أبو الهذيل و أبو بكر بن الإخشيد: يجوز أن يمكنهم اللّه أن يتكثفوا فيراهم حينئذ من يختص بخدمتهم.

و قبيل الشيطان، قال الحسن و ابن زيد: هو نسله، و به قال أبو على، و استدل على ذلك بقوله «أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ» «۱».

و قوله «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» معناه إنا حكمنا بـذلك لأنهم يتناصـرون على الباطل، و مثله قوله «وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» «۲» أى حكموا بذلك حكما باطلا.

و (حيث) فى موضع خفض بحرف (من) غير أنها بنيت على الضم، و أصـلها ان تكون مرفوعـة لأنها ليست لمكان بعينه، و ان ما بعدها صلة لها ليست بمضافة اليه. و منهم من يقول (من حيث) خرجت- بالفتح- لالتقاء الساكنين. و منهم من يقول (حوث) و لا يُقرأ بهما.

---

(۱) سورة ۱۸ الكهف آية ۵۱.

(۲) سورة ۴۳ الزخرف آية ۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۲

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۲۸] ..... ص : ۳۸۲

وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۲۸)

آية بلا خلاف.

الكناية فى قوله «فَعَلُوا فاحِشَةً» كناية عن المشركين، الذين كانوا يبدون سوآتهم فى طوافهم: النساء و الرجال الحمس خاصة، و له خبر طويل- فى قول ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و الشعبى و السدى، و قالت العامرية:

اليوم يبدو بعضه او كله و ما بدا منه فلا أحله «۱»

قال الفراء: كانوا يعملون ستاً من سور مقطعة يشدون على حقوهم فسمى حوقاً، و إن عمل من صوف سمى رهطاً.

و قال الحسن و أبو على: هى كناية عن عبدة الأوثان و فواحشهم الشرك باللَّه و الكفر بنعمه. و الفاحشة ما عظم قبحه فى قول الزجاج، يقال فحش يفحش فحشاً، و لا يقال فى الصـغيرة- عند من قال بها- فاحشة، و إن قيل فيها: إنها قبيحة، كما لا يقال فى القوم فاحش، و إن قيل: قبيح.

أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم «إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً» و ارتكبوا قبيحاً اعتذروا لنفوسهم بأن قالوا: وجدنا آباءنا يفعلونها. قال الحسن: و إنما دعاهم الى هذا القول، لأن أهل الجاهلية كانوا أهل إجبار، و قالوا:

لو كره اللَّه مـا نحن عليه من هـذا الـدين لنقلنا عنه، فهو قوله «وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها» و قال غيره: إنهم توهموا أن آباءهم لم يفعلوا ذلك إلا و هو من قبل اللَّه.

و إنما قال آباؤهم بسببه فحينئـذ رد اللَّه عليهم قولهم بأن قال «إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ» ثم قال على وجه الإنكار «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ»؟!

---

(۱) تفسير الطبرى: ۱۲/ ۳۷۷، ۳۸۹، ۳۹۰، ۳۹۱، ۳۹۳ و معانى القرآن للفراء ۱/ ۳۷۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۳

لأنهم ان قالوا لا، نقضوا مـذهبهم، و إن قالوا: نعم، افتضـحوا فى قولهم و قال الزجاج: معنى «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ» أ تكذبون عليه؟! و فى الآية حجة على أصحاب المعارف، و أهل التقليد، لأنه ذم الفريقين، و لو كان الأمر على ما يقولون لما توجه عليهما الذم!!.

فإن قيل: إنما أنكر اللَّه قولهم: إن اللَّه أمرنا بها، و لا يدفع ذلك أن يكون مريداً لها، لأن الأمر منفصل من الارادة.

قلنا: الأمر لا يكون أمراً إلا بارادة المأمور به، فما أراده فقد رغب فيه و دعا اليه فاشتركا فى المعنى.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۲۹ الى ۳۰] ..... ص : ۳۸۳

قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (۲۹) فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (۳۰)

آيتان، تمام الأولى فى الكوفى «تعودون» و فى البصرى تمام الأولى «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» و تمام الأخرى عند الجميع «مهتدون».

لما أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا: إن اللَّه أمرنا بما نفعله و نعتقده من الفواحش، و ردَّ عليهم بقوله «إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ» أمر نبيه (ص) أن يقول «ان الله يأمر بالقسط» و هو العدل- فى قول مجاهد و السدى و أكثر المفسرين- و أصله العدول، فإذا كان الى جهة الحق، فهو عدل. و منه قوله «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» «۱». و إذا كان الى جهة الباطل،

---

(۱) سورة ۵ المائدة آية ۴۵ و سورة ۴۹ الحجرات آية ۹ و سورة ۶۰ الممتحنة آية ۸. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۴

فهو جور، و منه قولَه أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»

«۲». و أمرهم أن يقيموا وجوههم عند كل مسجد و قيل فيه وجوه:

أحدها- قال مجاهد و السدى و ابن زيد: معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد فى الصلاة على استقامة.

الثانى- قال الربيع: توجهوا بالإخلاص للَّه، لا للوثن و لا غيره. و قال الفراء: معناه إذا دخل عليك وقت الصلاة فى مسجد فصل فيه، و لا تقل آتى مسجد قومى، و هو اختيار المغربى:

و قوله «وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أمرهم بالدعاء و التضرع اليه تعالى على وجه الإخلاص. و أصل الإخلاص إخراج كل شائب من الخبث، و منه إخلاص الدين للَّه (عز و جل) و هو توجيه العبادة اليه خالصاً دون غيره.

و قوله «كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد و ابن زيد: كما خلقكم أولًا تعودون بعد الفناء، و

روى عن النبى (ص) أنه قال (يحشرون عراة حفاة عزلًا، كما بدأنا أول خلق نعيده. وعداً علينا انا كنا فاعلين).

الثانى- قال ابن عباس و جابر فى رواية أنهم يبعثون على ما ماتوا عليه:

المؤمن على إيمانه و الكافر على كفره. و إنما ذكر هذا القول، لأحد أمرين:

أحدهما- قال الزجاج: على وجه الحجاج عليهم، لأنهم كانوا لا يقرُّون بالبعث.

الثانى- على وجه الأمر بالإقرار به، كأنه قيل و أقروا أنه كما بدأكم تعودون. و البدأ فعل الشيء أول مرة، و العود فعله ثانى مرة. و قد يكون فعل أول خصلة منه بدأ، كبدء الصلاة، و بدء القراءة، بدأهم و أبداهم لغتان.

و قوله «فَرِيقاً هَدى فالفريق جماعة انفصلت من جماعة، و ذكر (فريق) هاهنا أحسن من ذكر (نفر و قوم أو نحوه) لما فيه من الاشعار بالمباينة و نصب

---

(۲) سورة ۷۲ الجن آية ۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۵

«فريقاً هدى». و قوله «وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ» لتقابل فريقاً هدى بعطف فعل على فعل، و تقديره و فريقا أضل إلا انه فسره ما بعده نظير قوله «يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً» «۱». و قال الفراء: نصب فريقاً على الحال، و العامل فيه (تعودون) فريقاً، و الثانى عطف عليه، و لو رفع على تقدير أحدهما كذا، و الآخر كذا، كان جائزاً كما قال «قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ

الْتَقَتا: فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ» «۲» و الهدى و الإضلال فى الآية يحتمل أربعة أوجه:

أحدها- أنه حكم بأن هؤلاء مهتدون مدحاً لهم، و حكم بأن أولئك ضالون ذماً لهم.

الثانى- الدلالة التى انشرح بها صدور هؤلاء للاهتداء، و ضاقت بها صدور أولئك لشدة محبتهم لما هم عليه من مذهبهم.

الثالث- هدى بأن لطف لهؤلاء بما اهتدوا عنده، و صار كالسبب لضلال أولئك بتخيرهم لينتقلوا عن فساد مذهبهم.

الرابع- أنه هدى هؤلاء الى طريق الثواب، و أولئك لعمى الإضلال عنه بالعقاب فى النار.

و قوله «إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» اخبار منه تعالى انه فعل بهم ما فعل من الضلال، لأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون اللَّه، و الاتخاذ الافتعال من الأخذ بمعنى أعداد الشيء لأمر من الأمور، فلما أعدوا الشياطين لنصرتهم، كانوا قد اتخذوهم أولياء باعدادهم.

و قوله «وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ» يعنى هؤلاء الكفار يظنون أنهم مهتدون. و الحسبان و الظن واحد، و هو ما قوى عند الظَّانِّ كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على غيره، فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد و التخمين، و بالتجويز يتميز من العلم، لأن مع العلم القطع.

---

(۱) سورة ۷۶ الدهر آية ۳۱.

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۱۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۶

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۳۱] ..... ص : ۳۸۶

يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (۳۱)

آية بلا خلاف.

أمر اللَّه تعالى فى هذه الآية أولاد آدم الذكور منهم،- لأن (بنى) جمع ابن، و إنما نصب لأنه نداء مضاف، و الابن هو الولد الذكر، و البنت الولد الأنثى- أمرهم اللَّه بأن يأخذوا، و معناه أن يتناولوا زينتهم. و الزينة هى اللبسة الحسنة، و يسمى ما يتزين به زينة، كالثياب الجميلة و الحلية، و نحو ذلك. و قوله «عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ»

روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال فى الجمعات و الأعياد.

و قال ابن عباس و عطاء و ابراهيم و الحسن و قتادة و سعيد ابن جبير: كانوا يطوفون بالبيت عراة فنهاهم اللَّه عن ذلك. و قال مجاهد: ما وارى العورة، و لو عباءة. و قال الزجاج: هو أمر بالاستتار فى الصلاة، قال أبو على: و لهذا صار التزين للاعياد، و الجمع سنَّة.

و قيل فى وجه شبهتهم فى تعرِّيهم فى الطواف و إبداء السوأة وجهان:

أحدهما- أن الثياب قد دنستها المعاصى فيجردوا منها.

الثانى- تفألوا بالتعرى من الذنوب.

و قوله «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا» صورته صورة الأمر، و معناه إباحة الأكل و الشرب.

و قوله «و لا تسرفوا» نهى لهم عن الإسراف، و هو الخروج عن حد الاستواء فى زيادة المقدار. و قيل: المراد الخروج عن الحلال إلى الحرام، و قيل: الخروج مما ينفع الى ما يضر، و قيل: الزيادة على الشبع فالإسراف و الإقتار مذمومان.

و قوله «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» معناه يبغض المسرفين، لأنه ذم لهم، و لو كان بمعنى لا يحبهم و لا يبغضهم لم يكن ذماً لهم و لا مدحاً، و قال أبو على: التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۷

من لا يحبه اللَّه فهو يبغضه و يعاديه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۳۲] ..... ص : ۳۸۷

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۳۲)

آية بلا خلاف.

قرأ نافع وحده «خالصة يوم القيامة» بالرفع. الباقون بالنصب.

من رفعه جعله خبر المبتدأ الذى هو (هى) و يكون «لِلَّذِينَ آمَنُوا» تبييناً للخلوص، و لا شيء فيه على هذا. و من قال هذا حلو حامض أمكن أن يكون «للذين آمنوا» خبراً و (خالصة) خبراً آخر. و من نصب (خالصة) كان حالًا مما فى قوله «للذين آمنوا» ألا ترى أن فيه ذكراً يعود الى المبتدأ الذى هو (هى) فخالصة حال عن ذلك الذكر، و العامل فى الحال ما فى اللام من معنى الفعل، و «هى» متعلقة بمحذوف يعود اليه الذكر الذى كأن يكون فى المحذوف، و لو ذكر و لم يحذف، و ليس متعلقاً بالخلوص، كما تعلق به فى قول من رفع. و تقديره هو للذين آمنوا فى الحياة الدنيا لهم خالصة، ذكره الفراء.

و حجة من رفع أن المعنى هى خالصة للذين آمنوا يوم القيامة، و إن شركهم فيها غيرهم من الكافرين فى الدنيا.

و من نصب فالمعنى عنده هى ثابتة للذين آمنوا فى حال خلوصها يوم القيمة لهم و انتصابه على الحال أشبه بقوله «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ آخِذِينَ» «۱» و نحو ذلك مما انتصب الأمر فيه على الابتداء و خبره، و ما يجرى مجراه إذا كان فيه معنى (فعل).

لما أباح اللَّه تعالى و حث على تناول الزينة فى كل مسجد و ندب اليه و أباح

---

(۱) سورة ۵۱ الذاريات آية ۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۸

الاكل و الشرب، و نهى عن الإسراف، و هناك قوم يحرمون كثيرا من الأشياء من هذا الجنس، قال اللَّه تعالى منكراً لذلك «مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ». و قيل فى معنى الطيبات قولان: أحدهما- المستلذ من الرزق. الثانى- الحلال من الرزق، و الاول أشبه بخلوصه يوم القيامة. و إنما ذكر الطيبات من جملة ذلك- فى قول ابن زيد و السدى- لأنهم كانوا يحرمون البحائر و السوائب، و ظاهر الآية يدل على أنه لا يجوز لأحد تجنب الزينة و الملاذ الطيبة على وجه التحريم، و أما من اجتنبها على ان غيرها أفضل منها فلا مانع منه.

ثم أخبر تعالى فقال (هى) يعنى الطيبات «لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ» و قيل فى معنى «خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ» قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و الضحاك و ابن جريج، و ابن زيد:

هى خالصة للمؤمنين دون أعدائهم من المشركين.

و قال أبو على: هى خالصة لهم من شائب مضرَّة تلحقهم.

و قال أبو على الفارسى: لا يخلو قوله «فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» من أن يتعلق ب (حرم) أو ب (زينة) أو ب (أخرج) أو ب «الطيبات» أو ب «الرزق» من قوله «من الرزق» أو بقوله «آمنوا» و لا يجوز أن يتعلق ب (حرم) فيكون التقدير قل من حرم فى الحياة الدنيا، و يكون المعنى قل من حرم فى وقت الحياة الدنيا، و لا يجوز أن يتعلق ب (زينة) لأنه مصدر أو جار مجراه، و لما وصفها لم يجز أن يتعلق بها شيء بعد الوصف كما لا يتعلق به العطف عليه، و يجوز أن يتعلق ب (أخرج) لعباده فى الحياة الدنيا.

فإن قيل: كيف يتعلق ب (أخرج) و فيه فصل بين الصلة و الموصول بقوله «قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» و هو كلام مستأنف ليس فى الصلة؟

قيل لا يمنع الفصل به، لأنه مما يسدد القصة، و قد قال «وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» «۱» فقوله «وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ»

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۲۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۸۹

معطوف على كسبوا، فكذلك قوله «قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا».

و يجوز أن يتعلق ب (الرزق) أيضاً إن كان موصولًا.

و يجوز أن يتعلق ب (آمنوا) الذى هو صلة (الذين) أى آمنوا فى الحياة الدنيا، و كل ما ذكرناه من هذه الأشياء يجوز أن يتعلق به هذا الظرف.

و قوله «كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ» أى كما نميز لكم الآيات و ندلكم بها على منافعكم و صلاح دينكم، كذلك نفصل الآيات لكل عاقل يعلم معناها و دلالتها.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۳۳] ..... ص : ۳۸۹

قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۳۳)

آية بلا خلاف.

لما أنكر تعالى على من حرم زينة اللَّه التى أخرج لعباده و الطيبات من الرزق، و ذكر أنه أباح ذلك للمؤمنين فى دار الدنيا بيَّن عقيب ذلك ما حرمه عليهم، فقال «قل» يا محمد «إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ» و معناه لم يحرم ربى إلا الفواحش، لأنا قد بينا أن (إنما) تدل على تحقيق ما ذكر، و نفى ما لم يذكر.

و التحريم هو المنع من الفعل باقامة الدليل على وجوب تجنبه، و ضده التحليل، و هو الإطلاق فى الفعل بالبيان عن جواز تناوله. و أصل التحريم المنع من قولهم: حرم فلان الرزق، فهو محروم حرمانا، و حرم الرجل إذا لج فى الشىء بالامتناع منه، و حرمه تحريماً، و أحرم بالحج إحراماً و تحرَّم بطعامه تحرما، و استحرمت الشاة إذا طلبت الفحل، لأنها تتبعه كما تتبع الحرمة البعل، و الحرمة مكة و ما حولها مما هو معروف، و أشهر الحُرم ذو العقدة و ذو التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۰

الحجة و المحرم و رجب، و المحرَم القرابة التى لا يحل تزوجها، و حريم الدار ما كان من حقوقها، و المحرم السوط الذى لا يلين لأنه حرام أن يضرب به حتى يلين.

و الفواحش جمع فاحشة، و هى أقبح القبائح. و هى الكبائر.

و قوله «ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ» يعنى ما علن و ما خفى.

و قد قدمنا اختلاف المفسرين فى ذلك، و انما ذكر مع الفواحش هذه القبائح، و هى داخلة فيها لأحد أمرين:

أحدهما- للبيان عن التفصيل، كأنه قيل الفواحش التى منها الإثم، و منها البغى، و منها الاشراك باللَّه.

و الثانى- ان الفواحش- هاهنا- الزنا و هو الذى بطن، و التعرى فى الطواف، و هو الذى ظهر- فى قول مجاهد- و قال قوم: الإثم هو الخمر، و ما ظهر الزنا، و ما بطن هو نكاح امرأة الأب، و الإثم يعم جميع المعاصى، و أنشد ابن الانبارى فى أن الإثم هو الخمر:

شربت الإثم حتى ضل عقلى كذاك الإثم يصنع بالعقول «۱»

و قال الفراء: الإثم ما دون الحد، و البغى هو الاستطاعة على الناس، وحده طلب الترأس بالقهر من غير حق. و أصل البغى الطلب،

تقول: هذه بغيتى أى طلبتى، و أبتغى كذا ابتغاء. و ما تبغى؟ أى ما تطلب، و ينبغى كذا أى هو الأولى أن يطلب.

و قوله «ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً» السلطان الحجة- فى قول الحسن و غيره- و مثله البرهان و البيان و الفرقان، و حدودها تختلف، فالبيان إظهار المعنى للنفس كإظهار نقيضه، و البرهان إظهار صحة المعنى و فساد نقيضه، و الفرقان إظهار تميز المعنى مما التبس به. و السلطان إظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال.

---

(۱) اللسان (أثم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۱

و «أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» أى و حرم عليكم ذلك، و ذلك يدل على بطلان التقليد، لأن المقلد لا يعلم صحة ما قلد فيه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۳۴] ..... ص : ۳۹۱

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (۳۴)

آية بلا خلاف.

قيل الفرق بين أن تقول: و لكل أمة أجل، و بين و لكل أحد أجل من وجهين:

أحدهما- أن ذكر الأمَّة يقتضى تقارب أعمار أهل العصر.

و الثانى- أنه يقتضى إهلاكهم فى الدنيا بعد إقامة الحجة عليهم بإتيان الرسل.

و الامة الجماعة التى يعمها معنى. و أصله أمه يؤمه إذا قصده، فالأمَّة الجماعة التى على مقصد واحد. و الأجل الوقت المضروب لانقضاء المهل، لأن بين العقد الأول الذى يضرب لنفس الأجل، و بين الوقت الآخر مهلا، مثل أجل الدين، و أجل الوعد، و أجل العمر.

و قال أبو على الجبائى: فى الآية دلالة على أن الأجل واحد، لأنه لا يجوز أن يكون الظالم بقتل الإنسان قد اقتطعه عن أجله. و قال أبو بكر ابن الإخشيد: ليس الأمر على ذلك لأنها قد دلت أنه غير هذا على الأجلين.

و قوله «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ» معنى لا يستأخرون، و لا يتأخرون، و إنما قيل لا يستأخرون من أجل أنهم لا يطلبون التأخر، فهو أبلغ فى المعنى من لا يتأخرون، لأن الاستئخار طلب التأخر.

و قوله «وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ» معناه لا يتقدمون، و المعنى إذا قرب أجلهم لا يطلبون التقدم و لا التأخر، لأن بعد حضور الأجل و نزول الاملاك يستحيل منهم طلب ذلك، كما يقال جاء الشتاء و جاء الصيف إذا قارب وقته لأنه التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۲

متوقع كتوقعه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۳۵] ..... ص : ۳۹۲

يا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي فَمَنِ اتَّقى وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۳۵)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لجميع بنى آدم المكلفين منهم أنه يبعث إليهم رسلًا منهم يقصون عليهم آيات اللَّه و حججه و براهينه، و هو ما أنزله عليهم من كتبه و نصب لهم من أدلته.

و قوله «إِمَّا» أصله (إنْ) حرف الشرط دخلت عليه (ما) و لدخولها دخلت النون الثقيلة فى (يأتينكم) و لو قال: إن يأتينكم، لم يجز، و إنما كان كذلك، لأن (ما) جعلته فى حكم غير الواجب، لأنه ينزل منزلة ما هو غير كائن حتى احتيج معه الى القسم مع خفاء أمره من

جهـة المسـتقبل، و لم يجز دخول النون على الواجب فى مثل هو، هون، لأن هـذه النون تؤذن بأن ما دخلت عليه قـد احتاج الى التأكيد لخفاء أمره من جهـة المسـتقبل. و انه غير واجب لخفاء أمره من هاتين الجهتين، لأجله احتاج الى نون التأكيـد. و إنما قال «رُسُلٌ مِنْكُمْ» بلفظ الجمع، و إنما أتى هؤلاء رسول منهم لأنه على تقـدير يأتين لكل أمة، فصار كأنه خطاب لجميع المكلفين. و جواب (إنْ) يحتمل أن يكون أحد أمرين:

أحدهما- أن يكون قوله «فَمَنِ اتَّقى منكم «وَ أَصْلَحَ» لأن التفصيل يقتضى منكم.

الثانى- أن يكون محذوفاً يدل الكلام عليه كأنه قال فأطيعوهم.

و قوله «يقصون» فالقصص وصل الحديث بالحديث فى وصل الحديث الممتنع بحديث مثله. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۳

و قوله «فَمَنِ اتَّقى وَ أَصْلَحَ» معناه فمن اتقى منكم و أصلح «فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» و ظاهر الآيـة يـدل على أن من اتقى معاصى اللَّه و اجتنبها، و أصلح بأن فعل الصالحات، لا خوف عليهم فى الآخرة- و هو قول الجبائى- و قال أبو بكر بن الإخشيد: لا يدل على ذلك، لأن اللَّه تعالى قال فى وصـفه يوم القيامة «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى

«۱» و إنما هو كقول الطبيب للمريض لا بأس عليك، و لا خوف عليك، و معناه أن أمره يؤل الى السلامة و العافية. و الاول أقوى، لأنه الظاهر غير أن ذلك يكون لمن اتقى جميع معاصـى اللَّه، فأما من جمع بين الطاعات و المعاصـى فان خوفه من عقاب اللَّه على معاصيه لا بـد منه، لأنا لا نقطع على أن اللَّه تعالى يغفر له لا محالـة، و لا نقول بالإحباط فنقول ثواب إيمانه أحبط عقاب معاصيه، فإذا اجتمعا فلا بد من أن يخاف من وصول العقاب اليه. و من قال لفظة «اتقى» لا تطلق إلا للمؤمن من أهل الثواب، لأنها صفة مدح، فلا بد من أن يكون مشـروطاً بالخلوص مما يحبطه، فما ذكروه أولًا صـحيح نحن نعتبره، لأن المتقى لا يكون إلا مؤمناً مسـتحقاً للثواب، غير أنه ليس من شرطه ألا يكون معه شيء من العقاب، بل عندنا يجتمعان، فلا يستمر ما قالوه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۳۶] ..... ص : ۳۹۳

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۳۶)

آية.

أخبر اللَّه تعـالى أن الـذين كـذبوا بحججه و براهينه-، و لم يصـدقوه، و اسـتكبروا عنهـا- انهم أصـحاب النـار الملازمون لها على وجه الخلود و التأبيد.

و التكذيب هو تنزيل الخبر على أنه كذب. و التصديق تنزيل الخبر على

---

(۱) سورة ۲۲ الحج آية ۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۴

انه صـدق، فالتكذيب بآيات اللَّه كفر، و التكذيب بالطاغوت إيمان، فلذلك توعد على التكذيب بآيات اللَّه بعقاب الأبد. و الاسـتكبار طلب الترفع بالباطل، و لفظة «مسـتكبر» صـفة ذم فى جميع الخلق، و الخلود هو لزوم الشـىء على ما هو فيه. و معنى «أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ» «۱» لزوم الركون اليها. و الصاحب و القرين متقاربان غير أن القرين فيه معنى النظير، و ليس ذلك فى الصاحب فلـذلك قيل: أصحاب رسول اللَّه، و لم يقل قرناؤه.

و لفظـة (الـذين) مبنيـة على هـذه الصـيغة فى جميع الأحوال: الرفع، و النصب، و الجر، و إنما تثبت مع بعـدها بالجمع عن الحرف، لأن العلـة التى لهـا هى التى موجودة فيه، و هى نقصانه عن سائر الأسـماء حتى تأتى صـلته فتتمه، و ليس هـذا كالشبيه العارض الـذى يزول

على وجه. فأما من قال:

الذون و الذين فانه اعتد بتبعيد الجمع، فجعله على طريقة المعرف، و لان هذه الطريقة لما لم تكن اعراباً تاماً لم يمنعوه لما وقع بعده من شبه الحرف بالجمع.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۳۷] ..... ص : ۳۹۴

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ (۳۷)

آية بلا خلاف.

قوله «فمن أظلم» صورته صورة الاستفهام، و المراد به الاخبار عن عظم جرم من يفترى على اللَّه كذباً أو يكذب بآيات اللَّه، لا أنه أحد أظلم لنفسه منه. و انما أورد هذا الخبر بلفظ الاستفهام، لأنه ابلغ برد المخاطب

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۷۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۵

الى نفسه فى جوابه مع تحريك النفس له بطريق السؤال. و قد بينا فيما مضى من الكتاب حقيقة الظلم، و أن أجود ما حُدَّ به أن قيل: هو الضرر المحض الذى لا نفع فيه يوفَّى عليه، و لا دفع ضرر أعظم من دفعه، لا عاجلا و لا آجلا، و لا يكون مستحقاً و لا واقعاً على وجه المدافعة. و قد حد الرمانى الظلم بأنه الضرر القبيح من جهة بخس الحق به، و هذا ينتقض بالألم الذى يدفع به ألم مثله، لما قلناه.

و قوله «أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ» فالنيل هو وصول النفع الى العبد إذا أطلق، فان قيد وقع على الضرر، لأن أصله الوصول الى الشيء من نلت النخلة أنالها نيلًا، قال امرؤ القيس:

سماحة ذا و بُر ذا و وفاء ذا و نائل ذا إذا صحا و إذا سكر «۱»

و البخل منع النائل لمشقة الإعطاء.

و قيل فى معنى «يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ» أقوال:

أحدها- قال الزجاج و الفراء: هو ما ذكره اللَّه تعالى من أنواع العذاب للكفار مثل قوله «فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» «۲» و قوله «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ» «۳» و غير ذلك مما كتب اللَّه فى اللوح المحفوظ.

الثانى- قال الربيع و ابن زيد: من الرزق و العمر، و العمل: من الخير و الشر فى الدنيا.

الثالث- قال مجاهد: جميع ما كتب لهم و عليهم، و هو قول عطية.

و قال بعضهم معناه ينالهم نصيبهم من خير أو شر فى الدنيا، لأنه قال «حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ» و هى الانتهاء. و الاجوبة الاولى أقوى

---

(۱) ديوانه: ۸۶. من قصيدة يمدح بها سعد بن الصباب و يهجو هانئ بن مسعود.

(۲) سورة ۹۲ الليل آية ۱۴- ۱۶.

(۳) سورة ۳ آل عمران آية ۱۰۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۳۹۶

لأن الاظهار فيما يقتضيه عظم الظلم فى الفحش الوعيد و العذاب الأبدى.

و قال سيبويه و الزجاج: لا تجوز إمالة (حتى) لأنها حرف لا يتصرف، و الامالة ضرب من التصريف، و كذلك (إما، و أيا، و الا، و لا). و (أينما) كتبت بالياء مع امتناع إمالتها تشبيهاً ب (حبلى) من جهة أن الالف رابعة، و لم يجز مثل ذلك فى (إلا) لأن (إلا) تشبه الى. و لا فى (اما) التى للتخيير، لأنها بمنزلة (إن ما) التى للجزاء.

و قوله «حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ» يعنى الملائكة التى تنزل عليهم لقبض أرواحهم. و قيل فى معنى الوفاة- هاهنا- قولان: أحدهما- الحشر الى النار يوم القيامة بعد الحشر الثانى، وفات الموت الذى يوبخهم عنده الملائكة- فى قول أبى على- و الوجه فى مسألة الملك لمن يتوفاه: التبكيت لمن لم يقم حجته، و البشارة لمن قام بحجته. و فى الاخبار عن ذلك مصلحة السامع إذا تصور الحال فيه.

و قوله «قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» حكاية سؤال الملائكة لهم و توبيخهم أن الذين كانوا يدعونهم من دون اللَّه من الأوثان و الأصنام لم ينفعوهم فى هذه الحال، بل ضروهم.

و قوله «قالُوا ضَلُّوا عَنَّا» حكاية عن جواب الكفار للملائكة أنهم يقولون: ضل من كنا ندعوه من دون اللَّه عنا «وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» يعنى الكفار أقروا على أنفسهم «أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ» جاحدين باللَّه، و كافرين لنعمه بعبادتهم الأنداد من دون اللَّه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ٣٨] ..... ص : ٣٩۶

قالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ (٣٨)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ٣٩٧

آية واحدة بلا خلاف.

هذا حكاية عن قول اللَّه تعالى للكفار يوم القيامة و أمره لهم بالدخول فى جملة الأمم الذين تبعوا من قبلهم من جملة الجن و الانس و هم فى النار.

و يجوز أن يكون ذلك إخباراً عن جعله إياهم فى جملة أولئك فى النار، من غير أن يكون هناك قول، كما قال «كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» «١» و المراد أنه جعلهم كذلك.

و معنى الخلو انتفاء الشيء عن مكانه فكل ما انتفى من مكانه، فقد خلا منه، و كذلك (خلت) بمعنى مضت، لأنها إذا مضت بالهلاك، فقد خلا مكانها منها. و الجن جنس من الحيوان مستترون عن أعين البشر لرقتهم، يغلب عليهم التمرد فى أفعالهم، لأن الملك أيضاً مستتر لكن غلب عليه أفعال الخير.

و عند قوم: أنهم أجمع رسل اللَّه. و الانس جنس من الحيوان يتميز بالصورة الانسانية.

و قوله «كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها» يعنى فى دينها لا فى نسبها، فأما قوله «وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً» «٢» يعنى أنه منهم فى النسب. و قوله «حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً» فوزن اداركوا (تفاعلوا) فأدغمت التاء فى الدال و اجتلبت ألف الوصل ليمكن النطق بالساكن الذى بعده، و معناه تلاحقوا.

و قوله «قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ» يعنى الفرقة المتأخرة التابعة تقول للامة المتقدمة المتبوعة، و تشير اليها «هؤُلاءِ أَضَلُّونا» عن طريق الحق و أغوونا

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ۶۵ و سورة ٧ الاعراف آية ١۶۵.

(۲) سورة ۷ الاعراف آیة ۸۴ و سورة هود آیة ۸۳ و سورة ۲۹ العنكبوت آیة ۳۶.

«فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ» دعاء منهم علیهم أن یجعل عذابهم ضعفاً، فقال اللَّه تعالى «لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ» و الضعف المثل الزائد على مثله، فإذا قال القائل: أضعف هذا الدرهم معناه أجعل معه درهماً آخر، لا دیناراً، و كذلك أضعف الاثنین أی اجعلهما أربعة. و حكى أن المضعف فی كلام العرب ما كان ضعفین، و المضاعف ما كان أكثر من ذلك. و روى عن عبد اللَّه بن مسعود أن الضعف أفاعی و حیات. و استعمل الضعف بمعنى المثل، و منه قوله «یُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَیْنِ» «۳» یعنی مثلین.

و قرأ أبو بكر عن عاصم «وَ لكِنْ لا یَعْلَمُونَ» بالیاء. الباقون بالتاء.

و من قرأ بالتاء، فتقدیره لا تعلمون أیها المخاطبون ما لكل فریق منهم. و من قرأ بالیاء تقدیره لكن لا یعلم كل فریق ما على الآخر من العقاب.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آیة ۳۹] ..... ص : ۳۹۸

وَ قالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (۳۹)

آیة بلا خلاف.

هذا حكایة عن جواب قول الامة الاولى المتبوعة للأخرى التابعة حین سمعت دعاءها علیهم بأن یؤتیهم ضعفاً من العذاب «فَما كانَ لَكُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ» و قیل فی معناه قولان:

أحدهما- ما كان لكم علینا من فضل فی ترك الضلال، و هو قول أبی مخلد و السدی. و قال الجبائی: لمساواتكم لنا فی الكفر.

الثانی- من فضل فی التأویل فتطالبونا بتضییع حقه.

و لفظة (أفعل) على ثلاثة أوجه:

أحدها- ما فیه معنى یزید كذا على كذا، فهذا لا یجوز فیه التأنیث و التذكیر و التثنیة و الجمع مضافاً كان أو على طریقة (أفعل من كذا) كقولك

---

(۳) سورة ۳۳ الأحزاب آیة ۳۰. [.....]

أفضل من زید و أفضل القوم لتضمنه معنى الفعل، و المصدر كقولك أفضل القوم بمعنى یزید فضله على فضلهم.

الثانی- ما لم یقصد فیه معنى یزید كذا على كذا، فهذا یجوز فیه كل ذلك كقولك: الأكبر و الكبرى و الأكابر.

الثالث- (أفعل) من الألوان و العیوب الظاهرة للحاسة، فهذا یجیء على (أفعل، و فعلاء) و جمعه (فُعُل) نحو أحمر، و حمراء، و حمر. و أعرج و عرجاء و عرج.

و أما (أفعل)إذا كان اسم جنس، فانه یثنى و یجمع و لا یؤنث، و كذلك إذا كان علماً نحو أفكل و أفاكل و أحمد و أحامد. فاما ابطح و أباطح و أجزع و اجازع، فأجرى هذا المجرى، لأنه استعمل على طریقة اسم الجنس و أصله الوصف، و لا یجوز فی (أفعل) الفعول إلا بالتعریف لأیذان معنى (أفعل) معنى أفعل من كذا، قال سیبویه: لا یجوز نسوة صُغر و لا كبر حتى تعرفه فتقول: النسوة الصغر و الكبر.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آیة ۴۰] ..... ص : ۳۹۹

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (۴۰)

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «لا يفتح» بالياء و التخفيف، و قرأ أبو عمرو بالتاء و التخفيف. الباقون بالتاء، و التشديد. من شدَّد ذهب الى التكثير. و المعنى أنهم ليسوا كحال المؤمن فى التفتيح مرة بعد أخرى. و من قرأ بالتاء، فلان الأبواب جماعة فأنث تأنيث الجماعة. و من قرأ بالياء، فلأن التأنيث غير حقيقى، و ذهب الى معنى الجمع. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۰

أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا» بآيات اللّه و جحدوها، و استكبروا عنها بمعنى طلبوا التكبر و الترفع عن الانقياد لها «لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ» هوانا لهم و استخفافا، بهم فان فتحت فتحت عليهم بالعذاب. و قال ابن عباس و السدى: لأنها تفتح لروح المؤمن، و لا تفتح لروح الكافر، و فى رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و ابراهيم: لا تفتح لدعائهم، و لا أعمالهم.

و

قال أبو جعفر (ع) أما المؤمنون فترفع أعمالهم و أرواحهم الى السماء، فتفتح لهم أبوابها. و أما الكافر، فيصعد بعمله و روحه حتى إذا بلغ السماء نادى منادٍ: اهبطوا بعمله الى سجين، و هو واد بحضر موت يقال له: برهوت.

و قال الحسن لا تفتح لدعائهم. و قال ابن جريج: لا تفتح لأرواحهم و لا أعمالهم. و قال أبو على: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة، لان الجنة فى السماء.

ثم قال «وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» يعنى هؤلاء المكذبين بآيات اللّه و المستكبرين عنها سواء كانوا معاندين فى ذلك أو غير عالمين بذلك. و إنما تساويا فى ذلك، لان من ليس بعالم قد ازيحت علته باقامة الحجة، و نصب الأدلة على تصديق آيات اللّه، و ترك الاستكبار عنها.

و قوله «حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ» إنما علق الجائز، و هو دخولهم الجنة بمحال، و هو دخول الجمل فى سم الخياط، لأنه لا يكون، كما قال الشاعر:

إذ شاب الغراب أتيت أهلى و صار القار كاللبن الحليب «۱»

و الآخر أنه مضمر بما لا يمكن من قلب الدليل، و الجمل هو البعير- هاهنا- فى قول عبد اللّه و الحسن و مجاهد و السدى و عكرمة و أكثر المفسرين.

و السم الثقب. و منه قيل: السم القاتل لأنه ينفذ بلطفه فى مسامِّ البدن حتى

---

(۱) تفسير الخازن ۲/ ۸۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۱

يصل الى القلب فتنتقض بنيته، و كل ثقب فى البدن لطيف فهو سُم و سَم بضم السين و فتحها و جمعه سموم، و قال الفرزدق:

فنفست عن سميه حتى ينفسا و قلت له لا تخش شيئاً و رائيا «۲»

يعنى بسميه ثقبى أنفه، و يجمع السم القاتل سماماً. و الخياط و المخيط الابرة. و قيل خياط و مخيط، كما قيل لحاف و ملحف، و قناع و مقنع، و إزار و مئزر، و قرام و مقرم- ذكره الفراء-.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۱] ..... ص : ۴۰۱

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (۴۱)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى أن لهؤلاء الكفار الـذين كذبوا بآيات اللَّه و اسـتكبروا عنها لهم من جهنم مهاد، و (جهنم) فى موضع جر ب (من) لكن فتح لأنه لا ينصـرف لاجتماع التأنيث و التعريف فيه، و اشـتقاقه من الجهومة، و هى الغلظ، رجل جهم الوجه غليظه، فسـميت بهذا لغلظ أمرها فى العـذاب، نعوذ باللَّه منها. و المهاد الوطء الذى يفترش. و منه مهد الصبى، و مهدت له لأمر إذا وطأته له، و إنما قيل: مهاد من جهنم أى موضع المهاد، كما قال تعالى «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «۳» و قال الحسن «مهاد» فراش من نار، و «غواش» ظلل منها.

و قوله «وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ» فالغواش لباس مجلل، و منه غاشـية السـرج، و فلان يغشـى فلاناً أى يأتيه و يلابسه. و منه غشـى المرض، و الغشـاوة الـتى تكـون على الولـد. و قـال محمـد بن كعب: الغواشـى هى اللحف، و هى أزر الليـل محشوة كـانت أو غير محشوة، ذكره الأزهرى، و روى الطبرى مثله.

---

(۲) تفسير الخازن ۲/ ۸۷.

(۳) سورة ۳ آل عمران آية ۲۱ و سورة ۹ التوبة آية ۳۵ و سورة ۸۴ الانشقاق آية ۲۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۲

و قيل فى دخول التنوين على (غواش) مع أنه على (فواعل) و هو لا ينصرف قولان:

أحدهما- قال سيبويه: إن التنوين عوض من الياء المحذوفة و ليس بتنوين الصرف.

الثانى- أنه تنوين الصرف عند حذف الياء لإلتقاء الساكنين فى التقدير.

و قوله «وَ كَـذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» أى مثل مـا نجزى هؤلاـء المكـذبين بآيـات اللَّه المسـتكبرين عنهـا نجزى كل ظالم و كل كافر. و الوصف ب (ظالم) يقتضى لحوق الذم به فى العرف.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۲] ..... ص : ۴۰۲

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۴۲)

آية.

لما أخبر اللَّه تعالى بصـفة المكـذبين المسـتكبرين عن آياته، و ما أعـد لهم من أنواع العذاب و الخلود فى النيران، أخبر بعده بما أعده للمؤمنين العـاملين بالأعمـال الصالحـات، فقـال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» يعنى الـذين صـدقوا بآيـات اللَّه و اعترفوا بها، و لم يسـتكبروا عنها. ثم أضافوا الى ذلك الأعمال الصالحات، و هو ما أوجبه اللَّه عليهم أو ندبهم اليه.

و قوله «لا ـ نُكَلِّفُ نَفْسـاً إِلَّا وُسْـعَها» فـالتكليف من اللَّه هو إرادة مـا فيه المشـقة، و قـال قوم: هو اعلام وجوب ما فيه المشـقة او نـدبه. و الارادة شرط.

و قـال قوم: التكليف هو تحميـل ما يشق فى الأمر و النهى، و منه الكلفـة، و هى المشـقة. و تكلف القول أى تحمل ما فيه المشـقة حتى أتى على ما ينافره العقل.

أخبر اللَّه تعـالى أنه لا يُلزم نفساً إلا قـدر طاقتها و ما دونها، لأن الوسع دون الطاقـة. و فى ذلك دلالـة على بطلان قول المجبرة: من أن اللَّه تعالى كلف التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۳

العبد ما لا قدرة له عليه، و لا يطيقه.

و موضع «لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» قيل فيه قولان:

أحدهما- ان يكون رفعا بأنه الخبر على حذف العائد، كأنه قيل:

منهم، و لا من غيرهم، و حذف لأنه معلوم.

و الآخر- ألا يكون له موضع من الاعراب، لأنه اعتراض، و الخبر الجملة فى (أولئك) لأن قوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» مبتدأ، و قوله «أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» خبر بأن هؤلاء الذين آمنوا و عملوا الصالحات ملازمون الجنة مخلدون لنعمتها.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۳] ..... ص : ۴۰۳

وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴۳)

آية بلا خلاف.

نزع الغل فى الجنة تصفية الطباع، و إسقاط الوساوس، و إعطاء كل نفس مناها، و لا يتمنى أحد ما لغيره.

قرأ ابن عامر «ما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ» بلا واو، و كذلك هى فى مصاحف أهل الشام. الباقون بإثباتها. وجه الاستغناء عن الواو أن الجملة متصلة بما قبلها فأغنى التباسها بها عن حرف العطف. و مثله «سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» فاستغنى عن حرف العطف بالالتباس من احدى الجملتين بالأخرى. و من أثبت الواو فلعطفه جملة على جملة.

فى هذه الآية إخبار عما يفعله بالمؤمنين فى الجنة بعد أن يخلدهم فيها، بأن ينزع ما فى صدورهم من غل، فالنزع رفع الشيء عن مكانه المتمكن فيه، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۴

إما بتحويله، و إما باعدامه. و معنى نزع الغل- هاهنا- إبطاله.

و قيل فى ما ينزع الغل من قلوبهم قولان:

أحدهما- قال أبو على: بلطف اللَّه لهم فى التوبة حتى تذهب صفة العداوة.

الثانى- بخلوص المودة حتى يصير منافياً لغل الطباع.

و الثانى أقوى، لأن قوله «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» حال لنزع الغل، و كأنه قال: و نزعنا ما فى صدورهم من غل فى حال تجرى من تحتهم الأنهار و على الأولى يكون «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» مستأنفاً.

و الغُل: الحقد الذى ينقل بلطفه الى صميم القلب، و منه الغلول، و هو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة، و منه الغَل الذى يجمع اليدين و العنق بانغلاله فيها. و الصدر: ما يصدر من جهته التدبير و الرأى، و منه قيل للرئيس: صدر، و قيل صدر المجلس.

و قوله «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» فالجريان انحدار المائع، فالماء يجرى، و الدم يجرى، و كذلك كل ما يصح أن يجرى، فهو مائع، و جرى الفرس فى عدوه مشبه بجرى الماء فى لينه و سرعته.

و قوله «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ» فالنهر المجرى الواسع من مجارى الماء، و منه النهار لاتساع ضيائه، و انْهار الدم لاتساع مخرجه.

و قوله «وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ» إخبار عن قول أهل الجنة و اعترافهم بالشكر للَّه تعالى الذى عرَّضهم له بتكليفه إياهم ما يستحقون به الثواب. و قيل: معنى «هَدانا لِهذا» يعنى لنزع الغل من صدورنا. و قيل: هدانا لثبات الايمان فى قلوبنا.

و قيل: هدانا لجواز الصراط.

و قوله «لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ» إقرار من أهل الجنة و اعتراف بأن ما جاءت به الرسل اليهم من جهة اللَّه أنه حق لا شبهة فيه، و لا مرية التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۵

فى صحته.

و قوله «وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فالنداء الدعاء بطريقة يا فلان كأنه قيل لهم: أيُّها المؤمنون «أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ

أَورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» جزاء لكم على ذلك، على وجه التهنئة لهم بها.

و (أن) مخففة من الثقيلة و (الهاء) مضمرة، و التقدير و نودوا بأنه تلكم الجنة. و قال الزجاج «أن تلكم» تفسير للنداء، و المعنى قيل لكم: تلكم الجنة. و إنما قال «تلكم» لأنهم وعدوا بها فى الدنيا، و كأنه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها. و يجوز أن يكونوا عاينوها، فقيل لهم- قبل أن يدخلوها- إشارة اليها «تِلْكُمُ الْجَنَّةُ».

و من أدغم، فلان الثاء و التاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الإدغام.

و من ترك الإدغام فى «أُورِثْتُمُوها» و هو ابن كثير، و نافع و عاصم و ابن عامر- فلتباين المخرجين، و أن الحرفين فى حكم الانفصال، و إن كانا فى كلمة واحدة، كما لم يدغموا «وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا» «۱» و إن كانا مثلين لا يلزمان لأن تاء (افتعل) قد يقع بعدها غير التاء، فكذلك أورث، قد يقع بعدها غير التاء، فلا يجب الإدغام.

و استدل الجبائى بذلك على ان الثواب يستحق بأعمال الطاعات، و لا يستحق من جهة الأصلح، لان اللَّه تعالى بين انهم اورثوها جزاء بما عملوه من طاعته (عز و جل).

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۴] ..... ص : ۴۰۵

وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (۴۴)

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲۵۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۶

آية.

قرأ حمزة، و الكسائى و ابن كثير فى رواية شبل (انَّ) مشددة النون.

الباقون خفيفة. و كذلك ابن كثير فى رواية قنبل بتخفيف النون سكونها و رفع (لعنة). الباقون بتشديد النون و نصب (لعنة). و قرأ الكسائى وحده «قالوا نعم» بكسر العين. و فى الشعراء «قال نعم» و فى الصافات «قل نعم» بفتح النون. قال ابو الحسن الأخفش: نَعم و نِعم لغتان، فالكسر لغة كنانة و هذيل، و الفتح لغة باقى العرب، و فى القراءة الفتح. و قال سيبويه (نَعم) عدة و تصديق فإذا استفهمت أجبت ب (نعم). و لم يحك سيبويه الكسر، و معنى قوله: عدة و تصديق انه يستعمل عدة و يستعمل تصديقا، و لا يريد أن العدة تجتمع مع التصديق ألا ترى انه إذا قال قائل: أ تعطينى، فقال: نعم، كان عدة، و لا تصديق فى ذلك، و إذا قال: قد كان كذا و كذا، فقلت نعم، فقد صدقته، و لا عدة فى هذا.

و قوله «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ» بمنزلة اعلم معلم، قال سيبويه: أذن اعلام بصوت، فالتى تقع بعد العلم. و (أن) إنما هى المشددة او المخففة عنها و التقدير اعلم معلم ان لعنة اللَّه. و من خفف (ان) كان على إضمار القصة و الحديث، فتقديره انه لعنة اللَّه، و مثل ذلك قوله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» «۱» و التقدير (انه) و لا تخفف (ان) الا مع إضمار الحديث فالقصة تراد معها. و من ثقل نصب ب (ان) ما بعدها، كما ينصب بالمشددة المكسورة. و المكسورة إذا خففت لا يكون ما بعدها على إضمار القصة و الحديث، كما تكون المفتوحة كذلك.

و الفرق بينهما ان المفتوحة موصولة، و الموصولة تقتضى صلتها، فصارت لاقتضائها الصلة أشد اتصالا بما بعدها من المكسورة، فقدِّر بعدها الضمير الذى هو من جملة صلتها، و ليست المكسورة كذلك، لان (ان) المفتوحة

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۱۰

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۷

بمعنى المصدر، فلا بدَّلها من اسم و خبر، لأنها تلتغى بأن يكون دخولها كخروجها، و ليس كذلك (ان)، و من المفتوحة قول الأعشى:

فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يخفى و ينتعل «۲»

و أما قراءتهم فى النور «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ» «۳» فان (ان) فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ، و اما قراءة نافع «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ» فحسن، و هو بمنزلة قوله «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» «۴» و ليس لاحد ان يقول: هذا لا يستحسن لان المخففة من الشديدة لا يقع بعدها الفعل حتى يقع عوض من حذف (ان) و من أنها تولى ما يليها من الفعل، يدل على ذلك «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ» «۵» و قوله «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ» «۶» و ذلك انهم استجازوا ذلك و ان لم يدخل معه شيء من هذه الحروف، لأنه دعاء، و ليس شيء من هذه الحروف يحتمل الدخول معه، و نظير هذا فى انه لما كان دعاء لم يلزمه العوض قوله «نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها» «۷» فولى قوله «بورك» (ان) و ان لم يدخل معها عوض، كما لم يدخل فى قراءة نافع «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْها» «۸» و الدعاء قد استجيز معه ما لم يستجز مع غيره ألا ترى انهم قالوا: (اما ان جزاك اللَّه خيرا من) حمله سيبويه على إضمار القصة فى (ان) المكسورة و لم يضمر القصة مع المكسورة الا فى هذا الموضع.

و قوله «وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ» معناه و قال اصحاب الجنة يا أصحاب النار بعد دخول هؤلاء الجنة و دخول هؤلاء النار. و الصاحب هو المقارن للشيء على نية طول المدة، و الصحبة و المقارنة نظائر، الا ان فى الصحبة الارادة. و منه قيل اصحاب الصحراء.

---

(۲) ديوانه: ۴۵ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۴۴۴ و غيرهما و سيأتى فى ۵/ ۳۹۶

(۳) سورة ۲۴ النور آية ۹

(۴) سورة ۱۰ يونس آية ۱۰

(۵) سورة ۷۳ المزمل آية ۲۰

(۶) سورة ۵۷ الحديد آية ۲۹

(۷) سورة ۲۷ النمل آية ۸

(۸) سورة ۲۴ النور آية ۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۸

و قوله «أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا» معناه وجدنا ما وعدنا اللَّه على لسان رسله من الثواب على الايمان و عمل الطاعات «فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ» على ألسنتهم «حَقًّا» جزاء على الكفر من العقاب و على معاصيه من أليم العذاب، فأجابهم اهل النار: بأن «قالُوا نَعَمْ» و الغرض بهذا النداء تبكيت الكفار و توبيخهم، و ان اللَّه تعالى صدق فيما وعد به على لسان نبيه ليحزن الكفار بذلك و يتحسروا عليه.

و الوجدان على ضربين: أحدهما بمعنى العلم فهو يتعدى الى مفعولين.

و الآخر بمعنى الاحساس يتعدى الى واحد. و انما كان كذلك، لان الذى بمعنى العلم يتعلق بمعنى الجملة، و الذى يتعلق بالإحسان يتعلق بمعنى المفرد من حيث ان الاحساس لا يتعلق بالشيء الا من وجه واحد.

و جواب الإيجاب يكون (نعم) و جواب النفى (بلى)، لان (نعم) تحقق معنى الخبر المذكورة فى الاستفهام و (بلى) تحققه بإسقاط حرف النفى.

و قوله «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ» معناه نادى مناد نداء أسمع الفريقين «أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» و لعنة اللَّه غضبه و سخطه و عقوبته على من

كفر به فيسر بذلك اهل الجنة و يغتم اهل النار.

و قال الأخفش و الزجاج: يجوز ان تكون (ان) بمعنى اى «قَدْ وَجَدْنا» و لا يجب ان تكون (أن) بمعنى أى (قد وجدنا). و نادوهم مشرفين عليهم من السماء فى الجنة، لان الجنة فى السماء، و النار فى الأرض.

و قوله «وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا» إنما أضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم، لأن الكفار ما وعدهم اللّه بالجنة و الثواب إلا بشرط أن يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يوعدوا، و كذلك قوله «ما وَعَدَ رَبُّكُمْ» يعنون من العقاب لان المؤمنين لما كانوا مطيعين مستحقين للثواب فكأنهم لم يوعدوا بالعقاب، و انما خص الكفار.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۰۹

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۵] ..... ص : ۴۰۹

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كافِرُونَ (۴۵)

آية بلا خلاف.

«الذين» فى موضع جر، لأنه صفة للظالمين، و التقدير ألا لعنة اللّه على الظالمين الذين يصدون عن سبيل اللّه و يبغونها عوجا، و ذلك يبين ان المراد بالظالمين الكفار، لان ما ذكرهم به من أوصاف الكفار.

و الصد هو العدول عن الشيء عن قلى، و الصد و الاعراض بمعنى واحد، إلا ان الصد يجوز ان يتعدى تقول: صده عن الحق يصده صدا، و صد هو عنه أيضا، و الاعراض لا يتعدى.

و قوله «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى الحق الذى دعا اللّه اليه و نصب عليه الادلة و بعث به رسله. و قيل: هو دين اللّه. و قيل: الطريق الذى دل اللّه على انه يؤدى الى الجنة و المعنى متقارب.

و قوله «يَبْغُونَها عِوَجاً» معنى يبغونها يطلبون لها العوج بالشبه التي يلبسون بها و يوهمون انها تقدح فيها، و انها معوجة عن الحق بتناقضها.

و (العِوج) بالكسر يكون فى الطريق و فى الدين، و بالفتح يكون فى الخلقة كقولك: فى ساقه عوج بفتح العين، قال الشاعر:

قفا نسأل منازل آل ليلى على عِوج اليها و انثناء «۱»

بكسر العين، و يحتمل نصب عوجا أمرين:

أحدهما- ان يكون مفعولا به كقولك يبغون لها العوج.

الثانى- ان يكون نصبا على المصدر، و كأنه قال: يطلبونها هذا الضرب من الطلب، كما تقول: رجع القهقرى أى هذا الضرب من الرجوع اى طلب الاعوجاج.

---

(۱) اللسان (عوج) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۴۴۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۰

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۶] ..... ص : ۴۱۰

وَ بَيْنَهُما حِجابٌ وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ (۴۶)

آية بلا خلاف.

قوله «و بينهما» يعنى بين أصحاب الجنة و أصحاب النار «حجاب» و الحجاب هو الحاجز المانع من الإدراك، و منه قيل للضرير:

محجوب، و حاجب الأمير، و حاجب العين. و حجبه عنه أى منعه من الوصول اليه.

و قوله «وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ» فالاعراف المكان المرتفع أخذ من عرف الفرس و منه عرف الديك، و كل مرتفع من الأرض يسمى عرفا، لأنه بظهوره أعرف مما انخفض، قال الشماخ:

و ظلت بأعراف تغالى كأنها رماح نحاها وجهة الرمح راكز «۱»

و قال آخر:

كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفى على الاعراف «۲»

يعنى بنشوز من الأرض، و قيل: هو سور بين الجنة و النار، كما قال تعالى «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ» «۳» و هو قول مجاهد و السدى.

و اختلفوا فى الذين هم على الاعراف على أربعة اقوال:

---

(۱) ديوانه: ۵۳ و مجاز القرآن ۱/ ۲۱۵، و روايتهما (و ظلت تغالى باليفاع كأنها) و فى الطبرى ۱۲/ ۴۴۹ مثل هنا تماما. [.....]

(۲) مجاز القرآن ۱/ ۲۱۵ و اللسان (نوف) و الطبرى ۱۲/ ۴۵۰.

(الكناز) المجتمع (و النياف) الطويل. و (العلم) الجبل.

(۳) سورة ۵۷ الحديد آية ۱۳

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۱

أحدها- أنهم فضلاء المؤمنين- فى قول الحسن و مجاهد- قال ابو على الجبائى هم الشهداء، و هم عدول الآخرة، و

قال ابو جعفر (ع) هم الائمة، و منهم النبى (ص).

و

قال ابو عبد اللَّه (ع) الاعراف كثبان بين الجنة و النار، فيوقف عليها كل نبى و كل خليفة نبى مع المذنبين من اهل زمانه، كما يوقف قائد الجيش مع الضعفاء من جنده، و قد سبق المحسنون الى الجنة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى إخوانكم المحسنين، قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم. و ذلك قوله «وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ».

ثم اخبر تعالى «انهم لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ» يعنى هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة، و هم يطمعون ان يدخلهم اللَّه إياها بشفاعة النبى و الامام، و ينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار، فيقولون «رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». ثم ينادى اصحاب الاعراف، و هم الأنبياء و الخلفاء اهل النار مقرعين لهم «ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ... أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» يعنى هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحتقرونهم و تستطيلون بدنياكم عليهم. ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر اللَّه لهم بذلك «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» «۱».

و يؤكد ذلك ما

رواه عمر بن شيبة و غيره: ان عليا (ع) قسيم الجنة و النار

، فروى عمر بن شيبة بأسناده عن النبى (ص) انه قال: (يا على كأنى بك يوم القيامة و بيدك عصا من عوسج تسوق قوما الى الجنة و آخرين الى النار).

الثانى- قال ابو مجاز: هم ملائكة يرون فى صورة الرجال.

الثالث- قال حذيفة: هم قوم تبطئ بهم صغائرهم الى آخر الناس.

الرابع- قال الفراء و الزجاج و غيرهما: هم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم، فأدخلهم اللَّه تعالى الجنة متفضلا عليهم. و طعن الرمانى و

الجبائی

(۱) سورة الاعراف آية ۴۷- ۴۸.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۲

علی هذا الوجه بأن قالا: الإجماع منعقد علی انه لا يدخل الجنة من المكلفين الا المطيع للَّه.

و هذا الذی ذكروه ليس بصحيح، لان هذا الإجماع دعوی ليس علی صحته دليل، بل من قال ما حكيناه لا يسلِّم ذلك، و اكثر المرجئة أيضا لا يسلمون ذلك.

و قوله «يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ» يعنی هؤلاء الرجال الـذين هم علی الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم اهل الجنة بسيما المطيعين و اهل النار بسيما العصاة.

و السيماء العلامة، و هی فی اهل النار سواد الوجوه و زرقة العيون، و فی اهل الجنة بياض الوجوه و حسن العيون- فی قول الحسن و غيره- و قيل فی وزن سيما قولان:

أحدهما- انه (فِعلی) من سام ابله يسومها إذا أرسلها فی المرعی، و هی السائمة.

الثانی- ان وزنه وزن (فَعلی)، و هو من وسمت، فقلبت الواو الی موضع العين، كما قالوا له جاه فی الناس أی وجه، و قالوا: اضمحل و امضحل و ارض خامة أی وخيمة، و فيها ثلاث لغات القصر و المد. و سيماء، قال الشاعر:

غلام رماه اللَّه بالحسن يافعا له سيماء لا تشق علی البصر «۱»

علی زنة (كبرياء). و قوله «وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ» يعنی هؤلاء الذين علی الاعراف ينادون يا أصحاب الجنة «سَلامٌ عَلَيْكُمْ، لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ» قيل فی الطامعين قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و قتادة انهم اصحاب الاعراف. و قال أبو مجلز: هم اهل الجنة الذين ما دخلوها بعد. و الطمع-

(۱) قائله سدير بن عنقاء الفزاری. الاغانی ۱۷/ ۱۱۷، و الكامل ۱/ ۱۴ و معجم الشعراء: ۱۵۹، ۳۲۳ و امالی القالی ۱/ ۲۳۷ و الحماسة ۴/ ۶۸.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۳

هاهنا- هو يقين بلا شك، لأنهم عالمون بـذلك ضرورة. و هو مثل قول ابراهيم «وَ الَّذِی أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِی خَطِيئَتِی يَوْمَ الـدِّينِ» «۲» و لم يكن ابراهيم (ع) شاكا فی ذلك بل كان عالما قاطعا، و انما حسن ذلك لعظم شأن المتوقع فی جلالة النعمة به، و هو قول الحسن و أبی علی الجبائی و اكثر المفسرين.

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۷] ..... ص : ۴۱۳

وَ إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۷)

آية بلا خلاف.

هـذا اخبار من اللَّه تعالی عن أحوال هؤلاء الـذين علی الاعراف انه إذا صـرف أبصارهم. و الصـرف هو العـدول بالشـیء من جهة الی جهـة. و التلقـاء جهـة اللقـاء، و هی جهـة المقابلـة، و لـذلك كـان ظرفا من ظروف المكان تقول: هو تلقاك، كقولك هو حـذاك. و الأبصار جمع بصـر، و هو الحاسة التی يدرك بها المبصر و قد يستعمل بمعنی المصدر، فيقال: له بصر بالأشياء أی علم بها، و هو بصير

بالأمور اى عالم. و «أَصْحابِ النَّارِ» هم اهل النار و انما يفيد «اصحاب» انهم ملازمون لها. و الأصل يقتضى المناسبة فيهم لسبب لازم، كالنسيب، كما يقال اهل البلد.

و حد الرمانى (النار) بأن قال: جسم لطيف فيه الحرارة و الضياء، و زيد فيه و من شأنه الإحراق.

و قوله «قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أى لا تجمعنا و إياهم فى النار و انما حسنت المسألة مع علمهم الضرورى بأن اللَّه لا يفعل بهم ذلك، لما لهم فى ذلك من السرور بموقف الخاضع للَّه فى دعائه الشاكر بخضوعه لربه، و كما يجوز ان يريدوا من اللَّه النعيم كذلك يجوز ان يسألوا السلامة من العذاب مع العلم بهما. و نظير ذلك قوله تعالى

---

(۲) سورة ۲۶ الشعراء آية ۸۲

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۴

«يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا» «۱» و ان كان النبى و من معه من المؤمنين يعلمون ذلك.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۸] ..... ص : ۴۱۴

وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُوا ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (۴۸)

آية بلا خلاف.

قوله «وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ» معناه سينادى، و انما جاز ان يذكر الماضى بمعنى المستقبل، لامرين:

أحدهما- لتحقيق المعنى كأنه قد كان.

و الثانى- على وجه الحكاية و الحذف. و التقدير إذا كان يوم القيامة «نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ».

و نادى معناه دعا، غير ان فى (نادى) معنى امتداد الصوت و رفعه، لأنه مشتق من النداء يقال: صوت نداء أى يمتد و ينصرف خلاف الواقف، و ليس كذلك (دعا) لأنه قد يكون بعلامة كالاشارة من غير صوت و لا كلام، و لكن اشارة تنبئ عن معنى يقال.

فى هذه الآية اخبار و حكاية من اللَّه تعالى ان اصحاب الاعراف ينادون قوما يعرفونهم من الكفار بسيماهم من سواد الوجوه و زرقة العين و ضروب من تشويه الخلق يبينون به من اهل الجنة و غيرهم «ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ» معناه ما نفعكم ذلك. و قيل فى معنى (الجمع) قولان: أحدهما- جماعتكم التى استندتم اليها. الثانى- جمعكم الأموال و العدد فى الدنيا.

قوله «وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ» معناه و لا نفعكم تكبركم و تجبركم فى دار الدنيا عن الانقياد لانبياء اللَّه و اتباع أمره.

---

(۱) سورة ۶۶ التحريم آية ۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۵

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۴۹] ..... ص : ۴۱۵

أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (۴۹)

آية بلا خلاف.

قيل فى القائل لهذا القول الذى هو «أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» قولان:

أحدهما- قال الحسن و ابو مجلز و الجبائى و اكثر المفسرين: انهم اصحاب الاعراف يقولون للكفار مشيرين الى اهل الجنة «أَ هؤُلاءِ

الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» و هذا يدل على ان الواقفين على الاعراف هم ذووا المنازل الرفيعة و المراتب السنية.

الثانى- انه من قول اللَّه تعالى فى اصحاب الاعراف.

و قوله «أ هؤلاء» مبتدأ و خبره «الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» و لا يجوز ان يكون (الذين) صفة لهؤلاء من وجهين: أحدهما- ان المبهم لا يوصف الا بالجنس.

و الآخر- انه يبقى المبتدأ بلا خبر. و يجوز نصب (هؤلاء) بالفعل فى «أ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» و لا يجوز مع «الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله، لأنه من تمام الاسم. و الأقسام تأكيد الخبر تقول: و اللَّه و تاللَّه، للقطع عليه او ليدخل فى قسم ما يقطع به العمل عليه.

و قوله «لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» فالنيل هو لحوق البر. و أصله اللحوق، تقول: نلت الحائط انا له نيلا إذا لحقته.

و قوله «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ» أمر بدخول الجنة للمؤمنين.

و قوله «لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ» فالخوف هو توقع المكروه، و ضده الا من و هو الثقة بانتفاء المكروه و «لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» معناه ادخلوا الجنة، لا خائفين و لا محزونين، و فائدة الآية تقريع الزارئين على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا أنهم لا خير لهم عند اللَّه، فقيل لهم «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ» على أكمل سرور و أتم كرامة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۶

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵۰] ..... ص : ۴۱۶

وَ نادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ (۵۰)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية ان اصحاب النار يوم القيامة ينادون اصحاب الجنة و اصحاب النار هم المخلدون فى عذابها، لا جميع من فيها، لان فيها الزبانية الموكلون بعذاب أهلها.

و انما توعد اللَّه بالعقاب بالنار دون اختراع لآلام او غيره من الأسباب، لأنه أهول فى النفس و أعظم فى الزجر، لما يتصور من الحال فيه، و ما تقدم من ادراك البصر له، و انهم يسألونهم ان يفيضوا عليهم شيئا من الماء. و الافاضة اجراء المائع من عل، و منه قولهم: أفاضوا فى الحديث أى أخذوه بينهم من أوله لأنه بمنزلة أعلاه. و أفاضوا من عرفات الى مزدلفة معناه صاروا اليها.

قال الرمانى: حد الماء جسم سيال يروى العطشان من غير غذاء الحيوان، و هو جوهر عظيم الرطوبة يزيد على جميع المائعات فى كثرة المنفعة.

و قوله «أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» قال ابن زيد و السدى: طلبوا مع الماء شيئا من الطعام. و قال ابو على: طلبوا شيئا من نعيم الجنة، فأجابهم اهل الجنة بتحريم المنع، لا تحريم العبادة، فقالوا: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ» و انما جاز ان يطلبوا شيئا من نعيم الجنة مع اليأس منه، لأنهم لا يخلون من الكلام به او السكوت عنه، و كلاهما لا فرج لهم فيه. و انما لم يدرك اهل الجنة- مع خيريتهم- رقة على أهل النار، لان من الخيرية القسوة على اعداء اللَّه و أعدائهم، و ذلك من تهذيب طباعهم كما يبغض المسيء و يحب المحسن، و ذلك دلالة على ان اللَّه تعالى بنى هذه الجملة بنية لا تستغنى عن الغذاء، لان اهل النار مع ما هم عليه من العذاب يطلبون الطعام و الشراب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۷

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵۱] ..... ص : ۴۱۷

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا وَ ما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (۵۱)

آية بلا خلاف.

يحتمل قوله «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ» أن تكون فى موضع جرٍّ بأن يكون صفة للكافرين، و يكون ذلك من قول أهل الجنة، و تقديره «إن اللَّه حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً و لعباً». و يحتمل أن يكون رفعاً بالابتداء و يكون إخباراً من اللَّه تعالى على وجه الذم لهم.

و (اتخذوا) وزنه وزن (افتعلوا) و الاتخاذ الافتعال، و هو أخذ الشىء باعداد الأمر من الأمور، فهؤلاء أعدوا الدِّين للهو و اللعب. و معنى الدين- هاهنا- ما أمرهم اللَّه تعالى به و رغبهم فيه مما يستحق به الجزاء. و اصل الدين الجزاء، و منه قوله «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و اللهو طلب صرف الهمِّ بما لا يحسن أن يطلب به، فهؤلاء طلبوا صرف الهمَّ بالتهزى بالدين و عيب المؤمنين، و اللعب طلب المدح بما لا يحسن ان يطلب به مثل حال الصبى فى اللعب و اشتقاقه من اللعاب و هو المرور على غير استواء. و أصل اللهو الانصراف عن الشىء و منه قوله (إذا استأثر اللَّه بشىء لاه عنه) أى انصرف عنه.

و قوله «وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا» فمعنى الغرور تزيين الباطل للوقوع فيه، غرَّه يغره غروراً. و إنما اغتروا هم بالدنيا فى الحقيقة فصارت و كأنها غرتهم. و الدنيا هى النشأة الاولى. و الآخرة النشأة الاخرى، و سميت الدنيا دنياً لدنوها من الحال، و هما كرتان، فالكرة الاولى الدنيا، و الكرة الثانية هى الآخرة.

و قوله «فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- نتركهم من رحمتنا بأن نجعلهم فى النار- فى قول ابن عباس التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۸

و الحسن و مجاهد و السدى- فسمى الجزاء على تركهم طاعة اللَّه نسياناً، كما قال «وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» «۱» و الجزاء ليس سيئة.

الثانى- أنه يعاملهم معاملة المنسيين فى النار، لأنه لإيجاب لهم دعوة، و لا يرحم لهم عبرة- فى قول الجبائى- «كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ» معناه كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم، هذا على القول الاول. و على الثانى- كما نسوا فى أنهم لم يعملوا به مثل الناسين لذلك لا نجيب لهم دعوة، لأنهم نسوا.

و قوله «وَ ما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ» فالجحد إنكار معنى الخبر. و اما إنكار المنكر، فبكل ما يصرف عن فعله الى تركه. و (ما) فى الموضعين مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و التقدير كنسيانهم لقاء يومهم هذا، و كونهم جاحدين لآياتنا.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵۲] ..... ص : ۴۱۸

وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۵۲)

آية بلا خلاف.

هذا إخبار من اللَّه تعالى أنه أتى هؤلاء الكفار بكتاب، و المجىء نقل الشىء الى حضرة المذكور، جئته بكذا ضد ذهبت به عنه، لان ذلك نقل اليه، و هذا نقل عنه. و الكتاب المراد به القرآن. و أصل الكتاب صحيفة فيها كتابة، و الكتابة حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة.

و قوله «فَصَّلْناهُ» معناه ميزنا معانيه على وجه يزول معه اللبس، و التفصيل و التبيين و التقسيم نظائر.

و قوله «عَلى عِلْمٍ» معناه فصلناه، و نحن عالمون به، لأنه لما كانت صفة (عالم) مأخوذة من العلم جاز أن يذكر ليدل به على العالم، كما أن الوجود فى صفة الموجود كذلك.

---

(۱) سورة ۴۲ الشورى آية ۴۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۱۹

و قوله «هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» إنما جعل القرآن نعمة على المؤمن دون غيره مع أنه نعمة على جميع المكلفين من حيث أنهم عرضوا به للهداية، غير أن المؤمن لما اهتدى به كانت النعمة بذلك عليه أعظم فأضيف اليه، و غير المؤمن لم يتعرض للهداية فلم يهتد، فالمؤمنون على صفة زائدة.

و قوله «هُدىً وَ رَحْمَةً» يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: النصب من وجهين: الحال، و المفعول له، و به القراءة. و الرفع على الاستئناف، و الجر على البدل. و إنما لم يوصف القرآن بأنه هدى للكفار لئلا يتوهم أنهم اهتدوا به و إن كان هداية لهم بمعنى أنه دلالة لهم و حجة.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵۳] ..... ص : ۴۱۹

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۵۳)

آية بلا خلاف.

قوله «هَلْ يَنْظُرُونَ» معناه هل ينتظرون، لأن النظر قد يكون بمعنى الانتظار، قال أبو علي: معناه هل ينتظر بهم أو هل ينتظر المؤمنون بهم إلا ذلك. و إنما أضافه اليهم مجازاً، لأنهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين، و إنما كان ينتظر بهم المؤمنون، لايمانهم بذلك و اعترافهم به. و الانتظار هو الإقبال على ما يأتي بالتوقيع له. و أصله الإقبال على الشيء بوجه من الوجوه.

و إنما قيل لهم: ينتظرون و إن كانوا جاحدين، لأنهم في منزلة المنتظر أي كأنهم ينتظرون ذلك، لأنه يأتيهم لا محالة إتيان المنتظر.

و التأويل معناه ما يؤل اليه حال الشيء تقول: أوّله تأويلا، و تأوله تأولًا، و آل اليه أمره يؤل أولا، و قيل «تأويله» عاقبته من الجزاء به- في التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۲۰

قول الحسن و قتادة و مجاهد- و قال أبو علي «تأويله» ما وعدوا به من البعث و النشور و الحساب و العقاب.

و قوله «يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد: أعرضوا عنه فصار كالمنسي.

الثاني- قال الزجاج: يقول الذين تركوا العمل به.

و قوله «قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ» إخبار عن اعتراف الكفار الذين أعرضوا عن حجج اللّه و بيّناته و الإقرار بتوحيده و نبوة أنبيائه، و إقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل كان حقاً. و الحق ما شهد بصحته العقل، و ضده الباطل، و هو ما يشهد بفساده العقل.

و قوله «فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا» و الشفيع هو السائل لصاحبه إسقاط العقاب عن المشفع فيه، و العفو عن خطيئته فيتمنون ذلك مع يأسهم منه- في قول أبي علي- و قوله «فيشفعوا لنا» في موضع نصب، لأنه جواب التمني بالفاء «أو نرد» عطف بالرفع على تأويل هل يشفع لنا شافع «أو نرد» و لو نصب «أو نرد» كان جائزاً. و معناه فيشفعوا لنا إلا أن نرد، و ما قرئ به.

و قوله «فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» إخبار من الكفار و تمنيهم أن يردوا الى الدنيا حتى يعملوا غير ما عملوه من الكفر و الضلال. فأخبر اللّه تعالى عند ذلك، فقال «قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أي أهلكوها بالكفر و المعاصي «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ».

و في الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة من وجهين:

أحدهما- أنهم كانوا قادرين على الايمان في الدنيا فلذلك طلبوا تلك الحال، و لو لم يكونوا قادرين لما طلبوا الرد الى الدنيا و الى مثل حالهم الأولى.

و الآخر- بطلان مذهب المجبرة في تكليف أهل الآخرة، قال أبو علي:

و هو مذهب الحسين النجار، و هو خلاف القرآن و الإجماع، و لو كانوا التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۲۱

مكلفين لما طلبوا الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بل كانوا يؤمنون فى الحال.

و معنى «خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أى منعوا من الانتفاع بها، و من منع الانتفاع بنفسه فقد خسرها «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ» معناه ضل عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء للَّه و آلهة معه، و هذا كان افتراؤهم على اللَّه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵۴] ..... ص : ۴۲۱

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیّامٍ ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ یَطْلُبُهُ حَثِیثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ (۵۴)

آية بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة الا حفصا و يعقوب «يغشّى الليل» بالتشديد، و كذلك فى الرعد. و قرأ ابن عامر «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ» بالرفع فيهن. الباقون بالنصب.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لجميع الخلق و إعلام لهم بأن ربهم الذى أحدثهم و أنشأهم هو اللَّه تعالى «الذى خلق» بمعنى اخترع «السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» فابتدعهما و أوجدهما لا من شيء، و لا على مثال «فِی سِتَّةِ أَیّامٍ» و قيل: إن هذه الستة أيام هى الأحد و الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و الجمعة، فاجتمع له الخلق فى يوم الجمعة، فلذلك سميت: جمعة- فى قول مجاهد- و (السماوات) إنما جمعت بالواو، لأنه رد الى أصله، لأن أصله سماوة، و ليس مثل ذلك (قراءة) لأن أصلها الهمزة، و لذلك قيل فى الجمع قراءات.

و الوجه فى خلقه إياهما «فِی سِتَّةِ أَیّامٍ» مع أنه قادر على إنشائهما دفعة واحدة قيل فيه وجوه:

أحدها- أن تدبير الحوادث على إنشاء شيء بعد شيء على ترتيب، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۲۲

أدلُّ على كون فاعله عالماً قديراً يصرفه على اختياره و يجريه على مشيئته.

و قال أبو على: ذلك لاعتبار الملائكة بخلق شيء بعد شيء. و قال الرماني:

يجوز أن يكون الاعتبار بتصور الحال فى الاخبار، و معناه إذا أخبر اللَّه تعالى بأنه «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیّامٍ» كان فيه لطف للمكلفين، و كان ذلك وجه حسنه.

و قوله «ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنه استولى كما قال البغيث:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «۱»

يريد بشر بن مروان.

الثانى- قال الحسن: استوى أمره. و قيل فى معنى «ثم استوى» ثلاثة أقوال:

أحدها- قال أبو على: ثم رفع العرش بأن استولى عليه ليرفع.

الثانى- ثم بيَّن أنه مستوى على العرش.

الثالث- ثم صح الوصف بأنه مستوى على العرش، لأنه لم يكن عرشاً قبل وجوده.

و قوله «يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ» معناه يجلل الليل النهار أى يدخل عليه.

و قال الأزهرى: أقبل عليه. و الاغشاء هو إلباس الشيء مارق بما يجلله، و منه غاشية السرج، و الغشاوة التى تخرج على الولد، و غشى على الرجل إذا غشيه ما يزيل عقله من عارض علة.

و من شدد العين، فلانه يدل على الكثرة. و غشى فعل يتعدى الى مفعول واحد، كقوله «وَ تَغْشى وُجُوهَهُمُ النّارُ» «۲» فإذا نقلته بالهمزة أو التضعيف تعدى الى مفعولين، و قد ورد القرآن بهما قال اللَّه تعالى

(۱) مر هذا البیت فی ۱/ ۱۲۵ و ۲/ ۳۹۶، و سیأتی فی ۵/ ۳۸۶.

(۲) سورة ۱۴ ابراهیم آیة ۵۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۴۲۳

«فَأَغْشَیْناهُمْ فَهُمْ لا یُبْصِرُونَ» «۳» فالمفعول الثانی محذوف، و تقدیره فأغشیناهم العمی، و فقد الرؤیة. و بالتضعیف نحو قوله «فَغَشَّاها ما غَشَّی» «۴» (ما) فی موضع نصب بأنه مفعول ثان.

و من خفف، فلأنه یحتمل القلیل. و الکثیر، و اللیل هو الذی یلبس النهار فی هذا الموضع، لأنه منقول من غشی اللیل النهار.

و قوله «یَطْلُبُهُ حَثِیثاً» معناه أنه یستمر علی منهاج واحد و طریقة واحدة من غیر فتور یوجب الاضطراب، کما یکون فی السوق الحثیث.

و قیل: إن معنی الحثیث السریع بالسوق.

و قوله «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ» عطف علی «خَلَقَ السَّماواتِ» کأنه قال و خلق «الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ» و هی نصب علی الحال، و من رفع استأنف و أخبر عنها بأنها مسخرة.

و قوله «أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» إنما فصل الخلق من الأمر، لأن فائدتهما مختلفة لأن «لَهُ الْخَلْقُ» یفید أن له الاختراع، «و له الأمر» معناه له أن یأمر فیه بما أحب فأفاد الثانی ما لم یفده الأول.

فمن استدل بذلک علی أن کلام اللَّه قدیم، فقد تجاهل لما بینا، و لو کان معناهما واحداً لجاز أیضاً مع اختلاف اللفظین، کما قالوا: کذب و مین و أشباهه. و قوله «تَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ» معناه تبارک تعالی بالوحدانیة فیما لم یزل و لا یزال و أصله الثبات من قول الشاعر:

و لا ینجی من الغمرات إلا براکاء القتال أو الفرار «۱»

فهو بمعنی تعالی بدوام الثبات. و یحتمل تعالی بالبرکة فی ذکر اسمه.

و قیل فی معنی (العرش) قولان:

(۳) سورة ۳۶ یس آیة ۹.

(۴) سورة ۵۳ النجم آیة ۵۴.

(۱) قائله بشر بن أبی خازم. اللسان (برک). البراکاء: الثبات فی الحرب و المقاتلة بجد.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۴۲۴

أحدهما- أنه سریر تعبد اللَّه تعالی الملائکة بحمله.

و قیل: المراد به الملک.

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آیة ۵۵] ..... ص : ۴۲۴

ادْعُوا رَبَّکُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْیَةً إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ (۵۵)

آیة قرأ أبو بکر «خفیة» بکسر الخاء- هاهنا- و فی الأنعام. الباقون بضمهما، و هما لغتان. أمر اللَّه تعالی عباده المکلفین أن یدعوه و الدعاء، طلب الفعل بطریقة (اللهم افعل) و قد یجیء بطریقة غفر اللَّه له، فهذه صیغة الخبر، و الأول صیغة الأمر غیر أنه إنما یسمی أمراً إذا کان المقول له دون القائل، و إن کان فوقه سمی دعاء و طلباً. و أما قول القائل: یا اللَّه یا رحمن یا رحیم یا غفور یا قدیر یا سمیع و ما أشبه ذلک من اسماء اللَّه، فإنما هو علی جهة النداء و معناه التعظیم.

و قوله «تَضَرُّعاً» فالتضـرع التذلل، و هو اظهار الذل الذى فى النفس، و مثله الخشع و منه الطلب لأمر من الأمور. و أصل التضـرع الميل فى الجهات ذلًا من قولهم: ضرع الرجل يضرع ضرعاً إذا مال بإصبعه يميناً و شمالًا، ذلًا و خوفاً. و منه ضرع الشاة، لأن اللبن يميل. و منه المضارعة للمشابهة لأنها تميل الى شبهه بمعنى المقاربة، و الضريع نبت لا يسمن و لا يغنى من جوع، لأنه يميل مع كل داء.

و قوله «وَ خُفْيَةً» فالخفية خلاف العلانية. قال ابن عباس: الخفية هى السرُّ، و به قال الحسن. و قال أبو على: إنما ذاك لئلا يشوب الدعاء معنى الرياء، و حد الإخفاء خلاف حد الاظهار، و الاظهار إخراج الشـىء الى حيث يقع عليه الإدراك. و الإخفاء إغماضه بحيث لا يقع عليه الإدراك.

و قوله «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» فالمحبة من اللَّه تعالى للعبد إرادة الثواب، و لذلك يحب المؤمن و لا يحب الكافر، و يحب الصلاح و لا يحب الفساد. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۲۵

و الاعتـداء تجاوز حـد الحق أى لا تتجاوزوا حـدَّ الحق فى الـدعاء فتطلبوا منازل الأنبياء و ما لا يجوز أن يعمل فى الـدنيا- فى قول أبى مجلز- و قال ابن جريج يكره الصياح فى الدعاء و «تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً» مصدر ان فى موضع الحال، و تقديره ادعوا اللَّه متضرعين فى حال السر و العلانيـة. و الخفيـة و الإخفاء، و الخيفـة و الخوف و الرهبـة نظائر. و الهمزة فى الإخفاء منقلبة عن الياء بدلالة الخفية و الإخفاء، ضد الإعلان. و يقال أحفيت الشيء إذا أظهرته قال الشاعر:

يحفى التراب بأظلاف ثمانية «۱»

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵۶] ..... ص : ۴۲۵

وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (۵۶)

آية بلا خلاف.

نهى اللَّه تعالى فى هـذه الآيـة عن الفساد فى الأرض و هو الإضـرار بما تمنع الحكمة منه يقال: أفسد الحر التفاحة إذا أخرجها الى حال الضرر بالتغيير.

و الإصـلاح النفع بمـا تـدعو اليه الحكمـة و لـذلك لم تكن الآلاـم فى النـار إصـلاحاً لأهلها، لأنه لا نفع لهم فيها. و قال الحسن: إفساد الأرض بالقتل للمؤمنين و الاعتداء عليهم. و قيل: إفساد الأرض العمل فيها بمعاصى اللَّه، و إصلاحها العمل فيها بطاعة اللَّه.

و قوله «وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً» أمر من اللَّه تعالى لهم أن يـدعوه خوفاً و طمعاً، و هما منصوبان على المصدر، و هما فى موضع الحال. و تقديره ادعوا ربكم خائفين من عقابه طامعين فى ثوابه. و الخوف هو الانزعاج بما لا يؤمن، و الأمن سكون النفس الى انتفاء المضارِّ، و الخوف يكون بالعصيان.

و الأمنُ بالايمان. و الطمع توقع المحبوب، و نقيضة اليأس و هو القطع

---

(۱) مر فى ۲/ ۷۱ كاملا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۲۶

بانتفاء المحبوب.

و قوله «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» إخبار منه تعالى أن رحمته قريبة واصلة الى المحسن. و الإحسان هو النفع الذى يستحق به الحمد.

و الاساءة هى الضـرر الـذى يسـتحق به الـذم. و قيل: المراد بالمحسـنين من تكون أفعاله كلها حسـنة و هذا لا يقتضـيه الظاهر، بل الذى يفيـده أن رحمـة اللَّه قريب الى من فعـل الإحسـان، و ليس فيهـا أنها لا تصل الى من جمع بين الحسن و القبيـح بل ذلك موقوف على

الدلیل. و قال الفراء: إنما لم یؤنث قوله «قریب» و هو وصف ل (رحمة) لأنه ذهب مذهب المکان، و ما یکون کذلک لا یثنی و لا یجمع و لا یؤنث. و لو ذهب به مذهب النسب أنث و ثنی و جمع قال عروة بن حزام:

عشیة لا عفراء منک قریبة فتدنوا و لا عفراء منک بعید «۱»

و قال الزجاج هذا غلط بل کل ما قرب من مکان أو نسب فهو جائز علیه التأنیث و التذکیر. و جعله الأخفش من باب الصیحة و الصیاح، لأن الرحمة و الإحسان و الانعام من اللَّه واحد. و قال بعضهم المراد بالرحمة ها هنا المطر فلذلک ذکر.

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آیة ۵۷] ..... ص : ۴۲۶

وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتَّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ کَذلِکَ نُخْرِجُ الْمَوْتی لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ (۵۷)

---

(۱) دیوانه: ۴۸، و معانی القرآن للفراء ۱/ ۳۸۱ و تفسیر الطبری ۱۲/ ۴۸۸ و البکری فی شرح الأمالی ۴۰۱ و تفسیر أبی حیان ۴/ ۳۱۳ و قد روی:

عشیة لا عفراء منک بعیدة فتسلو و لا عفراء منک قریب

[.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۴۲۷

آیة بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر و حمزة و الکسائی و خلف «الریح» علی التوحید، هاهنا و فی النمل، و الثانی من الروم و فی فاطر و قرأ عاصم «بشراً» بالباء و ضمها و سکون الشین. و قرأ نافع بالنون و ضمها و ضم الشین و هم أهل الحجاز و البصرة، و کذلک الخلاف فی الفرقان، و النمل.

قال أبو علی (الریح) اسم علی وزن (فعَل)، و العین منه و او فانقلبت یاء فی الواحد للکسرة و صحت فی الجمع القلیل، لأنه لا شیء یوجب الاعلال ألا تری أن الفتحة لا توجب اعلال هذه الواو فی مثل یوم و قول و عون قال ذو الرمة:

إذا هبت الأرواح من نحو جانب به آل میٍّ هاج شوقی هبوبها «۱»

و لیس ذلک کعید و أعیاد، لأن هذا بدل لازم و لیس البدل فی الریح کذلک. فاما فی الجمع الکثیر فریاح انقلبت الواو بالکسرة التی قبلها کما انقلبت فی نحو دیمة و دیم، و حیلة و حیل، و فی ریاح أجدر، لوقوع الالف بعدها، و الالف تشبه الیاء، و الیاء إذا تأخرت عن الواو وجب فیها الاعلال فکذلک الألف لشبهها بها، و الریح علی لفظ الواحد، و یجوز ان یراد بها الکثرة، لقولهم:

کثیر الدرهم و الدینار، و قوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ» ثم قال «إِلَّا الَّذِینَ آمَنُوا» «۲» فکذلک من قرأ «الریح بشراً» فأفرد، و وصفه بالجمع، فانه حملها علی المعنی. و قد أجاز أبو الحسن ذلک و قال الشاعر:

فیها اثنتان و أربعون حلوبة سوداً «۳»

---

(۱) تفسیر ابن حیان ۴: ۳۱۶.

(۲) سورة ۱۰۳ العصر آیة ۲- ۳.

(۳) قائله عنترة و تمام البیت:

فیها اثنتان و أربعون حلوبة سوداً کخافیة الغراب الأسحم

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۴۲۸

و من نصب جاء قوله على المعنى، لأن المفرد يراد به الجمع، و هذا وجه قراءة ابن كثير لأنه أفرد (الريح) و وصفه بالجمع، فلا يكون (الريح) على هذا اسم جنس و قول من جمع الريح إذا وصفها بالجمع أحسن إذ الحمل على المعنى أقل من الحمل على اللفظ، و يؤكد ذلك قوله «الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» «۴» فلما وصفت بالجمع جمع الموصوف أيضاً. فأما ما جاء فى الحديث من أن النبى (ص) كان يقول إذا هبت ريح: (اللهم اجعلها رياحاً و لا تجعلها ريحاً)

فلأن عامة ما جاء بلفظ الرياح السقيا و الرحمة، كقوله «وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ» «۵» و قوله «وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» «۶» و قوله «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ» «۷». و ما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله «وَ فِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ» «۸» و قوله «وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ» «۹» و قوله «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ» «۱۰».

قال أبو عبيدة «نشراً» أى متفرقة من كل جانب، و قال أبو زيد:

انشر اللَّه الموتى إنشاراً إذا بعثها و أنشر اللَّه الريح مثل أحياها، فنشرت الجنوب و أحييت، و الدليل على ذلك قول المراد الفقسى:

و هبت له ريح الجنوب و أحييت له ريدة يحيى المياه نسيمها «۱۱»

و الريدة و الريدانة الريح، قال الشاعر:

---

(۴) سورة ۳۰ الروم آية ۴۶.

(۵) سورة ۱۵ الحجر آية ۲۲.

(۶) سورة ۳۰ الروم آية ۴۶.

(۷) سورة ۳۰ الروم آية ۴۸.

(۸) سورة ۵۱ الذاريات آية ۴۱.

(۹) سورة ۶۹ الحاقة آية ۶.

(۱۰) سورة ۴۶ الأحقاف آية ۲۴.

(۱۱) اللسان (ريد) و تفسير أبى حيان ۴/ ۳۱۶، و رواية اللسان (الممات) بدل (المياه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۴۲۹

إنى لأرجو أن تموت الريح فأقعد اليوم و استريح «۲»

و من قرأ «نشراً» بضم النون و الشين يحتمل ضربين: جمع ريح، ريح نشور و ريح ناشر، و يكون على معنى النسب فإذا جعله جمع نشور احتمل أمرين: أحدهما- أن يكون النشور بمعنى المنشر كما أن الركوب بمنزلة المركوب كان المعنى ريح أو رياح منشرة، و يجوز أن يكون نشراً جمع نشور يريد به الفاعل مثل طهور و نحوه من الصفات. و يحتمل أن يكون نشر جمع ناشر كشاهد و شهد و نازل و نزل و قايل و قيل، قال الأعشى:

إنا لأمثالكم يا قومنا قيل «۳»

و قول ابن عامر (بشراً) يحتمل الوجهين: أن يكون جمع فعول و فاعل فخفف العين، كما خفف فى كتب و رسل، و يكون جمع فاعل كبارك و برك و غائظ و غيظ.

و من فتح النون و سكن الشين فانه يحتمل ضربين: أحدهما- أن يكون المصدر حالًا من الريح فإذا جعلته حالًا منها احتمل أمرين أحدهما- أن يكون النشر الذى هو خلاف الطى، كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية، و يجوز على تأويل أبى عبيدة أن تكون متفرقة فى وجوهها. و الآخر- أن يكون النشر الذى هو الحياة من قوله:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر «۴»

فإذا حملته على ذلك- و هو الوجه- كان المصدر يراد به الفاعل، كما تقول أتانا ركضاً أى راكضاً، و يجوز أن يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشاراً أى محياة فحذف الزوائد من المصدر، كما يقال

---

(۲) اللسان (نشر) و تفسير أبى حيان ۴/ ۳۱۶.

(۳) ديوانه: ۴۷ قصيدة ۶ و روايته (قتل) بدل (قيل) و صدره:

كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم

(۴) تفسير أبى حيان ۴/ ۳۱۶ و اللسان (نشر). [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۳۰

عمرك اللَّه. و كما يقال: فان يهلك فذلك كان قدرى أى تقديرى. و الضرب الآخر- أن يكون «نشراً» على هذه القراءة ينصب انتصاب المصادر من باب «صُنْعَ اللَّهِ» «۵» لأنه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على تنشير الريح نشراً.

و قراءة عاصم «بشراً» بالباء فهو جمع بشير و بُشر من قوله «يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» «۶» أى تبشر بالمطر و الرحمة و جمع (بشير) على (بشر) ككتاب و كتب.

لما أخبر اللَّه تعالى فى الآية الأولى أنه الذى خلق السماوات و الأرض و خلق الشمس و القمر و النجوم مسخرات، و أنه الذى يجلل الليل النهار، عطف على ذلك بأن قال «وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» تعداداً لنعمه على خلقه. و الإرسال هو الإطلاق بتحميل معنى، كما تقول:

أرسلت فلاناً أى حملته رسالة، فلما أطلق اللَّه الرياح كان ذلك بمنزلة المطوى فى الامتناع من الإدراك ثم صارت تدرك فى الآفاق، كانت كنشر الثوب بعد طيه فى الإدراك قال امرؤ القيس:

كان المدام و صوب الغمام و ريح الخزامى و نشر القطر «۷»

و قال الفراء: النشر من الرياح: الطيبة اللينة التى تنشئ السحاب، و السحاب الغيم الجارى فى السماء مشتقاً من الاسحاب، يقال: سحبه سحباً و أسحب إسحاباً و تسحب تسحباً.

و قوله «بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» معناه قدام رحمته، كما يقدم الشيء بين يدى

---

(۵) سورة ۲۷ النمل آية ۸۸.

(۶) سورة ۳۰ الروم آية ۴۶.

(۷) ديوانه: ۷۹ و اللسان (نشر) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۴۹۰ يصف صاحبته بأن ريح فمها ذا نكهة طيبة عند قيامها من النوم. و القطر: عود طيب الرائحة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۳۱

الإنسان، كما قال «لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» «۸» أى توليت خلقه، كما يقول الإنسان:

عملت بيدى، و الرحمة يراد بها- هاهنا- الغيث.

و قوله «حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا» فالاقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل فى طاقة الحامل له بقوة جسمه، يقال: استقل بحمله استقلالًا. و أقله إقلالًا، و الثقال جمع ثقيل، و الثقيل ما فيه الاعتماد الكثير سفلًا. و قال قوم:

هو ما تجمع أجزاؤه كالذهب و الحجر، و قد يكون بكثرة ما حمل كالسحاب الذى يثقل بالماء.

و قوله «سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ» أى الى بلد، فالسوق حث الشيء فى السير حتى يقع الاسراع فيه، ساقه يسوقه سوقاً، و استاقه استياقاً، و ساوقه مساوقة، و تساوقوا تساوقاً، و تسوق تسوقاً، و انساق انسياقاً، و سوقه تسويقاً.

(و البلد الميت) هو الذى اندرست مشاربه و تعفت مزارعه.

و قوله «فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ» الهاء فى (به) راجعة الى البلد. و يحتمل أن تكون راجعة الى السحاب. و قوله «فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ» فالهاء فى (به) يحتمل أن تكون راجعة الى البلد، و يكون التقدير أخرجنا بهذا البلد.

و يحتمل أن تكون راجعة الى الماء، فكأنه قال فأخرجنا بهذا الماء من كل الثمرات. و يحتمل أن تكون (من) للتبعيض. و يحتمل أن تكون لتبيين الجنس.

و قوله «كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى معناه كما أخرجنا الثمرات. كذلك نخرج الموتى بعد موتها بأن نحييها «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» معناه لكى تتذكروا، و تتفكروا و تعتبروا بأن من قدر على إنشاء الأشجار و الثمار فى البلد الذى لا ماء فيه و لا زرع، فانه يقدر على أن يحيى الأموات بأن يعيدها الى ما كانت عليه بأن يخلق فيها الحياة و القدرة.

و استدل البلخى بهذه الآية على أن كثيراً من الأشياء تكون بالطبع.

---

(۸) سورة ۳۸ ص آية ۷۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۳۲

قال: لأن اللَّه تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذى ينزله من السماء، قال:

و لا ينبغى أن ينكر ذلك و إنما ينكر قول من يقول بقدم الطبائع أو قول من يقول: إن الجمادات تفعل. فأما من قال: إن اللَّه تعالى يفعل هذه الأشياء غير أنه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائط و تارة بوسائط، فلا كراهة فى ذلك كما تقول فى السبب و المسبب، و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنه إن أشار بالطبع الى رطوبات مخصوصة و يبوسات مخصوصة، فلا خلاف فى ذلك غير أن هذه الأشياء لا تتولد عنها ذوات أخر، بل ما يحصل عندها اللَّه تعالى يفعلها مبتدأ، و ليس كذلك السبب و المسبب، لان السبب الذى يفعل الفعل بها و هو الاعتماد و المجاوزة يوجب التأليف، و ما عدا ذلك فليس فيه شيء تولد أصلًا، و إن أراد بالطبع غير هذا المعقول فليس فى الآية دلالة على صحته بحال.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵۸] ..... ص : ۴۳۲

وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (۵۸)

آية بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر «نكداً» بفتح الكاف. الباقون بكسرها، و الوجه فى ذلك أنهما لغتان. و حكى الزجاج (نكداً) بضم النون و سكون الكاف.

و لا يقرأ به. و قال الفراء: يقتضى القياس أيضاً (نكداً) بضم الكاف، و فتح النون، غير أنى لم أسمعه مثل دَنَف و دنف و حذر و حذر، و يقظ و يقظ و يقظ، بالفتح و الضم و الكسر.

قوله «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ» فالبلد هو الأرض التى تجمع الخلق الكثير، و تنفصل بما لهم فيها من العمل، وال. و البلدة خلاف الفلاة، و الصحراء، و أما البادية فكالبلد للأعراب و نحوهم من الأكراد و الأتراك. و الطيب ما فيه التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۳۳

أسباب التلذذ، و ضده الخبيث، و هو ما فيه أسباب النكرة. و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و السدى: هذا مثل، ضربه اللَّه للمؤمنين فشبه المؤمن- و ما يفعله من الطاعات و الأفعال، و الانتفاع بما أمره اللَّه و نهاه عنه- بالأرض العذبة التربة التى تخرج الثمرة

الطيبة بما ينزله اللّه عليها من الماء العذاب، و الكافر- و ما يفعله من الكفر و المعاصى- بالأرض السبخة الملحة التى لا ينتفع بنزول المطر عليها، فينزع عنها البركة.

و قوله «يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ» فالاخراج نقل الشىء من محيط به الى غيره، فهذا النبات كأنه كان فى باطن الأرض فخرج منه، (و الاذن) هو الإطلاق فى الفعل برفع المنعة فيه، فكذلك منزلة هذا البلد، كأنه قد أطلق فى إخراج النبت الكريم.

و وجه ضرب المثل بالأرض الطيبة و الأرض الخبيثة مع أنهما من فعل اللّه و كلاهما حكمة و صواب، و الطاعات و المعاصى أحدهما بأمر اللّه و الآخر بخلاف أمره، هو أن اللّه تعالى لما جعل المنفعة بأحدهما و المضرة بالآخر مثل بذلك الانتفاع بالعمل الصالح و الاستضرار بالمعاصى و القبائح.

و قوله «وَ الَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً» فالنكد العسر بشدته الممتنع من إعطاء الخير على وجه البخل تقول: نكد ينكد نكداً، فهو نَكد و نَكَد.

و قد نكُد إذا سئل فبخل، و نكد ينكد نكداً، قال الشاعر:

لا تنجز الوعد إن وعدت و إن أعطيت أعطيت تافهاً نكداً «۱»

و قال الآخر:

و أعط ما أعطيته طيباً لا خير فى المنكود و الناكد «۲»

و قال السدى: النكد القليل الذى لا ينتفع به. و قوله «كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» فالتصريف توجيه الشىء فى جهتين فصاعداً، فلما

---

(۱) مجاز القرآن ۱/ ۲۱۷ و اللسان (تفه) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۴۹۵.

(۲) اللسان (نكد) و تفسير الطبرى ۱۲/ ۴۹۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۳۴

كان معنى الآية بوجه فى الدلالات المختلفة كانت الآية متصرفة، فالنشأة الثانية مصرَّفة بأنها كإحياء الأرض بالماء للنبات، و بأنها كالخارج من الأرض فى الاختلاف، فمنه طيب، و منه خبيث، و بأنها فى حال المؤمن و الكافر، كحال الأرض فى الطيب و الخبث. و المعنى أنه تعالى يبين لهم آية بعد آية، و حجة بعد أخرى، و يضرب مثلا بعد مثل «لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» اللّه على إنعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم و تبصيرهم سبيل أهل الضلال و أمره إياهم تجنب ذلك و العدول عنه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۵۹] ..... ص : ۴۳۴

لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۵۹)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر و الكسائى «من إله غيره»- بخفض الراء و كسر الهاء و وصلها- بناء فى اللفظ حيث وقع. الباقون بضم الراء و ضم الهاء و إشباعها بالواو، قال الكسائى تقديره ما لكم غيره من إله. فى قراءة نافع.

قال أبو على الفارسى: من جرَّ جعل (غير) صفة ل (إله) على اللفظ و جعل (لكم) مستقراً أو غير مستقر، و أضمر الخبر، و الخبر ما لكم فى الوجود أو فى العالم و نحو ذلك لا بد من هذا الإضمار إذا لم يجعل (لكم) مستقراً، لأن الصفة. و الموصوف لا يستقل بهما الكلام.

و من رفع حجته قوله «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ» «۱» فكما أن قوله «إلا اللّه» بدل من قوله «من إله» كذلك قوله «غيره» يكون بدلًا من قوله

«من إله» و (غير) يكون بمنزلة الاسم الذى بعد (إلا)، و هذا الذى ذكرناه أولى

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۶۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۳۵

أن يحمل عليه من أن يجعل (غير) صفة ل (إله) على الموضع. فان قلت ما ينكر أن يكون «إلا اللَّه» صفة ل (إله)؟ قيل: إن (الا) بكونها استثناء أعرف و أكثر من كونها صفة. و إنما جعلت صفة على التشبيه بغير، فإذا كان الاستثناء أولى حملنا «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» «۲» على الاستثناء من النفى فى المعنى، لأن قوله «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» بمنزلة ما من خالق غير اللَّه، و لا بد من إضمار الخبر، كأنه قال: ما من خالق للعالم غير اللَّه، و يؤكد ذلك قوله «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» «۳» فهذا استثناء من منفى مثل لا أجد فى الدار إلا زيداً.

فأما حمزة و الكسائى فإنهما جعلا (غير) صفة لخالق و أضمرا الخبر، كما تقدم. و الباقون جعلوه استثناء بدلًا من النفى، و هو أولى لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله «وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ» «۴».

أخبر اللَّه تعالى و أقسم على خبره- لأن اللام فى قوله «لقد» لام القسم- بأنه أرسل نوحاً (ع) الى قومه و إرساله إياه هو تكليفه القيام بالرسالة و هى منزلة جليلة شريفة يستحق بها الرسول بتقلبه إياها و القيام باعبائها أن يعظم أعلى تعظيم البشر، و أخبر أن نوحاً قال لقومه «يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» و العبادة هى الخضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع يعظم به من له أعظم النعم، فلذلك لا يستحق العبادة غير اللَّه، و أخبر أنه أمرهم بأن تكون عبادتهم للَّه وحده، لأنه لا- إله لهم غيره، و لا- معبود لهم سواه. و قال لهم «إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ» يريد به يوم القيامة، و العذاب هو الألم الجارى على استمرار، و قد يكون غير عقاب، إلا أن المراد به- هاهنا- العقاب. و العقاب الألم على ما كان من المعاصى. و لم يجعل خوفه عليهم على وجه الشك، بل أخبرهم أن هذا العذاب سيحل بهم إن لم يقبلوا

---

(۲) سورة ۳۵ فاطر آية ۳.

(۳) سورة ۳۷ الصفات آية ۳۵. و سورة ۴۷ محمد آية ۱۹.

(۴) سورة ۳ آل عمران آية ۶۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۳۶

ما أتاهم به، لأن الخوف قد يكون مع اليقين كما يكون مع الشك ألا ترى أن الإنسان يخاف من الموت، و لا يشك فى كونه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۶۰] ..... ص : ۴۳۶

قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (۶۰)

آية بلا خلاف.

(قال) أصله (قول) فانقلبت الواو الفاً لحركتها و انفتاح ما قبلها.

أخبر اللَّه تعالى عن الملأ من قوم نوح. و قيل فى معنى الملأ قولان:

أحدهما- أنهم الجماعة من الرجال سموا بذلك لأنهم يملئون المحافل.

و الثانى- أنهم الاشراف، و قيل: الرؤساء، لأنهم يملئون الصدر بعظم شأنهم، و منه قوله (ص) أولئك الملأ من قريش. و القوم يقال لمن يقوم بالأمر، و لا نسوة فيهم- على قول الفراء- و هو مأخوذ من القيام.

و إنما سموا بالمصدر، كما قال بعض العرب إذا أكلت طعاماً أحببت نوماً و أبغضت قوماً أى قياماً.

و قوله «إِنَّا لَنَراكَ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- انه من رؤية القلب الذى هو العلم.

الثانى- من رؤية العين، كأنهم قالوا نراك بأبصارنا على هذه الحال.

الثالث- أنه من الرأى الذى هو غالب الظن و كأنه قال: إنا لنظنك.

و قوله «فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» أرادوا بالضلال هاهنا العدول عن الصواب الى الخطأ فيما زعموا مخالفتهم إياه فيما دعاهم اليه من اخلاص العبادة للّه تعالى.

و «مبين» أى بين ظاهر.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۶۱] ..... ص : ۴۳۶

قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۶۱)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۴۳۷

فى هذه الآية إخبار عما أجابهم به نوح (ع) و قال لهم «لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ» أى ليس بى عدول عن الحق، و يقال: به ضلالة لأن فيه معنى عرض به كما يقال به جنة، و لا يجوز أن يقال: به معرفة، لأنها ليست مما تعرض بصاحبها، و لكن يصح أن يقال: به جوع، و به عطش، لأنه عارض به.

قوله «يا قوم» أصله يا قومى، فحذفت ياء الاضافة لقوة النداء على التغيير، حتى يحذف للترخيم، فلما جاز أن يحذف فى غيره للاجتزاء بالكسرة منها، لزم أن يحذف فيه لاجتماع السببين فيه.

و قوله «وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» معنى (لكن) و الاستدراك الخفيفة يستدرك بها معنى المفرد. و المشددة يستدرك بها معنى الجملة، فلذلك صارت من أخوات (إنَّ). «و لكنى» أصله (و لكننى) و حذفت النون لاجتماع النونات، و يجوز الإتمام، لأنه الأصل، و كذلك (انى، و كأنى) فأما (ليتنى) فلا يجوز فيه الا اثبات النون، لأنه لم يعرض فيه علة الحذف. و اما (لعلى) فيجوز فيه الوجهان، لأن اللام قريبة من النون.

و معنى (من)- هاهنا- لابتداء الغاية، و معناه أن اللّه تعالى هو الذى ابتدأنى بالرسالة، و كل مبتدئ بفعل فذلك الفعل منه. و أصل (من) موضع ابتداء الغاية كقولك: خرجت من بغداد الى الكوفة أى ابتداء خروجى من بغداد.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۶۲] ..... ص : ۴۳۷

أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۶۲)

آية بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو وحده «أبلغكم» مخففة اللام. الباقون بتشديدها.

و (بلغ) فعل يتعدى الى مفعول واحد تقول: بلغنى خبركم، و بلغت أرضكم، فإذا نقلته تعدى الى مفعولين. و النقل يكون تارة بالهمزة و أخرى التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۴۳۸

بتضعيف العين، و قد ورد بهما التنزيل، قال اللّه تعالى «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ» «۱» فنقل بالهمزة، و قال «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ» «۲» فنقل بتضعيف العين، فعلى هذين الوجهين اختلفوا فى القراءة.

و فى الآية حكاية عن قول نوح (ع) لقومه أنه قال لهم بعد ما أنكر عليهم أنه ليس به ضلالة، و انه رسول من عند اللّه، و أنه بلغهم ما حمله اللّه من رسالات ربه. و الإبلاغ إيصال ما فيه بيان و افهام، و منه البلاغة، و هى إيصال المعنى الى النفس بأحسن صورة من

اللفظ. و البليغ الذى ينشئ البلاغة، لا الذى يأتى بها على وجه الحكاية. و الفرق بين الإبلاغ و الأداء أن الأداء لما يسمع، و حسن الأداء للقراءة. و الرسالات جمع رسالة، و هى جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره. و انما جمع- هاهنا- (رسالات) و فى موضع آخر «رسالة» «۳» على التوحيد، لأنه يشعر تارة بالجملة و تارة بالتفصيل، فلما دعا الى عبادة اللَّه و طاعته و اجتناب محارمه و العمل بشريعته، كان هذا تفصيل رسالات اللَّه تعالى. و رسالات اللَّه حكم:

من ترغيب، و تحذير، و وعد، و وعيد، و مواعظ، و مزاجر، و حجج، و براهين و أحكام يعمل بها، و حدود ينتهى اليها.

و قوله «وَ أَنْصَحُ لَكُمْ» فالنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد فى المعاملة. و (النصح) خلاف الغش فى العمل، و لا يكون الغش إلا بسوء النية. و قوله «وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» فيه حث لهم على طلب العلم من جهته، و تحذير من مخالفته، لما يعلم من العاقبة، فكأنه قال: أنا أعلم بحلول العقاب بمخالفتكم و ترك القبول منى «ما لا تَعْلَمُونَ» أنتم، و يجوز أن يريد «و أعلم من» توحيد اللَّه و صفاته و حكمته «ما لا تعلمونه». و فى ذلك بطلان مذهب القائلين بأن معرفة اللَّه ضرورة- و أن من لم يعرفه ضرورة فليس

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۵۷.

(۲) سورة ۵ المائدة آية ۷۰.

(۳) سورة ۷ الاعراف آية ۷۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۴۳۹

بمكلف- لأن نوحاً (ع) بين أنه خاف عليهم مع أنه يعلم ما لا يعلمونه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۶۳] ..... ص : ۴۳۹

أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۶۳)

آية.

فى هذه الآية تقريع من نوح (ع) لقومه على صورة الاستفهام بأنهم عجبوا أن جاءهم ذكر من ربهم. و إنما دخل الاستفهام معنى التقريع، لأن المجيب لا يأتى الا بما يسوء من القبيح، فهو إنكار و تقريع، و قد يدخل معنى التمنى، لأنه بمنزلته فى انه طلب، لأن يكون أمر، و إنما فتحت الواو فى قوله «أو عَجبتم» لأنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فالكلام مستأنف من وجه، متصل من وجه، كما أن المبتدأ فى خبر الأول بهذه الصفة.

و التعجب تغير النفس بما خفى سببه، و خرج عن العادة مثله، لأنه لا مثل له فى العادة. و الذكر حضور المعنى للنفس، و الذكر على وجهين: ذكر البيان و ذكر البرهان، فذكر البيان إحضار المعنى للنفس، و ذكر البرهان الشهادة بالمعنى فى النفس، و كلا الوجهين يحتمل فى الآية.

و قوله «عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ» فالرجل هو إنسان خارج عن حد الصبى من الذكران، و كل رجل انسان، و ليس كل انسان رجلًا، لأن المرأة انسان.

و قيل فى دخول (على) فى قوله «عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ» قولان:

أحدهما- أنه بمعنى مع رجل منكم، قال الفراء: كما تقول: جاءنى الخير على وجهك و مع وجهك.

الثانى- لأن فيه معنى منزل «عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ».

و قوله «لينذركم» فالانذار هو الاعلام بموضع المخافة، و التحذير هو الزجر عن موضع المخافة. و قوله «وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» معناه إن اللَّه تعالى أرسل هذا الرسول مع هذا الذكر، و أراد إنذاركم، و غرضه أن التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۴۴۰

تتقوا معاصيه لكى يرحمكم و يدخلكم الجنة و نعيم الأبد.

و فى ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبرة: أن اللَّه تعالى لم يرد منهم أن يتقوا و لا أن يؤمنوا.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ۶۴] ..... ص : ۴۴۰

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ (۶۴)

آية بلا خلاف.

هذا اخبار من اللَّه تعالى عن قوم نوح أنه لم ينفع فيهم ذلك التخويف و لا الوعظ و الزجر، و أنهم كذبوه يعنى نوحاً. و معناه أنهم نسبوا خبره الى الكذب، لأن التكذيب نسبة الخبر الى الكذب، و التصديق نسبة الخبر الى الصدق، و هذا مما يختلف فيه معنى (فعَّل، و فَعَل).

و قوله «فأنجيناه» إخبار من اللَّه تعالى انه أنجى نوحاً، و الانجاء هو التخليص من الهلكة، و الإهلاك الإيقاع فيها و هى المضرة الفادحة.

«و من معه» يعنى و أنجى من معه من المؤمنين به «فى الفلك» و هى السفن و يقع على الواحد و الجمع بلفظ واحد، و أصله الدور مشتق من قولهم: فلك ثدى الجارية، إذا استدار، و منه الفلكة و الفَلَك من هذا، لأنه يدور على الماء كيف أداره صاحبه.

و قوله «وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا» و الإغراق هو الغوص المتلف فى الماء، و أصله الغوص فى الشىء، فمنه أغرق فى النزع، و لا تغرق فى هذا الأمر.

و قوله «إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ» فيه بيان أنه إنما أغرقهم و أهلكهم، لأنهم كانوا عمين. و العمى الضلال عن طريق الهدى، فهم كالعمى فى أنهم لا يبصرون طريق الرشد، فهم عمى عن الحق.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۱

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ۶۵] ..... ص : ۴۴۱

وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۶۵)

آية بلا خلاف.

انتصب قوله «أخاهم هوداً» بقوله «أرسلنا» فى أول الكلام و إن تطاول ما بينهما، لأن تفصيل القصص يقتضى ذلك، و التقدير و أرسلنا «الى عاد أخاهم هوداً» و يجوز فى مثله الرفع و تقديره، و الى عاد أخوهم هود مرسل.

و (الأخ) أحد الوالدين لواحد. و إنما قال لهود (ع) أنه أخوهم، لأنه كان من قبيلهم، و جاز ذلك على غير الاخوة فى الدين، لأنه احتج عليهم أن يكون رجلًا منهم، لأنهم عنه أفهم و اليه أسكن.

و صرف (هود) لخفته، كما صرفت جمل لخفتها، و هو أحق بالصرف، لأنه أكثر فى الاستعمال.

فى هذه الآية إخبار من اللَّه تعالى انه أرسل الى قوم عاد هودا، و أنه قال لهم «يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» و قد فسرنا معنى ذلك أجمع و بينا أيضا حقيقة العبادة، و أنه لا يستحقها غير اللَّه، لأنها على أصول النعم، و الشكر قد يستحقه غير اللَّه، لأنه يستحق بالنعمة و ان قلت، و كذلك الطاعة قد تجب لغير اللَّه، فعلى هذا تكون عبادة اثنين شركا، و لا يكون طاعة اثنين شركا، كما أن الشكر على النعمة لاثنين لا يكون كذلك إذا لم يكن واقعا على وجه العبادة. و قوله «أَ فَلا تَتَّقُونَ» معناه، فهلا تتقون، و هو بصورة الاستفهام و المراد به حضَّهم على تقوى اللَّه و اتقاء معاصيه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ۶۶] ..... ص : ۴۴۱

قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ (۶۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۲

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية إخبار عما قالت الجماعة الكافرة من قوم هود له «إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ» و السفاهة خفة الحلم، كما قال الشاعر:

مبذرا و عاتب سيعى ..... «۱»

أي سفيه، و ثوب سفيه إذا كان خفيفا (و قال) المؤرج: السفاهة الجنون بلغة حمير، و قوله «فِي سَفاهَةٍ» معناه منغمس فى السفاهة، فالسفاهة بمعنى أنت سفيه، أقيم المصدر مقام اسم الفاعل، و لا يجوز قياسا على ذلك أن يقال فى إرادة بمعنى مريد، و كسرت (إن) لأنها وقعت بعد القول حكاية، و الحكاية تقتضى استئناف المحكى و (إنَّ) إذا شددت عملت، و لا تعمل إذا خففت، لأنها مشددة تشبه (كان) فلما خففت قل الشبه الا ان يحمل على كان محذوفة، و ليس قوة حملها عليها تامة كقوة حملها محذوفة، و حذفت الهمزة فى مضارع رأيت دون ماضيه، لاجتماع ثلاثة أشياء:

الزيادة فى أوله، و كثرة الاستعمال لها، و لان فيما بقى دليل عليها، و لم يلزم فى نأيت تنأى مثل ذلك.

و قوله «وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ» و لم يقولوا نعلمك لامرين: أحدهما- قال الحسن: لان تكذيبهم كان على الظن دون اليقين. و قال الرمانى: معناه انك تجرى مجرى من أخبر عن غائب لا يعلم ممن هو منهم. الثاني- انهم أرادوا بالظن العلم كما قال الشاعر:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المشدد «۲»

معناه أيقنوا. و فائدة الآية أن أمَّة هود جرت على طريقة أمَّة نوح فى الكفر بنبيها كأنهم قد تواصوا بالتكذيب بالحق و معاندة أهله و الرد لما أوتوا به

---

(۱) هكذا فى الأصل و الكلامات غير منقطة، فلم أعرف له وجها [.....]

(۲) مر هذا البيت فى ۱/ ۲۰۵ و ۲/ ۲۹۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۳

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۶۷] ..... ص : ۴۴۳

قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۶۷)

آية بلا خلاف.

هذه الآية فيها إخبار عما قال هود (ع) لقومه مجيبا لهم حين قالوا له:

«إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ» و أنه قال «لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ» و موضع (قوم) نصب، لأنه نداء مضاف فلو وصفته لما جاز فى صفته الا النصب، و انما حذفت بالاضافة، لان النداء أحق بالحذف الذى يكون فى غيره لقوة اليقين فيه.

و قوله «وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» استدراك ب (لكن) لان فيه معنى ما دعانى الى أمركم السفه، و لكن دعانى اليه أني رسول من رب العالمين.

و قد بينا أن (من) هاهنا بمعنى ابتداء الغاية، و التقدير المبتدئ بالرسالة رب العالمين و المنتهى اليه الرسالة لامته، لأنه أرسل اليهم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۶۸] ..... ص : ۴۴۳

أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ (۶۸)

قد بينا معنى الإبلاغ، و هو إحضار الشيء غيره على وجه الانتهاء، و منه قوله «ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ» «۱» و قد يكون إحضار النفس البيان للافهام، و الإبلاغ أشد اقتضاء للمنتهى اليه من الإيصال، لأنه يقتضي بلوغ فهمه و عقله كالبلاغة التى تصل الى سويداء قلبه. و لا يجوز بدل «رسالات ربى» نبوات ربى، لان النبوة تكليف القيام بالرسالة، فإنما يبلغ الرسالة و لا يبلغ التكليف.

و قوله «وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ» معناه انى ناصح لكم فيما أدعوكم اليه من طاعة اللَّه و اخلاص عبادته. و قيل: ان معناه انى كنت فيكم أمينا قبل النبوة

---

(۱) سورة التوبة آية ۷

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۴

و النصح إخلاص المعاملة من شائب الفساد فى النية. و الأمين المأمون من أن يكون منه تغيير له أو تبديل.

و فى الآية دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يزكى نفسه عند الحاجة اليه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۶۹] ..... ص : ۴۴۴

أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۶۹)

آية.

قد بينا معنى قوله «أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ» فلا معنى لإعادته. و انما أنكر العجب مع أنه خفى بسببه، و خرج عن العادة لظهور الدلائل فيه و قيام البراهين عليه من الإرسال اليهم من تنبيههم على ما اغفلوه و تعريفهم ما جهلوه. و الفرق بين العَجَب و العُجب، أن العجب- بضم العين- عقد النفس على فضيلة لا- ينبغى ان يعجب منها السبب لها، و ليس كذلك العجب- بفتح العين و الجيم- لأنه قد يكون حسنا. و قد قيل فى المثل (لا خير فيمن لا يتعجب من العجب و أرذل منه المتعجب من غير عجب).

و قوله «وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ» فخلفاء جمع خليفة، و هو الكائن بدل غيره ليقوم بالأمر مقامه فى تدبيره. و خلفاء جمعه على التكذيب مثل ظريف و ظرفاء، و لو جمعه على اللفظ لقال: خلائف نحو كريمة و كرائم، و ورد ذلك فى القرآن، قال اللَّه تعالى «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ» «۱».

و قوله «مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» امتنان عليهم بما مكنهم فى الأرض و جعلهم بدل قوم نوح حين أهلكهم اللَّه. و قوله «وَ زادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً» قرىء

---

(۱) سورة ۳۵ فاطر آية ۳۹

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۵

بالسين و الصاد و قيل فى معناه قولان: أحدهما- قال ابن زيد: زادهم قوة.

و قال غيره: أراد به المرة من بسط اليدين إذا فتحت على أبعد أقطارها. و قال الزجاج و الرمانى: كان أقصرهم طوله سبعين ذراعا و أطولهم مائة ذراع. و قال قوم: كان أقصرهم اثنى عشر ذراعا. و

قال ابو جعفر (ع): كانوا كأنهم النخل الطوال، و كان الرجل منهم ينحت الجبل بيده فيهدم منه قطعة.

و قوله «فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ» قال الحسن و غيره: الآلاء النعم فى واحدها لغات:

(ألّا) مثل (معاً) و (ألا) مثل «قفا» و «الى» مثل «حسى» و «إلى» مثل «دمى» قال الشاعر:

أبيض لا يرهب الهزال و لا يقطع رحما و لا يخون إلا «۲»

إلا و ألا رويا جميعا. و قوله «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» معناه اذكروا نعم اللَّه و اشكروه عليها لكى تفوزوا بثواب الجنة و النعيم الدائم الابدى.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۷۰] ..... ص : ۴۴۵

قالُوا أَ جِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۷۰)

آية بلا خلاف.

قيل فى الفرق بين «قالوا» و تكلموا، أن القول مضمن بالحكاية من حيث هو على صفة القول، و ليس كذلك من حيث هو على صفة الكلام.

و فى الآية حكاية ما قال قوم هود، و هم قبيلة عاد لهود (ع) «أ جئتنا» و معناه أتيتنا «لنعبد اللَّه وحده» و تريد منا أن نوجه عبادتنا الى اللَّه وحده.

و المجىء و الإتيان و الإقبال واحد، و قال قوم المجىء إتيان من أى جهة كان، و الإتيان إقبال من قبل الوجه.

و قوله «و نذر» و معناه و نترك، و لم تستعمل فيه (و ذرنا) استغناء بتركنا، و لا يلزم أن يستغنى بنترك عن نذر، لان نذر خفيفة، لان الواو

---

(۲) قائله الأعشى ديوانه: ۱۵۷ و لسان العرب (ألا)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۶

حذفت منه. «ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا» تمام الحكاية عن الكفار أنهم قالوا:

كيف نترك ما كان يعبد آباؤنا؟! و أنهم قالوا «فَأْتِنا بِما تَعِدُنا» من العذاب «ان كنت صادقا» «من» جملة «الصادقين» و انما لم يجب اتباع الآباء، و ان كانوا عقلاء و وجب اتباع العقلاء، لأنه انما يجب اتباع العقلاء فيما علموه بعقولهم ضرورة، فأما ما طريقه الدليل فانه يجوز أن يغلطوا فيه فلا يجوز حينئذ اتباعهم و ان كانوا آباءا.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۷۱] ..... ص : ۴۴۶

قالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ أَ تُجادِلُونَنِي فِي أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (۷۱)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية عما قال هود لقومه جوابا عما قالوه فى الآية الاولى: أنه «قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ» فالوقوع و السقوط و النزول نظائر. و الوقوع وجود الشىء نازلا بالحدوث، فقد يكون بحدوثه، و قد يكون بحدوث غيره، كوقوع الحائط و نحوه.

و الرجس العذاب. و قيل:

الرجس و الرجز واحد فقلبت الزاى سيناً، كما قلبت السين تاء فى قول الشاعر:

ألا لحى اللَّه بنى السعلات عمرو بن يربوع لئام النات

ليسوا باعفاف و لا أكيات «۱»

يريد الناس، و يريد أكياس. و قال رؤبة:

كم قد رأينا من عديد ميزى حتى أقمنا كيده بالرجز «۲»

حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلا. و قال ابن عباس: الرجس السخط،

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۲: ۵۲۲، و نوادر أبى زيد: ۱۰۴، ۱۴۷.

(۲) ديوانه: ۶۴ و تفسير الطبرى ۱۲: ۵۲۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۷

و الغضب معنى يدعو الى الانتقام دعاء الانتقاص الطباع لشدة الإنكار، و نقيضه الرضا، و هو معنى يدعو الى الانعام دعاء ميل الطباع. و مثل الغضب السخط، هذا قول الرمانى. و قال غيره: الغضب هو ارادة العقاب بمستحقيه، و مثله السخط، و الرضا هو الارادة إلا أنها لا توصف بذلك إلا إذا وقع مرادها و لم يتعقبها كراهة، و لهذا جاز إطلاق ذلك على اللَّه، و لو كان الأمر على ما قاله الرمانى لما جاز أن يقال: إن اللَّه غضب على الكفار، و لا أنه سخط عليهم.

و قوله «أ تجادلوننى اللَّه بها من برهان، و لا نصب عليهم حجة. و المعنى أ تنازعوننى فى أسماء سميتموها يعنى تسميتهم ما يعبدون من دون اللَّه آلهة، ما أنزل اللَّه عليكم بذلك حجة بما عبدتم، فالبينة عليكم بما ادعيتم و سميتم، و ليس على ان آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون اللَّه بل ذلك عليكم، و علىَّ أن آتيكم بسلطان مبين أن اللَّه تعالى هو المعبود وحده دون من سواه و أنى رسوله.

و قوله «فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» قال الحسن: معناه انتظروا عذاب اللَّه فانه نازل بكم، فانى معكم من المنتظرين» قال الحسن: معناه انتظروا عذاب اللَّه فانه نازل بكم، فانى معكم من المنتظرين لنزوله بكم، و هو قول الجبائى و غيره من المفسرين.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۷۲] ..... ص : ۴۴۷

فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ قَطَعْنا دابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ ما كانُوا مُؤْمِنِينَ (۷۲)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية إخبار من اللَّه تعالى أنه أنجى هوداً و الذين آمنوا معه برحمة منه، و الانجاء التخليص من الهلاك، و أصله من النجوة و هى الارتفاع من الأرض و النجاء السرعة فى السير، لأنه ارتفاع فيه بالاسراع و إنما جاز أن يقول: برحمة منا مع أن النجاة هى الرحمة، لأنه عقد معنى النجاة بالرحمة، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۸

فصار كأنه يعمل بالقدرة.

و قوله «وَ قَطَعْنا» فالقطع هو افراد الشيء عن غيره مما كان على تقدير الاتصال به، فلما أفردوا بالهلاک عما كان على تقدير التبع لهم من نسلهم و آثارهم من بعدهم كان قد قطع دابرهم. و قال الحسن: معناه قطعنا أصل الذين كذبوا بديننا و ما كانوا مؤمنين. و قال ابن زيد: قطعنا دابرهم معناه:

استأصلناهم عن آخرهم. و الدابر الكائن خلف الشيء. و نقيضه القابل، و يكون القابل الآخذ للشيء من قبل وجهه.

و قوله «وَ ما كانُوا مُؤْمِنِينَ» انما أخبر بذلك عن حالهم مع أنه معلوم منهم ذلك لبيان أن هذه الصفة لا تجوز أن تلحق المكذب بآيات اللَّه الجاحد لها و إن فى نفيها عن المكلف ذماً له.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۷۳] ..... ص : ۴۴۸

وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۷۳)

آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما تقدم، و التقدير و أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً.

و ثمود اسم قبيلة، و قد جاء مصروفاً و غير مصروف، فمن صرفه، فعلى أنه اسم لحى مذكر، و من ترك صرفه، فعلى أنه اسم القبيلة، كما قال تعالى «أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ» «۱» صرف الأول و لم يصرف الثاني. و اختير ترك الصرف فى موضع الجر، لأنه أخف.

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۶۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۴۹

و يجوز فى قوله «ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» ثلاثة أوجه من العربية: الجر على اللفظ، و الرفع على الموضع، و قد قرئ بهما، و قد بيناه فيما مضى، و النصب على الاستثناء و الحال، و لم يقرأ به. و يجوز عند الفراء الفتح على البناء، لأنه أجاز ما جاءنى غيرَك، و منع منه الزجاج. و قال: إنما يجوز ذلك إذا أضيف الى غير متمكن إضافة غير حقيقة، كما قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غيرَ أن نطقت حمامة فى غصون ذات أو قال «۲»

و قوله «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» قد بيناه فيما مضى.

و قوله «قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» فالبينة العلامة التى تفصل الحق من الباطل من جهة شهادتها به. و البيان هو إظهار المعنى للنفس الذى يفصله من غيره حتى يدركه على ما يقويه كما يظهر نقيضه، فهذا فرق بين البينة و البيان.

و قوله «هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً» فالناقة الأنثى من الجمال و الأصل فيها التوطئة و التذليل من قولهم بعير منوق أى موطَّأ مذلل، و تنوق فى العمل أى جوَّده كالموطإ المذلل. و الناق الحزُّ بين أليه الإبهام و طرفها، لأنه وطأ به لقبض الكف و بسطها. و انما قال «ناقَةُ اللَّهِ» لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى. و نصب «آية» على الحال. و الآية هى البينة العجيبة بظهور الشهادة و لطف المنزلة. و الآية و العبرة و الدلالة و العلامة نظائر. و الآية التى كانت فى الناقة خروجها من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التى طلبوها، و كان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادى كله و تسقيهم اللبن بدله، و لهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم، فى قول أبى الطفيل، و السدى و ابن إسحاق.

و قوله «فَذَرُوها» أى اتركوها «تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ» يعنى بعقر أو نحر «فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» أى ينالكم عذاب مؤلم.

---

(۲) اللسان (و قل) و أو قال: جمع و قل، و هو ثمار شجر المقل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۰

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۷۴] ..... ص : ۴۵۰

وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۷۴)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية لقول صالح (ع) لقومه بعد أن أمرهم بعبادة اللَّه وحده لا شريك له، و نهيه إياهم أن يمسوا الناقة بسوء، و حذرهم من المخالفة التى يستحق بها العذاب المؤلم فقال- عاطفاً على ذلك- و «اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ» أى تفكروا

فيما أنعم اللَّه عليكم حيث جعلكم بـدل قوم عاد بعد أن أهلكهم و أورثكم ديارهم «وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ» أى مكنكم من منازل تأوون اليها، يقال بوأته منزلًا إذا مكنته منه ليأوى اليه.

و أصله من الرجوع من قوله «فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ» «۱» و قوله «وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» «۲» أى رجعوا، قال الشاعر:

و بوَّأت فى صميم معشرها فتم فى قومها مبوَّأها «۳»

أى أنزلت و مكنت من الكرم فى صميم النسب.

و قوله «تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها» فالسـهل ما ليس فيه مشـقة على النفس من عمل أو أرض، يقال: السـهل و الجبل، و أرض سـهلة. و قوله «قصوراً» جمع قصـر، و هو الـدار الكبيرة بسور تكون به مقصورة. و أصـله القصـر الذى هو الجعل على منزلة دون منزلة، فمنه القصـير، لأنه قصـر به على مقـدار دون ما هو أطول منه، و القصـر الغايـة، يقال: قصـره الموت لأنه قصـر عليه، و اقصـر عن الأمر أى كف عنه. و القصر العشى، و منه القصَّار لأنه يقصر

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۹۰.

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۶۱ و سورة ۳ آل عمران آية ۱۱۲.

(۳) اللسان (بوأ).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۱

الثوب على النقاء دون ما هو عليه. و القصرة أصل العنق.

و قوله «وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً» فالجبل جسم عظيم بعيد الاقطار عال فى السماء، و يقال: جبل الإنسان على كذا أى طبع عليه، لأنه يثبت عليه لصوق الجبل، و المعنى انهم كانوا ينحتون فى الجبال سقوفاً كالأبنية، فلا ينهدم، و لا يخرب، «فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ» معناه تفكروا فى نعمه المختلفة كيف مكنكم من الانتفاع بالسـهل و الجبل «وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» معناه لا تضـطربوا فى الأرض مفسدين يقال: عـاث يعيث عيثاً، و عثى يعثى بمعنى واحـد. و مفسـدين نصب على الحـال. و معنى الآيـة التـذكير بنعم اللَّه من التمكين فى الأرض و التسخير حتى تبوأوا القصور و شيدوا المنازل و الدور مع طول الآمال و تبليغ الآجال.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۷۵] ..... ص : ۴۵۱

قـالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْـتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَـلٌ مِنْ رَبِّهِ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۷۵)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «و قال الملأ» بزيادة واو، و كذلك فى مصاحف أهل الشام الباقون بلا واو.

فى هـذه الآية حكاية عما قال الملأ من قوم صالح، و هم جماعة من أشـراف قومه و رؤساء أمَّته «الَّذِينَ اسْـتَكْبَرُوا» أى طلبوا الكبر فوق القـدر، لان الاسـتكبار هو طلب الكبر فوق القـدر، حتى يؤدى صاحبه الى إنكار ما دعى اليه من الحق، أنفة من اتباع الداعى الى الحق «لِلَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا» فالاستضـعاف طلب الضـعف بالأحوال التى تقعـد صاحبها عما كان يمكن غيره من القيام بالأمر، و الأصل فى باب (استفعل) الطلب منه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۲

و قوله «لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ» موضعه من الاعراب نصب على البدل من اللام الاولى و هو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجر، كقولك مررت بإخوتك بعضـهم. و انما فعل ذلك لئلا يظن انهم كانوا مستضـعفين غير مؤمنين، لأنه قد يكون المستضعف مستضعفاً فى دينه، فلا يكون مؤمناً.

فأزال هذه الشبهة.

و قوله «أ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ» حقيقة و يقيناً ام لا تعلمون ذلك؟ و غرضهم بذلك الاستبعاد، لأن يكون صالح نبياً مرسلا من قبل اللّه.

و قوله «إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ» جواب من هؤلاء المستضعفين لهم انهم مؤمنون بالذى أرسل به صالح مصدقون. و قد بينا أن حدَّ العلم هو ما اقتضى سكون النفس. و حد الرمانى- هاهنا- العلم بأنه اعتقاد للشيء على ما هو به عن ثقة من جهة ضرورة أو حجة، قال: و العالم هو المبين للشيء بعدم أو ذات تنبئ عن العلم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۷۶] ..... ص : ۴۵۲

قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (۷۶)

آية هذه الآية حكاية عما قال المستكبرون للذين آمنوا منهم حين سمعوا منهم الايمان به و الاعتراف بنبوته و التصديق لقوله «إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ» يعنى صدقتم به «كافرون» أى جاحدون. و القول هو الكلام، و منه المقول، و هو اللسان، لأن صاحبه يقول به. و تقوَّل بمعنى كذَب و قال الكذب.

و المقيال المخبر الى نفسه بالقول امراً من خير أو شر. و القيل ملك دون الملك الأعظم بلغة حِميَر، و جمعه أقيال، لأنه يقول عنه كالوزير.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۷۷] ..... ص : ۴۵۲

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (۷۷)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۳

فى هذه الآية إخبار من اللّه تعالى عما فعل المستكبرون من قوم صالح و أنهم عقروا الناقة التى هى آية اللّه فى الأرض، و العقر الجرح الذى يأتى على أصل النفس، و هو من عقر الحوض و هو أصله، قال الشاعر:

بإزاء الحوض أو عقره «۱»

و منه العقار، لأنه اعتقار أصل مال، لأن ثبوته كثبوت الأصل. و منه العاقر، لأنها قد حدث ما عقر الحال التى يجىء منها الولد فأبطل الأصل، و المعاقرة على الشراب منه، لأنه كالأصل فى الثبوت على تلك الحال.

و قوله «وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ» أى تجاوزوا الحد فى الفساد. و قيل:

العتوُّ الغلو فى الباطل- فى قول مجاهد- و منه جبار عاتٍ، و العاتى فى الكبر و منه «وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» «۲» أى بلغت حال العاتى كبراً، و العتو عن الأمر هو المخالفة إلا أن فى العتو مخالفة على وجه التهاون به و الاستكبار عن قبوله.

و قوله «يا صالِحُ ائْتِنا» إن وصلته همزته، و ان ابتدأته لم تهمز بل تقول: (ايتنا) و انما كان كذلك، لأن أصله (ائتنا) بهمزتين، فكره ذلك فقلبوا الثانية ياء على ما قبلها، فإذا وصل سقطت ألف الوصل و ظهرت همزة الأصل.

و قوله «بِما تَعِدُنا» فالوعد الخبر بخير أو شرّ بقرينة فى الشر.

و قوله «ائْتِنا بِما تَعِدُنا» أى من الشر، لأنا قد علمنا ما توعدتنا عليه فأت الآن بالعذاب الذى خوَّفتنا منه، و متى تجرَّد عن قرينة، فهو بالخير أحق للفصل بين الوعد و الوعيد.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۷۸ الى ۷۹] ..... ص : ۴۵۳

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (۷۸) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (۷۹)

---

(۱) اللسان (عقر) و تمامه:

فرماها فى فرائصها بإزاء الحوض أو عقره

(۲) سورة ۱۹ مريم آية ۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۴

آيتان بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية بما حلَّ بثمود من العذاب، فقال «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» و هى حركة القرار المزعجة لشدة الزعزعة تقول: رجف بهم السقف رجوفاً إذا اضطرب من فوقهم، و قال مجاهد و السدى: الرجفة الصيحة.

و قال آخرون: هى زلزلة أهلكوا بها، قال الأخطل:

اما تريني حنانى الشيب من كبر كالنشر أرجف و الإنسان مهدود «۱»

و قوله «فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ» إنما قال دراهم على التوحيد لأمرين:

أحدهما- إن المعنى فى بلدهم، و هو واحد.

و الآخر- أن معناه فى دورهم، و إنما وحد كما توحد أسماء الأجناس كقوله «إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ» «۲» و الأخذ نقل الشيء عن حاله الى جهة الناقل له، و ضده الترك كأخذ الدينار و ترك الدرهم. و معنى «جاثمين» باركين على ركبهم موتى، جثم يجثم جثوماً إذا برك على ركبتيه. و قيل:

صاروا رماداً كالرماد الجاثم، لأن الصاعقة أحرقتهم، و قال جرير:

عرفت المنتأى و عرفت منها مطايا القدر كالجدء الجثوم «۳»

و قوله «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ» يعنى أن صالحاً تولى عن قومه، و التولى الذهاب عن الشيء و هو الاعراض عنه، و انما تولى، لأنه أقبل عليهم بالدعاء الى توحيد اللَّه و طاعته، فلما خالفوا و نزل بهم العذاب تولى عنهم لليأس منهم و تولاه بمعنى أولاه نصرته و معونته، و منه قولهم (تولاك اللَّه بحفظه) و قوله

---

(۱) ديوانه: ۱۴۶ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۵۴۴. [.....]

(۲) سورة ۱۰۳ العصر آية ۲.

(۳) ديوانه: ۵۰۷ و مجاز القرآن ۱/ ۲۱۸ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۵۴۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۵

«وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» «۱» فهو مثل قوله «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ» «۲» أى إن تنصروا دين اللَّه، و تولى عنه بمعنى أعرض عنه.

و قوله «وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي» انما جاز أن يناديهم مع كونهم جاثمين موتى لما فى تذكر ما أصارهم الى تلك الحال العظيمة التى صاروا بها نكالًا لكل من اعتبر بها و فكر فيها من الحكمة و الموعظة الحسنة.

و قوله «وَ نَصَحْتُ لَكُمْ» يقال: نصحته و نصحت له مثل شكرته و شكرت له، و معناه و كنت نصحت لكم «وَ لكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ» فمحبة الشيء إرادة الحال الجليلة له عند المريد، فمن أحبَّ الناصح قبل منه، لنهيه لهم عن ركوب أهوائهم و اتباع شهواتهم، و قد

روى أنه لم يعذب أمَّة نبى قط و نبيها فيها، فلذلک خرج، فأما إذا أهلک المؤمنون فيما بينهم، فان اللَّه سيعوضهم على ما يصيبهم من الآلام و الغموم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۸۰] ..... ص : ۴۵۵

وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (۸۰)

آية.

العامل فى قوله «و لوطاً» يحتمل أن يكون أحد أمرين:

أحدهما- أن يكون عطفاً على ما مضى، فيكون تقديره و أرسلنا لوطاً.

و الثاني- أن يكون على تقدير و اذكر لوطاً إذ قال لقومه- فى قول الأخفش- و لا يجوز فى قصة عاد و ثمود إلا (و أرسلنا)، لأن فيها ذكر الى.

و (لوط) مصروف لخفته، لأنه على ثلاث أحرف ساكن الأوسط، و لا ينصرف يعقوب، لأنه أعجمى معرفة.

و اختلفوا فى اشتقاق (لوط) فقال بعض أهل اللغة: إنه مشتق من لطت الحوض إذا ألزقت عليه الطين و ملسته به، و يقال: هذا (ألوط) بقلبى

---

(۱) سورة ۵ المائدة آية ۵۹

(۲) سورة ۴۷ محمد آية ۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۶

أى ألصق، و الليطة القشر للصوقه بما اتصل به، و قال الزجاج: هو اسم غير مشتق، لأن العجمى لا يشتق من العربى، و انما قال ذلک لأنه لم يوجد علماً إلا فى أسماء الأنبياء.

و قوله «أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ»؟! فالفاحشة هى السيئة العظيمة القبح.

و قوله «ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ» فالسبق وجود الشيء قبل غيره. و قيل:

ما ذكر على ذكر قبل قوم لوط، ذكره عمرو بن دينار، فلذلک قال «ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ» و به قال أكثر المفسرين، قال البلخى: يحتمل أن يكون أراد «ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ» يريد عالمى زمانهم، كما قال «وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ» «۱» قال: و يحتمل أن يكون ما سبقكم الى ذلک أحد على وجه القهر و المجاهرة به على ما كانوا يفعلونه. و قال بعضهم: العقل كان يبيح ذلک و انما منع منه السمع. قال البلخى: هذا خطأ، لأنه يؤدى الى انقطاع النسل، و لأن الطباع مبنية على الاستنكاف من ذلک، و ان يكون الإنسان مفعولًا به، و لو كان الفاعل لذلک غير مقبح لما لحق المفعول به من ذلک و صمة، كما أن المرأة المنكوحة بالعقد الصحيح لا يلحقها بذلک و صمة و لا عيب بلا خلاف. قال: و من حمل نفسه على استحسان ذلک و انه يجوز أن يكون مفعولًا به كان ما جنا ملوماً عند جميع العقلاء.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۸۱] ..... ص : ۴۵۶

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (۸۱)

آية.

قرأ أهل المدينة و حفص هاهنا «إنكم» على الخبر، و كذلک مذهبه فى قراءته ان يكتفى بالاستفهام الأول من الثانى فى كل القرآن، و

هو مذهب الكسائى إلا فى قصة لوط. الباقون بهمزتين الثانية مكسورة، و خففها ابن

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۴۷، ۱۲۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۷

عامر و أهل الكوفة إلا حفصاً، و الحلوانى عن هشام يفصل بينهما بالألف، و ابن كثير و أبو عمرو و ورش تحقق الأولى و تلين الثانية، و فصل بينهما بألف أبو عمرو.

و قال أبو على: قوله «أ تأتون الفاحشة .... إنكم لتأتون الرجال» كل واحد من الاستفهامين كلام مستقل بنفسه لا حاجة لواحد منهما الى الآخر، فإذا كان كذلك، فمن قرأ (أ إنكم) على الاستفهام جعل ذلك تفسيراً للفاحشة، كما أن قوله «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» «۱» تفسير للوصية. و من قرأ على الخبر استأنف، و من أراد أن يلين همزة (إنكم) فانه يجعلها بين بين، لأن ألف الاستفهام بمنزلة المنفصل، و لو لا ذلك لوجب أن يقلب الثانية على ما قبله ثم يحذف لالتقاء الساكنين.

و معنى قوله «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ» قال الحسن:

إن قوم لوط كانوا ينكحون الرجال فى أدبارهم و لا ينكحون إلا الغرباء و لا ينكح بعضهم بعضاً. و قوله «شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ» فالشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة، و ليست كالارادة، لأنها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة. و الشهوة من فعل اللَّه ضرورة فينا، و الارادة من فعلنا، تقول شهيت أشهى شهوة، قال الشاعر:

و اشعث يشهى النوم قلت له ارتحل إذا ما النجوم أعرضت و اسبكرَّت

فقام يجرُّ البرد لو أن نفسه يقال له خذها بكفيك خرت «۲»

و قوله «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ» معناه الاضراب عن الأول الى جميع المعايب من عبادة الأوثان و إتيان الذكران و ترك ما قام به البرهان، و تقديره

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۱۰.

(۲) اللسان (شهى) و تفسير الطبرى ۱۲: ۵۴۸ (يشهى النوم) بمعنى يشتهى. و (اسبكرت) امتدت و استقامت و أسرعت فى مسبحها و رواية الطبرى (و اسبطرت) بدل (و اسبكرت).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۸

إنكم مستوفون لجميع المعائب إتيان الذكران و غيره، و يحتمل أن يكون بل لاسرافكم لا تفلحون. و الإسراف الخروج عن حدِّ الحق الى الفساد.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۸۲] ..... ص : ۴۵۸

وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (۸۲)

آية بلا خلاف.

الوجه فى قوله «جواب قومه» بالنصب أنه وقع الاسم بعد (إلا) موقع الإيجاب، و ذلك أن ما قبلها إذا كان إيجاباً كان ما بعدها نفياً، و إذا كان ما قبلها نفياً كان ما بعدها ايجاباً، و الجواب خبر يقتضيه أول الكلام، و الغالب عليه جواب النداء و السؤال، و يكون على وجوه كجواب الجزاء و جواب القسم و جواب (لو).

أخبر اللَّه فى هذه الآية بما أجاب به قوم لوط (ع) حين قال لهم «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ» كأنهم قالوا:

بعضهم لبعض «أخرجوهم» يعنون لوطاً و أهله الذين آمنوا به. و الإخراج نقل الشيء عن محيط الى غيره، كما أن الإدخال النقل الى محيط عن غيره. و قال الزجاج و الفراء: أرادوا اخرجوا لوطاً و ابنتيه.

و قوله «من قريتكم» فالقرية هى المدينة، كما قال أبو عمرو بن العلاء:

ما رأيت قرويين أفصح من الحسن و الحجاج، يعنى رجلين من أهل المدن إلا أنه صار بالعرف عبارة عن مجتمع الناس فى منازل متجاورة بقرب ضيعة يأوى اليها للاكراء.

و قوله «إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: يعنى يتطهرون عن إتيان الرجال فى الأدبار فعابوهم بما يجب أن يمدحوا به.

الثانى- أنه أراد يتطهرون يتنزهون عن أفعالكم و طرائقكم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۵۹

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۸۳ الى ۸۴] ..... ص : ۴۵۹

فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (۸۳) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (۸۴)

آيتان.

أخبر اللَّه تعالى أنه أنجى لوطاً و من معه بمعنى أنه خلصه من الهلاك «و أهله» يعنى المختصين به. و الأهل هو المختص بالشيء اختصاص القرابة، و لذلك قيل: أهل البلد لأنهم بلزومهم سكناه قد صاروا على مثل لزوم القرابة. و قوله «إلا امرأته» استثنى من جملة من أنجاه مع لوط من أهله امرأته، لأن امرأته أراد به زوجته و لا- يقال: مرؤها بمعنى زوجها، لأنه صار بمنزلة المالك لها. و ليست بمنزلة المالكة له. و إنما تجرى هذه الاضافة التى بمعنى اللام على طريقة الملك. و قوله «كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ» يعنى من الباقين فى عذاب اللَّه- فى قول الحسن و قتادة.

فان قيل: فعلى هذا يجب أن تكون امرأته ممن نجى لأنه تعالى قال «كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ» أى الباقين.

قلنا: المعنى إنها من الباقين فى عذاب اللَّه، على ما حكيناه عن الحسن و قتادة. و قال قوم: معناه إنها من الباقين قبل الهلاك و المعمرين الذين قد أتى عليهم دهر طويل حتى هرمت فيمن هرم من الناس، و كانت ممن غبر الدهر عليه قبل هلاك القوم. ثم هلكت فيمن هلك من قوم لوط.

و قيل: أراد بذلك من الباقين فى عذاب اللَّه، ذكر ذلك قتادة.

و انما قلنا: إنها كانت من الهالكين، لقوله فى سورة هود «إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ» «۱» ذكر ذلك البلخى و الطبرى، فالغابر الباقى. و يقال: غبر يغبر غبوراً و غبراً إذا بقى قال الأعشى:

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۸۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۰

عض بما أبقى المواسى له من أمه فى الزمن الغابر «۱»

و قال آخر:

و أبى الذى فتح البلاد بسيفه فأذلها لبنى أبان الغابر «۲»

و قال الزجاج «مِنَ الْغابِرِينَ» عن النجاة. و منه الغبرة بقية أثر البياض بعد الامتزاج بغيره من الألوان. و قال الرمانى: هذا استثناء متصل، لأنه يجوز أن يدخل الزوجة فى الأهل على التغليب فى الجملة دون التفصيل كما قال «يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» «۳» و من أجل

التغليب قال «مِنَ الْغابِرِينَ» و لم يقل من الغابرات. و يقوى فى نفسى أنه استثناء منقطع، لأن الزوجة لا تدخل تحت قولنا: الأهل حقيقة، و قد بينا ذلك فى سورة البقرة مستوفاً.

و قوله «وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً» و أمطرها اللَّه إمطاراً. و قيل: أمطر عليهم حجارة من سجيل، و هذا اخبار من اللَّه تعالى عما أنزله اللَّه بقوم لوط من العذاب.

و قوله «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» أمر للنبى (ص) و المراد به جميع المكلفين بأن يتفكروا فى ذلك و يعلموا كيف كان عاقبة المجرمين، يعنى الى ما صار اليه عاقبة هؤلاء العاصين. و (كيف) سؤال عن حال إلا أنها تقع فى التسوية، لأن فيها ادعاء. و إذا قال القائل: كيف هو، معناه قد علمت ما يطلبه الطالب كيف هو من حاله. و العاقبة آخر ما تؤدى اليه التأدية، و أصله كون الشىء فى أثر الشىء و منه العقاب، لأنه يستحق عقيب الذنب، و منه العقاب لأنه يعقب على صيده لشدته، و العَقِب، لأنه عقب به بشدة شيئاً بعد شىء. و الاجرام اقتراف السيئة، أجرم إجراماً إذا أذنب و الجرم

---

(۱) ديوانه: ۱۰۶ و مجاز القرآن ۱/ ۲۱۹ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۵۵۱ و اللسان (غير).

(۲) قائله يزيد بن الحكم بن أبى العاص خزانة الأدب ۱/ ۵۵ و تفسير الطبرى ۱۲/ ۵۵۲.

(۳) سورة ۱۱ هود آية ۴۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۱

الذنب و أصله القطع فالمجرم منقطع عن الحسنة الى السيئة، و فائدة الآية الاخبار عن سوء عاقبة المجرمين بما أنزل عليهم عاجلًا من عذاب الاستئصال قبل عذاب الآخرة بالنيران.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۸۵] ..... ص : ۴۶۱

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۸۵)

آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما تقدم و التقدير فيها فأرسلنا «الى مدين» و هى قبيلة، قال أبو إسحاق: أصله (مديان) و هو مديان بن ابراهيم و هؤلاء ولده. و (مدين) لا ينصرف، لأنه معرب فى حال تعريفه. و العلة المانعة من الصرف هى العجمة و التعريف و قال الزجاج: لأنه اسم قبيلة و هو معرفة و جائز أن يكون أعجمياً.

و قوله «أَخاهُمْ شُعَيْباً» نسب اليهم بالاخوة فى النسب دون غيره. و قال لهم «قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» يعنى أتتكم حجة من اللَّه تعالى و معجزة دالة على صدق قولى، و أخبر انه أمرهم بأن يوفوا الكيل و الميزان. و الإيفاء إتمام الشىء الى حّد الحق فيه، و منه إيفاء العهد و هو إتمامه بالعمل به.

و الكيل تقدير الشىء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه. و الوزن تقدير الشىء بالميزان، و المساحة تقدير الشىء بالذراع أو ما زاد عليه أو نقص. «وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ» نهى من شعيب إياهم عن بخس الحقوق و تنقيصها فى الكيل و الميزان و غيرهما، و البخس النقص عن الحد الذى يوجبه الحق تقول: بخس يبخس بخساً فهو باخس. و البخص بالصاد فقأ العين. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۲

قتادة و السدى: البخس الظلم، و منه المثل (تحسبها حمقاء و هى باخسة).

و قوله «وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها» يعنى بعد أن أصلحها اللَّه بالأمر و النهى و بعثة الأنبياء و تعريف الخلق مصالحهم. و

الإفساد إخراج الشىء الى حد لا ينتفع به بدلًا عن حال ينتفع بها، و ضده الإصلاح، و المعنى لا تخرجوا الى العمل فى الأرض بالقبائح بعد أن أصلحها اللَّه بالمحاسن.

و قوله «ذلكم» إشارة لقومه الى ما أمرهم به و نهاهم عنه بأن امتثاله و الانتهاء اليه خير لهم و أعود عليهم إن كانوا مؤمنين مصدقين باللَّه، و انما علق خيريته بالايمان و إن كان هو خيراً على كل حال من حيث أن من لا يكون مؤمناً باللَّه، و عارفاً بنبيه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له، و كأنه قال لهم:

كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم. و يحتمل أن يكون المراد لا ينفعكم إيفاء الكيل و الميزان إلا بعد أن تكونوا مؤمنين. قال الفراء: لم يكن لشعيب آية على النبوة. قال الزجاج و غيره: هذا غلط، لأنه قال «قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا» فجاء بالفاء جواباً للجزاء، فكيف يقول «قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ» و لم يكن له آية على النبوة، فان كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها لأنه لو ادعى النبوة من غير آية لم يقبل منه. و آيات شعيب و إن لم يذكرها اللَّه فى القرآن لا يجب أن يقال: لا آية له، لأن نبينا (ص) لم يذكر اللَّه آياته كلها فى القرآن و لا أكثرها و إن كانت له آيات كثيرة، و لم يوجب ذلك نفيها.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ٨٦] ..... ص : ۴۶۲

وَ لا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨۶)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله «و لا تقعدوا» بكل صراط توعدون قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۳

أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: إنهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيباً للايمان به فيخوفونه بالقتل. و قال أبو هريرة: إنما نهاهم عن قطع الطريق.

و قوله «بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ» يجوز فيه تعاقب حروف الاضافة بأن يقول: على كل صراط، و فى كل صراط، لأن معانى هذه الحروف اجتمعت فيه- هاهنا- كما تقول: قعد له بكل مكان، و على كل مكان، و فى كل مكان، لأن الباء للإلصاق و هو قد لاصق المكان، و (على) للاستعلاء و هو قد علا المكان، و (فى) للمحل و هو قد حلَّ المكان. و يقال: قعد عن الأمر بمعنى ترك العمل به كائناً ما كان، و قام به إذا عمل به كالقعود عن الواجب و نحوه. و معنى الإيعاد الاخبار بالعذاب على صفة من الصفات، و هو الوعيد و التهديد، فإذا ذكر المتعلق من الخير أو الشر قلت: وعدته كذا، كما قال تعالى «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» «١» و إذا لم يذكر قيل فى الخير وعدته، و فى الشر أوعدته. و تقول: وعدته خيراً بلا باء و أوعدته بالشر بإثبات الباء.

و قوله «وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» فالصد هو الصرف عن الفعل بالإغواء فيه، كما يصد الشيطان عن ذكر اللَّه و عن الصلاة. تقول: صده عن الأمر يصده صداً، و هو كالمنع.

و قوله «مَنْ آمَنَ بِهِ» (من) فى موضع نصب، لأنه مفعول به، و تقديره و تصدون المؤمنين باللَّه عن اتباع دينه، و هو سبيل اللَّه.

و قوله «وَ تَبْغُونَها عِوَجاً» فالهاء راجعة الى السبيل، و معنى «تبغون» تطلبون، و البغية الطلبة: بغاه يبغيه بغية. و المعنى- هاهنا- و تبغون السبيل عوجاً عن الحق، و هو أن يقولوا: هذا كذب و باطل و ما أشبه ذلك، و هو قول قتادة. و العوج- بكسر العين- فى الدين و كل ما لا يرى- و بفتح العين- فى العود و كل ما يرى كالحائط و غيره.

---

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۴

و قوله «وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ» قال الزجاج: يحتمل أشياء:

أحدها- اذكروا نعمة اللَّه عليكم إذ كثر عددكم.

و ثانيها- أنه كثركم بالغنى بعد الفقر.

و ثالثها- كثركم بالقدرة بعد الضعف، و وجهه أنهم كانوا فقراء و ضعفاء، فهم بمنزلة القليل فى قلة الغناء.

و قوله «وَ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» معناه فكروا فيما مضى من إهلاك من تقدم بأنواع العذاب و انزال العقوبات بهم و استئصال شأفتهم و ما فعل اللَّه بالمفسدين، و كيف كان عاقبتهم فى ذلك و ما حلَّ بهم من البوار.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۸۷] ..... ص : ۴۶۴

وَ إِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِی أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ (۸۷)

آية بلا خلاف.

الطائفة الجماعة من الناس، و هو من الطوف صفة غالبة أقيمت مقام الموصوف مأخوذة من أنها تجتمع على الطواف، و قد يكون جماعة الكتب و الدور و نحو ذلك.

و قوله «وَ طائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا» إنما جاز أن يخبر عمن لم يؤمن بأنهم طائفة و إن كانوا هم الأكثر لتقابل قوله «طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا» و لأن من حق الضد أن يأتى على حد ضده، كما تقول: ضربت زيداً و ما ضربت زيداً، و إنما ذكر طائفة، لأنه راجع الى الرجال، و ان كان اللفظ مؤنثاً فغلب فيه المعنى فى هذا الموضع ليدل على معنى التذكير، و المعنى إن شعيباً قال لقومه:

و إن انقسمتم قسمين، ففرقة آمنت و فرقة كفرت، فاصبروا حتى يحكم اللَّه بيننا، على وجه التهديد لهم و الإنكار الى من خالف منهم، و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع و أصله الحبس، و منه

قوله (ع): (اقتلوا التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۵

القاتل و اصبروا الصابر)

و منه قيل للسيء: صبر، لأنه يحبس النفس عن لفظه ليداويه. و الحكم المنع من الخروج عن الحق بدعاء الحكمة اليه من جهة معروفة أو حجة، و أصله المنع قال الشاعر:

أبنى حنيفة احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبا «۱»

و قوله «وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» لأنه لا يجوز عليه الجور، و لا المحاباة فى الحكم، و إنما علق جواب الجزاء بالصبر، و هو لازم على كل حال، لأن المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب أو عقاب، كأنه قال:

فأنتم مصبورون على حكم اللَّه بذلك. قال البلخى: أمرهم فى هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين و التوعد عليه، و الكف عن ذلك خير و رشد، و لم يأمرهم بالمقام على كفرهم و الصبر. و فى ذلك دلالة على أنه ليس كل أفعال الكافرين كفراً و معصية، كما يذهب اليه بعض أهل النظر.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۸۸] ..... ص : ۴۶۵

قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنا قالَ أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ (۸۸)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية عن الملأ، و هم الجماعة الأشراف و الرؤساء من قوم شعيب الذين استكبروا، و معناه امتنعوا من اتباع الحق أنفة عن الداعى اليه أن يتبعوه فيه، و تكبروا عليه جهلًا منهم بمنزلة الحق و منزلة الداعى اليه، إذ أنهم قالوا لشعيب و أقسموا

«لَنُخْرِجَنَّکَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَکَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا» و قيل فى معنى (لتعودن) قولان:
أحدهما- على توهمهم أنه كان فيها على دين قومه.

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱/ ۱۴۲ و ۲/ ۱۸۸ و سيأتى فى ۵/ ۵۱۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۶

الثانى- أن الذين اتبعوا شعيباً قد كانوا فيها. و قال الزجاج: و جائز أن يقال: قد عاد علىَّ من فلان مكروه و إن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك أى لحقنى منه مكروه، و وجه هذا أنه قد كان قبل ذلك فى قصده لى كأنه قد أتى مرة بعد مرة. و قال الشاعر:

لئن كانت الأيام أحسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب «۱»

و العود هو الرجوع، و هو مصير الشيء الى الحال التى كان عليها قبل، و منه إعادة الخلق، و قوله تعالى «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «۲» و تستعمل لفظة الاعادة فى الفعل مرة ثانية حقيقة، و فى فعل مثله مجازاً، و كلاهما يسمى اعادة، لكن لما كان مثله كأنه هو فى أنه يقوم مقامه جرت عليه الصفة كقولك: أعدت الكتابة و القراءة و معناه فعلت مثله.

و قوله «أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ» حكاية لما قال شعيب لأمته من أنه لا يعود فى ملتهم إلا أن يكون على وجه الإكراه منهم لذلك و أنهم يريدون أن يردوا المؤمنين الى مثل ما هم عليه من المعاصى مع كراهتهم لذلك و يقينهم لبطلانه، فبين بهذا أنا مع كراهتنا لذلك مع ما عرفناه من بطلانه لا نرجع، و تقديره أ تعيدوننا فى ملتكم و إن كرهناها؟! فأدخل ألف الاستفهام على (لو).

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۸۹] ..... ص : ۴۶۶

قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ (۸۹)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية اخبار من اللَّه عما قال شعيب لقومه من أنه قد افترى هو

---

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۳۱۵. [.....]

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۲۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۷

و من آمن به على اللَّه كذباً إن عاد فى ملتهم بأن يحللوا ما يحللونه و يحرموا ما يحرمونه و ينسبونه الى اللَّه بعد إذ نجاهم اللَّه منها.

و الافتراء الكذب، و منه الافتعال، و الاختلاق و هو القطع بخبر مخبره لا على ما هو به، مشتقاً من فرى الأديم تقول فريت الأديم أفريه فرياً.

و الملة الديانة التى تجتمع على العمل بها فرقة عظيمة. و الأصل فيه تكرر الامر من قولهم طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، و منه الملل و هو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر. و الملة الرماد الحار يدفن فيه الخبز حتى ينضج لتكرر الحمى عليها، و منه المليلة من الحمى. و الملة لتكرر العمل فيها على ما تأتى به الشريعة.

و قوله «بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها» باقامة الدليل و الحجج على بطلانها، و علمنا بذلك و انتهائنا عنها. و قوله «رَبَّنَا افْتَحْ» قال ابن عباس: ما كنت أدرى معنى قوله «ربنا افتح» حتى سمعت بنت سيف بن ذى يزن تقول: تعال حتى أفاتحكم يعنى أقاضيك.

و قوله «وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا» إخبار عن قول شعيب لهم أنه ليس له أن يعود فى ملتهم، و يرجع فيها إلا بعد

مشيئة اللَّه ذلك. و قيل فى معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه لا يشاء تعالى عبادة الأصنام و الأوثان ثلاثة أقوال:

أحدها- أن فى ملتهم أشياء كان يجوز أن يتعبد اللَّه بها، فلو شاءها منهم لوجب عليهم الرجوع فيها.

الثانى- أنه إذا فعل ما شاء اللَّه كان ذلك طاعة للَّه تعالى.

الثالث- أنه علق ما لا يكون بما علم أنه لا يكون على وجه التبعيد كما قال الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى و صار القار كاللبن الحليب «۱»

---

(۱) مر فى ۴/ ۴۳۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۸

و كما قال تعالى «حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ الْخِياطِ» «۲» وجه ذلك- هاهنا- أنه كما لا يشاء اللَّه عبادة الأصنام و القبائح- لأن ذلك لا يليق بحكمته- فكذلك لا أعود فى ملتكم. و قال قوم: فيه وجه رابع، و هو أن الهاء فى قوله «فيها» راجعة الى القرية، و كأنه قال: و ما يكون لنا أن نعود فى قريتكم غانمين لكم ظاهرين عليكم بعد إذ نجانا اللَّه منها بخروجنا منها سالمين إلا أن يشاء اللَّه أن ينصرنا عليكم و يشاء منا الرجوع فيها.

و قوله «وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً» نصب (علماً) على التمييز.

و قيل فى وجه اتصال ذلك بما قبله قولان:

أحدهما- أن الملة إنما يتعبد بها على حسب ما فى معلومه من مصلحة العباد بها، فهو تعالى لا يخفى عليه ذلك.

و الثانى- أنه عالم بما يكون منا من عود أو ترك دوننا.

ثم حكى عن شعيب أنه قال لهم «عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ» سؤال من شعيب و رغبة منه اليه تعالى أن يحكم بينه و بين قومه بالحق، و الفتح القضاء. و معنى افتح اقض- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة و السدى- و الحاكم الفاتح و الفتاح، و فاتحته فى كذا قاضيته. و إنما قيل ذلك، لأنه يفتح باب العلم الذى انغلق على غيره.

و قوله «بالحق» فيه وجهان:

أحدهما- سؤال اللَّه ما يجوز عليه، كما قال فى موضع آخر «رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ» «۳».

و الآخر- ما ينكشف به لمخالفينا أنَّا على الحق من انزال العذاب عليهم، و قال الفراء: اهل عمان يسمون الحاكم الفتاح، قال الشاعر:

---

(۲) آية ۳۹ من هذه السورة.

(۳) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۱۱۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۶۹

ألا أبلغ بنى عصم رسولا فأنى عن فتاحتكم غنىٌّ «۲»

أى قضائكم و حكمكم، و قال الجبائى: معنى «افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا» انزل بهم ما يستحقون من العقوبة لكفرهم باللَّه و ظلمهم المؤمنين.

و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنه قال «وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ» فعلم أن لهم الرجوع فيها إذا شاء اللَّه، فإذا لم يشأ لم يكن ذلك، فيجب على هذا إن كان اللَّه يريد الكفر أن يكون للكافر الرجوع فى الكفر، و هذا لا يقوله أحد، فبطل ما قالوه. على أن الظاهر من معنى الملة هو ما يعلم بالشرع، و ذلك يجوز أن ينسخه اللَّه فيريد منهم الرجوع فيه، و ليس لأحد أن يقول إن قوله «بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها» لا يليق بما قلتم و انما يليق بما قالوه، و ذلك أن قوله «بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها» معناه على هذا القول أزاله

عنا و نسخه عنا، فان شاء أن يعيدنا ثانياً جاز لنا الرجوع فيها.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۹۰] ..... ص : ۴۶۹

وَ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (۹۰)

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية حكاية ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات اللَّه و لنبوة شعيب للباقين منهم و أقسموا عليهم «لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً» و انقدتم له و رجعتم الى أمره و نهيه لأن الاتباع هو طلب الثانى موافقة الأول فيما دعا اليه تقول:

اتَّبعه اتباعاً و تبعه تبعاً، و هو متبع و تابع «إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ» و قوله «إنكم» جواب القسم و اللام فى (لخاسرون) لام التأكيد فى خبر (إن) و (الخسران) ذهاب رأس المال، فكأنهم قالوا: لئن تبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب رأس ماله أو أعظم من ماله، لأنكم لا تنتفعون باتباعه فتخسرون فى اشتغالكم بما لا تنتفعون به و بانقضاء عمركم إذ لم تكسبوا فيه نفعاً

---

(۲) تفسير الطبرى ۱۲/ ۵۶۴ و قد مر فى ۱/ ۳۱۵، ۳۴۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۰

لأنفسكم. و قيل: معناه لهالكون، و قيل: لمفتونون.

و (إذا) من عوامل الأفعال، و انما دخلت- هاهنا- على الاسم، لأنها ملغاة، و إذا ألغيت من العمل صلح ذلك فيها، لأنها حينئذ تجرى مجرى الف الاستفهام فى أنها لا تختص، لأنها لا تعمل.

و قوله «إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ» جواب القسم و قد سد مسد جواب الشرط من قوله «لئن» و لا يجوز قياساً على ذلك إن أتاك زيد إنه لكريم، لأن جواب الشرط انما هو بالفعل أو الفاء لترتب الثانى بعد الأول بلا فصل.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۹۱] ..... ص : ۴۷۰

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (۹۱)

آية واحدة بلا خلاف.

قد مضى تفسير مثل هذه الآية فلا معنى لإعادته «۱». و الفاء فى فأخذتهم عطف على قوله «قالَ الْمَلَأُ» و فيها معنى الجواب كأنه قيل: كان جواب ما ارتكبوا من عظيم الفساد أخذ الرجفة لهم بالعذاب و أخذ الرجفة إلحاقها بهم مدمرة عليهم، و لا يقال أخذتهم الرحمة، لأن العذاب لما كان يذهب بهم اهلاكاً، صلح فيه الأخذ و لا يصلح فى النعيم.

و الرجفة الزلزلة، و هى حركة تزلزل الاقدام و توجب الهلاك لشدتها.

و الإصباح الدخول فى الصباح، و الإمساء الدخول فى المساء و يستعمل على وجهين: أحدهما- ما يحتاج الى خبر. و الآخر- مكتف بالاسم بمنزلة (سواء) و الجثوم البروك على الركبة، جثم يجثم جثوماً، و قد جثم هذا الأمر على قلبى أى ثقل عليه لثبوته على تلك الحال.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۹۲] ..... ص : ۴۷۰

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ (۹۲)

---

(۱) فی تفسير آية ۷۷ من هذه السورة.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۱

آية بلا خلاف.

«الذين» الأولى فی موضع رفع بأنه مبتدأ و خبره «كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا».

و هذه الآية إخبار من اللَّه تعالى عن حال هؤلاء الكفار الذين كذبوا شعيباً. و شبههم بمن لم يغن فيها، و معنى «لم يغنوا» لم يقيموا اقامة مستغن بها عن غيرها، و الغانی النازل، و المغانی المنازل، و غنی بالمكان إذا أقام به يغنی غناء و غنياً، و قال النابغة:

غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة و تودد «۱»

و قال آخر:

و لقد تغنى بها جيرانك المم سكوا منك بعهد الوصال «۲»

و قال رؤبة:

و عهد مغنى رمته بضلفعا «۳»

و قال حاتم طی:

غنينا زماناً بالتصعلك فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغياً على ذی قرابة غنانا و لا أزرى بأحسابنا الفقر «۴»

و وجه التشبيه فی قوله «كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا» أن حال المكذبين يشبه حال من لم يكن قط فی تلك الديار، لما أخذتهم الرجفة بالإهلاك، و هذا مما يتحسر عليه الناس أعظم الحسرة كما قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس و لم يسمر بمكة سامر

---

(۱) سيأتی هذا البيت فی ۵/ ۴۱۷.

(۲) قائله عبيدة بن الأبرص ديوانه: ۵۸ و مختارات ابن الشجری ۲/ ۳۷ و الخصائص لابن جنی ۲/ ۲۵۵.

(۳) ديوانه: ۸۷ و تفسير الطبری ۱۲/ ۵۷۰.

(۴) مجمع البيان ۲ (صيدا) ۴۵۰ و اللسان (صعلك).

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۲

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالی و الجدود العواثر «۱»

و إنما أعيد ذكر (الذين) دفعة ثانية من غير كناية لتغليظ الأمر فی تكذيبهم شعيباً مع بيان أنهم الذين حصلوا على الخسران، لا من نسبوه الى ذلك من أهل الايمان.

و (هم) فی قوله «هُمُ الْخاسِرُونَ» فصل، و يسميه الكوفيون عماداً، و إنما دخل الفصل مع أن المضمر لا يوصف، لأنه يحتاج فيه الى التوكيد ليتمكن معناه فی النفس، و ان الذی بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك من معنى الخبر، و إن كان الأصل فی الخبر النكرة.

و هذه الآية جواب لقولهم «لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ» فبين اللَّه فی هذه الآية أن الخاسرين هم الذين كذبوه لا الذين اتبعوه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۹۳] ..... ص : ۴۷۲

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ (۹۳)

آية بلا خلاف.

هـذا إخبار من اللَّه تعالى عما فعل شـعيب (ع) مع قومه لما أبلغهم رسالات ربه تعالى، فلما لم يقبلوها و أقاموا على تكـذيبه و جحـد ما أتى بـه، أنه تـولى عنهم و معنـاه أعرض عنهم إعراض آيس منهم، فنزل بهم العـذاب «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ» لأنـه كـان مقبلًا عليهم بالوعـظ و الـدعاء الى الحق، فلما تمادوا فى غيهم و أخذهم اللَّه ببأسه تولى عنهم، و انما قال لمن هلكك «لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی» لأن معناه إن مـا نزل بكم من البلاء و ان كـان عظيمـاً، فهو حق، لأنـه بجنـايتكم على أنفسـكم، فلا ينبغى أن يحزن عليهم للأمور التى ذكرناها من شأنهم. قال ابن إسحاق عزَّى نفسه عنهم بعد أن كان حزن عليهم.

---

(۱) قيل: إنه لعمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو. و قيل: هو للحارث الجرهمى اللسان (حجن).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۳

و قوله «رِسالاتِ رَبِّی» إنما أتى بلفظ الجمع ليـدل على اختلاف معانى الرسالة إذا جمعت، فهى تجرى مجرى جمع الأجناس، كقولك تمور، و أما ضربات فإنما يدل على عدد المرات.

و قوله «فَكَيْفَ آسى أحزن- فى قول ابن عباس و الحسن و السدى- و الأسى شدة الحزن يقال أسى يأسى أسىً قال الشاعر:

و انحلبت عيناه من فرط الأسى «۱»

و قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسىً و تجمل «۲»

و قوله فكيف «آسى» لفظه لفظ الاستفهام و المراد به النفى، و انما كان كـذلك: لأن جوابه فى هذا الموضع لا يصح إلا بالنفى، كما يدخله معنى الإنكار لهذه العلة. قال العجاج:

أ طرباً و أنت قنسرىٌّ «۳»

أى لا يكون ذلك مع كبر السنِّ، و هذا تسلّ من شـعيب (ع) بما يذكر من حاله معهم فى مناصـحته لهم و تأدية رسالة ربه اليهم، و أنه لا ينبغى أن يأسى عليهم مع تمردهم فى كفرهم و شـدة طغيانهم، و انه لا حيلة فى فلاحهم، قال البلخى: و فى ذلك دلالة على انه لا يجوز للمسلم ان يـدعو للكافر بالخير كما يقول: لعن اللَّه فلانا و أخزاه ثم يقول هداه اللَّه و أرشده و رحمه. و قال ابو عبد اللَّه البجلى: أبو جاد، و هواز، و حطى، و كلمون، و صعفص، و قرشت: أسماء ملوك مدين، و كان ملكهم يوم الظلة فى زمان شعيب (كلمون) فقالت أخت كلمن تبكيه:

---

(۱) مرَّ تخريجه فى ۳/ ۵۷۸.

(۲) ديوانه: ۱۴۴ من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(۳) مر تخريجه فى ۴/ ۳۵۰. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۴

كلمون هَد ركنى هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحلة «۲»

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۹۴] ..... ص : ۴۷۴

وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (۹۴)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه لم يرسل رسولا الى اهل قرية الا و أخذ أهلها بالبأساء و الضراء تغليظا فى المحنة و تشديدا للتكليف ليلين قلوبهم، و لكى يتضرعوا الى ربهم فى كشف ما نزل بهم فى ذلك، و انما يفعل بهم ذلك لعلمه بما لهم فيه من الصلاح لكى يتضرعوا. و القرية أصلها الجمع من قولهم: قريت الماء أقريه قريا إذا جمعته، فالقرية مجتمع الناس فى المنازل المتجاورة مما هو دون المدينة، و كذلك تسمى المدينة أيضا قرية. و النبى هو الذى يؤدى عن اللَّه تعالى بلا واسطة من البشر، و قيل: هو من كان ينبئ بالوحى عن اللَّه تعالى مما أنزله عليه.

و قيل: فى معنى «البأساء و الضراء» ثلاثة أقوال:

أحدها- ان البأساء ما نالهم من الشدة فى أنفسهم، و الضراء ما نالهم فى أموالهم.

و الثانى- ما قال الحسن: ان البأساء الجوع، و الضراء الآلام من الأمراض و الشدائد التى تصيبهم.

الثالث- قال السدى: ان البأساء الجوع و الضراء الفقر.

و قيل فى معنى «لعلهم» قولان:

أحدهما- انما عاملناهم معاملة الشاك فى إيراد أسباب التضرع مظاهرة

---

(۲) تفسير الطبرى ۱۲/ ۵۶۸

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۵

عليهم فى الحجة.

الثانى- ان يكون (لعل) بمعنى اللام و تقديره ليضرعوا. و اصل «يضرَّعون» يتضرعون فأدغمت التاء فى الضاد و لا يدغم الضاد فى التاء، لان فى التاء استطالة، و انما يدغم الناقص فى الزائد، و لا يدغم الزائد فى الناقص لما فى ذلك من الإخلال.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۹۵] ..... ص : ۴۷۵

ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَ قالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۹۵)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه بدل مكان السيئة الحسنة «و قالوا قد مسَّ آباءنا الضراء و السراء» و معناه انه تعالى بعد ان يفعل بهم البأساء و الضراء ليتضرعوا يبدل مكان السيئة الحسنة. و التبديل وضع أحد الشيئين مكان الآخر، فلما رفعت السيئة عنهم و وضعت الحسنة كانت مبدلة بها.

و قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: المراد بالسيئة و الحسنة- هاهنا- الشدة و الرخاء و هو ما يسؤ صاحبه او يحسن اثره عليه. و قال ابو على:

جرى فى هذا الموضع على سبيل المثل.

و قوله «حَتَّى عَفَوْا» قال ابن عباس و مجاهد و السدى و ابن زيد:

معناه حتى كثروا. و قال الحسن حتى سمنوا، و أصله الترك من قوله «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» «۱» أى ترك له، و عفوا تركوا حتى كثروا، قال الشاعر:

و لكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم «۲»

و قوله «وَ قالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ» معناه ان الكفار قال

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۱۷۸

(۲) مر تخريجه فى ۲/ ۲۱۴

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۶

بعضهم لبعض: ان هكذا عادة الدهر، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم فلم ينفكوا عن تلك الحال فينتقلوا.

و قوله «فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» اخبار من اللَّه تعالى انه أخذ من ذكره ممن لم يقبل مواعظ اللَّه و خرج عن طاعته الى عداوته «بغتة» يعنى فجاءة و هى الأخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة تقول: بغتة يبغته بغتة كما قال الشاعر:

و أفظع شيء حين يفجؤك البغت «۳»

و معنى الآية انه تعالى يدبر خلقه الذين يعملون بمعاصيه أن يأخذهم تارة بالشدة و اخرى بالرخاء، فإذا فسدوا على الامرين جميعا أخذهم بغتة ليكون ذلك أعظم فى الحسرة، و ابلغ فى باب العقوبة. و معنى قوله «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» أى لم يشعروا بنزول العذاب الا بعد حلوله.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۹۶] ..... ص : ۴۷۶

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۹۶)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر «لفتحنا» بتشديد التاء. الباقون بتخفيفها.

من شدد ذهب الى التكثير، و من خفف، فلانه يحتمل القلة و الكثرة.

و معنى (لو) امتناع الشيء لامتناع غيره، و (لو لا) معناه امتناع الشيء لوجود غيره. و قال الرمانى: معنى (لو) تعليل الثانى بالأول الذى يجب بوجوبه، و ينتفى بانتفائه على طريقة ان كان، و (ان) فيها هذا المعنى على طريقة يكون. و الفرق بين (لو) و (ان) أن (ان) تعلق الثانى بالأول الذى يمكن أن يكون و يمكن أن لا يكون كقولك ان آمن هذا الكافر استحق الثواب،

(۳) مر تخريجه فى ۴/ ۱۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۷

و هذا مقدور و ليس كذلك (لو) لأنها قد تدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك: لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع. و فتحت (أن) بعد (لو) لأنها مبنية على شبه التعليل اللفظى لاختصاصه بالفعل الماضى، فكأنه قيل لو كان أن اهل القرى آمنوا، و صارت (لو) خلفا منه. و اما (لو لا انه خارج لاتيته) فتشبه (لو) من جهة تعليق الثانى بالأول فأجريت مجراها.

يقول اللَّه تعالى «لو ان اهل» هذه «القرى» التى أهلكناها: من قوم لوط و صالح، و شعيب و غيرهم أقروا بوحدانيتى و صدقوا رسلى «لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ» و هى الخيرات النامية، و أصله الثبوت فنموُّ الخير يكون كناية عن ثبوته بدوامه، فبركات السماء بالقطر، و بركات الأرض بالنبات و الثمار، كما وعد نوح بذلك أمته، فقال «يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ... «۱»» الآيات. و قيل بركات السماء اجابة الدعاء، و بركات الأرض تيسير الحوائج «وَ لكِنْ كَذَّبُوا» يعنى كذبوا برسلى فأخذناهم بما كانوا يكسبون من المعاصى و مخالفتى.

و الكسب العمل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس، و قد يكسب الطاعة و يكسب المعصية إذا اجتلب النفع من وجه

يقبح.

قال البلخي: و في الآية دلالة على أن المقتول ظلما لو لم يقتل لم تجب إماتته، لأنه تعالى قال «لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» و هذا انما يقوله لقوم أهلكهم و دمر عليهم، و قد كان عالما بما ينزل بهم من الهلاك، فأخبر أنهم لو آمنوا لم يفعل بهم ذلك، و لعاشوا حتى ينزل عليهم بركات من السماء فيتمتعوا بذلك.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): الآيات ٩٧ الى ٩٨] ..... ص : ۴۷۷

أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ نائِمُونَ (٩٧) أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَ هُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨)

---

(١) سورة ١١ هود آية ٥٢ و سورة ٧١ نوح آية ١١ و في سورة ۶ الانعام آية ۶ «وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً ....».

التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۸

آيتان.

قرأ أهل المدينة و ابن عامر (او) بسكون الواو الا ان ورشا على أصله في إلقاء حركة الهمزة على الساكن فتصير قراءته مثل قراءة الباقين.

الالف في قوله «أَ فَأَمِنَ أَهْلُ» ألف الإنكار، أنكر عليهم ان يأمنوا، و انما دخل حرف الاستفهام معنى الإنكار لظهور المعنى فيه، و ان الجواب عنه لا يكون الا بالنفي. و الفاء في قوله «أ فأمن» فاء العطف دخل عليها حرف الاستفهام، و انما جاز ذلك مع منافات العطف للاستئناف، لأنهما انما يتنافيان في المفرد، لان الثاني إذا عمل فيه الاول كان من الكلام الاول، و الاستئناف قد أخرجه عن ان يكون منه. و اما في عطف جملة على جملة فيصح، لأنه على استئناف جملة بعد جملة.

و (الامن) سكون النفس الى الحال المنافية لانزعاجها. و الامن و الثقة و الطمئنية نظائر في اللغة، و ضدُّ الامن الخوف، و ضد الثقة الريبة، و ضد الطمأنينة الانزعاج. و الامن الثقة بالسلامة من الخوف. و البأس العذاب، و البؤس الفقر و الأصل الشدة، و رجل بئس شديد في القتال، و منه قولهم:

بئس الرجل زيد، معناه شديد الفساد. و النوم نقيض اليقظة. و النوم سهو يغمر القلب و يغشى العين و يضعف الحس و ينافي العلم. نام الرجل ينام نوما و هو حسن النيمة إذا كان حسن هيئة النوم، و رجل نومة- بسكون الواو- إذا كان خسيسا لا يؤبه به- ذكره الزجاج- و رجل نومة- بفتح الواو- كثير النوم، و النيم: فرو النوم، لأنه يغشى كما يغشى النوم أو لأنه من شأنه أن ينام فيه.

و معنى الآية الابانة عما يجب ان يكون عليه العبد من الحذر لبأس اللّه و سطوته، بالمسارعة الى طاعته و اتباع مرضاته. و المعنى بقوله «اهل القرى» التبيان في تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۷۹

هم اهل القرى الظالم أهلها، و المقيمون على معاصي اللّه في كل وقت و كل أوان، و ان نزلت بسبب اهل القرى الظالم أهلها المشركين في زمن النبي (ص).

و قوله «أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى انما قال- هاهنا- بالواو، و في الآية الاولى بالفاء، لان الفاء تدل على ان الثاني ادى اليه الاول، كأنه قيل: أ فأمنوا أن يأتيهم بأس اللّه من أجل ما هم عليه من تضييع امر اللّه، لأنه يشبه الجواب، و ليس كذلك الواو بل هي لمجرد العطف، و انما دخلت ألف الاستفهام عليها للإنكار على ما بيناه، و الواو مفتوحة في «أو أمن» لأنها واو العطف دخل عليها حرف الاستفهام، و انما فتحت لأنها أخف الحركات، و لمثل ذلك فتحت ألف الاستفهام و كسرت باء الاضافة و لا مها، لأنهما حرفان لازمان لعمل الجّر.

و من قرأ هذه القراءة قال لأنها أشبه بما قبلها و ما بعدها، لأنه قال قبلها «أ فأمن» و قال بعدها «أو لم يهد» و من سكن الواو أراد الاضراب عن الاول من غير ان يبطل الاول، لكن كقوله «الم. تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ» «١» فجاء

هذا على معنى أمنوا هذه الضروب من معاقبتهم و الأخذ لهم. و ان شئت جعلته مثل (أو) التى فى قولك ضربت زيدا او عمرا، كأنك أردت أ فأمنوا احدى هذه العقوبات، و (أو) حرف يستعمل على ضربين:

أحدهما- بمعنى احد الشيئين، كقولك: جاءنى زيد أو عمرو، كما تقول: جاءنى أحدهما، و من ذلك قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، لأنه مخير فى مجالسة أيهما شاء.

و الثانى- ان يكون بمعنى الاضراب بعد الخبر كقولك: انا أخرج ثم تقول: أو أقيم، فتضرب عن الخروج و تثبت الاقامة، كأنك قلت: لا- بل أقيم. و من ثم قال سيبويه فى قوله «وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً» «۲» لو قلت و لا- تطع كفورا انقلب المعنى، و انما كان ينقلب المعنى لأنه لو كان

---

(۱) سورة ۳۲ الم السجدة آية ۱- ۳

(۲) سورة ۷۶ الدهر آية ۲۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۰

للاضراب لجاز ان يطيع الآثم، و ذلك خلاف المراد، لان الغرض لا تطع هذا الضرب، و لا تطع هؤلاء.

و (الضحى) صدر النهار فى وقت انبساط الشمس و أصله الظهور من قولهم: ضحا الشمس يضحو ضحوا إذا ظهر، و فعل ذلك الامر ضاحية إذا فعله ظاهراً و الا ضحية من هذا، لأنها تذبح عند الضحى يوم العيد، قال رؤبة:

هابى العشى ديسق ضحاؤه «۱»

و قال آخر:

عليه من نسج الضحى شفوف «۲»

فشبه السراب بالسور البيض. (و اللعب) هو العمل للذة لا يراعى فيه الحكمة كعمل الصبى، لأنه لا يعرف الحكيم و لا الحكمة، و انما يعمل للذة، و أصله الذهاب على غير استقامة، كلعاب الصبى إذا سال على فيه، و انما خصَّ وقت الضحى بهذا الذكر، لأنهم بمنزلة لا يجوز لهم ان يأمنوا ليلا و لا نهارا- فى قول الحسن- و لأنه ابتداء الدخول فى الاستمتاع. و معنى الآية البيان عن وجوب الأخذ بالجرم فى كل ما لا يؤمن معه هلاك النفس، لانكار اللَّه عليهم ان يكونوا على حال الامن و قد ضيعوا الواجب من الامر.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۹۹] ..... ص : ۴۸۰

أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ (۹۹)

آية بلا خلاف.

انما دخلت الفاء فى «أ فأمنوا» بعد الواو فى «أ و أمن» لان فيها معنى (بعد) كأنه قيل ابعد هذا كله أمنوا مكر اللَّه. ثم صار الفاء فى «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ» كأنها جواب لمن قال قد أمنوا، و المكر أخذ العبد بالضِّر من حيث

(۱، ۲) اللسان (ضحا).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۱

لا يشعر الا أنه قد كثر استعماله فى الحيلة عليه، قال الخليل: المكر الاحتيال بإظهار خلاف الإضمار، و انما جاز اضافة المكر الى اللَّه لما فى ذلك من المبالغة من جهة انه قد صار العذاب كالمكر على الحقيقة، لأنه أخذ للعبد بالضِّر من حيث لا يشعر، و اصل المكر الالتفاف، فمنه ساق ممكورة أى ملتفة حسنة قال ذو الرمة:

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح و ثم الجسم و العصب «۱»

و المكور شجر ملتف قال الراجز:

يستن فى علقى و فى مكور «۲»

و رجل ممكور قصير ملتف الخلقة ذكره الخليل فى هذا الباب تقول:

مكر يمكر مكرا إذا التف تدبيره على مكروه لصاحبه.

و قوله «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ» انما ارتفع ما بعد (الا) لان الرافع مفرغ له فارتفع لأنه فاعل، و كلما فرغ الفعل لما بعد (الا) فهى فيه ملغاة، و كل ما شغل بغيره فهى فيه مسلطة، لان الاسم لا يتصل على ذلك الوجه الا بها. و انما قال «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ» مع ان الأنبياء المعصومين يأمنون ذلك لامرين:

أحدهما- انهم لا يأمنون عقاب اللّه للعاصين، و لذلك سلموا من مواقعة الذنوب الثانى- «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ» من المذنبين «إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ».

و معنى الآية الابانة عما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب اللّه، ليسارع الى طاعته و اجتناب معاصيه، و لا يستشعر الامن من ذلك، فيكون قد خسر فى دنياه و آخرته بالتهالك فى القبائح.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ١٠٠] ..... ص : ۴۸۱

أ وَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (١٠٠)

---

(١) مقاييس اللغة ۴/ ٢٣٣ و سيأتى فى ۵/ ١٢٨ من هذا الكتاب.

(٢) قائله العجاج. اللسان (مكر)، (علق).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۲

آية.

قيل فى فاعل «يهد» من جهة الاعراب قولان:

أحدهما- انه مضمر كأنه قيل: أو لم يهد اللّه لهم، و قوّى ذلك بقراءة من قرأ بالنون على ما ذكره الزجاج.

الثانى- أ و لم يهد لهم مشيؤنا، لان «أن لو نشاء» فى موضعه و التقدير أو لم يكن هاديا لهم استئصالنا لمن اهلكناه.

و قيل فى معنى الهداية- هاهنا- قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و مجاهد و السدى و ابن زيد: يهدى لهم يبين لهم.

الثانى- أن الهداية الدلالة المؤدية الى البغية، و المعنى أ وَ لم نبين للذين متعناهم فى الأرض بعد إهلاكنا من كان قبلهم فيها. و جعلنا آباءهم المالكين لها بعدهم، انا لو شئنا أصبناهم بعقاب ذنوبهم و أهلكناهم بالعذاب كما أهلكنا الأمم الماضية قبلهم.

و قوله «لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها» فالارث ترك الماضى للباقى ما يصير له بعده، و حقيقة ذلك فى الأعيان التى يصح فيها الانتقال، و قد استعمل على وجه المجاز فى الاعراض، فقيل: العلماء ورثة الأنبياء لأنهم تعلموا منهم، و قاموا بما أدوه اليهم.

و قوله «أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ» الاصابة إيقاع الشىء بالغرض المنصوب، و ضده الخطأ و هو إيقاع الشىء بخلاف الغرض المطلوب.

و قوله «وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ» قيل فى معنى الطبع- هاهنا- قولان:

أحدهما- الحكم بأن المذموم كالممنوع من الايمان لا يفلح، و هو أبلغ الذم.

الثانی- انه علامة و سمة فی القلب من نكتة سوداء ان صاحبه لا يفلح التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۳
تعرفه الملائكة.

و حكی عن البكرية فی تأويل هذه الآية ان معنی الآية لو نشاء طبعنا علی قلوبهم، و أنكر ابو علی ذلك، و قال: هذا غلط لان معنی قوله: انی لو شئت اصبتهم بعقاب ذنوبهم و أهلكتهم كما أهلكت الأمم قبلهم بعقوبة ذنوبهم، فلا يجوز أن يعنی انی لو شئت أهلكتهم فلا يتهيأ لهم ان يسمعوا بعد إهلاكهم، لان من المعلوم للعقلاء أجمع ان الموتی لا يسمعون، و لا يقبلون الايمان.

و قوله «وَ نَطْبَعُ عَلی قُلُوبِهِمْ» انما هو استئناف و خبر منه أنه يفعل ذلك، و لم يرد أنی لو شئت لطبعت لأنه بين فی هذه الآية و غيرها انه مطبع علی قلوب الكافرين، كقوله «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها» يعنی علی القلوب «بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» «۱» أی الا قليلا منهم، لان اهل الطبع قد يؤمن بعضهم، و هو خلاف قول الحسن، فان تأويله عنده الا ايمانا قليلا. و قال الزجاج: هو علی الاستئناف، لأنه لو كان محمولا علی أصبنا لكان وجه الكلام و لطبعنا، و هو قول الفراء.

و قوله «فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ» أی لا يقبلون الايمان مع هدايتنا لهم و تخويفنا إياهم. و فائدة الآية الإنكار علی الجهال تركهم الاعتبار بمن مضی من الأمم قبلهم، و انه قد طبع علی قلوب من لا يفلح منهم عيبا و ذما لهم.

و قال البلخی: شبه اللَّه تعالی الكفر بالصدی الذی يركب المرآة و السيف لأنه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان و نور الإسلام، كما يذهب الصدی بنور السيف، و صفاء المرآة، و لما صاروا عند امر اللَّه لهم بالايمان الی الكفر جاز ان يضيف الطبع الی نفسه، كما قال «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَی رِجْسِهِمْ» «۲» و ان كانت السورة لم تزدهم ذلك.

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۱۵۴

(۲) سورة ۹ التوبة آية ۱۲۶

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۴

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۰۱] ..... ص : ۴۸۴

تِلْكَ الْقُری نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلی قُلُوبِ الْكافِرِينَ (۱۰۱)

آية بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالی عن اهل القری التی ذكرها و قص خبرها و أشار ب «تلك» اليها، لأنه خاطب النبی (ص). و قوله «نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها» يعنی قصص انباء القری ما فيه من الاعتبار بما كانوا عليه من الاغترار بطول الامهال مع إسباغ النعم و تظاهر المنن حتی توهموا أنهم علی صواب فيما دعاهم اليه الشيطان من قبح الطغيان.

و القصص اتباع الحديث، و يقال فلان يقص الأثر أی يتبعه و منه «قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ» «۱» أی اتبعی اثره، و منه المقص لأنه يتبع فی القطع أثر القطع. و (النبأ) هو الخبر الا ان النبأ خبر عن امر عظيم الشأن و أخذ منه اسم نبی، و يقال: أنبأ بكذا بمعنی اخبر به.

و قوله «وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» يعنی أتتهم رسلهم بالآيات و الدلالات، و انما أضاف الرسل اليهم مع أنهم رسل اللَّه، لان الاختصاص فيها علی طريقة الملك إذ المرسل مالك لرسالته، و قد ملك العباد الانتفاع بها و الاهتداء بما فيها من البيان و البرهان.

و قوله «فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ» قيل فی معناه قولان:

أحدهما- انه بمنزلة قوله «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» فی قول مجاهد أی انا لم نهلكهم الا و فی معلومنا أنهم لا يؤمنون.

الثانی- ان عتوهم فی كفرهم و تمردهم فيه يحملهم علی ان لا يتركوه

(۱) سورة ۲۸ القصص آية ۱۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۵

الى الايمان- فى قول الحسن و الجبائى- فالآية على هذا مخصوصة بمن علم من حاله انه لا يؤمن. و قال الأخفش «بما كذبوا» معناه بتكذيبهم فجعل (ما) مصدرية. و المعنى لم يكونوا ليؤمنوا بالتكذيب.

و قوله «كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ» وجه التشبيه فيه أن دلالته على انهم لا يؤمنون ذما بأنهم لا يفلحون كالطبع على قلوب الكافرين الذين فى مثل صفتهم فى المعلوم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۰۲] ..... ص : ۴۸۵

وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ (۱۰۲)

آية بلا خلاف.

معنى قوله «وَ ما وَجَدْنا» أى ما أدركنا، لان الوجدان و الالفاء و الإدراك و المصادفة نظائر. و قوله «لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ» فالعهد العقد الذى تقدم لتوطين النفس على أداء الحق، و إذا أخذ على الإنسان العهد فنقضه، قيل ليس عليه عهد أى كأنه لم يعهد اليه، فلما كان اللَّه تعالى أخذ عليهم العهد بما جعله فى عقولهم من وجوب شكر المنعم و القيام بحق المنعم، و طاعة المالك المحسن فى اجتناب القبائح الى المحاسن فألقوا ذلك لم يكن لهم عهد و كأنه قال و ما وجدنا لأكثرهم من طاعة لانبيائهم- و قيل العهد ما عهد اليهم مع الأنبياء ان يعبدوه و لا يشركوا به شيئا، و هو قول الحسن و أبى على. و المعنى فى النفى يؤل الى انه لم يكن لأكثرهم عهد فيوجد.

و قوله «من عهد» قيل فى دخول (من) هاهنا قولان:

أحدهما- انها للتبعيض لأنه إذا لم يوجد بعض العهد فلم يوجد الجميع لأنه لو وجد جميعه لكان قد وجد بعضه.

الثانى- انها دخلت على ابتداء الجنس الى النهاية. و قوله «وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ» معنى (ان) هى المخففة جاز الغاؤها من العمل و ان التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۶

يليها الفعل، لأنها حينئذ قد صارت حرفا من حروف الابتداء. و اللام فى قوله «لفاسقين» لام الابتداء التى تكسر لها (ان) و انما جاز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها، لأنها مزحلقة عن موضعها إذ لها صدر الكلام و لكن كره الجمع بينها و بين (ان) فأخرت.

و قال قوم: المعنى و ما وجدنا أكثرهم الا فسقة. فان قيل: كيف قال «أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ» و هم كلهم فاسقون؟

قيل يجوز ان يكون الرجل عدلا فى دينه غير متهتك و لا مرتكب لما يعتقد قبحه و تحريمه، فيكون تأويل الآية و ما وجدنا أكثرهم- مع كفره- الا فاسقا فى دينه غير لازم لشريعته خائنا للعهد قليل الوفاء، و ان كان ذلك واجب عليه فى دينه.

و فيها دلالة على انه يكون فى الكفار من يفى بعهده و وعده و بعيد عن الخلف و ان كان كافرا. و كذلك قد يكون منهم المتدين الذى لا يرى ان يأتى ما هو فسق فى دينه كالغصب و الظلم، فأخبر تعالى انهم مع كفرهم كانوا لا وفاء لهم و لا يدينون بمذهبهم بل كانوا يفعلون ما هو فسق عندهم، و ذلك يدل على صحة قول من يقول تجوز شهادة أهل الذمة فى بعض المواضع.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۰۳] ..... ص : ۴۸۶

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (۱۰۳)

آية أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية انه بعد إرسال من ذكر قصته من الأنبياء، و كفر قومهم، و انزال عذابه بهم. فالهاء و الميم يجوز ان يكون كناية عن الأنبياء الذين جرى ذكرهم، و يحتمل ان يكون كناية عن الأمم التى- قد تقدم ذكرهم و إهلاكهم- بعث اليهم موسى

و أرسله اليهم. و البعث الإرسال و هو فى الأصل النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشىء، فمنه قوله «أَنْظِرْنِي التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۷
إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»
«۱» أى من القبور، و منه قوله «ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ» «۲» أى نقلناكم الى حال الحياة، و كذلك نقلنا موسى عن حاله بالإرسال الى فرعون و ملائه «بآياتنا» يعنى بحججنا و براهيننا. و قوله «فَظَلَمُوا بِها» معناه ظلموا أنفسهم بجحدها، لان الظلم بالشىء على وجوه: منها السبب و الآلة و الجهة، نحو ظلم بالسيف الذى قتل به الناس، و ظلم بذنبه له، و ظلم بغصبه المال، و ظلم بجحده الحق. و قيل «ظلموا بها» أى جعلوا بدل الايمان الكفر بها، لان الظلم وضع الشىء فى غير موضعه الذى هو حقه.
و قوله «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» معنى النظر هو محاولة التصور للشىء بالفكر فيه، و هو طلب ادراك المعنى بالتأويل له. و قيل: هو تحديق القلب الى المعنى لإدراكه، و كأنه قيل فانظر- يعنى بالقلب- كيف كان عاقبتهم، و موضع (كيف) نصب لأنه خبر (كان) و تقديره انظر أى شىء كان عاقبة المفسدين.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۰۴] ..... ص : ۴۸۷

وَ قالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۰۴)
آية بلا خلاف.
فى هذه الآية حكاية لما قال موسى (ع) لفرعون و نداؤه له: انى رسول من قبل رب العالمين مبعوث اليك و الى قومك و (من) فى قوله «مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ» لابتداء الغاية، لان المرسل المبتدئ بالرسالة و انتهاؤها المرسل اليه.
و (موسى) على وزن (مفعل) و الميم فى موسى زائدة لكثرة زيادتها أولا

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۳ و سورة ۱۵ الحجر آية ۳۶ و سورة ۳۸ ص آية ۷۹ [.....]
(۲) سورة ۲ البقرة آية ۵۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۸۸
كالهمزة التى صارت أغلب من زيادة الالف أخيرا. و (أفعى) على وزن (أفعل) لهذه العلة. و (موسى) اسم لا ينصرف، لأنه أعجمى و معرفة، و موسى الحديد عربى أن سميت به رجلا لم تصرفه، لأنه مؤنث و معرفة على أكثر من ثلاثة أحرف، كما لو سميته ب (عناق) لم تصرفه. و لو سميته (فقد) صرفته. و (فرعون) على وزن «فعلون» و مثله برذون، فالواو زائدة، لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة، و النون زائدة للزومها.
و (فرعون) لا ينصرف لأنه أعجمى معرفة، و عرب فى حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم، و لو عرب فى حال تنكيره لا ينصرف كما ينصرف (بأقرب) اسم رجل.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۰۵] ..... ص : ۴۸۸

حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۰۵)
آية بلا خلاف.
قرأ نافع وحده «حقيق علىّ». بتشديد الياء. الباقون بتخفيف الياء.
فمن قرأ بالتشديد قال تقديره: واجب علىّ ان لا- أقول. و من خفف فعلى تقدير: حريص على أن لا- أقول، قال ابو على قوله «حقيق»

يحتمل وجهين:

أحدهما- ان (حق) الذى هو (فعل) قد تعدى ب «على» قال اللَّه «فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا» «۱» و قال «فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ» «۲» فحقيق يصل ب (على) من هذا الوجه.

و الثاني- ان حقيقا بمعنى واجب، فكما ان واجب يتعدى ب (على) كذلك تعدى حقيق بها.

و من لم يشدد أجاز تعدِّيه ب (على) من الوجهين اللذين ذكرناهما،

---

(۱) سورة ۳۷ الصافات آية ۳۱

(۲) سورة ۱۷ الإسراء آية ۱۶.

و قد قالوا: هو حقيق بكذا، فيجوز على هذا أن تكون (على) بمعنى الباء فتوضع (على) موضع الباء، قال ابو الحسن: كما قال «وَ لا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ» «۳» و المعنى (على) قال أبو على: و الاول أحسنها، لان أبا الحسن قال: لان (على) بمعنى الباء ليس بمقيس ألا ترى انك لو قلت ذهبت على زيد تريد بزيد لم يجز، و قال: و جاز فى الآية لان القراءة وردت به، و تقدير «حقيق على ان لاـ أقول» حقيق بأن لاـ أقول قال الفراء: العرب تقول: رميت على القوس و بالقوس و جئت على حال حسنة و بحال حسنة، و معناهما متقارب، لأنه مستقل على القول بالنظر حتى يؤديه على الحق فيه.

و الحق أيضا منعقد بالقول فيه لا ينفك.

و قوله «الا الحق» نصب بأنه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ.

و قوله «قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» خطاب من موسى لقومه أنه قد جاء قومه بدلائل من ربه عز و جل. و قوله «فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ» خطاب من موسى لفرعون، و أمره إياه أن يخلى عن بنى إسرائيل من اعتقاله، لأنه كان قد اعتقلهم للاستخدام فى الاعمال الشاقة من نحو ضرب اللبن و نقل التراب و ما أشبه ذلك.

و معنى الآية البيان عن وجوب اتباع موسى (ع) لمكان الادلة التى تشهد بصدقه، و بأنه لا يقول على اللَّه الا الحق و لا يدعو الا الى الرشد.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۰۶] ..... ص : ۴۸۹

قالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۱۰۶)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية عما قال فرعون لموسى (ع) من انه ان كان معك حجة

---

(۳) سورة ۷ الاعراف آية ۸۵

و دلالة تشهد لك على ما تقول «فات بها» أى هات بها «ان كنت» صادقا «من الصادقين» على طريق اليأس منه بذلك و جهله بصحته و إمكانه.

و اختلف النحويون- هاهنا- فى نقل (ان) الماضى الى الاستقبال، فقال ابو عباس لم تنقله هنا من أجل قوة (كان) لأنها أم الافعال، و لم يجزه من غيرها، و قال ابن السراج: المعنى ان تكن جئت بآية أى ان يصح ذلك، لأنه إذا أمكن ان يجرى الحرف على أصله لم يجز

إخراجه، و انما جاز نقل (ان) الماضـى الى المستقبل للبيان عن قوتها فى النقل إذ كانت تنقل الفعل نقلين الى الشرط و الاستقبال، كما أن (لم) تنقله الى النفى و الماضى.

و ضـمير المخاطب فى «كنت» يرجع الى المكنى، و لا يجوز مثل ذلك فى (الذى) لان (الذى) غائب فحقه أن يعود اليه ضمير الغائب، و قد أجازوه- إذا تقدمت كناية المتكلم- كما فى قول الشاعر:

و انا الذى قتلت بكرا بالقنا و تركت تغلب غير ذات سنام «۱»

فعلى هـذا لا يجوز أتيت الذى ضـربك عمرو، و الوجه ضـربه. و انما جاز وقوع الامر فى جواب الشـرط، لان فيه معنى: ان كنت جئت بآية فانى ألزمك أن تأتى بها، فقد عاد الى انه يجب الثانى بوجوب الاول. و لا يجوز مثل ذلك فى الاستفهام، لأنه لم يقع معرفة غيره، و لو اتسع فيه جاز، مثل أن تقول: ان كان عندك دليل فما هو؟، و لا يجوز: ان قدم زيد، فأ عمرو أقدمه؟ لان الالف لها صدر الكلام.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۰۷ الى ۱۰۸] ..... ص : ۴۹۰

فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (۱۰۷) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (۱۰۸)

آيتان بلا خلاف.

---

(۱) مجمع البيان ۲/ ۴۵۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۱

هذا اخبار من اللَّه تعالى عن إلقاء موسـى عصاه، و العصا عود كالقضـيب يابس و أصله الامتناع بيبسه يقال: عصى يعصى إذا أمتنع قال الشاعر:

تصف السيوف و غيركم يعصى بها يا بن القيون و ذاك فعل الصيقل «۱»

و قيل: عصى بالسيف إذا أخذه أخذه العصا، و يقال لمن استقر بعد تنقل: ألقى عصاه، قال الشاعر:

فألقت عصاها و استقر بها النوى كما فر عينا بالإياب المسافر «۲»

و العصى من بنات الواو، و المعصية من بنات الياء قال الشاعر:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابرى مشبرق»

و تقول عصـى يعصـى فهو عـاص مثل رمى يرمى و اصل ألقى من اللقاء الـذى هو الاتصال، فألقى عصاه أى أزال اتصالها عما كان، و منه التقاء الحـدين يعنى اتصالهما، و الملاقاة كالمماسـة، و زيـدت ألف ألقى لتـدل على هـذا المعنى و انما صارت الياء ألفا فى ألقى، لأنها فى موضع حركة قبلها فتحة، و لذلك رجعت الى أصـلها فى ألقيت. و انما وجب هذا، لأنه بمنزلة التضـعيف فى موضع يقوى فيه التغيير مع نقل الحركة فى حروف العلة.

و قوله «فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ» فالثعبان هو الحية الضـخمة الطويلة. و قال الفراء: الثعبان أعظم الحيات، و هو الذكر، و هو مشتق من ثعبت الماء أثعبه ثعباً إذا فجرته. و المثعب موضع انفجار الماء، فسمى الثعبان، لأنه يجرى كعنق الماء عند الانفجار قال الشاعر:

على نهج كثعبان العرين

و قيل: إن ذلك الثعبان فتح فاه، و جعل فهى فرعون بين نابيه فارتاع

---

(۱) قائله جرير، ديوانه: ۱۷۵ و اللسان و التاج (عصا).

(۲) اللسان و التاج (عصا) و قال ابن برى: هذا البيت لابن عبد ربه السلمى.

(۳) قائله ذو الرمة ديوانه ۷۶، و اللسان (عصا) و مجمع البيان ۲/ ۴۵۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۲

فرعون و استغاث بموسى أن يأخذه، ففعل- فى قول ابن عباس و السدى و سفيان- و معنى «مبين» أى بيِّن أنه حية لا لبس فيه.

و قوله «وَ نَزَعَ يَدَهُ» فالنزع هو ازالة الشيء عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء عن الإنسان، و النزع و القلع و الجذب نظائر، و اليد معروفة و هى الجارحة المخصوصة، و اليد النعمة، لأنها بمنزلة ما اشتدت بالجارحة، و قد يكون اليد بمعنى تحقيق الاضافة فى الفعل، لأنه بمنزلة ما عمل باليد التى هى جارحة.

و قوله «فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ» معنى (إذا)- هنا- المفاجأة.

و هى بخلاف (إذا) التى للجزاء، قال الزجاج هى من ظروف المكان مثل (ثم، و هناك)، و المعنى بيضاء للمناظرين هناك، و البيضاء ضد السوداء و هو أن يكون به المحل أبيض، و كان موسى (ع) أسمر شديد السمرة. و قيل:

أخرج يده من جيبه فإذا هى بيضاء «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» «۱» يعنى برص. ثم أعادها الى كمه فعادت الى لونها الأول- فى قول ابن عباس و مجاهد و السدى- و قال أبو على: كان فيها من النور و الشعاع ما لم يشاهد مثله فى يد أحد و الناظر هو الطالب لرؤية الشيء ببصره لأن النظر هو تطلب الإدراك للمعنى بحاسة من الحواس، أو وجه من الوجوه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۰۹ الى ۱۱۰] ..... ص : ۴۹۲

قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (۱۰۹) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَما ذا تَأْمُرُونَ (۱۱۰)

---

(۱) سورة ۲۰ طه آية ۲۲ و سورة ۲۷ النمل آية ۱۲ و سورة ۲۸ القصص آية ۳۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۳

آيتان.

هذا حكاية ما قال أشراف قوم فرعون، أن موسى ساحر عليهم بالسحر، و إنما قيل للأشراف الملأ لأمرين: أحدهما- قال الزجاج: لأنهم مليئون بما يحتاج اليه منهم. الثانى- لأنه يملأ الصدر هيبتهم، فالملأ جعل الوعاء على كل ما يتحمل مما يلقى فيه كامتلاء المكيال و نحوه. و يقال: الخلاء و الملأ على وجه التقابل، و قوم فرعون هم الجماعة الذين كانوا يقومون بأمره و معاونته و نصرته، و لهذا لا يضاف القوم الى اللَّه، فلا يقال: يا قوم اللَّه كما يقال يا عباد اللَّه، و السحر لطف الحيلة فى إظهار أعجوبة توهم المعجزة و قال الأزهرى السحر صرف الشيء عن حقيقته الى غيره، و الساحر إنما يكفر بادعاء المعجزة، لأنه لا يمكن مع ذلك علم النبوة.

و أصل السحر خفاء الأمر، و منه خيط السحارة، لخفاء الأمر فيها، و منه قوله تعالى «إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» «۱» أى الذين يعدون لخفاء الأمرين فى العدو، و السحر العدو، و السَّحَر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته، و السحور طعام السحر، و السحر الرئة و ما تعلق بها لخفاء أمرها فى انتفاخها تارة و ضمورها أخرى، قال ذو الرمة:

و ساحرة الشراب من الموامى يرقص فى نواشرها الأروم «۲»

و يقال: سحر الأرض المطر إذا جادها فقطع نباتها من أصوله بقلب الأرض ظهراً لبطن، سحرها سحراً و الأرض مسحورة، فشبه سحر الساحر بذلك بتخييله الى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به.

---

(۱) سورة ۲۶ الشعراء آية ۱۵۳، ۱۸۵.

(۲) ديوانه: ۵۹۱ و اللسان (أرم) و تفسير الطبرى ۱۳/ ۱۹ و روايته:

و ساحرة السراب من الموامى ترقص فى عساقفها الأروم

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۴

و معنى قوله تعالى «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ» بإزالة ملككم بتقوية أعدائكم عليكم. و قوله «مِنْ أَرْضِكُمْ» فالأرض المستقر الذى يمكن الحيوان التصرف فيه عليه. و جملة الأرض التى جعلها اللّه قراراً للعباد فإذا أضيفت، فقيل أرض بنى فلان، فمعناه مستقرهم خاصة.

و قوله «فَما ذا تَأْمُرُونَ» موضع (ما) يحتمل أن يكون رفعاً، و يكون المعنى فما الذى تأمرون، و يجوز أن يكون نصباً بمعنى فبأى شىء تأمرون، و يجعل (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد، و فى الجواب يتبيَّن الاعراب، و يحتمل أن يكون قوله «فَما ذا تَأْمُرُونَ» من كلام الملأ بتقدير أن يكون قال بعضهم لبعض: ما ذا تأمرون، و يحتمل أن يكونوا قالوا ذلك لفرعون على خطاب الملوك، و يحتمل أن يكون من كلام فرعون و التقدير قال فرعون:

فما ذا تأمرون خطاباً لقومه، فعلى هذا تقول قلت لجاريتك قومى أنا قائمة، و تقديره قالت: أنا قائمة، و هو قول الفراء و أبى على الجبائى، و أنشد الفراء قول عنترة، و زعم أن فيه معنى الحكاية:

الشاتمى عرضى و لم أشتمهما و الناذرين إذا لقيتهما دمى «۱»

لأن المعنى قالا إذا لقينا عنترة لنقتلنه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۱۱ الى ۱۱۲] ..... ص : ۴۹۴

قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ أَرْسِلْ فِى الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۱۱۱) يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ (۱۱۲)

آيتان بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «سحّار» بتشديد الحاء و ألف بعدها.

الباقون (ساحر) بألف قبل الحاء على وزن (فاعل) و قرأ عاصم إلا يحيى و حمزة «أرجهْ» بسكون الهاء من غير همزة. و قرأ أهل البصرة و الداجونى

---

(۱) ديوانه: ۳۱ و معانى القرآن للفراء ۱/ ۳۸۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۵

عن هشام و يحيى بالهمزة، و ضم الهاء من غير إشباع. و قرأ ابن كثير و الحلوانى عن هشام كذلك إلا أنهما وصلا الهاء بواو فى اللفظ، و روى ابن ذكوان بالهمزة و كسر الهاء من غير إشباع. و قرأ أبو جعفر من طريق بن العلاف و قالون و المسيبى بكسر الهاء من غير إشباع، و بغير همز. الباقون و هم الكسائى و خلف و إسماعيل و ورش، و أبو جعفر من طريق النهروانى بكسر الهاء و وصلها بياء فى اللفظ من غير همز، و كذلك اختلافهم فى الشعراء.

و الهمزة لغة قيس و غيرهم، و ترك الهمزة لغة تميم و أسد يقولون:

أرجيت الأمر، و قال أبو زيد: أرجيت الأمر إرجاء إذا أخرَّته. و قوله تعالى «أرجيه» أفعله من هذا، و لا بد من ضم الهاء مع الهمزة، لا يجوز غيره، و الا يبلغ الواو أحسن، لأن الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كأنه قد جمع بين ساكنين، ألا ترى أن من قال: ردُّه يا فتى بضم الدال إذا وصل بالهاء فى ضمير المؤنث، قال ردَّها ففتح، كما تقول ردَّ لخفاء الهاء، و كذلك «أرجهه» لا ينبغى أن يبلغ بها الواو فيصير كأنه جمع بين ساكنين، و من ألحق الواو فلان الهاء محركة و لم يلتق ساكنان لان الهاء فاصل، قال (أرجيهوا) كما يقال (أضربهو) فلو كان الياء حرف لين، لكان وصلها بالواو أقبح نحو (عليهو) لاجتماع حروف متقاربة مع أن الهاء ليست بحاجز قوى فى

الفصل، و اجتماع المتقاربة كاجتماع الأمثال.

قال أبو على الفارسى: من وصل الهاء ب (يا)، فلأن هذه الهاء توصل فى الإدراج بواو، أو ياء، نحو (بهى) أو (بهو) و (ضربهو) و لا تقول فى الوصل (به) و لا (به) و لا (ضربه) حتى تشبع فتقول «بهو» ما علم (بهى) الا فى ضرورة الشعر كقوله:

و ما له من مجلد يلبد

و قال: و من كسر الهاء مع الهمز، فقد غلط و انما يجوز إذا كان قبله ياء فقال «أرجيه» بكسر الهاء، و لم يستقم، لأن هذه الياء فى تقدير الهمزة، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۶

فكما لم يدغم الواو إذا خففت الهمزة لأن الواو فى تقدير الهمزة كذلك لا يحسن تحريك الهاء بالضم مع الياء، المنقلبة عن الهمزة، و قياس من قال (رويا) فأدغم أن يحرك الياء أيضاً بالضم، و على هذا المسلك من قال (يتيهم) إذا كسر الهاء مع قلب الهمزة ياء، قال:

و معنى «أرجه» أخره، و قال قتادة:

معناه احبسه، يقال أرجأت الأمر إرجاء و منه قولهم: المرجئة، و هم الذين يجيزون الغفران لمرتكبى الكبائر من غير توبة.

قال الرمانى: لا وجه لقراءة حمزة عند البصريين فى القياس، و لا الاستعمال على لغة من همز، و قال الزجاج إسكان هاء الضمير لا يجوز عند حذاق النحويين، و أجاز الفراء ذلك، قال يقولون: هذه طلحة أقبلت، و أنشد قول الراجز:

أنحى عليَّ الدهر رجلا و يداً يقسم لا يصلح إلا أفسدا

فيصلح اليوم و يفسده غدا «۱»

و زعم ان اسكان هاء التأنيث جائز و أنشد

لما رأى ان لا دعة و لا شبع مال الى ارطاة حقف فاضطجع «۲»

و قال الآخر:

لست لزعبلة إن لم أغيِّر بكلتى إن لم أساو بالطول «۳»

كلتى معناه طريقتى، و (الطول) جمع امرأة طولى، قال الزجاج: هذا

---

(۱) قائله دويد بن زيد بن نهد القضاعى و هو أحد المعمرين أنظر طبقات فحول الشعراء: ۱۸۰ و المعمرين: ۲۰ و معانى القرآن للفراء ۱/ ۳۸۸ و تفسير الطبرى ۱۳/ ۲۱ و أمال الشريف المرتضى ۱/ ۱۳۷.

(۲) اللسان (ضجع) و تفسير الطبرى ۱۳/ ۲۱ و معانى القرآن للفراء ۱/ ۳۸۸ و هو يصف ذئباً قد قطع أمله من أن ينال الظبى، و لم يجد ما يشبعه فلما يئس أضطجع بقرب شجرة. [.....]

(۳) معانى القرآن ۱/ ۳۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۷

الشعر الذى أنشده الفراء لا يعرف، و لا وجه له، و إنما لم يلين أبو عمرو الهمزة الساكنة على أصله فى تخفيف الهمزة لأن سكونه علامة للجزم، فلا يترك همزه، لأن التسكين عارض و كذلك «مؤصدة» لا يترك همزه، لأنه يخرج من لغة الى لغة.

و الأخ هو من النسب بولادة الأدنى من أب أو أم أو منهما و يقال الأخ الشقيق و يسمى الصديق الأخ تشبيهاً بالنسيب فأما الموافق فى الدين فانه أخ بحكم اللَّه فى قوله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» «۴».

و معنى الآية أن قوم فرعون أشاروا عليه بأن يؤخِّر موسى و أخاه الى أن يرسل فى بلاد مملكته حاشرين، و قال ابن عباس: هو الشرط، و قال مجاهد و السدى: يحشرون من يعلمونه من السحرة و العالمين بالسحر ليقابل بينهم و بين موسى جهلًا منهم بأن ذلك ليس بسحر، و مثله فى عظم الاعجاز لا تتم فيه الحيلة، لأن السحر هو كل أمر يوهموه على من يراه، و لا حقيقة له، و إنما يشتبه ذلك على

الجهال و الأغبياء دون العقلاء المحصلين.

و قوله «يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ» (يأتوك) جزم، لأنه جواب الأمر، و المعنى إن ترسل يأتوك، و حجة من قال «ساحر» قوله «ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ» «۱» و الفاعل من السحر ساحر، و يقوّيه قوله «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ» «۲» و السحرة جمع ساحر، و لأنه قال «سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» «۳» و اسم الفاعل ساحر، و من قرأ «سحّار» فلأنه وصف ب (عليم)، و وصفه به يدل على تناهيه فيه و حذقه، فحسن لذلك أن يذكر بالاسم الدال على المبالغة.

و الإتيان هو الانتقال الى مطلوب، و مثله المجيء أتى يأتى إتياناً و أتىَ يؤتى إيتاء إذا أعطى، و إنما دخلت (كل) و هى للعموم على واحد، لأنه فى معنى الجمع، كأنه قال بكل السحرة إذا أفردوا ساحراً ساحراً. و الفرق بينه و بين

---

(۴) سورة ۴۸ الحجرات آية ۱۰.

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۸۱.

(۲) سورة ۲۶ الشعراء آية ۴۶.

(۳) سورة ۷ الاعراف آية ۱۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۸

كل السحرة أنه إذا قيل بكل السحرة، فالمعنى المطلوب للجميع، و إذا قيل:

بكل ساحر، فالمعنى المطلوب لكل واحد منهم، و يبين ذلك قول القائل: لكل ساحر درهم، و لكل السحرة درهم، فان الأول يفيد أن لكل واحد درهماً، و الثانى أن الجميع لهم درهم.

و الباء فى قوله «بكل» قيل فيه قولان:

أحدهما- انه للتعدية كما يعدى بالألف، و منه ذهبت به و أذهبته و أتيت به و أتيته.

الثانى- أنها بمعنى (مع) أى يأتون و معهم كل ساحر عليم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۱۳ الى ۱۱۴] ..... ص : ۴۹۸

وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (۱۱۳) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۱۱۴)

آيتان قرأ أهل الحجاز و حفص «إن لنا لأجراً» بهمزة واحدة على الخبر، و قرأ بهمزتين مخففتين ابن عامر و أهل الكوفة إلا حفصاً و روح، إلا أن الحلوانى عن هشام يفصل بينهما بألف، و أبو عمرو و رويس لا يفصل. قال أبو على: الاستفهام فى هذا الموضع أشبه، لأنهم يستفهمون عن الأجر، و ليس يقطعون أن لهم الأجر، و يقوّى ذلك إجماعهم فى الشعراء، و ربما حذفت همزة الاستفهام، قال الحسن قوله تعالى «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ» «۱» إن من الناس من يذهب الى انه على الاستفهام و قد جاء ذلك فى الشعر:

أفرح أن أرزأ الكرام و أن أورث ذوداً شصائصاً نبلا «۲»

---

(۱) سورة ۲۶ الشعراء آية ۲۲.

(۲) اللسان (نبل) يقول أ أفرح بصغار الإبل التى ورثتها، و قد رزئت بالكرام؟؟

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۴۹۹

و هذا أقبح من قوله:

و أصبحت فیهم آمنا لا کمعشر أتونی فقالوا من ربیعة أم مضر «۳»

لأن (أم) تدل علی الهمزة. و فی الکلام حذف، لأن التقدیر فأرسل فرعون فی المدائن حاشرین یحشرون السحرة، فحشروهم «وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا: إِنَّ لَنا لَأَجْراً» أی ان لنا ثوابا علی غلبتنا موسی عندک «إِنْ کُنَّا نَحْنُ» یا فرعون «الْغالِبِینَ»، و هو قول ابن عباس و السدی.

و تقول: جئته و جئت الیه، فإذا قلت: جئت الیه، ففیه معنی الغایة لدخول (الی) فیه و جئته معناه قصدته بمجیئی، و إذا لم یعده لم یکن فیه دلالة علی القصد کما تقول: جاء المطر.

و قوله «وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا» إنما لم یقل: فقالوا حتی یتصل الثانی بالأول، لأن معناه لما جاءوا قالوا، فلم یصلح دخول الفاء علی هذا الوجه، و انما قالوا: أئنَّ لنا لأجراً، و لم یقولوا: لنا أجر، لأن أحدهما سؤال عن تحقیق الأجر و تأکیده، کما لو قال أبا للَّه لنا أجر، و لیس کذلک الوجه الآخر.

و قوله «إِنْ کُنَّا نَحْنُ» موضع (نحن) یحتمل وجهین:

أحدهما- أن یکون رفعاً و یکون تأکیداً الضمیر المتصل فی کنا.

و الثانی- لا موضع له، لأنه فصل بین الخبر و الاسم.

و الأجر الجزاء بالخیر، و الجزاء قد یکون بالشر بحسب العمل و بحسب ما یقتضیه العدل. و الغلبة إبطال المقاومة بالقوة، و من هذا قیل فی صفة اللَّه (عز و جل) القاهر الغالب، لأنه القادر الذی لا یعجزه شیء.

و قوله «قال نعم» حکایة عن قول فرعون مجیبا لهم عما سألوه من أن لهم أجراً أو لا؟ بأن قال نعم لکم الأجر، و (نعم) حرف جواب مع أنه

---

(۳) قائله عمران بن حطان، یقوله فی قوم نزل بهم متنکراً، و هو یشکر صنیعهم، انظر الکامل ۷/ ۱۸۷ و الخصائص لابن جنی ۲/ ۲۸۱.

یجوز الوقف علیها، لأنها فی الإیجاب نظیرة (لا) فی النفی، و إنما جاز الوقف علیها، لأنها جواب لکلام یستغنی بدلالته عما یتصل بها.

و قوله «قال» أصله (قول) فانقلبت الواو الفاً لتحرکها و انفتاح ما قبلها و إنما قلبوها مع خفة الفتحة لتجری علی (قلت و تقول) فی الاعلال مع أن الالف الساکنة أخف من الواو المتحرکة، و ان کانت بالفتحة. و الواو فی قوله تعالی «و انکم» واو العطف کأنه قال: لکم ذاک، و انکم لمن المقربین، و هو فی مخرج الکلام، کأنه معطوف علی الحرف. و کسرت الف «إنکم» لأنها فی موضع استئناف بالوعد، و لم تکسر لدخول اللام فی الخبر، لأنه لو لم یکن اللام لکانت مکسورة. و مثل هذا قوله تعالی «وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ الطَّعامَ» «۱» و معنی «لَمِنَ الْمُقَرَّبِینَ» انکم من المقربین الی مراتب الجلالة التی یکون فیها الخاصة، و لا یتخطی فیها العامة.

و فی الآیة دلیل لقوم فرعون علی حاجته و ذلته لو استدلوا و أحسنوا النظر لنفوسهم، لأنه لم یحتج الی السحرة الا لذلة و عجز، و کذلک فی طلب السحرة الأجر دلیل علی عجزهم عما کانوا یدعون من القدرة علی قلب الأعیان، لأنهم لو کانوا قادرین علی ذلک لاستغنوا عن طلب الأجر من فرعون، و لقلبوا الصخر ذهباً و لقلبوا فرعون کلباً و استولوا علی ملکه.

قال ابن إسحاق: و کان السحرة خمسة عشر ألفاً. و قال ابن المکندر:

کانوا ثمانین ألفاً، و قال کعب الأحبار: کانوا اثنی عشر الفاً. و قال عکرمة:

کانوا سبعین ألفاً ذکره الطبری.

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۱۵ الی ۱۱۶] ..... ص : ۵۰۰

قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١۶)

---

(١) سورة ٢۵ الفرقان آية ٢٠.

آيتان بلا خلاف.

هذا حكاية قول السحرة أنهم قالوا لموسى اختر أحد شيئين إما أن تلقى أنت عصاك أو نحن نلقى عصيّنا، و انما دخلت (أن) فى قوله «إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ» و لم تدخل فى «إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» «٢» لأن فيه معنى الأمر كأنهم قالوا: اختر إما أن تلقى أى إما القاؤك و إما القاؤنا، و مثله «إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً» «٣» فموضع (ان) نصب، و يجوز أيضا ان يكون التقدير إما إلقاؤك مبدوء به و إما القاؤنا، و يجوز أن تقول: يا زيد اما أن تقوم أو تقعد، و لا يجوز أن تقول يا زيد إن تقوم أو تقعد، لأن (إما) يبتدأ بالمعنى فيها أى بمعنى التخيير، فلذلك تدل على معنى اختر، و ليس كذا (أو) و قد يقع موقع (اما) و ليس بجيد، كما قال الشاعر:

فقلت لهن امشين إما نلاقه كما قال او تشفى النفوس فنعذرا «۴»

و قال ذو الرمة:

فكيف بنفس كلما قلت أشرفت على البرء من حوصاء هيض اندمالها

تهاض بدار قد تقادم عهدها و اما بأموات ألمّ خيالها «۵»

---

(٢) سورة ٩ التوبة آية ١٠٧.

(٣) سورة ١٨ الكهف آية ٨٧.

(۴) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٩٠.

(۵) هذان البيتان للفرزدق. ديوانه ٢/ ۶١٨ و مجاز القرآن ١/ ٣٩٠ و هما مطلع قصيدة له يمدح بها ابن عبد الملك، و يهجو الحجاج بن يوسف.

و قد تكون نسبتهما لذى الرمة- هنا- خطأ من الناسخ.

موضع (اما) موضع (أو). و الإلقاء إرسال المعتمد الى جهة السفل، و مثله الطرح، و ضده الإمساك. و قول القائل: ألق علىّ مسألة الى هذا يرجع، و إنما قال «وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ» و لم يقل و اما أن نلقى، لأنه ليس المعنى على ليكن إلقاء أحدنا فقط، فيجىء على التقابل، و انما هو

على أن يلقى أحدنا فيبطل ما أتى به الآخر.

و قوله «ألقوا» حكاية عن قول موسى (ع) للسحرة (ألقوا) أنتم «فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» قال البلخى: معناه غشوا أعين الناس، و قال: السحر هو الخفة، و الافراط فيها حتى تخيل بها الأشياء عن الحقيقة و الاحتيال بما يخفى على كثير من الناس كتغييرهم الطرجهالة و الحيلة فيها ان يجعل (الطرجهالة) طاقين و يرقق بغاية الترقيق، و يجعل بين الطبقتين زيبق، فإذا وضعت فى الشمس حمى الزيبق فسار بالطرجهالة، لأن من طبع الزيبق إذا حمى ان يتحرك و يفارق مكانه.

و قال قوم: معناه خيلوا الى أعين الناس بما فعلوه من لتخييل و الخدع أنها تسعى، كما قال تعالى «يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى

«۶»» و قال الرمانى: معنى سحر الأعين قلبها عن صحة إدراكها بما يتخيل من الأمور المموهة لها بلطف الحيلة التى تجرى مجرى الخفة و الشعبذة مما لا يرجع الى حقيقة، و المحدث لهذا التخيل هو اللَّه تعالى عند ما أظهروا من تلك المخاريق و إنما نسب اليهم لأنهم لو لم يعرضوا بما يعملونه لم يقع، كما لو جعل أحد طفلًا تحت البرد، فمات، فهو القاتل له فى الحكم، و اللَّه تعالى أماته، و إنما جاز من موسى (ع) أن يأمرهم بإلقاء السحر و هو كفر لأمرين:

أحدهما- إن كنتم محقين فالقوا.

الثانى- القوا على ما يصح و يجوز، لا على ما يفسد و يستحيل.

و قال الجبائى: هذا على وجه الزجر لهم و التهديد، و ليس بأمر.

و قوله «فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» و الفرق بين (لما) و (إذا) هو الفرق بين (لو) و (أن) فى ان أحدهما للماضى و الآخر للمستقبل، و كل هذه الأربعة تعليق أول بثان، الا ان (لو) على طريقة الشک، و (لما) يقين.

و قوله «وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ» معناه طلبوا منهم الرهبة، و هو خلاف الإرهاب،

---

(۶) سورة ۲۰ طه آية ۶۶. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۰۳

لأنه جعل الرهبة للذى يرهب، و العظيم ما يملأ الصدر بهوله، و وصف السحر بأنه عظيم لبعد مرام الحيلة فيه، و شدة التمويه به، فهو لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس، و لأنه على ما ذكرناه من الخلاف فى عدة السحرة من سبعين ألفاً أو ثمانين الفاً كان مع كل واحد حبل و عصا، فلما ألقوها و خيل الى الناس أنها تسعى استعظموا ذلک و خافوه، فلذلک وصفه اللَّه بأنه سحر عظيم.

و (إما) إذا كانت للتخيير، فأهل الحجاز و من جاورهم من قيس و بعض تميم يكسرونها و ينصبها قيس و أسد و (أما) إذا كانت منصوبة فهى التى يقتضى أن يكون فى جوابها الفاء.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۱۷ الى ۱۱۸] ..... ص : ۵۰۳

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۱۱۷) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۸)

آيتان بلا خلاف.

قرأ حفص عن عاصم «تلقف» خفيفة. الباقون بتشديد القاف، و قرأ ابن كثير فإذا هى «تلقف» بتشديد التاء و القاف فى رواية البزى عنه إلا النقاش، و ابن فليح.

و الوحى هو إلقاء المعنى الى النفس من جهة تخفى، و لذلک لم يشعر به إلا موسى (ع) حتى امتثل ما أمر به فإذا العصا حية تسعى.

و فى هذه الآية إخبار من اللَّه تعالى أنه أوحى الى موسى (ع) حين ألقى السحرة سحرهم و سحروا أعين الناس و استرهبوهم و جاءوا بسحر عظيم: أن ألق عصاک ف (أن) يحتمل أمرين:

أحدهما- أن تكون مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر، و تقديره أوحينا الى موسى بالإلقاء.

الثانى- أن تكون (أن) بمعنى أى لأنه تفسير ما أوحى اليه. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۰۴

«فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ» معنى تلقف تبتلع تناولًا بفيها بسرعة منها، فهى تلتقمه استراطاً حالًا فحالًا قال الشاعر:

و أنت عصى موسى التى لم تزل تلقف ما يأفكه الساحر «۱»

يقال: لقِفتهُ ألقفه لقفاً و لقفاناً، و لقَفته ألقَفه و تلقَّفته تلقفا إذا أخذته فى الهواء. و من قرأ بتشديد التاء قال: أصله تتلقف فأدغم احدى التائين فى الأخرى بعد أن سكن الثانية. و من خفف القاف أخذه من لقفته. و من شددها قال: هو من تلقَّف.

و قوله «ما يَأْفِكونَ» فالافك هو قلب الشيء عن وجهه، و منه «الْمُؤْتَفِكاتِ» «۲» المنقلبات. و الافك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب. و قال مجاهد: «ما يَأْفِكُونَ» أى يكذبون. و فى الآية حذف، و تقديره فألقى عصاه فصارت حية «فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ» و المعنى إنها تلقف المأفوك الذى حلَّ فيه الافك، و على هذا يحمل قوله تعالى «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ» «۳» و معناه و ما تعملون فيه.

و قوله «فَوَقَعَ الْحَقُّ» معناه ظهر الحق- فى قول الحسن و مجاهد- و أصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط و الطائر تقول: وقع يقع وقعاً و وقوعاً و أوقعه ايقاعاً، و وقَّع توقيعاً و توقَّع توقعاً و أوقعه مواقعة، و الميقعة المطرقة. و الواقعة النازلة من السماء، و الوقائع الحروب. قال الرمانى:

الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا الى مستقره. و (الحق) كون الشيء فى موضعه الذى اقتضته الحكمة. و الحق موافق لداعى الحكمة، و لذلك يقال وقع الشيء فى حقه. و (الباطل) الكائن بحيث يؤدى الى الهلاك، و هو نقيض الحق، فالحق كون الشيء بحيث يؤدى الى النجاة. و العمل

---

(۱) تفسير الطبرى ۷/ ۲۶۰ و الفتح القدير (تفسير الشوكانى) ۲/ ۲۲۱ و روايتهما (تلقم) بدل (تلقف) و هو فى مجمع البيان ۲/ ۴۶۰ (تلقف).

(۲) سورة ۵۲ النجم آية ۵۳.

(۳) سورة ۳۷ الصافات آية ۹۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۵۰۵

تصيير الشيء على خلاف ما كان اما بإيجاده أو بإيجاد معنى فيه و مثله التغيير.

و (ما) فى قوله «ما كانُوا يَعْمَلُونَ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون بمعنى المصدر، و التقدير و بطل عملهم.

و الثانى- أن يكون بمعنى الذى و تقديره و بطل الحبال و العصى التى عملوا بها السحر. و (ما) إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل عمل (إنَّ) إذا كانت بمعنى المصدر، لأمرين: أحدهما- أن (ما) اسم، و الاسم لا يعمل فى الفعل. و الآخر- أن تنقل الفعل نقلين الى المصدر و الاستقبال تقول:

يعجبنى ما تصنع، و يعجبنى أن تصنع الخير.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۱۹ الى ۱۲۲] ..... ص : ۵۰۵

فَغُلِبُوا هُنالِكَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ (۱۱۹) وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (۱۲۰) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۱۲۱) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (۱۲۲)

أربع آيات.

أخبر اللَّه تعالى أنه لما القى موسى عصاه و صارت حية، و تلقفت ما أفكت السحرة: أن السحرة «فَغُلِبُوا هُنالِكَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ» و الغلبة الظفر بالبغية من العدو، و فى حال المنازعة تقول: غلب يغلب غلبة، فهو غالب و ذاك مغلوب أى مقهور، و غالبه مغالبة و تغالبا تغالباً و غلب تغليباً. و معنى (هنالك) أى عند ذلك الجمع، فهو ظرف مبهم كما أن (ذا) مبهم و فيه معنى الاشارة.

و قيل: هنا و هنالك و هناك، مثل ذا و ذاك و ذلك. و إنما دخلت اللام فى (هنالك) لتدل على بعد المكان المشار اليه، كما دخلت فى (ذلك) لبعد المشار اليه، ف (هنا) لما بعد قليلا، و هنالك لما كان أشد بعداً. و إنما دخل كاف المخاطبة مع بعد الاشارة ليشعر بتأكيد معنى الاشارة الى المخاطب ليتنبه على بعد المشار اليه من المكان، و البعيد أحق بعلامة التنبيه من القريب.

و قوله «وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ» أی رجعوا أذلاء، و الصاغر الذليل، التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۰۶

و الصغر و الصغار الذلة، يقال: صغر الرجل يصغر صغراً و صغاراً إذا ذل، و أصله صغر القدر.

و قوله تعالى «وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ» إنما جاء على ما لم يسم فاعله لأمرين:

أحدهما- أنه بمعنى ألقاهم ما رأوا من عظيم آيات اللَّه بأن دعاهم الى السجود للَّه و الخضوع له.

الثانی- أنهم لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين، فكأنَّ ملقيا ألقاهم، و لم يكن ذلك على وجه الاضطرار الى الايمان، لأنه لو كان كذلك لما مدحوا عليه بل علموا ذلك بدليل، و هو عجزهم من ذلك مع تأتی سائر أنواع السحر منهم. و الإلقاء اطلاق الشیء الى جهة السفل و نقيضه الإمساك، و مثله الاسقاط و الطرح. و معنى الآية البيان عن حال من تيقن البرهان، فظهر منه الإذعان للحق و الخضوع بالسجود للَّه تعالى، و لم يكن ممن تعامى عن الصواب و تعاشى عن طريق الرشاد.

و قوله تعالى «قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ» حكاية لما قالت السحرة عند تبيُّنهم الحق و وقوعهم للسجود للَّه تعالى و اعترافهم بأنهم آمنوا برب العالمين الذی خلق السموات و الأرض و ما بينهما و خلق موسى و هارون، و القول كلام يدل على الحكاية، و لو قيل: (تكلموا) لم يقتض حكاية كلامهم على صورته، فإذا قيل: (قالوا) اقتضى حكاية كلامهم. و الايمان هو التصديق الذی يؤمِّن من العقاب، و هو التصديق بما أوجب اللَّه عليهم. و قال الرمانی:

يجوز أن يقال للَّه أنه لم يزل ربًّا و لا مربوب، كما جاز لم يزل سميعاً و لا مسموع، لأنه صفة غير جارية على الفعل كما تجرى صفة مالك على ملك يملك، فالمقدور هو المملوك. و أصل الصفة ب (رب) التربية و هی تنشئة الشیء، حالًا بعد حال حتى يصير الى حال التمام و الكمال، و منه رب النعمة يربها ربًّا إذا تممها، و ربی الطفل تربية، و اللَّه تعالى رب العالمين المالك لهم و لتدبيرهم. التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۰۷

و (العالم) كل أمة من الحيوان و جمعه العالمون على تغليب ما يعقل، و هو مأخوذ من العلم، لكنه كثر فی استعمال أهل النظر على أنه لجميع ما أحاط به الفلك من الأجسام المتصرفة فی الأحوال، و قال قوم (عالم) لا يقع إلا لجماعة العقلاء. و قد بينا ذلك فی فاتحة الكتاب.

و قوله «رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ» إنما خص موسى و هارون بالذكر بعد دخولهما فی الجملة من «آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ» لأمرين:

أحدهما- أن فيه معنى الذی دعا الى الايمان موسى و هارون.

الثانی- خصا بالذكر لشرف ذكرهما على غيرهما على طريق المدحة لهما و التعظيم. و الرب بالإطلاق لا يطلق إلا على اللَّه تعالى، لأنه يقتضی أنه رب كل شیء يصح ملكه، و فی الناس يقال: رب الدار و رب الفرس، و مثله (خالق) لا يطلق إلا فيه تعالى، و فی غيره يقيد، يقال خالق الأديم.

قال الرمانی: و إنما جاز نبيان فی وقت و لم يجز إمامان فی وقت، لأن الامام لما كان يقام بالاجتهاد كانت إمامة الواحد أبعد من المناقشة و اختلاف الكلمة و أقرب الى الألفة و رجوع التدبير الى رضا الجميع.

و هذا الذی ذكره غير صحيح، لأن العقل غير دال على أن الامام يجب أن يكون واحداً كما أنه غير دال على أنه يجب أن يكون النبی واحداً، و إنما علم بالشرع أنه لا يكون الامام فی العصر الواحد إلا واحداً كما علمنا أنه لم يكن فی عصر النبی (ص) نبی آخر، و استوى الأمران فی هذا الباب.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۲۳ الى ۱۲۴] ..... ص : ۵۰۷

قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِی الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۱۲۳) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (۱۲۴)

آيتان بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۰۸

قرأ حفص و ورش و رويس «آمنتم» على الخبر. الباقون بهمزتين على الاستفهام. و حقق الهمزتين أهل الكوفة إلا- حفصاً و روحاً. الباقون بتحقيق الأولى و تليين الثانية إلا- أن قنبلًا فى غير رواية ابن السائب يقلب همزة الاستفهام واواً إذا اتصلت بنون فرعون، و لم يفصل أحد بين الهمزتين بألف، قال أبو على: قياس قول أبى عمرو و مذهبه أن يفصل بين الهمزتين بألف كما يفصل بين النونات فى (اخشينان) إلا- أنه يشبه أن يكون ترك القياس، و قوله هنا لما كان يلزم منه اجتماع المتشابهات فترك الألف التى تدخل بين الهمزتين، و خفف الهمزة الثانية التى هى همزة (افعل) من (آمن) فأما رواية أبى الاخريط عن ابن كثير بابدال الهمزة واواً، فانه أبدل من ألف الاستفهام واواً، لانضمام ما قبلها و هى النون المضمومة فى (فرعون) و هذا فى المنفصل مثل المتصل من نوره، فقوله (نوأ) على وزن (نود) و فى رواية قنبل عن القواس مثل رواية البزى عن أبى الاخريط غير انه يهمز بعد الواو، قال أبو على: من همز بعد الواو، لأن هذه (الواو) هى منقلبة عن همزة الاستفهام، و بعد همزة الاستفهام همزة (أ فعلتم) فخففها، و لم يخففها كما خفف فى القول الاول، و وجهه ان الاولى لما زالت عن لفظ الهمزة و انقلبت واواً حقق الهمزة بعدها، لأنه لم يجتمع همزتان. و وجه القول الأول أن (الواو) لما كان انقلابها عن الهمزة تخفيفاً قياس، كان فى حكم الهمزة فلم يحقق معها الثانية كما لا تحقق مع الهمزة نفسها، لأن الواو فى حكمها، كما كانت فى حكمها فى (روياً) فى تخفيف (رؤياً) فلم يدغموها فى الياء، كما لم يدغم الهمزة فيها.

و من قرأ على الخبر فوجهه أنه يخبرهم بايمانهم على جهة التقريع لهم بايمانهم، و الإنكار عليهم. و وجه الاستفهام أنه استفهام على وجه التوبيخ و التقريع، و الإنكار عليهم. و حمزة و الكسائى قرءا بهمزتين الثانية ممدودة، لأن الهمزة الثانية تتصل بها الألف المنقلبة عن الهمزة التى هى فاء فى (آمن).

فى هذه الآية حكاية لما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى و صدقوه التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۰۹

لظهور الحق، فقال لهم «آمَنْتُمْ بِهِ؟» و انما قال لهم ذلك، لأنه توهم أن الاقدام على خلاف الملك بما عمل قبل الاذن فيه منكر يقتضى سطوة الملك بصاحبه و التنكيل به، و عندنا أن فرعون لم يعرف اللَّه قط معرفة يستحق بها الثواب. و قال الرمانى: لا يمتنع أن يكون عارفاً باللَّه، و إنما قال هذا القول تمويهاً على قومه و للتحذير من مثل حال السحرة الذين أقدموا على المخالفة له فى الايمان بموسى (ع).

و قوله تعالى «إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ» معناه تواطأتم على هذا الأمر لتستولوا على العباد و البلاد، فتخرجوا من المدينة أهلها و تتغلبوا عليها، و المكر قيل الاغترار بالحيلة الى خلاف جهة الاستقامة و أصله القتل و الالتفاف كما قال ذو الرمة.

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح و ثم الجسم و العصب «۱»

و المكر و الخدع نظائر فى اللغة، و قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» تهديد من فرعون لهم و تخويف من مخالفته، و إنما هدد فرعون ب (سوف تعلم)، لأن فيه معنى أقدمت بالجهل على سبب الشر، فسوف تعلم حين يظهر مسببه الذى أدى اليه كيف كانت منزلته، فهو أبلغ من الإفصاح به.

و قوله «لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ» فالتقطيع تكثير القطع و نظيره التفصيل و التفريق، و نقيضه التوصيل تقول: قطع قطعاً و أقطع اقطاعا، و قطَّع تقطيعا و تقَّطع تقطعاً و اقتطع اقتطاعاً و تقاطع تقاطعاً و استقطع استقطاعاً و قاطع مقاطعة و انقطع انقطاعاً. و الأيدى جمع يد، و هى الجارحة المخصوصة، و اليد النعمة، لأنها تسدى الى صاحبها باليد. و الأرجل جمع رجل و هى الجارحة التى يمشى بها من يمين و شمال. و الراجل خلاف الراكب و ترجل الإنسان إذا نزل عن دابته واقفاً على رجله، و رَجَّله غيره، و ارتجل القول ارتجالًا إذا كان فيه كالراجل الذى لم يستعن بركوب غيره. و رجَّل الشعر إذا سرحه حاطّاً له

---

(۱) سيأتى فى ۵/ ۱۲۸ و هو فى مقاييس اللغة ۴/ ۲۳۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۵۱۰

عن ركوب بعضه بعضاً.

و (التقطيع من خلاف) هو قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، و هو قول الحسن، و قال غيره: و كذلك يكون قطع اليد اليسرى مع الرجل اليمنى.

و قوله «ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ» القراء كلهم على ضم الهمزة، و تشديد اللام من (أصلبكم) و ذكر الفراء «و لأصلبنكم» بفتح الهمزة و كسر اللام من الصلب، و هو الشد على الخشبة أو ما جرى مجراها من الاشخاص البارزة، و هو مشتق من صلابة الشد، يقال: صلب صلابة و صلبه تصليباً و تصلب تصلباً.

و قال ابن عباس: أول من صلب و قطع الايدى و الأرجل من خلاف فرعون.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۲۵] ..... ص : ۵۱۰

قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۱۲۵)

آية إجماعاً.

و هذا إخبار عن جواب السحرة حين آمنوا، و توعد فرعون إياهم بقطع الأيدى و الأرجل و الصلب بأنهم «قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» أى راجعون و غرضهم بهذا التسلى فى الصبر على الشدة، لما عليه من المثوبة، مع مقابلة وعيده بوعيد هو أشد عليه هو عقاب اللَّه.

و أصل (إِنَّا) إننا و حذفت احدى النونين لكثرة النونات، فإذا قيل إننا، فلأنه الأصل و إذا قيل (إنا) فللاستخفاف مع كراهة التضعيف، و الانقلاب الى اللَّه هو الانقلاب الى جزائه و المصير اليه، إلا أنه فخم بالاضافة الى اللَّه لعظم شأنه، و الانقلاب مصير الشيء على نقيض ما كان عليه مما يتغير به، و إذا صار الى الآخرة بعد الدنيا فانقلب اليها، و إذا كان على خلق فتركه ألى ضده فقد انقلب اليه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۲۶] ..... ص : ۵۱۰

وَ ما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ (۱۲۶)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۵۱۱

آية بلا خلاف.

فى هذه الآية إخبار عما قالت السحرة حين آمنوا و توعدهم فرعون بأنواع العذاب بأنهم قالوا له: إنا راجعون الى اللَّه، و قالوا له أيضاً: ليس تنقم منا إلا إيماننا باللَّه و تصديقنا بآياته التى جاءتنا. و النقمة الأخذ بالعقوبة:

نقَم ينقِم، و نقُم ينقُم، و اللغة الاولى أفصح و انتقم انتقاماً و نقمة، فالنقمة ضد النعمة.

و الفرق بين النقمة و الاساءة ان النقمة قد تكون بحق، جزاء على كفر النعمة، و لذلك يقال انتقم اللَّه من فلان نقمة عاجلة، و الاساءة لا تكون الا قبيحة، لأنه ليس لأحد أن يسيء فى فعله، و المسيء مذموم على إساءته.

و قوله تعالى «رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً» حكاية عن قول هؤلاء السحرة الذين آمنوا، و أنهم بعد أن قالوا لفرعون ما قالوه، سألوا اللَّه تعالى أن يفرغ عليهم صبراً، و معناه أن يفعل بهم من اللطف ما يصبرون معه على عذاب فرعون و يتشجعوا عليه، و لا يفزعوا منه.

و الافراغ صب ما فى الإناء أجمع، حتى يخلو، مشتقاً من الفراغ، و الفراغ نقيض الشغل، و قيل: أفرغ عليه الصبر تشبيهاً بإفراغ الإناء، كما يقال صب عليه العذاب صباً، و الصبر هو حبس النفس عن إظهار الجزع، صبر يصبر صبراً و الصبر على الحق عزٌّ، كما أن الصبر على الباطل ذل.

و الصبر فى الجملة محمود، قال اللَّه تعالى «وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

و قوله تعالى «وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ» رغبة منهم الى اللّه تعالى و سؤالهم إياه بأن يقبضهم اليه و يميتهم فى حال السلامة.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۲۷] ..... ص : ۵۱۱

وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ (۱۲۷)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱۲

آية بلا خلاف.

قرأ أهل الحجاز «سنقتل أبناءهم» بالتخفيف. الباقون بالتثقيل، فمن ثقل ذهب الى التكثير، و من خفف، فلاحتماله التكثير و التقليل.

فى هذه الآية إخبار عن إنكار قوم فرعون و أشرافهم و رؤسائهم على فرعون تركه موسى و قومه ليفسدوا فى الأرض على اعتقادهم، و إنما أنكروا على فرعون ذلك مع عبادتهم له، لأنه جرى على خلاف عادة الملوك فى السطوة بمن خالف عليهم و شق العصا فى ملكهم. و كان ذلك بلطف من اللّه تعالى و حسن دفاعه عن موسى. و عنوا بالإفساد فى الأرض دعاء الخلق الى مخالفة فرعون فى عبادته و تجهيله إياه فى ديانته لما يتفق عليه من ذلك مما لا قبل له به مما فيه انتقاض أمره و بطلان ملكه.

و قوله تعالى «وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ» معناه قال الحسن: إنه كان يعبد الأصنام، فعلى هذا كان يعبد و يعبد، كما حكى اللّه تعالى عنه من قوله «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» «۲» و قال السدى: كان يعبد ما يستحسن من البقر، و على ذلك أخرج السامرى «عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُكُمْ وَ إِلهُ مُوسى» «۳» و قال الزجاج: إنما كانت له أصنام يعبدها قومه تقرباً اليه. و قرأ ابن عباس «و يذرك و إلهتك» بمعنى و عبادتك. و قال كان فرعون يعبد و لا يَعبد، و قال بعضهم (إلاهتك) إنما هو تأنيث إله و جمعه آلهتك كما قال الشاعر، و هو عتيبة بن شهاب اليربوعى

تروحنا من اللعباء قصراً فأعجلنا الاهة ان تؤوبا «۵»

---

(۲) سورة ۷۹ سورة النازعات آية ۲۴.

(۳) سورة ۲۰ طه آية ۸۸.

(۵) انظر الى معجم ما استعجم: ۱۱۵، و معجم البلدان (اللعباء) و لسان العرب «لعب» «أله» و تفسير الطبرى ۱۳/ ۴۰ و غيرها. و «اللعباء»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱۳

يعنى الشمس، فأدخل التاء فى هذا كما أدخلوا فى قولهم: ولدتى و كوكبتى و هالتى و هو أهلة ذاك، كما قال الراجز:

يا مضر الحمراء أنت اسرتى و أنت ملجاتى و أنت ظهرتى «۶»

و قوله تعالى «سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ» إنما تهددهم بقتل أبنائهم مع ان موسى هو الذى دعاهم الى اللّه دونهم من حيث أنه لم يطمع فيه، لما رأى من قوة أمره و علوّ شأنه فعدل الى ضعفاء بنى إسرائيل بقتل أبنائهم ليوهم انه يتم له ذلك فيهم.

و قوله تعالى «وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ» معناه نستبقى من تولد من بناتهم للمهنة و الخدمة من غير أن يكون لهم نجدة و لا عندهم منعة.

و نصب قوله «و يذرك» لاحد وجهين: أحدهما- الصرف، و الآخر العطف. و الصرف على ان يكون تقديره ليفسدوا فى الأرض الى ان يذرك و آلهتك، و العطف على ليفسدوا و يذرك. و قرأ الحسن «و يذرك» بالرفع عطفا على أ تذر، و يجوز فيه الاستئناف، و هو يذرك.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۲۸] ..... ص : ۵۱۳

قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)

آية بلا خلاف.

هذا حكاية من اللَّه تعالى عما قال موسى لقومه حين تهددهم فرعون بقتل أبنائهم و استحياء نسائهم، و انه أمرهم ان يستعينوا باللَّه و الاستعانة طلب المعونة، و قد يسأل السائل المعونة لغيره يقول: اللهم أعنه على أمره الا ان الغالب على الاستعانة طلب المعونة لنفس الطالب.

و قوله «و اصبروا» أمر من موسى إياهم بالصبر و هو حبس النفس

اسم مكان. و «قصراً» أي عشياً. و روى «عصراً» و «الإلاهة»: الشمس

(۶) لم أعرف قائله. و هو فى تفسير الطبرى ١٣/ ۴١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱۴

عما يؤدى الى ترك الحق مع تجرع مرارة ذلك الحبس و نقيضه الجزع قال الشاعر:

فان تصبرا فالصبر خير مغبة و ان تجزعا فالأمر ما تريان «١»

و قوله «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» اخبار عما قال موسى لقومه من أن الأرض كلها ملك للَّه يورثها من يشاء من عباده، و الإرث جعل الشيء للخلف بعد السلف، و الأغلب ان يكون ذلك فى الأموال، و قد يستعمل فى غيرها مجازا كقولهم: العلماء ورثة الأنبياء، و قولهم ما ورث والد ولدا أجلَّ من ادب حسن.

و معنى «يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- التسلية لهم بأنها لا تبقى على أحد لأنها تنقل من قوم الى قوم اما محنة او عقوبة.

الثانى- الاطماع فى ان يورثهم اللَّه ارض فرعون و قومه.

و المشيئة هى الارادة و هى ما أثرت فى وقوع الفعل على وجه دون وجه من حسن أو قبح او غيرهما من الوجوه.

و قوله تعالى «وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» فالعاقبة ما تؤدى اليه التأدية من خير او شر الا انه إذا قيل: العاقبة له فهو فى الخير، فإذا قيل: العاقبة عليه فهو فى الشر مثل الدائرة له و عليه و قال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بنى إسرائيل.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ١٢٩] ..... ص : ۵۱۴

قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)

آية بلا خلاف.

---

(١) مر فى ١/ ٢٠٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱۵

هذا اخبار من اللَّه تعالى عن ما قال قوم موسى لموسى بأنا أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة. و الأذى ضرر لا يبلغ بصاحبه ان يأتى على نفسه، تقول: آذاه يؤذيه أذى و تأذى به تأذيا، و مثله آلمه يؤلمه ايلاما و تألم به تألما. و الأذى الذى كان بهم قيل: هو استعباد فرعون إياهم و قتل أبنائهم و استحياء نسائهم للاستخدام. و الذى كان بعد مجيء موسى الوعيد لهم بتجديد ذلك العذاب من فرعون و التوعيد عليه، و كان هذا على سبيل الاستبطاء منهم لما وعدهم فجدد الوعد لهم و حققه، و قال الحسن: كان يأخذ منهم الجزية.

و قوله «قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ» قال سيبويه: لعل و عسى طمع و اشفاق، و قال الحسن (عسى) من اللَّه واجبة، و به قال

الزجاج.

و قال ابو على الفارسى (عسى) هاهنا يقين.

و قوله «وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ» قال أبو على: استخلفوا فى مصر بعد موت موسى (ع) فى التيه. ثم فتح اللَّه لهم بيت المقدس مع يوشع بن نون. ثم فتح اللَّه لهم مصر و غيرها فى زمن داود و سليمان، فملكوها فى ذلك الزمان على ما وعدوا به من الاستخلاف.

و قوله تعالى «فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» قيل: ان معنى ينظر- هاهنا- يعلم، و قيل يرى و كلا منهما مجاز لان النظر هو الطلب لما يدرك و هذا لا يجوز عليه تعالى، و لكنه جاء على قوله تعالى «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ» «۱» و فائدة الآية تسلية موسى (ع) لقومه بما وعدهم عن اللَّه من إهلاك فرعون و قومه و جعل قومه بدلا منهم ليعملوا بطاعته.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳۰] .... ص : ۵۱۵

وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۱۳۰)

---

(۱) سورة ۴۷ محمد آية ۳۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱۶

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية، و اقسم عليه بأنه أخذ آل فرعون بالسنين و هى الأعوام المقحطة، و اللام فى قوله «لقد» لام القسم، (و قد) معناه الاخبار عن متوقع و هى تقرب الماضى من الحال، لأنه إذا توقع كون أمر فقيل قد كان، دل على قربه من الحال. و الآل خاصة الرجل الذين يؤول أمرهم اليه، و لذلك يقال: اهل البلد، و لا يقال: آل البلد، لان فى الأهل معنى القرب فى نسب او مكان، و ليس كذلك الآل.

و معنى «أخذناهم بالسنين» أخذناهم بالجدوب، و العرب تقول:

أخذتهم السنة إذا كانت قحطة يقال أسنت القوم إذا أجدبوا، و انما قيل للمجدبة: السنة و لم يقل للخصبة، لأنها نادرة فى الانفراد بالجدب، و النادر أحق بالافراد بالذكر، لانفراده بالمعنى الذى ندر به. و قال الفراء: معنى بالسنين بالجدوبة تقول العرب (وجدنا البلاد سنين) أى جدوبا، قال الشاعر:

و أموال اللئام بكل أرض تجحفها الجوائح و السنون

و قال آخر:

كأن الناس إذ فقدوا علياً نعام جال فى بلد سنيناً

أى فى بلد جدوب و أهل الحجاز و علياء قيس يقولون: هن السنون، فيجعلونها بالواو فى الرفع، و بالياء فى الخفض و النصب على هجاءين، و بعض تميم يقول هى السنين، فإذا ألقوا الألف و اللام لم يجروها، فقالوا قد مضت له سنون كثيرة، و كنت عندهم بضع سنين، و بنو عامر، فإنهم يجرونها فى النصب و الجر و الرفع فيقولون: أقمت عنده سنيناً كثيرة. و قال الكسائى:

على هجاءين فى اللغة الغالبة فى كلام العرب: السنون، و السنين و ينصبون النون على كل حال مثل نون الجمع فى الموضعين، و عليه اجماع القراء، قال:

و بعض العرب يجعلها على هجاء واحد، و يلزم النون الاعراب بجعلها كأنها من التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱۷

نفس الكلمة، و أنشد:

سنينى كلها واسيت حرباً أقاس مع الصلادمة الذكور

و أنشد:

و لقد ولدت بنين صدق سادة و لأنت بعد اللَّه كنت السيدا

فأثبت النون فى بنين و هى مضافة.

و قوله تعالى «وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ» أى و أخذناهم مع القحط و جدب الأرض بنقصان من الثمار.

و قوله تعالى «لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» معناه لكى يتفكروا فى ذلك و يرجعوا الى الحق و إنما قال «لعلهم» و هى موضوعة للشك و هو لا يجوز فى كلام اللَّه لأنهم عُومِلوا معاملة الشاك مظاهرة فى القول كما جاء الابتلاء و الاختيار مثل ذلك. و الآية تدل على بطلان مذهب المجبرة من أن اللَّه تعالى يريد الكفر و المعاصى، لأنه بين أنه فعل بهم ذلك لكى يذكروا، و يرجعوا فقد أراد منهم الاذكار، فكأنه قال من أجل أن يذكروا، و ليس كذلك إذا كلفهم من أجل الثواب، لأن إرادة المريد لما يكون من فعله فى المستأنف عزم، و ذلك لا يجوز عليه تعالى، و ليس كذلك إرادته لفعل غيره، قال مجاهد: السنين الحاجة، و نقص من الثمرات دون ذلك، و قال قتادة: كان السنين بباديتهم، «وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ» كان فى أمصارهم و قراهم. و قال كعب: يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (٧): آية ١٣١] ..... ص : ٥١٧

فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣١)

آية بلا خلاف.

المراد بالحسنة- هاهنا- النعمة من الخصب و السعة فى الرزق و العافية التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱۸

و السلامة. و (السيئة) النقمة من الجدب و ضيق الرزق و المرض و البلاء، و فيه ضرب من المجاز، لأن حقيقة الحسنة ما حسن من الفعل فى العقل، و السيئة ما قبح من الفعل، و إنما شبه هذا بذلك، لتقبل العقل لهذا كتقبل الطبع لذلك. و قال قوم: هو مشترك لظهور العلم فى ذلك فى الناس جميعاً على منزلة سواء.

أخبر اللَّه تعالى عن قوم فرعون أنه إذا جاءهم الخصب و السعة و النعمة من اللَّه «قالُوا لَنا هذِهِ» و المعنى إنا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة أرزاقنا فى بلادنا، و لم يعلموا أنه من اللَّه فيشكروه عليه و يؤدوا حق النعمة، لئلا يسلبهم اللَّه إياها.

و قوله «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ» يعنى جدب و قحط و بلاء «يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ» و المعنى إنهم تشاءموا بهم، و هو قول الحسن و مجاهد، و ابن زيد، لأن العرب كانت تزجر الطير، فتتشاءم بالبارح و هو الذى يأتى من جهة الشمال، و تتبرك بالسانح، و هو الذى يأتى من جهة اليمين، قال الشاعر:

زجرت لها طير الشمال فإن يكن هواك الذى يهوى يصبك اجتنابها»

و قال آخر:

فقلت غراب لا اغتراب من النوى و بان لبين ذى العيافة و الزجر

و أصل الطائر النصيب، يقال: طار له من القسم كذا و كذا، و أنشد ابن الأعرابى:

و انى لست منك و لست منى إذا ما طار من مالى الثمين

أى أخذت الزوجة ثمنها من ميراثه.

و قوله تعالى «أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» معناه إن اللَّه هو الذى يأتى بطائر البركة و طائر الشؤم، من الخير و الشر و النفع و الضِّر، فلو عقلوا طلبوا الخير من جهته، و السلامة من الشر من قبله.

---

(١) اللسان (طير) و روايته (لهم) بدل (لها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۱۹

و موضع (إذا) نصب بأنها ظرف للقول، و لا يجوز أن يعمل فيها الفعل الـذى يليها، لأنها مضافة اليه، و لو جازيت بها جاز عمله فيها، و قـال الأـزهرى و الزجـاج: معنى «إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» شؤمهم الـذى وعـدوا به من العقاب عنـد اللَّه يفعله بهم يوم القيامـة، و قال ابن عباس معناه إن مصائبهم عند اللَّه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳۲] ..... ص : ۵۱۹

وَ قالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (۱۳۲)

آية بلا خلاف.

«مهما» أى شـىء، و قال الخليل: أصلها (ما) إلا أنهم أدخلوا عليها (ما) كما يدخلونها على حروف الجزاء، فيقولون (ماما) و (متى ما) و (إذا ما) فغيروا ألفها بأن أبدلوها هاء، لئلا يتوهم التكرير و صار (ما) فيها مبالغة فى معنى العموم، و قال غيره: أصلها (مه) بمعنى اكفف دخلت على (ما) التى للجزاء.

و الفرق بين (مـا) و (مهما) أن (مهما) خالصـة للجزاء و فى (ما) اشتراك، لأنها قـد تكون اسـتفهاماً تارة، و بمعنى الـذى أخرى، و تارة بمعنى الجزاء، و إن كان الأصل فى (مهما) (ما)، لأن (ما) يجازى به من الأسماء ما قد لا يستعمل فى الجزاء، و التركيب ظاهر فيها لفظا و معنى.

و قوله تعالى «تأتنا» فى موضع جزم، و علامـة الجزم فيه حـذف الياء، و إنما حـذف الحرف للجزم، لأنه من حروف المد و اللين، و هى مجانسـة لحركات الاعراب، و من شأن الجازم أن يحـذف ما يصادفه من الحركـة، فإن لم يصادف حركـة عمل فى نفس الحرف، لئلا يتعطل عن العمل.

فى هـذه الآيـة إخبار من اللَّه تعالى، و حكاية ما قال قوم فرعون لموسـى (ع) بأنهم قالوا له: أى شـىء تأتينا به من المعجزات و تسـحرنا بها، فانا لا نصـدقك عليه، و لا نؤمن بك. و (الآيـة) هى المعجزة الدالـة على نبوته، و هو كل ما يعجز الخلق عن معارضـته و مقاومته، كما لا يمكن مقاومة الشبهة للحجة، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲۰

و كما لا يمكن أن يقاوم الجهل للعلم، و السـراب للماء، و ان توهم ذلك قبل النظر و الاعتبار، و يخيل قبل الاسـتدلال الذى يزول معه الالتباس، و قد بينا حقيقة السحر فيما مضى، و قد يسمى السحر ما لا يعرف سببه و إن لم يكن محظوراً، كما

روى عنه (ص) أنه قال: (إن من البيان لسحراً)

و كما قال الشاعر:

و حديثها السحر الحلال لو أنه لم يجز قتل المسلم المتحرز

و ذلك مجاز و تشبيه دون أن يكون حقيقة.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳۳] ..... ص : ۵۲۰

فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۱۳۳)

آية.

أخبر اللَّه تعـالى أنه لمـا قـال فرعون و قومه مـا قـالوا- من أنهم لاـ يؤمنون، و ان أتى بجميع الآيات، فإنهم لا يصـدقونه على نبوتـه- أنه أرسل عليهم الطوفان، و هو السـيل الـذى يعم بتفريقه الأرض، و هو مأخوذ من الطوف فيها، و قيل: هو مصدر كالرجحان و النقصان. و قال الأخفش: واحده طوفانة، و أما المفسرون فإنهم اختلفوا فى معناه، فقال ابن عباس فى بعض الروايات عنه: إنه الغرق. و قال مجاهد:

هو الموت. و فى روايـة أخرى عن ابن عباس أنه كان أمراً من اللّه تعالى طاف بهم، و قال تعالى فى قصـة نوح «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ» «۱» و قال الحسن بن عرفطة:

غيّر الجدة من آياتها خرق الريح بطوفان المطر «۲»

و قال الراعى:

---

(۱) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۱۴.

(۲) نوادر أبى زيد: ۷۷ و اللسان (طوف) و تفسير الطبرى ۱۳/ ۵۳ و غيرها، و يروى: خرق الريح و طوفان المطرف [.....]

تضحى إذا العيس أدركنا نكائثها خرقاء يعتادها الطوفان و الزُّؤد «۳»

الزؤد الفزع، و قال أبو النجم:

قد مدَّ طوفان فبث مددا شهراً شآبيب و شهراً بردا «۴»

و قال أبو عبيدة: الطوفان من السيل البعاق، و من الموت الذريع.

و قوله تعالى «و القمل» فاختلفوا فى معناه، فقال ابن عباس- فى رواية عنه- و قتادة و مجاهد: إنه بنات الجراد، و هو الدبا صـغار الجراد الـذى لا أجنحـة له. و فى رواية أخرى عن ابن عباس و سـعيد: أنه السوس الذى يقع فى الحنطة. و قال ابن زيد هو البراغيث. و قال أبو عبيدة: هو الحمنان واحده حمنة. و قيل: حمنانة و هو كبار القردان. و قال الحسن و سـعيد بن جبير: هو دواب صغار سود واحدته قملة، قال الأعشى:

قوم تعالج قملًا أبناؤهم و سلاسلًا أجداً و باباً مؤصدا «۵»

و قوله «و الضفادع» فهو جمع ضفدع، فهو ضرب من الحيوان يكون فى الماء له نقيق و اصطخاب، و هو معروف. و قيل: إنه كان يوجد فى فرشهم و أبنيتهم و يدخل فى ثيابهم، فيشتد أذاهم به.

و (الـدم) معروف و قـد حـده الرمانى: بأنه جسم مائع أحمر مسترق عرض له الجمود كهـذا الذى يجرى فى العروق. و قيل: إن مياههم كانت عذبة طيبة فانقلبت دماً، فكان الاسـرائيلى إذا أغترف صار ماء، و إذا اغترف القبطى كان دماً، حتى ان المرأة القبطية تقول للمرأة الاسرائيلية مجِّى من فيك

---

(۳) اللسان (نكث) (زأد) و تفسير الطبرى ۱۳/ ۵۳. (النكائث) آخر ما عنـد العيس من قوة على السير، و (الزؤد) الفزع. و خرقاء صـفة للناقة التى لا تتعهد مواضع قوائمها لحدة فيها.

(۴) تفسير الطبرى ۱۳/ ۵۴.

(۵) ديوانه: ۱۵۴ و اللسان (قمل) و تفسير الطبرى ۱۳/ ۵۶ و هو من قصيدته التى قالها لكسرى.

فى فمى فإذا فعلت ذلك تحول دماً، و قال زيد بن أسلم: الذى سلط اللّه عليهم، كان الرعاف.

و قوله «آياتٍ مُفَصَّلاتٍ» نصب على الحال، قال مجاهد: معجزات مبينات ظاهرات و أدلة واضحات. و قال غيره: لأنها كانت تجىء شيئاً بعد شىء، و قيل: إنها كانت تمكث من السبت الى السبت، ثم ترفع شهراً- فى قول ابن جريج-.

قوله «فَاسْـتَكْبَرُوا وَ كـانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ» معناه إنهم مع مشاهـدتهم لهـذه الآيات العظيمـة و المعجزات الظاهرة، أنفوا من الحق و تكبروا عن الإذعان و الانقياد له، و كانوا قوماً عصاة مرتكبين للاجرام و الآثام.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۳۴ الى ۱۳۵] ..... ص : ۵۲۲

وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرائِيلَ (۱۳۴) فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ (۱۳۵)

آيتان.

(لما) للماضى مثل (لو). و (إذا) للمستقبل مثل (أن) و إن دخلت على الماضى.

أخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء القوم أنه حين وقع عليهم الرجز ... و هو العذاب- فى قول الحسن و مجاهد و قتادة و ابن زيد و فى قول سعيد بن جبير:

هو الطاعون و قال قوم هو الثلج و لم يكن وقع قبل ذلك، و أصل الرجز الميل عن الحق، و منه قوله تعالى «وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «۱» يعنى عبادة الوثن، و العذاب رجز، لأنه عقوبة على الميل عن الحق، و منه الرجازة ما يعدل به الحمل إذا مال، و الرجازة أيضاً صوف أحمر يزيَّن به الهودج، لأنه كالرجازة

---

(۱) سورة ۷۴ المدَّثر آية ۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲۳

التى هى تقويم له إذا مال، و الرجز: رعدة فى رجل الناقة لداء يلحقها يعدل بها عن حق سيرها، و الرجز ضرب من الشعر أخذ من رجز الناقة، لأنه متحرك و ساكن ثم متحرك و ساكن فى كل أجزائه، فهو كالرعدة فى رجل الناقة، يتحرك بها، ثم يسكن، ثم يستمر على ذلك.

و قوله «قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ» حكاية لمسألة قوم فرعون لموسى أن يدعو اللَّه لهم بما عهد عند موسى، و العهد التقدم فى الأمر فمنه العهد الوصية، و العهود الوثائق و الشروط. و العهد مطر بعد مطر قد عهد قبله. و المعاهد المعاقد على الذمة، و التعاهد التقدم فى تفقد الشيء و كذلك التعهد و قيل فى معنى «بِما عَهِدَ عِنْدَكَ» قولان:

أحدهما- بما تقدم اليك به و علمك أن تدعوه به فإنه يجيبك كما أجابك فى آياتك.

الثانى- بما عهد عندك من العهد على معنى القسم.

و قوله «فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ» فيه إخبار من اللَّه تعالى أنه لما كشف عنهم العذاب عند ذلك و أخرهم الى أجل هم بالغوه يعنى أجل الموت «إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ» و انهم عند ذلك نكثوا ما قالوه و لم يفوا بشيء منه.

و العامل فى (إذا) «ينكثون»، و ليست (إذا) هذه (إذا) المضافة الى جملة، بل هى بمنزلة- هناك- و هى المكتفية بالاسم، و لو قال (إذا النكث) صح الكلام، كما تقول: خرجت فإذا زيد. و معنى (إذا) المفاجأة و فيه وقوع خلاف المتوقع منهم، لأنه أتى منهم نقض العهد بدلًا من الوفاء، فكأنه فاجأ الرأى عجب من نكثهم، و البلوغ منتهى المرور، و مثله الوصول، غير أن فى الوصول معنى الاتصال، و ليس كذلك البلوغ. و الانتهاء نقيض الابتداء فى كل شيء، و إن لم يكن فيه معنى المرور. و النكث نقض العهد الذى يلزم الوفاء به، و مثله الغدر، إلا أن (الغدر) فيما عقد من الايمان على النفس، و لذلك جاء فى نقض الغزل فى قوله تعالى «كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲۴

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً»

«۱» و أصله النكاثة و هى تشعيب الشيء من حبل أو غيره.

و انتكث الشيء إذا تشعب و النكيثة نقض العهد، و جواب (لما) (إذا) و مثله قوله «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ

يَقْنَطُونَ» «۲» و لا يجوز أن يجاب بعد (إذ)، لأنها لوقت الماضى و الجواب بعد الأول، يقتضى الاستقبال، و لذلك صلحت فيه الفاء و لم يصلح الواو، و حرف الجزاء يقلب الفعل دون الوقت.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳۶] ..... ص : ۵۲۴

فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ (۱۳۶)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه بعد أن أظهر الآيات التى مضى ذكرها و فزع قوم فرعون الى موسى ليسأل اللَّه أن يرفع عنهم العذاب، فإنهم إذا رفع عنهم ذلك آمنوا، ففعل موسى، و رفع اللَّه عنهم ذلك، و لم يؤمنوا و نكثوا ما عهدوا به من القول و أنه انتقم منهم، و معناه سلب نعمهم بانزال العذاب عليهم و حلول العقاب بهم.

و قوله «فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ» فالاغراق فى الأمر أو النزع، فهو مشبه بالاغراق فى الماء. و «اليم» البحر فى قول الحسن و جميع أهل العلم- قال ذو الرمة:

دوِّيَّة و دجى ليل كأنهما يمٌّ تواطن فى حافاته الروم «۳»

و قال الراجز:

كبازخ اليم سقاه اليم «۴»

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آية ۹۲.

(۲) سورة ۳۰ الروم آية ۳۶.

(۳) ديوانه: ۵۷۶ و تفسير الطبرى ۱۳/ ۷۴.

(۴) قائله العجاج ديوانه: ۶۳ و مجاز القرآن ۱/ ۲۷۷ و تفسير الطبرى ۱۳/ ۷۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲۵

و قوله تعالى «بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا» معناه إنا فعلنا بهم ذلك جزاء بما كذبوا من آيات اللَّه و حججه و براهينه الدالة على نبوة موسى و صدقه «وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ» معناه أنهم أنزل عليهم العذاب و كانوا غافلين عن نزول ذلك بهم.

و الغفلة حال تعترى النفس تنافى الفطنة و اليقظة تقول: غفل يغفل غفولا، و غفلا و غفلة، و تغافل تغافلًا و أغفل الأمر إغفالًا، و استغفله استغفالا، و اغتفله اغتفالا و تغفل تغفلا، و غفله تغفيلا و هو مغفل.

فإن قيل كيف جاء الوعيد على الغفلة، و ليست من فعل البشر؟! قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها- أنهم تعرضوا لها حتى صاروا، لا يفطنون بها.

الثانى- أن الوعيد على الاعراض عن الآيات حتى صاروا كالغافلين عنها.

الثالث- أن المعنى و كانوا عن النعمة غافلين و دل عليه (انتقمنا).

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳۷] ..... ص : ۵۲۵

وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ (۱۳۷)

آية فى الكوفى و البصرى، و فى المدنيين آيتان آخر الاولى «بنى إسرائيل» قرأ ابن عامر و أبو بكر عن عاصم «يعرشون» بضم الراء.

الباقون بكسرها، و هما لغتان فصيحتان: الكسر و الضم، و الكسر أفصح.

أخبر اللَّه تعالى فى هـذه الآيهٔ أنه أورث الأرض مشارقها و مغاربها الذين استضـعفوا فى يدى فرعون و قومه. و إنما أورثهم بأن أهلك من كان فيها و مكن هؤلاء، و حكم بأن لهم أن يتصرفوا فيها على ما أباحه اللَّه تعالى لهم.

و الاستضعاف طلب الضعف بالاستطالهٔ و القهر. و قد استعمال استضعفته بمعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲۶

وجـدته ضـعيفاً بامتحانى إياه، كأنه قال طلبت حال ضـعفه بمحنته، فوجدته ضـعيفاً. و قوله «بارَكْنا فِيها» يعنى بإخراج الزروع و الثمار و سائر صنوف النبات و الأشجار الى غير ذلك من العيون و الأنهار و ضروب المنافع للعباد.

و قيل «بارَكْنا فِيها» بالخصب الذى حصل فيها.

و مشارق الأرض و مغاربها يريـد جهات المشـرق بها و المغرب. و قال الحسن هى أرض الشام و مصـر. و قال قتادهٔ هى أرض الشام. و قال أبو على: هى أرض مصر. و قال الزجاج: كان من بنى إسرائيل داود و سليمان ملكا جميع الأرض.

و قوله «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ» يعنى صح كلامه بإنجاز الوعد الذى تقدم باهلاك عدوهم، و استخلافهم فى الأرض، و إنما كان الانجاز تمام للكلام لتمام النعمهٔ به. و قيل كلمته الحسنى هى قوله تعالى «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ، وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ». و إنما قيل الحسنى، و إن كانت كلمات اللَّه كلها حسنهٔ، لأنه وعد بما يحبون.

و انتصب قوله تعالى «مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا» لأحد أمرين:

أحدهما- بأنه مفعول (أورثنا) كقولك: أورثه المال.

الثانى- بأنه ظرف كأنه قال: أورثتهم الأرض التى باركنا فيها فى مشارقها و مغاربها، و الأول أظهر.

و قوله «وَ دَمَّرْنـا مـا كانَ يَصْـنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ» معناه أهلكنا ما كان عمله فرعون و قومه مما كانوا يسـتعبدونهم و يسـعون فى افساد أمر موسـى و يسـتعينون به فى أمرهم «وَ مـا كانُوا يَعْرِشُونَ» معناه ما كانوا يبنونه من الأبنيـهٔ و القصور- فى قول ابن عباس و مجاهـد. و قال الحسن: هو تعريش الكرم. و قال أبو على: تعريش الشجر و الأبنيهٔ. و أصل التعريش الرفع، قال أبو عبيدهٔ التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲۷

«يَعْرِشُونَ» معنـاه يبنون، و (العرش) فى هـذا الموضع البنـاء، يقال: عروش مكـهٔ أى بناؤها، و قال أبو الحسن: هما لغتان، و مثله نبطِش و نبطُش و نحشِر و نحشُر، فى أمثال ذلك.

قوله تعالى:[سورهٔ الأعراف (۷): آيهٔ ۱۳۸] ..... ص : ۵۲۷

وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۱۳۸)

آيهٔ بلا خلاف.

قرأ حمزهٔ و الكسائى و خلف يعكفون- بكسـر الكاف- الباقون بضـمها و هما لغتان، و مثله يفسقون- بكسر السين- و الضم، فى أمثال ذلك.

المجـاوزهٔ الإخـراج عن الحـد يقـال: جـاوز الوادى جوازاً إذا قطعه و خلَّفه وراءه و تقول: جـاز يجوز جوازاً، و أجـازه إجـازهٔ، و جاوزه مجاوزهٔ، و تجاوز تجاوزاً، و اجتاز اجتيازاً، و تجوَّز تجوزاً، و جوَّزه تجويزاً، و اسـتجاز اسـتجازهٔ. و البحر الواسع العظيم السعهٔ من مستقر المـاء مما هو أعظم من كل نهر، و أصـله السـعهٔ، و منه البحيرهٔ التى يبحر أذنها أى توسع شـقتها، و تبحر فى العلم: إذا اتسع فيه، و قوى تصرفه به.

أخبر اللَّه تعالى فى هـذه الآيـهٔ أنه حين أجاز قوم موسـى و قطع بهم البحر و أنجاهم من العـدو و أغرق عـدوهم فرعون و قومه، و أنهم بلغوا الى قـوم عـاكفين على أصـنام لهم- و معنى (العكوف) اللزوم للأـمر بالإقبـال عليه و المراعـاهٔ له تقول: عكف عكوفـاً و اعتكف اعتكافـاً، و منه الاعتكـاف لزوم المسـجد للعبـادهٔ فيه، و عكف عليه أي واظب عليه- و أنه لمَّا رأى قوم موسـى أولئـك العـاكفين على أصـنامهم و الملازمين لها دعاهم جبلتهم الى التشبيه بعبادهٔ الأوثان، لما فى طبع الإنسان من الحكايـهٔ- أن قالوا لموسـى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلههٔ. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲۸

و فى طبع كل حيوان الحكايـهٔ، و أقوى الحيوان طبعاً فى الحكايهٔ القرد، و له حكايات عجيبهٔ، و هذا الطلب منهم يدل على جهل عظيم من بنى إسـرائيل بعـد مـا رأوا الآيـات التى توالت على فرعون و قومه حتى غرَّقهم اللَّه فى البحر بكفرهم بعـد ما نجَّا بنى إسـرائيل، فلم يردعهم ذلـك عن أن قـالوا لموسـى (ع) «اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ» و توهمهم أنه يجوز عبادهٔ غير اللَّه، و إن اعتقـدوا أنه لا يشـبه الأشياء و لا تشبهه، و لا يدل طلبهم ذلك على أنهم مشبههٔ، لما قلناه.

و قوله تعالى «إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» حكايهٔ عما أجابهم به موسـى (ع) فقال لهم: إنكم قوم تجهلون مَن المستحق للعبادهٔ و ما الذى يجوز أن يتقرب به الى اللَّه تعالى، و يحتمل أن يكون أراد تجهلون من صفات اللَّه ما يجوز عليه و ما لا يجوز.

قوله تعالى:[سورهٔ الأعراف (۷): آيهٔ ۱۳۹] ..... ص : ۵۲۸

إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۳۹)

آيهٔ بلا خلاف.

فى هـذه الآيهٔ حكايهٔ عما قال موسـى (ع) لقومه حين سألوه أن يجعل لهم إلهاً بعد أن قال لهم «إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» ما يجوز أن يعبد و ما لا يجوز و أنه أخبرهم «إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ» يشير فيه الى العابـد و المعبود من الأصـنام و معناه مهلك، فالمتبر المهلك المدمر عليه، و التبـار الهلاـك، و منه قوله تعالى «وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً» «۱» و منه التبر للذهب سـمى بذلك لأمرين: أحدهما- أن معدنه مهلكهٔ، و قال الزجاج: يقال لكل أناء متكسر متبر، و كسارته تبره.

و قوله تعالى «وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه،

---

(۱) سورهٔ ۷۱ نوح آيهٔ ۲۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۲۹

و بأنه لا يصح فى عدم و لا وجود. و المعنى فى بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم بنفع و لا يدفع ضـرر، فكأنه بمنزلهٔ ما لم يكن من هذا الوجه. و العمل إحـداث ما به يكون الشـىء على نقيض ما كان، و هو على ضـربين: أحـدهما- إحـداث المعمول. و الآخر- إحداث ما يتغير به.

و (هؤلاء) أصله أولاء ادخلت عليه (هاء) التنبيه، و هو مبنى لتضمنه معنى الاشارهٔ المعرفهٔ، و هو مع ذلك مستبهم استبهام الحروف، إذا هو مفتقر فى البيان عن معناه الى غيره.

قوله تعالى:[سورهٔ الأعراف (۷): آيهٔ ۱۴۰] ..... ص : ۵۲۹

قالَ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلهاً وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ (۱۴۰)

آيـهٔ فى هـذه الآيـهٔ إخبار أيضاً عما قال موسـى لقومه بعـد إزرائه على الأصـنام و على من كان يعبدها و أن ما يفعلونه باطل مهلك: أ أطلب غير اللَّه لكم إلهاً؟! قاله على وجه الإنكار عليهم و إن كان بلفظ الاسـتفهام، فنصب «أغير اللَّه» على أنه مفعول به، و نصب (إلهاً)

على أحد شيئين:

أحدهما- كأنه قال أ أطلب لكم غير اللّه تعالى معبوداً؟!.

و الثاني- أن يكون نصب إلهاً على أنه مفعول به، و نصب (غير) على الحال التى لو تأخرت كانت صفة.

و (بغى) يتعدى الى مفعولين، و طلب يتعدى الى مفعول واحد، لأن معنى بغى أعطى: بغاه الخير أعطاه الخير، و ليس كذلك طلب، لأنه غير مضمن بالمطلوب، و قد يجوز أن يكون بمعنى أبغى لكم.

و قوله «وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و أبو على و غيرهما: يريد على عالمى زمانهم.

الثاني- معناه خصكم بفضائل من النعم بالآيات التى آتاكم، و إرسال التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۰

موسى و هارون، و هما رجلان منكم، و من إهلاك عدوكم بالتغريق فى البحر، و نجاتكم. و كل ذلك بمرأى و مستمع منكم. و الفرق بين التعظيم و التفضيل أن التفضيل يدل على فضل فى النفس، و هو زيادة على غيره، و ليس كذلك التعظيم، و لذلك جاز وصف اللّه تعالى بالتعظيم و لم يجز بالتفضيل.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۱] ..... ص : ۵۳۰

وَ إِذْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۱۴۱) آية.

قرأ ابن عامر (نجيناكم) على لفظ الماضى. الباقون «أنجيناكم» و قرأ نافع وحده «يَقتلون» بالتخفيف. الباقون بالتشديد. من شدد أراد التكثير. و من خفف، فلأنه يحتمل القلة و الكثرة.

و قد مضى تفسير مثل هذه الآية فى سورة البقرة «۱» فلا وجه للتطويل بتفسيرها، و إنما نذكر جملها، فنقول: هذا خطاب لبقية بنى إسرائيل الذين كانوا فى زمن النبى (ص) فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما أنعم على آبائهم و أسلافهم و اذكروا «إِذْ أَنْجَيْناكُمْ» من آل فرعون بمعنى خلصناكم لأن النجاة الخلاص مما يخاف الى رفعة من الحال، و أصله الارتفاع، فمنه النجا أى الارتفاع فى السير، و منه قوله «نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ» «۲» أى نلقيك على نجوة من الأرض، و النجو كناية عن الحدث، لأنه كان يلقى بارتفاع من الأرض للابعاد به، و قد كان أيضاً يطلب به الانخفاض للابعاد به.

و الفرق بين (أنجيناكم) و بين (نجيناكم) أن ألف (أنجيناكم) للتعدية

---

(۱) فى تفسير آية ۴۹- ۵۰ من سورة ۲ البقرة، المجلد الأول ص ۲۱۷- ۲۳۱.

(۲) سورة ۱۰ يونس آية ۹۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۱

و تشديد [نجيناكم يحتمل التعدية، و يحتمل التكثير.

و قوله تعالى «يَسُومُونَكُمْ» معناه يولونكم اكراها و يحملونكم إذلالا «سُوءَ الْعَذابِ» و أصل السوم مجاوزة الحدِّ فمنه السوم فى البيع، و هو تجاوز الحد فى السعر الى الزيادة، و السائمة من الإبل الراعية، لأنها تجاوزت حد الانبات للرعى، و منه فلان سيم الخسف أى ألزمه إكراهاً، و (السوء) مأخوذ من أنه يسوء النفس لنافرية لها. «يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ» معناه إن فرعون كان يقتل من تولد من بنى إسرائيل ذكراً و يستبقى الإناث للاستخدام.

و قوله تعالى «وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» فالمراد بالبلاء هاهنا النعمة و قد يكون بمعنى النقمة، و أصله المحنة، فتارة تكون

المحنة بالنعمة، و أخرى بالنقمة، و بالخير تارة و بالشر أخرى.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۲] ..... ص : ۵۳۱

وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قالَ مُوسى لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (۱۴۲)

آية بلا خلاف.

قيل فى فائدة قوله «وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ» و لم يقل أربعين ليلة أقوال:

أحدها- أنه أراد شهراً و عشرة أيام متوالية. و قيل: إنه ذو العقدة و عشر من ذى الحجة. و لو قال أربعين ليلة لم يعلم أنه كان الابتداء أول الشهر، و لا أن الأيام كانت متوالية، و لا أن الشهر شهر بعينه، هذا قول الفراء، و هو معنى قول مجاهد و ابن جريج و مسروق و ابن عباس، و أكثر المفسرين.

الثانى- أن المعنى وعدناه ثلاثين ليلة يصوم فيها و يتفرد للعبادة بها.

ثم أتمت بعشر الى وقت المناجاة. و قيل فى العشر نزلت التوراة فلذلك أفردت بالذكر. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۲

الثالث-

قال أبو جعفر (ع) كان أول ما قال لهم: إنى أتأخر عنكم ثلاثين يوماً، ليسهل عليهم، ثم زاد عليهم عشراً، و ليس فى ذلك كذب، لأنه إذا تأخر عنهم أربعين ليلة، فقد تأخر ثلاثين قبلها.

و قال الحسن كان الموعد أربعين ليلة فى أصل الوعد، فقال فى البقرة «واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» «۱» و فصله- هاهنا- على وجه التأكيد فقال ثلاثين ليلة و أتممناها بعشر.

و قوله تعالى «فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و معناه فتم الميقات أربعين ليلة، و إنما قال ذلك مع أن ما تقدم دل على هذا العدد، لأنه لو لم يورد الجملة بعد التفصيل و هو الذى يسميه الكتاب الفذلكة، لظن قوله «وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ» أى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين، كما يقال: تممت العشرة بدرهمين و سلمتها اليه.

و قيل فى معنى قوله تعالى «واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً» ينفرد فيها للعبادة فى المكان الذى وقت له ثم أتم الأربعين.

و الفرق بين الميقات و الوقت أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الاعمال و الوقت وقت الشيء قدره مقدر أو لم يقدره، و لذلك قيل: مواقيت الحج و هى المواضع التى قدرت للإحرام بها.

و قوله تعالى «وَ قالَ مُوسى لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» الذين يفسدون فى الأرض، و انما أمره بذلك مع أنه نبى مرسل، لأن الرياسة كانت لموسى (ع) على هارون و جميع أمته، و لم يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك. و قال أبو على: السبعون الذين اختارهم موسى للميقات كانوا معه فى هذا الخروج، و سمعوا كلام اللَّه لموسى (ع) و كانوا شهدوا له بذلك.

و قوله «هارون» فى موضع جرّ، لأنه بدل من قوله (لأخيه) و إنما فتح لأنه لا ينصرف، و لو رفع على النداء كان جائزاً و لم يقرأ به أحد.

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۵۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۳

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۳] ..... ص : ۵۳۳

وَ لَمَّا جاءَ مُوسی لِمِیقاتِنا وَ کَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قالَ لَنْ تَرانِی وَ لکِنِ انْظُرْ إِلَی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکانَهُ فَسَوْفَ تَرانِی فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا وَ خَرَّ مُوسی صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ (۱۴۳)

آیة بلا خلاف.

قرأ أهل الحجاز إلا عاصماً «دکاء» بالمد و الهمزة من غیر تنوین- هاهنا و فی الکهف- وافقهم عاصم فی الکهف. الباقون «دکاً» منونة مقصورة فی الموضعین، قال أبو زید: یقال: دککت علی المیت التراب أدکه دکاً: إذا دفنته و أهلت علیه، و هما بمعنی واحد، و دککت الرکیة دکاً إذا دفنته، و دک الرجل فهو مدکوک إذا مرض، و قال أبو عبیدة «جعله دکاً» أی مندکاً، و الدَّک و الدَّکة مصدره، و ناقة دکاء ذاهبة السنام و الدک المستوی، و انشد للأغلب: هل غیر عاد دکَّ عاداً فانهدم و قال أبو الحسن: لما قال «جعله دکاً» فکأنه قال: دکه أی أراد جعله ذا دک، و یقال: دکاء جعلوها مثل الناقة الدکاء التی لا سنام لها. قال أبو علی الفارسی: المضاف محذوف- علی تقدیر فی قول أبی الحسن، و فی التنزیل «وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُکَّتا دَکَّةً واحِدَةً» «۱» و قال «کَلَّا إِذا دُکَّتِ الْأَرْضُ دَکًّا دَکًّا» «۲» و قال الرمانی: معنی دکاً مستویا بالأرض، یقال: دکه یدکه دکاً إذا سحقه سحقاً، و منه الدکة. و اندک السنام إذا لصق بالظهر.

و قال الزجاج: دکاً یعنی مدقوقاً مع الأرض، و الدکاء و الدکاوات الروابی

---

(۱) سورة ۶۹ الحاقة آیة ۱۴

(۲) سورة ۸۹ الفجر آیة ۲۱. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۳۴

التی مع الأرض ناشزة عنها لا تبلغ أن تکون جبلًا. و قیل: إیه سباخ فی الأرض- فی قول الحسن و سفیان و أبی بکر الهذلی. و قال ابن عباس:

صار تراباً، و قال حمید:

یدک أرکان الجبال هزمه یخطر بالبیض الرقال بهمه «۳»

و قیل فی معنی قراءة من قرأها ممدودة قولان:

أحدهما- انه شبَّه الجبل بالناقة التی لا سنام لها، فیقال لها: دکاء فکأنه قال فجعله مثل دکاء.

الثانی- فجعله أرضاً دکاء.

أخبر اللَّه تعالی فی هذه الآیة أن موسی (ع) لما جاء الی میقات ربه و هو الموضع الذی وقته له، و کلَّمه اللَّه تعالی فیه سأل اللَّه تعالی أن یریه لینظر الیه.

و اختلف المفسرون فی وجه مسألة موسی (ع) ذلک مع أن الرؤیة بالحاسة لا تجوز علیه تعالی علی ثلاثة أقوال:

أحدها- أنه سأل الرؤیة لقومه حین، قالوا له «لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی نَرَی اللَّهَ جَهْرَةً» «۴» بدلالة قوله «أَ تُهْلِکُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا» «۵».

فإن قیل علی هذا ینبغی أن یجوزوا أن یسأل اللَّه تعالی هل هو جسم أم لا أو یسأله الصعود و النزول، و غیر ذلک مما لا یجوز علیه؟!!

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه یجوز ذلک إذا علم أن فی ورود الجواب من جهة اللَّه مصلحة، و أنه أقرب الی زوال الشبهة عن القوم بأن ذلک لا یجوز علیه تعالی، کما جاز ذلک فی مسألة الرؤیة. و قال الجبائی: إنهم سألوا اللَّه تعالی قبل ذلک هل یجوز علیه تعالی النوم أم لا؟ و قالوا له: سل اللَّه أن یبین لنا ذلک، فسأل اللَّه تعالی ذلک، فأمره بأن یأخذ قدحین یملأ أحدهما ماء، و الآخر دهناً، ففعل

---

(۳) تفسير الطبرى ۱۳/ ۱۰۰.

(۴) سورة ۲ البقرة آية ۵۵.

(۵) سورة ۷ الاعراف آية ۱۵۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۵

و ألقى عليه النعاس، فضرب أحدهما على الآخر فانكسرا، فأوحى اللّه تعالى اليه أن لو جاز عليه تعالى النوم لاضطراب أمر العالم، كما اضطرب القدحان فى مدة حتى تكسرا.

الثانى- عن هذا السؤال أنه إنما يجوز أن يسأل اللّه ما يمكن أن يعلم صحته بالسمع، و ما يكون الشك فيه لا يمنع من العلم بصحة السمع، و إنما يمنع من ذلك سؤال الرؤية التى تقتضى الجسمية و التشبيه، لأن الشك فى الرؤية التى لا تقتضى التشبيه مثل الشك فى رؤية الضمائر و الاعتقادات، و ما لا يجوز عليه الرؤية، و ليس كذلك الشك فى كونه جسماً أو ما يتبع كونه جسماً من الصعود و النزول، لأن مع الشك فى كونه جسماً، لا- يصح العلم بصحة السمع من حيث أن الجسم لا- يجوز أن يكون غنياً و لا عالماً بجميع المعلومات، و كلاهما لا بد فيه من العلم بصحة السمع، فلذلك جاز أن يسأل الرؤية التى لا توجب التشبيه و لم يجز أن يسأل كونه جسماً، و ما أشبهه.

و الجواب الثانى- فى أصل المسألة: أنه سأل العلم الضرورى الذى يحصل فى الآخرة، و لا يكون فى الدنيا ليزول عنه الخواطر و الشبهات، و الرؤية تكون بمعنى العلم، كما تكون الإدراك بالبصر، كما قال «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ» «۱» و أمثاله. و للأنبياء أن يسألوا ما يزول عنهم الوساوس و الخواطر، كما سأل ابراهيم ربه «فقال رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى «۲» غير أنه سأل ما يطمئن قلبه الى ذلك و تزول عنه الخواطر و الوساوس، فبين اللّه تعالى له أن ذلك لا يكون فى الدنيا.

الثالث- أنه سأل آية من آيات الساعة التى يعلم معها العلم الذى لا يختلج فيه الشك كما يعلم فى الآخرة و هذا قريب من الثانى.

و قال الحسن و الربيع و السدى: إنه سأل الرؤية بالبصر على غير وجه التشبيه.

---

(۱) سورة ۱۰۵ الفيل آية ۱.

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۶۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۶

و قوله «لن ترانى» جواب من اللّه تعالى لموسى أنه لا- يراه على الوجه الذى سأله، و ذلك دليل على أنه لا يرى لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، لأن (لن) تنفى على وجه التأبيد، كما قال «وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً» «۱» و هذا إنما يمكن أن يعتمده من قال بالجواب الأول، فأما من قال: انه سأل العلم الضرورى أو عالماً من أعلام الساعة لا- يمكنه أن يعتمده، لأن ذلك يحصل فى الآخرة، فيجرى ذلك مجرى اختصاص الرؤية بالبصر على مذهب المخالف بحال الدنيا.

و قوله تعالى «فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي» معناه إن استقر الجبل فى حال ما جعله دكاً متقطعاً فسوف ترانى، فلما كان ذلك محالًا لأن الشيء لا يكون متحركاً ساكناً فى حال واحدة، كانت الرؤية المتعلقة بذلك محالة، لأنه لا يعلق بالمحال إلا المحال.

و قوله «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ» معناه ظهر بآياته التى أحدثها فى الجبل لحاضرى الجبل بأن «جَعَلَهُ دَكًّا». و قيل: إن اللّه تعالى أبرز من ملكوته ما تدكدك به إذ فى حكمه أن الدنيا لا تقوم لما يبرز من الملكوت الذى فى السموات، كما قيل: إنه ابرز الخنصر من العرش، و يجوز أن يكون المراد «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ» لأهل الجبل، كما قال «وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ» «۲» و التجلى هو الظهور، و يكون ذلك تارة بالرؤية، و أخرى بالدلالة، قال الشاعر:

تجلى لنا بالمشرفية و القنا و قد كان عن وقع الأسنة نائيا

و إنما أراد الشاعر أن تدبيره دل عليه حتى علم أنه المدبر لذلك و أن تدبيره صواب، فقال تجلى أى علم، و لم ير بالأبصار، و لا أدرك بالحواس، لأنه كان عن وقع الأسنة نائياً، و لكن استدل عليه بحسن تدبيره.

و قال قوم: معناه فلما تجلى بالجبل لموسى قالوا: و حروف الصفات تتعاقب فيكون (اللام) بمعنى (الباء). و قال قوم: لو أراد موسى الرؤية بالبصر لقال أرينك أو أرنى نفسك، و لا يجوز غير ذلك فى اللغة.

---

(۱) سورة ۶۲ الجمعة آية ۶.

(۲) سورة ۱۲ يوسف آية ۸۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۷

و قوله «وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً» قيل فى معنى ذلك قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و ابن زيد و أبو على الجبائى: إنه وقع مغشياً عليه من غير أن يكون قد مات بدلالة قوله «فَلَمَّا أَفاقَ» و لا يقال للميت إذا عاش أفاق، و إنما يقال: عاش أو حيى، و قال قتادة: معناه مات.

و قوله «قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ» قيل فى معنى توبته ثلاثة أقوال:

أحدها- أنه تاب، لأنه سأل قبل أن يؤذن له فى المسألة، و ليس للأنبياء ذلك.

الثانى- أنه تاب من صغيرة ذكرها.

الثالث- أنه قال ذلك على وجه الانقطاع اليه و الرجوع الى طاعته، و إن كان لم يعص، و هذا هو المعتمد عندنا دون الأولين، على أنه يقال لمن جوز الرؤية على اللَّه تعالى إذا كان موسى (ع) إنما سأل ما يجوز عليه فمن أى شيء تاب؟ فلا بد لهم من مثل ما قلناه من الأجوبة.

فإن قيل: كيف يجوز أن يكون تجويز الرؤية صغيراً مع أنه جهل باللَّه على مذهب من قال إنه كان ذلك صغيرة؟! قيل: لأنه إذا لم تكن الرؤية المطلوبة على وجه التشبيه جرى مجرى تجويزه أن تكون هذه الحركة من مقدورات اللَّه فى أنه لا يخرجه من أن يكون عارفاً به تعالى، و إنما شك فى الرؤية و الحركة.

و قوله «وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الجبائى: أنا أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك فأنا أول المؤمنين من قومى باستعظام سؤال الرؤية.

الثانى- قال مجاهد: و أنا أول المؤمنين من بنى إسرائيل.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۴] ..... ص : ۵۳۷

قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۱۴۴)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۸

قرأ أهل الحجاز، و روح «برسالتى» على التوحيد. الباقون «برسالاتى» على الجمع. و الرسالة تجرى مجرى المصدر فتفرد فى موضع الجمع، و إن لم يكن المصدر من (أرسل) يدلك على أنه جار مجراه قول الأعشى:

ففادك بالخيل أرض العدو و جذعانها كلقيطة العجم «۱»

فاعماله إياها إعمال المصدر بذلك على أنه يجرى مجراه، و المصدر قد يقع لفظ الواحد فيه و المراد به الكثرة، و كان المعنى على الجمع لأنه مرسل لضروب من الرسالة، و المصادر قد تجمع مثل الحلوم و الألباب. و قال تعالى «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» «۲» فجمع الأصوات لما أريد بها أجناس مختلفة صوت الحمار بعضها، فأفرد صوت الحمار، و إن كان المراد به الكثرة، لأنه صوت واحد.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه نادى موسى (ع) و قال له «يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ» و معنى الاصطفاء استخلاص الصفوة لما لها من الفضيلة. و الفضائل على وجوه كثيرة: أجلها قبول الأخلاق الكريمة و الأفعال الجميلة، و لهذا المعنى اصطفى موسى (ع) حتى استحق الرسالة، و أن يكلم بتلقين الحكمة.

و قوله تعالى «برسالاتى و بكلامى» فيه بيان ما به اصطفاه و هو أن جعله نبياً و خصه بكلامه بلا واسطة، و هما نعمتان عظيمتان منه تعالى عليه، فلذلك امتن بهما عليه، و إنما صار فى كلام الجليل نعمة على المكلم، لأنه كلمه بتعليم الحكمة من غير واسطة بينه و بين موسى، و من أخذ العلم عن العالم المعظم كان أجل رتبة، و لو كلم إنساناً بالانتهار و الاستخفاف، لكان نقمة عليه بالضد من تلك الحال.

و قوله تعالى «فَخُذْ ما آتَيْتُكَ» معناه تناول ما أعطيتك «وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» يعنى من المعترفين بنعمتى، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها على حسب مرتبتها، فإذا كانت من أعظم النعم، وجب أن تقابل

---

(۱) ديوانه: ۳۰ القصيدة ۳.

(۲) سورة ۳۱ لقمان آية ۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۳۹

بأعظم الشكر، و هو شكر العباد للَّه وحده على وجه الإخلاص له.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۵] ..... ص : ۵۳۹

وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ (۱۴۵)

آية بلا خلاف.

أخبر اللَّه تعالى فى هذه الآية أنه كتب لموسى (ع) فى الألواح من كل شىء موعظة و تفصيلًا لكل شىء، و قال الجبائى: المكتوب فى الألواح التوراة، فيها اخبار الأمم الماضية، و فصل فيها الحرام و الحلال. و (الألواح) جمع لوح، و قال الزجاج: كانا لوحين فجمع، قال: و يجوز أن تكون ألواحاً جماعة، و اللوح صفيحة مهيأة للكتابة فيها، و قد يقال لوح فضة تشبيهاً باللوح من الخشب، و مثله لو عمل من حجر، و قال الحسن: و كانت الألواح من خشب نزلت من السماء، و معنى كتبنا له من كل شىء كتبنا اليه كل ما فى شرعه من حلال و حرام، و حسن و قبيح، و واجب و ندب، و غير ذلك مما يحتاجون الى معرفته. و قيل: كتب له التوراة فيها من كل شىء من الحكم و العبر.

و أصل اللوح اللمع يقال: لاح الامر يلوح، لوحا إذا لمع و تلألأ.

و التلويح تضمير، و لوَّحه السفر و العطش إذا غيَّره تغييراً تبين عليه أثره، لأن حاله يلوِّح بما نزل به، و اللوح الهواء، لأنه كاللامع فى هبوبه، و اللوح مأخوذ من أن المعانى تلوح بالكتابة فيه. و (الموعظة) التحذير بما يزجر عن القبيح و تبصر مواقع الخوف تقول: وعظه يعظه وعظاً و موعظة، و اتعظ اتعاظاً إذا قبل الوعظ.

و قوله «وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» يعنى تمييزاً لكل ما يحتاجون اليه.

و قوله «فَخُذْها بِقُوَّةٍ» قيل: معناه بجد و اجتهاد. و قيل: بصحة عزيمة، التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۴۰

و لو أخذه بضعف نية لأداه الى فتور العمل به.

و قوله «وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها» معناه يأخذوا بأحسن المحاسن، و هى الفرائض و النوافل، و أدونها فى الحسن المباح، لأنه لا

يستحق عليه حمد و لا ثواب. و قال الجبائی: أحسنها الناسخ دون المنسوخ المنهی عنه، لأن العمل بهذا المنسوخ قبیح. و قال الزجاج: يأخذوا بأحسنها معناه بما هو حسن دون ما هو قبيح، و هذا تأويل بعيد، لأنه لا يقال فی الحسن أنه أحسن من القبيح. و يجوز أن يكون المراد بأحسنها حسنها، كما قال تعالى «وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» «۱» و معناه هين. و يحتمل ان يكون أراد بأحسنها الى ما دونه من الحسن، ألا ترى أن استيفاء الدين حسن و تركه أحسن، و أما القصاص فی الجنايات فحسن و العفو أحسن و يكون ذلك على وجه الندب.

و قوله عز و جل «سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ» قال الحسن و مجاهد و الجبائی:

يعنی به جهنم، و المراد به فليكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم، و قال قتادة: هی منازلهم أی لتعتبروا بها و بما صاروا اليه من النكال فيها.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۶] ..... ص : ۵۴۰

سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ (۱۴۶)

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائی و خلف «الرشد» بفتح الراء و الشين. الباقون بضم الراء و سكون الشين. و فرق بينهما أبو عمرو بن العلاء، فقال: الرشد- بضم الراء- الصلاح، كقوله «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً» «۲» أی صلاحاً، لدفعه اليهم، و الرشد الاستقامة فی الدين، كقوله «عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً»

---

(۱) سورة ۳۰ الروم آية ۲۷.

(۲) سورة ۴ النساء آية ۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۴۱

«۳» و قال الكسائی: هما لغتان بمعنى واحد، مثل الحزْن و الحزَن، و السقْم و السقَم، و الرشد سلوك طريق الحق تقول: رشُد يرشد رشداً، و رشِد يرشد رشدا، و أرشده إرشادا، و استرشد استرشادا، و ضده الغی: غوی يغوی غياً و غواية، و أغواه إغواء، و استغواه استغواء.

و قال الجبائی و الرمانی: معنا «سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ» أی سأصرف عن آياتی من العز و الكرامة بالدلالة التی كسبت الرفعة فی الدنيا و الآخرة، و يجوز ان يكون معناه أی احكم عليهم بالانصراف و اسميهم بأنهم منصرفون عنها، لأنهم قد انصرفوا عنها، كما قال «ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «۴».

و يحتمل أن يكون المراد انی سأصرفهم عن التوراة و القرآن، و ما أوحى اللَّه من كتبه بمعنى امنعهم من إفساده و تغييره و إبطاله، لأنه قال فی أول الآية «وَ كَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ» الى قوله تعالى «سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ» و يجوز أن يكون المراد «سأريهم آياتی» فينصرفون عنها و هم الذين يتكبرون فی الأرض بغير الحق، كما يقول القائل: سأحير فلانا أی اسأله عن شیء فيتحير عند مسألتی، و سأنجل فلانا أی أسأله ما ينجل عنده، و كذلك يقال: سأقطع فلانا بكلامی، و المراد انه سينقطع عند كلامی، و كل ذلك واضح بحمد اللَّه.

و يجوز أن يكون المراد انهم لما عاندوا و تمردوا بعد لزوم الحجة عليهم و حضروا للتلبيس و الشغب على ما حكاه اللَّه عنهم انهم قالوا «لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ» «۵» صرفهم اللَّه بلطفه عن الحضور كما كانوا يحضرونه، و يحتمل أن يكون المراد سأصرف عن جزاء آياتی.

و من زعم انه بمعنى سأصرف عن الايمان بآياتی فقد أخطأ، لأنه تعالى لا يأمر بالايمان ثم يمنع منه، لان حكمته تمنع من ذلك.

و الصرف نقل الشيء الى خلاف جهته، يقال: صرفه يصرفه صرفا،

(۳) سورة ۱۸ الكهف آية ۶۷.

(۴) سورة ۹ التوبة آية ۱۲۸.

(۵) سورة ۴۱ حم السجدة آية ۲۶. [.....]

التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۴۲

و صرّفه تصريفا، و تصرف تصرفا، و صارفه مصارفة، و انصرف انصرافا.

و قوله تعالى «الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ» و التكبر اظهار كبر النفس على غيرها، و صفة متكبر صفة ذم فی جميع البشر، و هو مدح فی صفات اللَّه تعالى، لأنه يستحق اظهار الكبر على كل شيء سواه، لان ذلک حق، و هذا المعنى فی صفة غيره باطل، فمعنى الآية الاخبار من اللَّه انه يصرف عن ثواب آياته «الذين يتكبرون فی الأرض بغير الحق و ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها» يعنی الذين إذا شاهدوا الحجج و البراهين لا ينقادون لها، و لا يصدِّقون بها «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» و معناه انهم متى رأوا سبيل الصلاح عدلوا عنه، و لم يتخذوه طريقا لهم بمعنى انهم لا يعملون بذلک «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ ...» يعنی و ان يروا ضد الرشد من الكفر و الضلال سلكوه و ارتكبوا معصية اللَّه فی ذلک.

و قوله تعالى «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا» يحتمل ذلک أن يكون فی موضع رفع أی أمرهم ذلک، و يحتمل ان يكون نصبا أی فعلنا بهم ذلک، لأنهم تكبروا و كذبوا، و معناه: أفعل ذلک بهم، يعنی صرفی لهم عن ثواب الآيات الجزيل و المنزلة الجليلة.

و من قال من المجبرة: ان اللَّه تعالى يصرفه عن الايمان قوله باطل، لأنه تعالى لا يجوز ان يصرف أحدا عن الايمان، لأنه لو صرفه عنه ثم أمره به لكان كلفه ما لا يطيقه، و ذلک لا يجوز عليه تعالى. و أيضا فان اللَّه تعالى بين انه يصرفهم عن ذلک فی المستقبل، جزاء لهم على كفرهم الذی كفروا، فكيف يكون ذلک صرفا عن الايمان!! و قيل: إن معنى الآية أی سأصرف عن آياتی، و لا أظهرها لهم كما أظهرتها للمؤمنين، و يريد بذلک المعجزات الباهرات، لعلمی بأن إظهارها مفسدة لهم يزدادون عندها كفرا، تبين ذلک فی قوله تعالى «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا». التبيان فی تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۴۳

و قيل: معناه سأصرف عن إبطالها و الطعن فيها بما أظهره من حججها، كما يقال: سأمنعک من فلان أی من أذاه، ذكره البلخی.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۷] ..... ص : ۵۴۳

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۴۷)

آية بلا خلاف.

هذا إخبار من اللَّه تعالى أن الذين كذبوا بآياته، و جحدوا البعث و النشور فی الآخرة. و هی الكرة الثانية، لأنه حقيق على من عرف النشأة الأولى ألا ينكر النشأة الأخرى، لأن الذی قدر على الأولى، فهو على الثانية أقدر، كما أن من بنی دارا ابتداء، فهو على إعادتها أقدر.

و أصل اللقاء التقاء الحدين. ثم يحمل عليه الإدراک، فيقال لما أدركه:

لقيه، فهؤلاء كذبوا بإدراک الآخرة استبعاداً لكونها.

و قوله «حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ» إخبار من اللَّه تعالى أن من كذب بآياته و جحد البعث و النشور تنحبط أعماله، لأنها تقع على خلاف الوجه الذی يستحق بها المدح و الثواب فيصير وجودها و عدمها سواء، و الحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل.

و أصل الإحباط الفساد مشتق من الحبط، و هو داء يأخذ البعير فی بطنه من فساد الكلأ عليه، يقال: حبطت الإبل تحبط: إذا أصابها

ذلک، و إذا عمل الإنسان عملا على خلاف الوجه الذى أمر به يقال: أحبطه، بمنزلة من يعمل شيئاً ثم يفسده.

و قوله «هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ» أى به، و صورته صورة الاستفهام و المراد به الإنكار و التوبيخ، و المعنى ليس يجزون إلا ما كانوا يعملون إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۴۴

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۸] ..... ص : ۵۴۴

وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَ كانُوا ظالِمِينَ (۱۴۸)

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى «من حِلِيّهم»- بكسر الحاء و اللام- الباقون بضم الحاء و كسر اللام و تشديد الياء، و قرأ يعقوب بفتح الحاء و سكون اللام، و تخفيف الياء، فوجه قراءة يعقوب أن (الحلى) اسم جنس يقع على القليل و الكثير. و من قرأ بضم الحاء، فلأنه جمع (حلى) نحو ثِدِيٍّ و ثَدْى، و إنما جمعه لأنه أضافه الى جمع.

و من قرأ بكسر الحاء أتبع الكسرة الكسرة، و كره الخروج من الضمة الى الكسرة، و أجراه مجرى (قسى) جمع (قوس).

أخبر اللَّه تعالى عن قوم موسى أنهم اتخذوا من بعد مفارقة موسى لهم و مضيِّه الى ميقات ربه من حليهم، و معنى الاتخاذ الاعداد، و هو (افتعال) من الأخذ و أصله يتخذ إلا أن الياء تقلب فى (افتعل) و تدغم لأنها فى موضع ثقيل فى كلمة واحدة، و لا يجوز فى مثل (أحسن نوماً) الإدغام، و الاتخاذ اجتباء الشيء لأمر من الأمور، فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة، و الحلى ما أتخذ للزينة من الذهب و الفضة، يقال: حلى بعينى يحلا، و حلا فى فمى يحلو حلاوة، و حليت الرجل تحلية إذا وضعته بما يرى منه. و قد تحلى بكذا أى تحسن به، و العجل ولد البقرة القريب العهد بالولادة، و هو العجول أيضاً، و إنما أخذ من تعجيل أمره لصغره.

و قيل: إنهم عملوا العجل من الذهب، و قوله «جَسَداً لَهُ خُوارٌ» فالجسد جسم الحيوان مثل البدن، و هو روح و جسد، و الروح ما لطف،

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۴۵

و الجسد ما غلظ، و الجسم يقع على جسد الحيوان و غيره من الجمادات، و الخوار صوت الثور، و هو صوت غليظ كالجؤار، و بناء (فعال) يدل على الآفة نحو الصراخ، و العوار و السكات و العطاش و النباح. و فى كيفية خوار العجل مع أنه مصوغ من الذهب خلاف، فقال الحسن: قبض السامرى قبضة من تراب من أثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلک التراب فى فم العجل، فتحول لحماً و دماً، و كان ذلک معتاداً غير خارق للعادة، و جاز أن يفعل اللَّه لمجرى العادة. و قال الجبائى و البلخى: إنما احتال بإدخال الريح فيه حتى سمع له كالخوار، كما قد يحتال قوم اليوم كذلک.

ثم أخبر تعالى فقال «أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا» على وجه الإنكار عليهم و التعجب من جهلهم و بعد تصورهم، فقال: كيف يعبدون هذا العجل، و هم يشاهدونه، و لا يكلمهم و لا يتأتى منه ذلک، و لا يهديهم الى سبيل خير. ثم قال «اتَّخَذُوهُ» إلهاً «وَ كانُوا ظالِمِينَ» فى اتخاذهم له إلهاً واضعين للعبادة فى غير موضعها.

و الحلى الذى صاغ السامرى منه العجل كانوا أصابوه من حلى آل فرعون قذفه البحر، فقال السامرى ل (هارون): إن هذا حرام كله و ينبغى أن نحرقه كله أو نصرفه فى وجه المصلحة، فأمر هارون بجمع ذلک كله، و أخذه السامرى لأنه كان مطاعاً فيهم، فصاغه عجلًا و كان صائغاً، و طرحه فى النار و طرح معه التراب الذى معه.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۹] ..... ص : ۵۴۵

وَ لَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَ يَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (۱۴۹)

آية.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «لئن لم ترحمنا» بالتاء «ربنا» بالنصب على النداء. الباقون بالياء «ربنا» بالرفع على الخبر. التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۴۶

و معنى قوله «سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ» وقع البلاء فى أيديهم أى وجدوه وجدان من يده فيه، يقال: ذلك للنادم عند ما يجده مما كان خفى عليه، و يقال أيضاً:

سقط فى يديه أى صار الذى كان يضربه فى يديه.

و معنى قوله «وَ رَأَوْا» علموا «أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا» و تبينوا بطلان ما كانوا عليه من عبادة العجل و الكفر و الضلال، لأن ما تعلق به الرؤية، لا يجوز أن يكون مدركاً بالبصر، و هو معنى الجملة، و إنما يصح أن يعلم و أن يدخل على الجملة، و هى فى تقدير المفرد، و متى ظهر فساد الاعتقاد، فلا بد أن يندم صاحبه عليه، لأنه لا معنى للاقامة عليه مع توافر الدواعى الى خلافه، كما أنه لا معنى أن يكذب على نفسه مع علمه بكذبه، غير أنه مع ظهور الضلالة لهم لم يكونوا ملجئين الى الندم، لأن الإلجاء يقع إما بالعلم بالمنع أو تخوف من المضرة العاجلة أو النفع العظيم العاجل الذى مثله يلجئ، و لم يكن القوم على واحد من الأمرين، لأنهم كانوا مكلفين للندم.

و فى الآية دلالة على بطلان قول من يقول لا محجوج الا عارف، لأن اللّه وصفهم بأنهم سقط فى أيديهم عند ما رأوا من ضلالهم، فدل على أنهم كانوا محجوجين فى ترك الضلال الذى إن لم يغفر لهم هلكوا.

و قوله «لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَ يَغْفِرْ لَنا» أخبار عمّا قال القوم حين تبينوا ضلالهم و سقط فى أيديهم و التجائهم الى اللّه و اعترافهم بأنه ان لم يغفر لهم ربهم و يتغمدهم بمغفرته يكونوا من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بما يستحقونه من العقاب الدائم.

و قال الحسن: كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قول موسى «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي» «۱» و لو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له، و قال الجبائى:

إنما عبد بعضهم بدلالة ما ورد من الاخبار عن النبى (ص) فيما روى عنه فى هذا المعنى.

---

(۱) آية ۱۵۰ من سورة الاعراف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۴۷

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۰] ..... ص : ۵۴۷

وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۱۵۰)

آية بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و أبو بكر و ابن عامر «ابن أم» بكسر الميم.

الباقون بالفتح و القراء كلهم على «تُشمِت» بضم التاء. و قرأ حميد الأعرج، و مجاهد «لا تَشمت» بفتح التاء. و اللغة الفصيحة بضم التاء من (أشمت) و قد ذكر: شمت يَشمت، و أشمت يُشمت.

أخبر اللّه تعالى فى هذه الآية أن موسى حين رجع من مناجاة ربه رجع غضبان آسفاً، لما رأى من عكوف قومه على عبادة العجل. و الغضب معنى يدعو الى الانتقام على ما سلف و هو يضادُّ الرضا، يقال: غضب غضباً و أغضبه إغضاباً و غاضبه مغاضبة و تغضب تغضباً، و الأسف الغضب الذى فيه تأسف على فوت ما سلف. و قال ابن عباس: أسفاً يعنى حزيناً، و قال أبو الدرداء:

معناه شديد الغضب بدلالة قوله تعالى «فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا»»

و معناه أغضبونا كغضب المتحسر فى الشدة، و هو مجاز فى الصفة.

و قوله تعالى «بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي» معناه بئس ما عملتم خلفى، يقال: خلفه بما يكره و خلفه بما يحب إذا عمل خلفه ذلك العمل يقال: خلف خلفاً، و أخلف إخلافاً، و خالفة مخالفة، و اختلف اختلافاً، و استخلف استخلافاً

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۵۵.

و تخلّف تخلفا، و خلف تخليفا، و تخالفا تخالفاً.

و قوله «أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ» قال الجبائى معناه أ عجلتم منه ما وعدكم من ثوابه و رحمته، فلما لم تروه فعل بكم ذلك كفرتم، و استبدلتم به عبادة العجل، و العجلة التقدم بالشيء، قبل وقته، و السرعة عمله فى أول وقته، و لذلك صارت العجلة مذمومة، و السرعة محمودة و يقال: عجلته أى سبقته و أعجلته استحثثته.

و قوله «وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الجبائى: إنما هو كقبض الرجل منا على لحيته و عضه على شفته أو إبهامه، فأجرى موسى هارون مجرى نفسه، فقبض على لحيته، كما يقبض على لحية نفسه اختصاصاً. و قال أبو بكر بن الإخشيد: إن هذا أمر يتغير بالعادة و يجوز أن تكون العادة فى ذلك الوقت أنه إذا أراد الإنسان أن يعاتب غيره لا- على وجه الهوان أخذ بلحيته و جره اليه ثم تغيرت العادة الآن و قال: انما أخذ برأسه ليسر اليه شيئاً أراده. و قال «يا بن أم» حكاية عما قال هارون لموسى حين أخذ برأسه خوفاً من أن يدخل الشبهة على جهال قومه، فيظنون أن موسى فعل ذلك على وجه الاستخفاف به و الإنكار عليه «يا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي».

و من فتح ميم (أم) تحتمل قراءته أمرين:

أحدهما- أنه بنى لكثرة اصطحاب هذين حتى صار بمنزلة اسم واحد مع قوة النداء على التغيير نحو خمسة عشر.

الثاني- أنه على حذف الألف المبدلة من ياء الاضافة، كما قال الشاعر:

يا بنية عما لا تلومى و اهجعى «۱»

و القياس يا بن أمى، و من كسر الميم اضافه الى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً، و من العرب من يثبت الياء كما قال الشاعر:

(۱) سيأتى فى ۵: ۵۶۱ من هذا الكتاب و هو فى اللسان (عم).

يا بن أمي و يا شقيق نفسى أنت خليتنى لدهر شديد «۲»

و قال الآخر:

يا بن أمي و لو شهدتك إذ تدعو تميماً و أنت غير مجاب «۳»

و قال الحسن: كان أخاه لأبيه و أمه، و العرب تقول ذلك على وجه الاستعطاف بالرحم.

و قوله «فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ» فالشماتة سرور العدو بسوء العاقبة تقول: شمت به شماتة و أشمته إشماتاً إذا عرضته لتلك الحال.

و قوله «وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ» يعنى رماها. و قال مجاهد: كانت من زمرد أخضر. و قال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر، و قال أبو العالية:

كانت من زبرجد، و قال الحسن: كانت من خشب.

و قوله «وَ لا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» سؤال من هارون لموسى ألا يشمت به عدوه و لا يجعله فى جملة القوم الظالمين لبراءة ساحته

مما فعل قومه، فلما ظهر لموسى براءة ساحة هارون بأن له عـذراً، عذره فی المقام بینهم من خوفه على نفسه قال عند ذلک «رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی».

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۵۱] ..... ص : ۵۴۹

قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی وَ أَدْخِلْنا فِی رَحْمَتِکَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِینَ (۱۵۱)

آیة بلا خلاف.

فی هذه الآیة حکایة عن دعاء موسى (ع) ربه عز و جل- حین تبین له

---

(۲) قائله أبو زبید آمالی الزبیدی ۹ و جمهر اشـعار العرب ۱۳۹ و اللسان (شـقق) و تفسیر الطبری ۱۳/ ۱۲۹ و قد روى (کنود) بدل (شدید).

(۳) قائله غلفاء ابن الحارث، و هو معدیکرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آکل المرارة الکندی و هو عم امرئ القیس، و سمی (غلفاء) لأنه کان یغلف رأسه بالمسک. أنظر الأغانی ۱۲/ ۲۱۳ و تفسیر الطبری ۱۳/ ۱۳۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۵۰

ما نبهه علیه هارون من خوف التهمة، و دخول الشبهة علیهم بجره رأسه الیه- بأن یغفر له و لأخیه، و أن یدخلهما رحمته، و المقتضی لهذا الدعاء بالمغفرة قیل فیه قولان:

أحدهما- ما أظهره من الموجدة على هارون و هو بریء مما یوجب العتب علیه، لأنه لم یکن منه تقصیر فی الإنکار على من عبد العجل، لأنه بلغ معهم من الإنکار الى أن همُّوا بقتله لشدة إنکاره، و لذلک قال «إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ کادُوا یَقْتُلُونَنِی».

و الثانی- قال أبو علی: إنه بین بذلک لبنی إسرائیل أنه لم یأخذ برأسه على جهة الغضب علیه، و إنما فعل ذلک کما یفعله الإنسان بنفسه عند شدة غضبه على غیره، و لم یکن منه فی تلک الحال معصیة.

و کان هذا الدعاء من موسى انقطاعاً منه الى اللَّه تعالى، و تقرباً الیه لا أنه کان وقع منه أو من أخیه قبیح صغیر أو کبیر یحتاج أن یستغفر منه، و من قال: إنه استغفر من صغیرة کانت منه أو من أخیه، فقد أخطأ. و یقال له:

الصغیرة على مذهبکم تقع مکفرة محبطة، فلا معنى لسؤال المغفرة لها. و قد بینا فی غیر موضع أن الأنبیاء (ع) لا یجوز علیهم شیء من القبائح لا کبیرها و لا صغیرها لأن ذلک یؤدی الى التنفیر عن قبول قولهم، و الأنبیاء منزهون عما ینفر عنهم على کل حال.

و قوله «وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِینَ» اعتراف من موسى بأن اللَّه تعالى أرحم الراحمین و اعترافه بذلک دلیل على قوة طمعه فی نجاح طلبته، لأن من هو أرحم الراحمین یؤمل الرحمة من جهته و من هو أجود الأجودین یؤمل الجود من قبله.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۵۲] ..... ص : ۵۵۰

إِنَّ الَّذِینَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَیَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ (۱۵۲)

آیة بلا خلاف. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۵۱

فی هذه الآیة حذف، و تقدیره إن الذین اتخذوا العجل إلهاً و معبوداً سینالهم غضب، فحذف لدلالة الکلام علیه، و قوله فی موضع آخر «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُکُمْ وَ إِلهُ مُوسى فَنَسِیَ» «۱».

أخبر اللَّه تعالى فی هذه الآیة أن الذین اتخذوا العجل إلهاً و عبدوه من دون اللَّه سینالهم غضب، و معناه فسیلحقهم، و النول اللحوق و أصله مدُّ الید الى الشیء الذی یبلغه، و منه قولهم: نولک أن تفعل کذا أی ینبغی أن تفعله فانه یلحقک خیره و نواله. و تقول: ناوله

مناولة، و تناول تناولا، و أناله إنالة.

و قوله «غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ» يعنى عقاب من اللَّه تعالى و إنما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لأنه ابلغ فى الزجر عن القبيح، كما أن ارادة الحسنة فى الدعاء اليها و الترغيب فيها أبلغ من الاقتصار على الوعد بها.

و قوله «وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» بمعنى صغر النفس و الاهانة، يقال:

ذل يذل ذلة، و اذله إذلالًا، و تذلل تذللًا، و ذلله تذليلًا، و استذله استذلالًا.

و قيل المراد به ما يؤخذ منهم من الجزية على وجه الصغار.

و قوله «وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ» إخبار منه تعالى أنه مثل هذا الوعيد و العذاب و الغضب يجزى الكاذبين و المتخرصين عليه، و إنما كان عبادة غير اللَّه كفراً لأنه تضييع لحق نعمة اللَّه كتضييعه بالجحد للنعمة فى عظم المنزلة، و ذلك لما ينطوى عليه من تسوية من أنعم بأجل النعمة بمن لم ينعم، و فى ذلك إبطال لحق النعمة.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۳] ..... ص : ۵۵۱

وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۵۳)

آية بلا خلاف.

لمّا توعد اللَّه تعالى الذين عبدوا مع اللَّه غيره و عطف على وعيدهم توعيد

---

(۱) سورة ۲۰ طه آية ۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۵۵۲

المفترين عليه و المتخرصين فى دينه ما لم يأمر اللَّه به، عطف على ذلك، فقال «وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا» و هى جمع سيئة و هى الخصلة التى تسوء صاحبها عاقبتها، و هى نقيض الحسنة، كما أن الاساءة نقيض الإحسان «ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا» يعنى رجعوا الى اللَّه تعالى بعد فعلهم السيِّئة و ندموا عليها و عزموا على أن لا يعودوا الى مثلها فى القبح، و آمنوا بما أوجب اللَّه عليهم أجمع «إن ربك» يا محمد «من بعدها» يعنى من بعد السيئة «لغفور رحيم» يعنى يغفرها لهم و يسترها عليهم، لرحمته بعباده.

و قد بينا فيما مضى أن التوبة التى أجمعوا على سقوط العقاب عندها هى الندم على القبيح، و العزم على أن لا يعود الى مثله فى القبح، و فى غيرها خلاف، يقال: تاب يتوب توبة و (تاب اللَّه عليه) بمعنى وفقه للتوبة على الدعاء له، و (تاب عليه) أيضا: بمعنى قبل توبته، و التوبة طاعة يستحق بها الثواب بلا خلاف و يسقط العقاب عندها بلا خلاف، إلا أن عندنا يسقط ذلك تفضلا من اللَّه تعالى بورود السمع بذلك و عند المعتزلة العقل يوجب ذلك.

فإن قيل كيف قال «تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا» و التوبة هى إيمان؟

قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها- تابوا من بعد المعصية و آمنوا بتلك التوبة.

الثانى- استأنفوا عمل الايمان.

الثالث- آمنوا بأن اللَّه قابل التوبة. و قيل: إن الآية نزلت فيمن تاب من الذين كانوا عبدوا العجل، فإنهم تابوا و ندموا، و أكثرهم تعبدهم اللَّه بأن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضاً، و استسلموا لذلك، فقتل فى يوم واحد سبعون ألفاً ثم رفع عنهم ذلك و قبل توبتهم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۴] ..... ص : ۵۵۲

وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِي نُسْخَتِها هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (۱۵۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۵۳

آية بلا خلاف.

معنى قوله «و لما سكت» سكن، و سمى ذلك سكوتاً و إن كان الغضب لا ـ يتكلم، لأنه لما كان بفورته دالًا على ما فى النفس من المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك، فإذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلماً به و السكوت فى هذا الموضع أحسن من السكون، لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة لأخيه، مع سكون غضبه. و السكوت هو الإمساك عن الكلام بهيئة منافية لسببه، و هو تسكين آلة الكلام.

و إنما قيل: سكت الغضب و سكت الحزن على طريق المجاز إلا أنه فى شىء يظهر أثره، فيكون بمنزلة الناطق به، قال أبو النجم:

و همَّت الأفعى بأن تسيحا و سكت المكاء أن يصيحا «۱»

فإن قيل: كيف جاز أن يستفزه غضب الحمية عن غضب الحكمة؟

قلنا: ليس كذلك، و لكن غضب الحكمة صحبه غضب الحمية لما توجبه الحكمة. و سكون الغضب عن موسى (ع) لا يدل على أن قومه كانوا تابوا من عبادة العجل، لأنه يحتمل أن تكون زالت فورة الغضب و لم يزل الغضب، لأنه لم يخلص توبتهم بعد.

و يحتمل أن يكون زال غضبه لتوبتهم من كفرهم، و إذا احتمل الأمران لم يحكم بأحدهما إلا بدليل.

و قوله تعالى «أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِي نُسْخَتِها هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» معناه أنه لما سكن غضبه رجع فأخذ الألواح التى كان ألقاها، و كان الألواح مكتوبا فيها ما هو هدى و حجة و بيان و رحمة للذين هم لربهم يرهبون بمعنى يخافون عقابه، و يجوز أن يقال: لربهم يرهبون، و لا يجوز يرهبون لربهم، لأنه إذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى فى دخول اللام عليه تقدم أو تأخر، كما قال تعالى «ردف لكم» «۲».

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۳/ ۱۳۸.

(۲) سورة ۲۷ النمل آية ۷۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۵۴

و فى الآية دلالة على أنه يجوز إلقاء التوراة للغضب الذى يظهر بالقائها ثم أخذها، للحكمة التى فيها من غير أن يكون إلقاؤها رغبة عنها.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۵] ..... ص : ۵۵۴

وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقاتِنا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ (۱۵۵)

آية بلا خلاف.

الاختيار هو إرادة ما هو خير يقال: خيره بين أمرين فاختار أحدهما:

و الاختيار و الإيثار بمعنى واحد.

أخبر اللَّه تعالى أن موسى (ع) اختار من قومه سبعين رجلًا و حذف (من) لدلالة الفعل عليه مع إيجاز اللفظ قال الشاعر:

و منا الذى اختير الرجال سماحة و جوداً إذا هب الرياح الزعازع «۳»

و قال غيلان:

و أنت الذى اخترت المذاهب كلها بوهبين إذ ردت علىَّ الأباعر

و قال آخر:

فقلت له اخترها قلوصاً سمينة و ناباً عليها مثل نابک فى الحيا «۴»

يريد أختر منها، و قال العجاج:

(۳) قائله الفرزدق. ديوانه: ۵۱۶ و النقائض ۶۹۶ و سيبويه ۱/ ۱۸ و اللسان (خير) و تفسير الطبرى ۱۳/ ۱۵۵ و الكامل للمبرد ۱/ ۲۱.

(۴) قائله الراعى النميرى. طبقات فحول الشعراء: ۴۵۰ و معانى القرآن ۱/ ۳۹۵ و شرح الحماسة ۴/ ۳۷ و تفسير الطبرى ۱۳/ ۱۴۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۵۵

تحت الذى اختار له اللَّه الشجر «۵»

و إنما اختار إخراجهم للميقات. و الميقات المذكور- هاهنا- هو الميقات المذكور أولًا، لأنه فى سؤال الرؤية، و قد ذكر أولًا و دل عليه ثانياً. و قيل هو غيره، لأنه كان فى التوبة من عبادة العجل.

و قوله «فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» قيل فى السبب الذى، لأجله أخذتهم الرجفة قولان:

أحدهما- لأنهم سألوا الرؤية فى قول ابن إسحاق.

الثانى- قال ابن عباس: لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل. و قد بينا معنى الرجفة فيما مضى، و أنها الزلزلة العظيمة و الحركة الشديدة.

و قوله «قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ» حكاية عما قال موسى للَّه تعالى، و أنه ناداه، و قال يا رب لو شئت أهلكتنى و إياهم من قبل هذا الموقف.

و قوله «أ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا» معناه النفى، و إن كان بصورة الإنكار كما تقول (أ تشتمنى و أسكت عنك) أى لا يكون ذلک، و المعنى إنک لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، فبهذا نسألک رفع المحنة بالإهلاک عنا.

و قوله «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ» معناه إن الرجفة إلا اختبارک و ابتلاؤک و محنتک أى تشديدک تشديد التعبد علينا بالصبر على ما أنزلته بنا من هذه الرجفة و الصاعقة اللتين جعلتهما عقاباً لمن سأل الرؤية و زجراً لهم و لغيرهم، و مثله قوله «أ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ» «۱» يعنى بذلک الأمراض و الأسقام التى شدد اللَّه بها التعبد على عباده، فسمى ذلک فتنة من حيث يشدد الصبر عليها، و مثله «الم. أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ»

(۵) ديوانه: ۱۵ و مجاز القرآن ۱/ ۲۲۹ و معانى القرآن ۱/ ۳۹۵ و اللسان (خير) و تفسير الطبرى ۱۳/ ۱۴۷.

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۱۲۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۴، ص: ۵۵۶

«۲» و معناه لا- ينالهم شدائد الدنيا و الأمراض و غيرها، و يحتمل أن يكون المراد بذلک أن هى الا عذابک و قد سمى اللَّه تعالى العذاب فتنة فى قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «۳» أى يعذبون، فكأنه قال ليس هذا الإهلاک إلا عذابک لهم بما فعلوه من الكفر و عبادة العجل، و سؤالهم الرؤية، و غير ذلک.

و السبعون الذين كانوا معه و إن لم يعبدوا العجل، فقد كانوا سألوا موسى أن يسأل اللَّه تعالى ان يريه نفسه، ليخبروا بذلک أمته و يشهدوا له بأن اللَّه كلمه، فإن بنى إسرائيل قالوا لموسى: لا نصدقک على قولک إن اللَّه كلمک من الشجرة، فاختار السبعين حتى سمعوا كلام اللَّه، و شهدوا له بذلک عند قومه، فسألوا أن يسأل اللَّه الرؤية أيضاً ليشهدوا له، فلذلک استحقوا الإهلاک و لم يثبت أن

السبعين كانوا معصومين، و لا أنهم كانوا أنبياء، فينتفى عنهم ذلك.

و قيل المراد بقوله «أ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا» أى أ تميتنا بالرجفة التى تميتهم بها، و إن لم يكن ذلك عقوبة لنا. و الهلاك الموت، لقوله «إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ» «۴» و الفتنة الكشف و الاختبار، قال المسيب بن علس:

إذ تستبيك بأصلتى ناعم قامت لتفتنه بغير قناع

أى لتكشفه و تبرزه. و قوله «تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ» معناه تضل بترك الصبر على فتنتك و ترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك. و دخول جنتك، و تهدى بالرضا بها و الصبر عليها من تشاء، و إنما نسب الضلال الى اللَّه لأنهم ضلوا عند أمره و امتحانه، كما أضيفت زيادة الرجس الى السورة فى قوله «فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ» «۵» و إن كانوا هم الذين ازدادوا عندها.

و المعنى تختبر بالمحنة من تشاء لينتقل صاحبه عن الضلالة، و تهدى من تشاء

---

(۲) سورة العنكبوت آية ۱- ۲.

(۳) سورة ۵۱ الذاريات آية ۱۳ [.....]

(۴) سورة ۴ النساء آية ۱۷۵.

(۵) سورة ۹ التوبة آية ۱۲۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۵۵۷

معناه تبصره بدلالة المحنة ليثبت صاحبها على الهداية من تشاء.

و قوله «أَنْتَ وَلِيُّنا». معناه أنت ناصرنا و أولى بنا «فَاغْفِرْ لَنا» سؤال منه المغفرة له و لقومه. و قوله «وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ» إخبار من موسى بأن اللَّه خير الساترين على عباده و المتجاوزين لهم عن جرمهم.

قوله تعالى:[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۶] ..... ص : ۵۵۷

وَ اكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ (۱۵۶)

آية بلا خلاف.

هذا تمام الاخبار عما قال موسى و قومه الذين كانوا معه، و أنهم سألوا اللَّه تعالى المغفرة و أن يكتب لهم فى هذه الدنيا حسنة و هى النعمة، و إنما سميت النعمة حسنة و إن كانت الحسنة اسم الطاعة للَّه لأمرين:

أحدهما أن النعمة تتقبلها النفس كما يتقبل العقل الحسنة التى هى الطاعة.

و الآخر- أن النعمة ثمرة الطاعة للَّه عز و جل، و إنما سألوا أن يكتب لهم، و لم يسألوا أن يجعل لهم، لأن ما كتب من النعمة أثبت لا سيما إذا كانت الكتابة خبراً بدوام النعمة، و يقال كتب له الرزق فى الديوان، فيدل على ثبوته على مرور الأزمان. «وَ فِي الْآخِرَةِ» معناه و اكتب لنا فى الآخرة أيضاً النعمة التى هى الثواب «إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ» قال ابن عباس معناه تبنا اليك، و به قال سعيد بن جبير و ابراهيم و قتادة و مجاهد. و أصله الرجوع من هاد يهود، فهو هايد إذا رجع، فمعناه رجعنا بتوبتنا اليك، و التهويد الترفق فى السير و التفريج و التمكث. و قال أبو وجزة:- هدنا- بكسر الهاء من هاد يهيد، و هو شاذ، و ثوب مهود أى مرقع ذكره الجبائى، و ليس اليهود التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۴، ص: ۵۵۸

مشتقاً منه، بل إنما قيل يهودى، لأنه نسب الى يهودا، لكن العرب غيرته فى النسب.

و قوله «قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ» حكاية عما أجابهم اللَّه به من أن عذابه يصيب به من يشاؤه ممن استحقه بعصيانه. و قيل: إنما

علقه بالمشیئة و لم یعلقه بالمعصیة لأمرین:

أحدهما- الاشعار بأن وقوعه بالمشیئة له، دون المعصیة.

الثانی- انه لا یشأ ذلک إلا علی المعصیة، فأیهما ذکر دل علی الآخر و عندنا أنه علقه بالمشیئة، لأنه کان یجوز الغفران عقلًا بلا توبة.

و قوله «وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ» معناه إنی أقدر أن أنعم علی کل شیء یصح الانعام علیه، و قیل: المعنی إنها تسع کل شیء إن دخلوها، فلو دخل الجمیع فیها لو سمعتهم الا أن فیهم من یمتنع منها بالضلال بأن لا یدخل معه فیها، و قال ابن عباس: و هی خاصة فی المؤمنین، و قال الحسن و قتادة هی عامة للبرد و الفاجر- فی الدنیا- خاصة. و فی الآخرة للبر.

و قوله «فَسَأَکْتُبُها لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ» معناه إن الرحمة فی الآخرة مکتوبة للذین یتقون معاصیه و یحذرون عقابه «وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ» قیل فی معناه- هاهنا- قولان:

أحدهما- یخرجون زکاة أموالهم، فذکره، لأنه من أشق فرائضهم.

الثانی- یطیعون اللَّه و رسوله فی قول ابن عباس و الحسن ذهبا الی ما یزکی النفس و یطهرها من الأعمال، و الذین هم بآیاتنا یؤمنون یعنی أکتبها للذین یصدقون بآیات اللَّه و حججه و بیناته، و لیس إذا کتب الرحمة للذین یتقون منع أن یغفر للعصاة و الفساق بلا توبة، لأن الذی تفیده الآیة القطع علی وصول الرحمة الی المتقین، و الفساق لیس ذلک بمقطوع لهم و إن کان مجوَّزاً.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۵۹

قوله تعالی:[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۵۷] ..... ص : ۵۵۹

الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ فَالَّذِینَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۵۷)

آیة بلا خلاف.

قرأ «إصارهم» ابن عامر وحده علی الجمیع. الباقون «إصرهم» علی التوحید. و من وحد فلأن (الإصر) مصدر یقع علی الکثیر و القلیل بدلالة قوله تعالی «أصرهم» فأضافه الی الکثرة. و قال «لا تَحْمِلْ عَلَیْنا إِصْراً» «۱» و من جمع أراد ضروباً من المآصر مختلفة، فلذلک جمع.

قوله «الذین» فی موضع جر، لأنه صفة ل (الذین) فی الآیة الاولی بعد صفة فی قوله «فَسَأَکْتُبُها لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ» فذکر أن من تمام صفاتهم اتباعهم للرسول «النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ» یعنی محمداً (صلی اللَّه علیه و آله).

و (الأمی) الذی لا یکتب. و قیل: إنه منسوب الی الأمة. و المعنی أنه علی جبلة الأمة قبل استفادة الکتابة. و قیل: إنه منسوب الی الأمِّ، و معناه أنه علی ما ولدته أمه قبل تعلم الکتابة. و

عن أبی جعفر الباقر (ع) أنه منسوب الی مکة، و هی أم القری.

و قیل: إنه نسب الی العرب، لأنها لم تکن تحسن الکتابة.

و معنی «یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ» أنهم یجدون

---

(۱) سورة ۲ البقرة آیة ۲۸۶.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۴، ص: ۵۶۰

نعته و صفته، و لأنه مکتوب فی التوراة (أتانا اللَّه من سینا و أشرف من ساعیر، و استعلن من جبال فاران) و فیها (سأقیم لهم نبیاً من

إخوتهم مثلك و اجعل كلامى فى فمه فيقول لهم كلما أوصيه به) و فيها، (و أما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً و سيلد اثنى عشر عظيماً و أؤخره لأمَّة عظيمة).

و فى الإنجيل بشارة بالفارقليط فى مواضع منها (يعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله) و فيها أنه (إذا جاء فنَّد أهل العلم) و فيها (أنه يدبركم بجميع الخلق، و يخبركم بالأمور المزمعة و يمدحنى و يشهد لى).

و قوله تعالى «يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ» صفة للنبى (ص) الأمى، و هو فى موضع الحال، و تقديره آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، و سمى الحق (معروفاً) و الباطل (منكراً) لأن الحق يعرف صحته العقل إذ الاعتماد فى المعرفة على الصحة، و ينكر الباطل بمعنى ينكر صحته.

و قوله «وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ» معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة التى كانت حراماً عليهم، و يحرِّم عليهم الخبائث يعنى القبائح، و ما يعافى الأنفس.

و قوله «وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ» يعنى الثقل بأمور محرمة و فى تكليفها مشقة، كتحريم العروق و الغدد و تحريم السبت، و كانت كالاغلال فى أعناقهم، كما يقولون هذا طوق فى عنقك. و قيل: ما امتحن به بنو إسرائيل من قبل نفوسهم، و قرض ما يصيبه البول من أجسادهم و التزام للمكاره فى كل شيء يخالفون اللّه فيه.

و قوله «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ» يعنى صدقوا بهذا النبى «و عزروه» يعنى عظموه بمنعهم كل من أراد كيده، و أصله المنع، و منه تعزير الجانى و هو منعه بتأديبه من العود، و قال قوم: عزرته معناه رددته، و قال آخرون: معناه أعنته. و قال بعضهم معناه نصرته. و قال آخرون: منعته و نصرته.

و قوله «وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ» يعنى القرآن سماه نوراً لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور. و اخبر عنهم بأن من فعل ما قلناه فأولئك هم المفلحون الفائزون بثواب ربهم.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت

–علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فَرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹